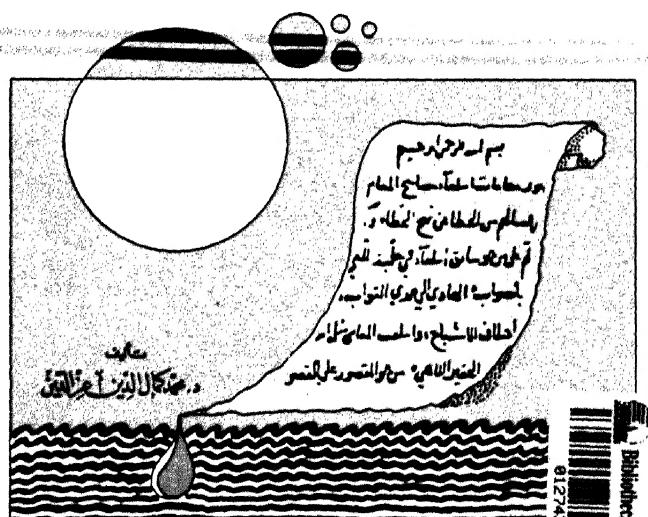


الْزِيْ فِي الْمِنْ فِي اللَّهِ فِي اللَّالِي اللَّهِ فِي اللَّهِي اللَّهِ فِي اللَّهِ فِي اللَّهِ فِي اللَّهِ فِي اللَّهِ فِي الْمِنْ اللَّهِ فِي اللَّهِ فَاللَّهِ فِي اللَّهِ فِي اللّل

مُؤرخاً



عالم الكتب

Bibliothera Aksandrina



•



تبيروت - المزرّعت ، بتاية الإيتكان - الطسّابق الأول - صَربَب ٢٦٧٨ سنطون ، ٢٦١٦٦ - ١٥١٣٨ - بَرَقِيًا : نابعت لبيكي - فلكسن ، ٢٢٢٩٠



المنتلسكة المحقرت المناسكة المحقورة المناسكة المحقورة المناسكة المحقورة المناسكة المعقودة المناسكة الم

مُورِخاً (۷۷۳-۸۵۲ه

تأليف د. مجدكا ل الدّين المجيّر الدّين

عالم الكتب

جَمِيعُ عِ قُوقًا لَطَبْعُ وَالْنَشِّ رَجَعَفُوظَ مَالِكَارِ الطبعة الأولىٰ ١٤٠٧م - ١٩٨٧م



إلى روح والدي «مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً».

بسيت مِأَنلُه ِ ٱلرَّحَمْنِ الرَّحِيْمِ

فاتحة البحث

شهد القرنان الثامن والتاسع من الهجرة نبوغ الكثرين من أعلام الثقافة والفكر في العالم الإسلامي، وكان من بينهم المؤرخون الذين اكتسبوا مكانة فائقة بين المسهمين في الفكر الإسلامي المشكلين لمادته.

لكن تأخرت طويلًا العناية بدراسة هذا التراث على أسس منهجية قائمة على النظرة العلمية المتأنية، القائمة على العمق والتقصي والنقد، نتيجة لخطأ شائع مفاده أن نتاج هذين القرنين ليس إلا كتابات تتمثل في الشروح والمختصرات أو الجمع التأليفي (الموسوعي) الخالي من الابتكار والجدة، سواء في المادة أو في المنهج (۱).

ولما لم يكن من سبيل إلى رد هذا الادعاء الخاطيء وإلى الإفصاح عن

⁽۱) أنظر على سبيل المثال قول جاستون فييت: «... ولا ينبغي أن ننخدع بتكاثر المدارس الدينية والمساجد في ظل حكم سلاطين المماليك، فليس لذلك علاقة بنبوغ المدرسين، إذ لم يتخلف لنا عنهم اسم واحد عظيم، ولم تخرج هذه المعاهد العلمية الكثيرة شخصية عظيمة أو كاتباً موهبوباً، فهي لم تزد على كونها مدارس لتدريس المدرسين، وباستثناء المقدمة لابن خلدون - ذلك العالم الفذ الذي تلقى تعليمه في المغرب - لم يظهر في القاهرة أي عمل أصيل. وقد تميز هذا القرن بكتاب الموسوعات والسير التي كثيراً ما كانت قليلة العمق، وواضعي المجاميع، فلم تعرف فيه أعمال تتميز بالأصالة. كان هؤلاء الرجال يستحقون في حياتهم عبارات المديح وسيراً موجزة مليئة بالنعوت الرنانة، ولكن أسهاءهم تسقط في طيات النسيان» - القاهرة مدينة المفن والتجارة ص

الأصالة والجدة في مثل تلك المؤلفات، وتقديم مادة تأريخية متأصلة يعتمدها الباحثون في البناء التأريخي إلا بالدراسة المنهجية المتأنية للعمل الواحد تفها لمنهجه وأغراضه، فإنه قد اتجه الرأي لدي إلى اتخاذ «إنباء الغمر بأنباء العمر» للمؤرخ المصري الشهير «شهاب الدين، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني» موضوعاً لهذه الدراسة.

أما الكتاب، فلأنه يعد من بين مؤلفاته التاريخية الكتاب الوحيد الجامع للحوادث والتراجم المعاصرة في حيز الحولية الواحدة، ولكونه معاصراً لمادته مدركاً للكثير منها.

وأما المؤرخ، فلأنه علم من أبرز علماء عصره، الذين اتسعت معارفهم وتخصصاتهم فدخلوا في نطاق الموسوعيين (أصحاب الجمع التأليفي) إذا ما ضم تراثهم الذي خلفوه بعضه إلى بعض، فلقد أسهم في التأريخ، والأدب، والشعر، والحديث والفقه، والتفسير. وغيرها، ودخل في نطاق المؤرخين، والأدباء، والشعراء والمحدثين، والفقهاء، والمفسرين. قياساً بما خلف من دراسات _ في كل _ قائمة على الأصالة والعمق.

لكن نتيجة للنظرة السالف بيانها بالنسبة للتراث في ظل دولة المماليك ككل ونتيجة لغلبة جانب المحدث لدى «ابن حجر» على غيره من الجوانب التي نبغ فيها فإن الكثيرين بمن عنوا ـ مؤخراً ـ بالتعريف بالحركة الفكرية في ظل الدولة المملوكية قد أثبتوه في جانب المحدثين، إهمالاً له في جانب المؤرخين(۱) فإن تيسر لهم تقديم كلمة عجلي للتعريف به، فإنه يأتي في ظل المقريزي، أو في طيات الحديث عنه باعتباره معاصراً لأحد شوامخ التأريخ في مصر، فإذا ما عُرضت تلك الكلمة العُجلي على المنهج العلمي نجدها قد افتقدت كل مبررات وجودها باهتزاز معناها ومبناها معاً، ودلت على عدم اطلاع ودراسة لفكر الرجل ونتاجه في مجال التاريخ.

⁽١) Dunlop, Arab Civilization To A.D., I 500 ومارغوليوس, دراسات عن المؤرخين العرب، وقد أسقطا «ابن حجر» من جانب المؤرخين.

ولذا اتجهنا إلى إبراز جانب المؤرخ لدى «ابن حجر العسقلاني» من خلال هذا البحث، الذي أسس على بابين اثنين، خصص أولها للترجمة له، بينا خصص ثانيها للتعرف على منهجه في الكتابة التاريخية من خلال دراسة مادة كتابه «إنباء الغمر بأنباء العمر»، باعتباره أهم ما خلف من مؤلفات تاريخية، لأسباب أبنا عنها في موضعها.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذا البحث كان في الأصل أطروحة جامعية أجيزت بتقدير «ممتاز»، ثم قدر لها أن تنشر في نشرة شوهاء، مما دفعني إلى إعادة نشرها _ الأن _ بعد أن استغنيت عن الكثير من مادة الأطروحة الرئيسة تلخيصاً وحذفاً.

وبالله التوفيق، ومنه العون والسداد.

القاهرة ـ ديسمبر ١٩٨٦ م.

المؤلف

الباب الأول ابن حجر العسقلاني دراسة حياة (٧٧٣ ـ ٨٥٢ هـ.)

ـ الفصل الأول : نشأته وتكوينه

ـ الفصل الثاني : شيوخه وأساتذته

ـ الفصل الثالث : رحلاته

ـ الفصل الرابع : وظائفه

- الفصل الخامس : حياته الإجتماعية

- الفصل السادس : علاقاته بشخصيات عصره

الفصل السابع : مقومات شخصية

ـ الفصل الثامن : مرضه ووفاته



نشأته وتكوينه

ولد «أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن محمود بن أحمد»(١)،

(١) نسب «ابن حجر» مضطرب لا ضابط له، فقد يتأخر «محمود» على «أحمد» أو يسقط كما ورد بخطه في «الدرر الكامنة» في ترجمته لعم أبيه قائلاً: «عثمان بن محمد بن علي بن أحمد بن محمود» ج ٢ ص ٤٥٠ تر ٢٦٠٧، وكذا في ترجمته لنفسه في كتابه «رفع الإصر» حيث قال: «أحمد بن علي ابن محمد بن عمد بن علي بن أحمد بن علي النقاهرة الغمر» قائلاً: «أحمد بن علي بن محمد بن علي بن أحمد بن علي بن أحمد» ط. القاهرة ج ١ ص ٣ لكنه خالف ذلك في حرف الحاء المهملة من كتابه «تبصير المنتبه بتحرير المشتبه» في ذكره لعم أبيه قائلاً: «. . . وفخر المدين عثمان بن محمد بن علي بن محمود بن أحمد» ج ١ ص ٤١٤، وكذا صنع في ترجمته لأبيه في القسم الثاني من «المجمع المؤسس» قائلاً: «علي بن محمد بن علي بن محمود بن أحمد» غط. الأسكندرية ق ٣٤٣ ب. وقد يزاد في آخر نسبه «أحمد يل» كما ورد في ترجمة المقريزي له في «جواهر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة» وفي «أحمد الزين شعبان له - كذلك - لكن بإسقاط «محمود» - على حد قبول السخاوي في «الجواهر والمدر» مخط. أحمد الثالث ق ١٥ أ مشيراً إلى أنه ورد كذلك بخط «ابن حجر» عينه في آخر نسخة من «صفة النبي صلى الله عليه وسلم».

ولعل «ابن حجر» كان مدركاً لوجود هذا الإضطراب في نسبه، وإلا لما تندر بقوله: أن نسبه يقرأ طرداً وعكساً ـ السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٥ أ، عبدالله بن زين. جمان الدرر مخط. دار الكتب المصرية ق ٢ أ ـ ولما أتي هذا الإختلاف في سلسلة نسبه بخطه هو.

أما ما اثبت في المتن فهو ما اعتمده السخاوي في ترجمته لشيخه بعد استعراض لسائر الصيغ المشار إليها سلفاً، ناعتاً لما اثبت في موضعين من ترجمته لشيخه في الجواهر والدرر قائلاً: «هذا هو المعتمد في نسبه» «... وإنما جزمت بالأول لكثرة ما وجدته كذلك بخطه، وإن تكرر بخطه كما=

المعروف بابن حجر، الكناني، العسقلاني، الشافعي، في شعبان سنة تلاث وسبعين وسبعمائة للهجرة(١) في منزل كان يقع على شاطىء النيل بمصر، بالقرب

= في آخر شرح البخاري وغيره أنه أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بـن أحمد بن حجر، لكن هذا أكثى _ ق ١٥ _ وكذا ما أثبته البقاعي في ترجمته لشيخه _ عنوان الزمان ج ١ ق ٣٥.

(١) ورد «لابن حجر» شاهد شعري أرخ فيه لمولده، قائلًا:

«شعبان عام ثلاثة من بعد سبع مائة وسبعين اتفاق المولد» (من الكامل)

كها ورد في ترجمته لنفسه في (رفع الاصر ق ٣٦ ب) أن مولده كان في «شعبان سنة ثلاث وسبعين

وهو بهذا يسقط اليوم المولود فيه، ولذا اجتهدت مصادر ترجمته في تحديد ذلك اليوم، فوقع بينها اختلاف كبير، حيث أشار «الشوكاني» - البدر الطالع ج ١ ص ٨٨ - إلى أنه ولد في الثاني من شعبان ـ ولعله خطأ طباعي، أو تصحيف في أصل الكتاب، كما أن «البقاعي» - عنوان الزمان ج ١ ق ٣٥ أ ـ و «السيوطي» ـ المنجم في المعجم ق ١٣٠ أ، نظم العقيان ص ٤٥ ـ و «ابن العماد الحنبلي» ـ شذرات الذهب ج ٧ ص ٣٠٠ ـ يجعلون مولده في الثاني عشر من شعبان، على حين أن «ابن خطيب الناصرية» ـ الدر المنتخب ج ١ ق ٢٠١ ب. و «ابن تغري بردي» ـ المنهل الصافي غط. أحمد الثالث ج ١ ق ٢١، الدليل الشافي ق ١١ ب، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٣٣٠ - فو «السخاوي» ـ الجواهر والدرر ق ١٤ أ، الضوء اللامع ج ٢ ص ٣٦، ـ و «ابن طولون» ـ و «السخاوي» ـ الجوهرية ج ٢ ص ٤٥٤ ـ فإنهم يجعلون مولده في الثاني والعشرين من شعبان، أما «ابين فهد المكي» ـ لحظ الألحاظ ص ٣٢٦ ـ و «الغزي» ـ بهجة الناظريين ق ٧٧ أ ـ فإنهما يشيران إلى أن يوم مولده هو الثالث والعشرون من شعبان.

وهكذا حصر يوم مولده لدى مصادر ترجمته بين «الثاني من شعبان» و «الثالث والعشرين منه». وهي نقول لا يرتاح إلى إثبات أحدها لعدم التحقق من صحتها، فضلًا عن تضاربها، على حين أن مولده في ترجمته لنفسه أتى فيها غفلًا من إثبات اليوم، فضلًا عن أن البعض بمن ترجم له عدداً لذلك اليوم السخاوي والسيوطي قد أسقط ذلك اليوم من ترجمته له في مواضع أخرى من مؤلفاته، أو عمد إلى عدم التأريخ كلية لمولده. فلقد وردت ترجمته لدى «السخاوي» في التبر المسبوك ص ٢٣٠ وقد سقط منها تحديد ذلك اليوم، على حين أنه ترجمه في الذيل على رفع الإصر ص ٧٥ ـ ٨٩ متجاهلًا تماماً التأريخ لولادته، أما «السيوطي» فإنه ترجمه في التحدث بنعمة الله ص ٥٥ ، وحسن المحاضرة ج ١ ص ٣٦٣ وذيل طبقات الحفاظ ص ٣٨٠ مسقطاً اليوم والشهر المؤلود فيها.

من دار النحاس^(۱) والجامع الجديد^(۲) حيث كناه أبوه «بأبي الفضل»^(۳) تشبهاً ببعض قضاة مكة^(٤) ولقبه «بشهاب الدين». أما شهرته «بابن حجر» - بفتح الحاء المهملة والجيم بعدها راء - فلا يضبط إن كان لقباً لأحمد الأعلى في نسبه، أم إسماً لوالد أحمد المشار إليه^(٥) - على حين أن الكناني - بكسر الكاف وفتح النون وبعد الألف نون ثانية - فنسبة إلى قبيلة كنانة^(٢) والعسقلاني - أصل لهم -^(٧) وهي مدينة كانت بساحل الشام من فلسطين^(٨) نقلهم منها «صلاح الدين

(٥) أورد كل من السخاوي في الجواهر والدرر ق ١٦ ب، و «البقاعي» في عنون المزمان ج ١ ق ٣٦ في ترجمتهما لابن حجر جواباً منظوماً لاستدعا. أشار فيه «ابن حجحر» إلى ذلك قائلاً:

من أحمد بن على بن محمد بن على الكناني المحتد ولجمد جد أبيه أحمد لقبوا حجراً وقيل بل لوالد أحمد (الكامل)

ويلاحظ أن البقاعي قد تفرد بإيراد القصيدة مكتملة.

(٦) أشار «ابن حجر» في المجمع المؤسس إلى أنه رأى بخط أبيه أنه «كناني النسب» ق ٢٤٣ ب، كما أفاد «السخاوي» في ترجمة شيخه أن «ابن حجر» كتب مرة أنه الكناني القبيلة ـ الجواهـر والدرر ق ١٦٠ أ.

(٧) ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٢٤٣ ب، السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٦ أ.

(٨) عسقلان _ بفتح أوله وإسكان ثانيه _ مدينة كانت تقع بالشام من أعمال فلسطين على ساحل __

⁽١) اختط دار النحاس وردان الرومي ـ مولي عمرو بن العاص ـ ثم جعلت ديواناً في إمارة مسلمة بن مخلد ـ ابن دقماق الإنتصار لواسطة عقد الأمصار ص ٦ ق ١ .

⁽٢) هو الجامع الجديد الناصري ـ راجع بشأنه، المقريزي. الخطط. ج ٢ ص ٣٠٤.

⁽٣) ابن حجر. إنباء الغمر ج ١ ص ١١٧ السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٥ب، ويضيف السخاوي إلى ذلك أن الزين العراقي كناه علي الجادة «أبا العباس»، وكذا كناه بها البهاء ابن العلي... وغيرهما وكناه آخر «أبا جعفر» ونص على أنه شذوذ ـ الجواهر والدرر ق ١٥ ب، ٢٨ أ ـ لكن يبدو أن تكنية أبيه له هي التي كانت معتمدة لديه وغالبة عليه وإلا لما وردت لصيقة اسمه في ترجمته لنفسه، وفي تراجم سواه له، ولما كان هو ـ في حاجة إلى جمع مؤلف في «القصد الأحمد بمن كنيته أبو الفضل واسمه أحمد».

⁽٤) هو القاضي «أبو الفضل محمد بن أحمد بن عبد العزيـز العقيلي النـويري»، حيث أصـطحبه أبـوه إليه حدثاً ـ السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٥ ب.

الأيوبي» إلى مصر لما خربها، بعد أن رأى المصلحة في ذلك لعجز المسلمين عن حفظها من الفرنج، فوضعت فيها المعاول في سحر ليلة الخميس تاسع عشر شعبان سنة سبع وثمانين وخمسمائة(١).

وعلى الرغم من أن أهله كانوا قد استقروا بمصر بعد نقلتهم إليها، وارتفع نجمهم فيها، واستحوزوا على السبق بين رجالاتها، فإن مصادرنا لا تمدنا بمعلومات وافية عن الأصل الذي تحدر منه ابن حجر ـ مؤرخنا ـ أو أهله، مما يجعل جل معلوماتنا منحصرة في أن:

عم أبيه:

«فخر الدين عثمان بن محمد بن علي بن أحمد بن محمود» (٢) الكناني الشافعي، المعروف بابن البزار، وابن حجمر (ت ٧١٤هـ. / ١٣١٥هـ.) سكن ثغر الأسكندرية، وكان بحاثاً نقالاً، انتهت إليه رياسة الإفتاء على المذهب الشافعي هناك، وتفقه به جماعة منهم: «الدمنهوري»، و «ابن الكويك». . حتى صار منعوتاً لدى البعض (٣) «بمفتي الثغر، وفقيه الشافعية في زمانه»، وأنه أنجب

البحر بين غزة وبيت جبرين، واشتقاق اسمها من «العساقل» وهو السراب، أو من «العسقل» وهو الحجارة الضخمة وذكر بعضهم أن «العسقلاني» أعلى الرأس ـ البكري. معجم ما استعجم ج ٣ ص ٩٤٣، ياقسوت. معجم البلدان ج ٤ ص ١٢٢، المشترك وضعساص ٣٠٨، ابن شداد شاهنشاه. تقويم البلدان ص ٢٣٨، البغدادي. مراصد الاطلاع ج ٢ ص ٩٤٠ ابن شداد الأعلاق الخطيرة ج ٣ ص ٢٥٨ ـ ٢٦٣.

⁽۱) ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٢٤٣ ب، السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٦ أ، وعن خراب عسقلان: العماد الأصفهاني. الفتح القسي بالفتح القسدسي ص ٥٥٠ ـ ٥٥١، ابن الأثير الجزري. الكامل في التاريخ ج ٩ ص ٢١٦، ابن شداد. النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ص ١٨١ ـ ١٨٨، المقدسي. الروضتين في أخبار الدولتين ج ٢ ص ١٩١ ـ ١٩٢.

⁽٢) تــرجمة ابن حجــر في الدرر الكــامنــة ج ٢ تــر ٢٦٠٧ ص ٤٥٠، وتبصــير المنتبــه ج ١ ص ٤١٤، السخــاوي. الجواهر والدرر ق ١٦ ب.

⁽٣) هـو «العفيف المطري»، حيث ذكره في ذيل طبقات الفقهاء ـ السخاوي. الجواهـر والـدرر ق ١٦ ب.

ولدين فقيهين هما: ناصر الدين أحمد، وزين الدين محمد.

جله:

أما أخو فخر الدين عثمان، وهو جد _ مؤرخنا _ لأبيه، «العدل، قطب الدين محمد بن ناصر الدين محمد بن جلال الدين علي»(١) المعروف _ كذلك بابن حجر، وابن البزار (ت ٧٤١هـ. / ١٣٤١م.) فإن اشتغاله بالتجارة لم يعقه عن تحصيل العلم، حيث تشير المصادر إلى أنه سمع من جماعة، منهم «أبو الفضل بن عساكر»، و «ابن القواس»، وغيرهما. وأنجب أولاداً منهم: كمال الدين، وعب الدين، وولي الدين، ونور الدين، وهو أصغرهم.

أسرته:

أما «نور الدين علي» (٢) _ والد مؤرخنا _ (ت ٧٧٧ هـ. / ١٣٧٦ م.) فقد كان رئيساً محتشاً من أعيان تجار الكارم (٣) موصوفاً بالعلم والديانة والأمانة ومكارم الأخلاق، ومحبة الصالحين والمبالغة في تعظيمهم (٤). . اهتم من بين أخوته بالاشتغال بالعلم (٥) فسمع من «ابن سيد الناس» (ت ٧٣٤ هـ. / ١٣٦٨ م.) وطبقته، ولازم «البهاء بن عقيل» (ت ٧٦٩ هـ. / ١٣٦٨ م.)، وكان «ابن عقيل» يجبه ويعظمه، ويبالغ في الثناء عليه (٢٠).

⁽١) تسرجمه ابن حجر في المجمع المؤسس ١٤٣ أنخط. الأحمدية، تبصير المنتبه ج ١ ص ٤١٤، السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٧ أ.

⁽۲) ترجمه ابن حجر في المجمع المؤسس ٣ ب، ٢٤٤ أ، إنباء الغمر ج ١ ص ١١٦ ـ ١١٧ تـر ٤٣، تبصير المنتبه ـ في حرف الحاء المهملة ج ١ ص ٤١٥، علي حين ذكره في الدرر الكامنة وبيض لـه ج ٣ ص ١١٧، ابن تغري بردى. الدليل الشافي ق ٧٧، السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٧.

⁽٣) ابن خطيب الناصرية. الدر المنتخبج ١ ق١٠٦ ب، البقاعي. عنوان الزمان ج ١ ق ٣٦.

⁽٤) ابن حجر. إنباء الغمرج ١ ص ١١٦، السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٧.

⁽٥) ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٢٤٣ أ، السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٧ أ.

⁽٦) ابن حجر. إنباء الغمرج ١ ص ١١٦، السخاوي. الجواهر والـدرر ق ١٧ أ، الذيل على رفع الإصر ص ٧٥.

وعلى الرغم من أنه لم يكن له بالحديث النبوي المام(۱) فإنه كان قد مهر في الفقه والعربية والأدب. (۲) وأجيز بالفتوى والقراءات، وحفظ القرآن الكريم(۳) وحفظ ـ كذلك ـ الحاوي الصغير(٤) ونقله(٥) كما كان له إستدراك على «الأذكار» للنووي (ت ٩٦٠ هـ. / ١٢٠٠ م.)(٦) ناهيك عن النظم الكثير السائر(٧). حيث خلف دواوين شعر منها «ديوان الحرم» مدائح نبوية ومكية في مجلدة ـ ذكره له ولده ـ كما كانت له صحبة ومطارحات مع «ابن نباته»(٨) (ت ٧٦٨ هـ. / ١٣٦٧ م). و «البرهان القيراطي» (ت ٧٨١ هـ. / ١٣٦٧ م). وناب عن «ابن عقيل»، ثم تُرِكَ وأقبل على شأنه مكثراً من الحج والمجاورة(٩).

تزوج من امرأة ثيب هي «تجار بنت أبي بكر بن الشمس محمد بن إبراهيم الزفتاوي» أخت «صلاح الدين» أحد التجار الكارمية (١٠). وكان قد أنجب من غيرها ولداً أثكله بعد أن قرأ الفقه، وفضل، وعرض المنهاج فوجد عليه جداً (١١). أما هي فلقد استولدها وهو بطريق الحجاز في رجب سنة سبعين -

⁽١) ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٢٤٣ ب.

⁽٢) نفسه، إنباء الغمرج ١ ص ١١٦، السخاوي. الجواهر والدرر ق ١١)، الذيل على رفع الإصر ص ٧٥.

⁽٣) السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٧ أ.

⁽٤) ابن حجر. إنباء الغمرج ١ ص ١١٧، السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٧ أ.

⁽٥) ابن حجر. تبصير المنتبه ج ١ ص ٤١٥.

⁽٦) ابن حجر. إنباء الغمرج ١ ص ١١٦.

⁽٧) ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٢٤٤ أ، تبصير المنتبه ج ١ ص ٤١٥.

⁽٨) ابن حجر. إنباء الغمرج ١ ص ١١٦ ـ ١١٧، المجمع المؤسس ق ٢٤٤ أ.

⁽٩) ابن حجر. إنباء الغمرج ١ ص ١١٦، وج ٣ حاشية رقم ١ ص ٢٨٠، السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٧ أ، الذيل على رفع الإصر ص ٧٥.

⁽١٠) السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٧ ب، ١٩ ب.

⁽١١) ابن حجر. الدرر الكامنة ج ٤ ص ٤٣٢، السخاوي. الجواهـر والدرر ق ١٦ أ ولعـل أمه هي أخت «علي بن عبد العـزيز بن أحمـد الخروبي» (ت ٨٠٢ هـ. / ١٤٠٠ م.) أحـد أعيان التجـار __

بنتاً، جاء اسمها «ست الركب» مناسباً لذلك (١). كما استولدها ابناً ـ هو مؤرخنا ـ وكنان قبله قد حضر إلى بعض المعتقدين بمصر (٢) فبشره بخلف الله عليه قائلاً: «يخرج من ظهركم عالم يملاً الأرض علماً» (٣). . بيد أن الوالد توفي، ولما يستكمل كلاهما ـ البنت والولد ـ سن الشباب، حيث كانت البنت عند فقد الوالد قد اكتمل سنها سبع سنين، كما كان عمر الولد أربعاً (٤). وكانت والدتها قد سبقته إلى جوار ربها بمدة فعاشا يتيمين.

وكان طبيعياً أن يترجم مؤرخنا لأبيه بعد قائلاً: «وأنا الآن أعقله كالـذي يتخيل الشيء ولا يتحققه»(٥).

كما كان لهما أخ من أمهما اسمه «عبد الرحمن بن الشهاب أحمد بن محمد بن محمد بن عبد المهيمن البكري» ذكره في المجمع المؤسس مشيراً إلى أنه مهر وحصل مالاً أصله من قبل أمه، فقدر الله تعالى موته - (ت ١٤٠٧هـ. / ١٤٠٧م.) - فورثه أبوه فمزق ماله، وكان الأب قد ناب في القضاء واشتغل وسمع وعني بالنظر في كلام الصوفية ومقالة ابن عربي التي كان داعية لها(٢).

ويبدو أن والدهماكانكلفاً بها، حيث يشير ابن حجر إلى أن أباه قد حصل لابنته «ست الركب» في السنة التالية لمولدها إجازات اتصلت بمصر وتونس، ومكة، والمدينة، وحلب، ودمشق، وبعلبك، والمزة (٧) كما اصطحبهما - قبل

بمصر، حيث يشير ابن حجر في تسرجته إلى أن والـده كان قــد تزوج أختــه، وماتت قبله ــ إنبــاء
 الغمر ج ٢ ص ١٢٣.

⁽١) نفسه ج١ص ١٧ه، السخاوي. الجواهر والدررق ١٧ ب.

⁽۲) هو «يحيى الصنافيري» (ت ۷۷۲ هـ. / ۱۳۷۱ م.) ـ ابن حجر. المدرر الكامنـة ج ٤ تر ١١٩٩ ص ٤٣١ ,

⁽٣) نفسه ج ٤ ص ٤٣٢ ، السخاوي . الجواهر والدرر ق ١٦ ب الذيل على رفع الإصر ص ٧٥ .

⁽٤) ابن حجر. إنباء الغمرج ١ ص ١١٧.

⁽٥) نفسه.

⁽٦) ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٤١ ب-٤٢ أ.

⁽٧) نفسه ق ۲۲۷ أ، السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٩.

موته _ للحج والمجاورة بمكة، والقدس، والخليل(١). وأوصى بولده كبير التجار «المنزكي الخروبي» (ت ٧٨٧ هـ. / ١٣٨٦ م.)، والشيخ «شمس الدين بن القطان» (ت ٨١٣ هـ. / ١٤١١ م.) لاختصاصه به، بعد أن ترك لهما ثروة لا بأس بها، بقيت في معظمها إلى أن رشد مؤرخنا.

على أن مصير البنت _ بعد فقد الأب _ قد آل إلى التنشئة الحسنة، حيث تعلمت الخط، وحفظت الكثير من القرآن الكريم، وأكثرت من مطالعة الكتب فمهرت في ذلك جداً، بحيث كان يظن من يراها تقرأ من الكتاب أنها تحفظه لجودة استخراجها، وتزوجت وهي صغيرة من «شمس الدين محمد بن السراج عبد العزيز الخروبي» فاستولدها ولداً وبنتاً (٢). أما الولد وهو «صلاح الدين» فمات قديماً، وأما البنت، وهي «فواز» فقدر لها السفر إلى الحجاز صحبة زوجها حيث اختل عقلها بمكة، واستمرت تهذي في الكلام جداً مع استحضار في أوقات العبادة حتى ماتت _ سنة اثنتين وخمسين وثماغائة _ وصلى عليها خالها (٣).

وظل «ابن حجر» يحمل لأخته إجلالاً وتقديراً، دفع به إلى الترجمة لها في موضعين من مؤلفاته، على فترتين متفاوتتين، مشيراً إلى ذلك بقوله: «كانت بي برة رفيقة محسنة، جزاها الله عني خيراً، فلقد انتفعت بها وبآدابها مع صغر سنها» (٤). وإلى أنها «كانت قارئة كاتبة أعجوبة في الذكاء، وهي أمي بعد أمي » (٥). ويظهر توجعه بفقدها قوله: «.. ماتت شابة في جمادي سنة ثمان وتسعين وسبعمائة عوضها الله الجنة » (١٠). وقوله: «أصبت بها في جمادي الآخرة من هذه السنة » (٧).

⁽١) المصدران السابقان: ق ٣١ أ، ١٧ ب ـ على التوالي.

⁽٢) ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٢٢٧ أ، السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٩ ب.

⁽٣) السخاوي. الجواهر والدررق ١٩ ب ـ ٢٠ أ، الضوء اللامع ج ١٢ ص ١١٦ تر ٧٠٢.

⁽٤) ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٢٢٧ أ.

⁽٥) ابن حجر. إنباء الغمرج ١ ص ٥١٧ تر ٢٠.

⁽٦) ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٢٢٧ أ.

⁽٧) ابن حجر. إنباء الغمرج ١ ص ١١٥ تر ٢٠.

أما مؤرخنا فقد نشأ _ مع يتمه _ في «غاية العفة والصيانة والرياسة» (١) في كنف أحد أوصيائه «الزكي الخروبي» (٢) حيث اعتني به _ غاية العناية فأدخله المكتب بعد أن اكتمل سنه خس سنوات (٣) فقرأ به على «الشمس العلاف» (٤) و «الشمس الأطروش»، لكنه لم يكمل القرآن الكريم حفظاً إلا عند «الصدر السفطي» (ت ٨٠٨هـ. / ٢٠٤١م.) (٥) وقد بلغ من العمر تسع سنوات (٢). ثم لم يتهيأ له أن يصلي به للناس التراويح _ على جاري العادة _ إلا سنة خس وثمانين وثماغائة _ بمكة والقدس _ وقد اكتمل عمره اثنتي عشرة سنة (٧) حيث كان صحبة وصيه في الحج والمجاورة بمكة والقدس سنتي: أربع، وخمس وثمانين وسبعمائة (٨). وهناك اشتغل بالإعادة (٩).

⁽١) البقاعي. عنوان الزمان ج ١ ق ٣٦، السخاوي. الجواهر والدرر ق ٢٠ أ، الذيل على رفع الإصر ق ٧٥.

⁽٢) هو «أبو بكسر بن علي بن أحمد بن محمد الخسروبي» كبير التجمار الكارمية في مصر على وقته ـ ابن حجر. إنباء الغمر ج ١ ص ٣٠٦ تر ٩، الدرر الكامنة ج ١ ص ٤٥١ ـ ٤٥١ تر ١٢٠٥، المجمع المؤسس ق ٢٢٢ ب.

⁽٣) ابن حجر. رفع الإصر ق ٣٧ أ، ابن فهد المكي. لحظ الألحاظ ص ٣٢٦، السخاوي. الجواهـر والدرر ق ٢٠ ب، الذيل على رفع الإصر ص ٧٥.

⁽٤) ابن حجر. إنباء الغمرج ١ ص ٣٧١.

⁽٥) هو «محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق بن عيسى بن عبد العزيز بن عمران بن حجاج، الصدر السفطي» ... ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٢٤٨، السخاوي الضوء اللامع ج ٩ ص ٢٢٧ ـ ٢٢٨ تر ٥٥٦ .

⁽٦) ابن حجر. رفع الإصر ق ٣٧ أ، السخاوي. الجواهر والدرر ق ٢٠ ب، اللذيل على رفع الإصر ص ٧٥، الضوء اللامع ج ٣ ص ٣٦، عبدالله بن زين. جمان الدرر ق٢ أ.

⁽٧) ابن حجر. رفع الإصر ق ٣٧ أ، إنباء الغمرج ١ ص ٢٦١، ابن فهد المكي. لحظ الألحاظ ص ٣٢٧، البقاعي عنوان الزمان ج ١ ص ٣٧، السخاوي. الجواهر والدرر ق ٢٠ ب. الذيل على رفع الإصر ص ٧٠.

 ⁽٨) ابن حجر. رفع الإصر ق ٣٧ أ، إنباء الغمرج ١ ص ٢٦١، السخاوي الضوء الـلامع ج ٣
 ص ٣٦، الجواهر والدرر ق ٢٠ ب.

⁽٩) ابن حجر. إنباء الغمرج ١ ص ٢٦١، السخاوي. الجواهر والدررق ٢٠ ب.

ووصل اعتناء الوصي به حداً جعله يهيء له هناك الجو المناسب للإقبال على الاشتغال، فتخير له مكاناً ساعد على ذلك(١). كما قدر له أن يسمعه غالب صحيح البخاري على «العفيف النشاوري» (ت ٧٩٠هـ. / ١٣٨٨ م.)(٢) وقد تصادف وجوده هناك، فكان _ بذلك _ أول شيخ سمع «ابن حجر» عليه الحديث(٣). كما كان «الجمال ابن ظهيرة» (ت ٨١٧هـ. / ١٤١٥م.)(٤) _ وقد قرأ عليه في عمدة الأحكام _ أول شيخ بحث عليه في فقه الحديث(٥).

وما هو إلا أن عاد صحبة وصيه إلى مصر على إقامته مسنة ست وثمانين وسبعمائة (٦) ليحفظ كتباً من مختصرات العلوم كالعمدة في الأحكام (٧)

⁽۱) حيث كان محل السماع تحت سكن الخروبي - المذكور - في البيت الذي بباب الصفاعلى بمنة الخارج إلى الصفا، وكان به شباك مطل على المسجد الحرام، يشاهد من يجلس فيه الكعبة والركن الأسود، فكان المسمع والقارىء يجلسان عند الشباك، دون مصطبة تحت الشباك المذكور، كان يجلس عليها مؤدبه ومن يدرس معه - السخاوي. الجواهر والدررق ٢٠ ب.

⁽۲) هـ و «عبدالله بن محمد بن محمد بن سليمان بن موسى النيسابوري الأصل ثم المكي، المعروف بالنشاوري» _ ابن حجر. إنباء الغمر ج ١ ص ٣٥٨ _ ٣٥٩، المجمع المؤسس ق ٨٣ ب _ ٨٥، أ، الدرر الكامنة ج ٢ ص ٣٠٠ ـ ٣٠١، ابن طولون. القلائد الجوهرية ج ٢ ص ٤٥٤.

⁽٣) ابن حجر. رفع الإصر ق ٣٧ أ، إنباء الغمرج ١ ص ٣٥٩، المجمع المؤسس ق ٨٤ ب، ابن فهد المكي. خط الألحاظ ص ٣٢٦، البقاعي. عنوان الزمان ج ١ ص ٣٧، السخاوي. الجواهر والدررق ٢٠ ب.

⁽٤) هو «محمد بن عبدالله بن ظهيرة بن أحمد بن عبدالله بن عطية بن ظهيرة بن مرزوق بن محمد بن سليمان المخزومي المكي الشافعي» ـ له ترجمة: في: المقريزي. السلوك ج ٤ ص ٢٦٩، ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٢٦٦؛ إنباء المغمر ج ١ ص ٤٥ ـ ٤٦، ابن فهد المكي. لحظ الألحاظ ص ٢٥٣ ـ ٢٥٠، السخاوي. الضوء اللامع ج ٨ ص ٩٢ ـ ٩٠٠.

^(°) ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٢٦٦ أ، إنباء الغمر ج ٣ ص ٤٦، السخاوي الجواهر والدرر ق ٢١ أ، الضوء اللامع ج ٨ ص ٩٤,

⁽٦) ابن حجر. إنباء الغمرج ١ ص ٨٨، الدرر الكامنة ج ١ ص ٤٥٠، السخاوي. الجواهر والدرر ق ٢١ أ، عبدالله بن زين. جمان الدررق ٣ أ.

⁽٧) هو «العمدة في الأحكام في معالم الحلال والحرام عن خير الأنام» لابن سرور الجماعيلي المقدسي =

والحاوي الصغير ـ كتاب أبيه (۱) ـ ومختصر ابن الحاجب الأصلي (۲) والملحة للحريري (۳) . . عرضها ـ على العادة ـ على جماعة من الأئمة كتبوا خطوطهم له بذلك (۱۵) . كما تعلم الخط المنسوب على «أبي على الزفتاوي» (ت ۸۰۲هـ . / ۱٤٠٤ م .) (۰) .

وظهر من مؤرخنا ـ حينئذ ـ ما ينبه إلى مستقبل باهر ينتظره، فلقد رزق في صغره سرعة الحفظ، فكان كل يوم يحفظ نصف حزب، وبلغ من أمره في ذلك أن حفظ سورة مريم في يوم واحد، كما كان أكثر الأيام يصحح الصفحة من الحاوي الصغير، ثم يقرؤها تأملًا مرة أخرى، ثم يعرضها في الثالثة من حفظه. . فقد كان حفظه تأملًا على طريقة الأذكياء(٢).

ثم قدر له أن يقرأ القرآن ـ الكريم ـ تجويداً على «الشهاب الخيوطي» (ت ٨٠٧ هـ. / ١٤٠٥ م.) (٧) آنذاك (٨).

^{== «}ت ٢٠٠ هـ. / ١٢٠٤ م.) ويحتوي على أحاديث الأحكام مما اتفق عليه البخاري ومسلم، واردة بترتيب كتب الفقه.

⁽١) هـو مختصر أبيـه من الحـاوي الصغـير ـ في الفقـه الشـافعي ـ للنجم القــزويني (ت ٦٩٥ هـ. / ١٢٩٦ م.).

⁽٢) هـو مختصر كتـاب «منتهى السؤل والأمــل في علم الأصـول والجــدل» لأبي عمـرو ابن الحــاجب (ت ١٤٦ هـ. / ١٢٤٨ م.).

⁽٣) منظومة في النحو تسمى «ملحة الإعراب» للقاسم الحريري (ت ١٦٥ هـ. / ١١٢٢ م.).

⁽٤) السخاوي. الجواهر والدرر ق ٢١ أ، التبر المسبوك ص ٢٣٠، الــذيل عــلى رفع الإصر ص ٧٥، الضوء اللامع ج ٣ ص ٣٦، عبدالله بن زين. جمان الدرر ق ٣ أ.

⁽٥) هو «محمد بن أحمد بن علي، أبو علي الزفتاوي، ثم المصري المكتب» ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٢٥٥، الدرر الكامنة ج ٢ ص ٨٩، السخاوي الضوء اللامع ج ٧ ص ٢٤ تر ٤٦.

⁽٦) ابن فهد المكي. لحظ الألحاظ ص ٣٢٦، البقاعي. عنوان النزمان ج ١ ق ٣٦، السخاوي. الجواهر والدرر ق ٢١ أ، ابن طولون. القلائد الجوهرية ج ٢ ص ٤٥٤، عبدالله بن زين. جمان الدرر ق ٣ أ.

⁽٧) هو «أحمد بن محمد بن الفقيه علي الخيوطي» ـ ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٢١٦.

⁽٨) السخاوي. الجواهر والدررق ٢١ أ، ابن طولون. القلائد الجوهرية ج٢ ص ٤٥٤.

ويبدو أن وفاة «الزكي الخروبي» (ت ٧٨٧ ه. / ١٣٨٦ م) كانت سبباً في انشغال «ابن حجر» عن الإشتغال مدة ثلاث سنوات، لم يقدر فيهن أن يباشره غيره أو يوجهه (١) إلى أن انتقل إلى وصاية «الشمس ابن القطان» (ت ٨١٣ ه. / ١٤١١ م.)(٢) فحضر دروسه في الفقه وأصوله، والعربية، والحساب. وغيرها وقرأ عليه شيئاً من الحاوي الصغير - مع كونه لم يحمد تصرفه في تركته (٣).

وهذه الفترة التي تخللت الإنتقال من وصي إلى وصي لم تخل من فائدة حقيقية فلقد اشتغل فيها بطلب ما غلب على العادة طلبه من أصل وفرع ولغة ونحوها(أ) كما حبب إليه النظر في التواريخ وأيام الناس، فأقبل على ذلك مطلعاً بالعارية مرة وبالأجرة أخرى(٥). كما سمع فيها اتفاقاً من بعض المسندين(٦). ونظر في فنون الأدب ففاق فيها حتى كان لا يسمع شعراً إلا ويستحضر من أين أخذه ناظمه وتولع بذلك وما زال يتبعه خاطره حتى فاق فيه وساد وطارح الأدباء، وقال الأدب شعراً ونثراً، وكُتِبَ عنه(٧).

⁽١) السخاوي. الجواهـ والدرر ق ٢١ أ، الـذيل عـلى رفع الإصر ص ٧٧، ابن طـولون. القـلائد الجوهرية ج ٢ ص ٤٥٤، عبدالله بن زين. جمان الدرر ق ٣ أ.

⁽٢) هو «محمد بن علي بن محمد بن عمر بن عيسى بن محمد، الشيخ شمس الدين ابن القطان المصري الشافعي» _ ابن حجر. إنباء الغمرج ١ ص ٤٧٦، المجمع المؤسس ق ٢٦٨ ب _ ٢٦٩ أ.

⁽٣) السخاوي. الجواهـر والدرر ق ٢١ أ، الـذيل عـلى رفـع الإصر ص ٧٧، الضـوء الـلامـع ج ٣ ص ٣٧، عبدالله بن زين. جمان الدرر ق ٣ أ.

⁽٤) السخاوي. الجواهر والدررق ٢١ ب.

⁽٥) وكان ذلك بترغيب غير واحـد، منهم «البدر البشتكي» (ت ٨٣٠ هـ. / ١٤٢٧ م.) وقـد أعانـه بإعارة الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني وغيرها ـ السخاوي. الجواهر والـدرر ق ٢١ ب، عبدالله بن زين. جمان الدرر ق ٣ ب.

⁽٦) كالنجم ابن زين، والصلاح الـزفتـاوي، وأبي الفـرج الغزي... ـ السخـاوي الجـواهـر والـدرر ق ٢١ ب، ابن طولون. القلائـد الجوهرية ج ٢ ص ٤٥٤.

⁽٧) ابن فهد المكي. لحظ الألحاظ ص ٣٢٧، البقاعي. عنوان الزمان ج ١ ق ٣٦ السخاوي. الجواهر والدررق ٢١ ب، عبدالله بن زين. جمان الدررق ٣ ب.

وهكذا _ فإن الفترة بين سنتي سبع وسبعين وسبعمائة، وست وتسعين وسبعمائة تمثل الإرهاصات الأولى للتكوين الفكري لدى «ابن حجر» والتي اطلع فيها على الكثير من الكتب التقليدية السائد الإطلاع عليها وحفظها في عصره، شأنه في ذلك شأن غيره من النشيء المعتني به. فلما فرغ من ذلك اتجه بكليته سنة ست وتسعين وسبعمائة _ إلى العلم بمنهجية، يتعمق فيه على جاري عادة العلماء وقد فرغ من مرحلة الطلب المبدئي، ولذا نجده يكتب بخطه تجاه هذا التاريخ:

«رفع الحجاب، وفتح الباب، وأقبل العزم المصمم عملى التحصيل، ووفق للهداية إلى سواء السبيل»(١).

فاتجه إلى الأخذ عن مشايخ ذلك العصر، وقد بقي منهم بقايا(٢).

وهنا يمكن تفسير ذلك على خلاف ما ورد لدى بعض مراجع ترجمته (٣) من أن المقصود بذلك هو اندفاعه بالكلية إلى الحديث النبوي، لأنه في هذه الفترة وما يليها لم يقصر همته على الحديث النبوي _ فقط _ وإن جعل لتحصيله الصدارة بين العلوم والمعارف، وإنما كان الحرص على تحصيله مع الإلمام بغيره على سبيل التعمق فيها، والدليل على ذلك:

.. هذا العدد الجم من المتخصصين الذين أخذ عنهم في آن واحد (٤).

_ وهذا الكم الهائل، والمتنوع من صنوف المعرفة التي حصلها في رحلاته وغيرها، حيث لم تكن منحصرة في الحديث وعلومه، وإنما تعدته إلى اللغة،

⁽١) السخاوي. الجواهر والدرر ق ٢٢ أ، الـذيل عـلى رفع الإِصر ص ٧٩، عبــد الله بن زين. جمان الدرر ق ٣ ب.

⁽٢) ئفسه.

⁽٣) د. شاكر محمود عبد المنعم. ابن حجر العسقلاني ودراسة مصنفاته ومنهجه في كتـابه الإصـابة ج ١ ص ٩٠-٩٠.

⁽٤) أورد «ابن حجر» في «المجمع المؤسس» نحواً من أربعمائية وخمسين شيخياً له بالسماع والإجازة الخاصة دون الإجازة العامة.

والأدب، والشعر، والفقه، والتفسير، والقراءات والتاريخ . . الخ .

- بالإضافة إلى عبارة السخاوي قرين هذا الموضع، ونصها: «... وأخذ بهمة وافرة، سليمة باهرة في طلب العلوم: منقولها ومعقولها، حتى بلغ الغاية القصوى، وصار كلامه مقبولاً عند أرباب سائر الطوائف، لا يعدون مقالته لشدة ذكائه، وقوة باعه، حتى كان حقيقاً بقول القائل:

وكان من العلوم بحيث يقضي له في كل علم بالجميع»(١)

_ وقول البقاعي: «... فأطلق عنان عزمه نحو بقية العلوم فأكب عليها: الفقه والنحو، والأصلين، وعلوم الأدب: المعاني والبيان. . . وغيرها _ حتى مهر فيها» (٢) .

_ وقــولــه ابن فهــد المكي: «... وجـد في طلب العلوم فبلغ الغــايــة القصوى»(٣).

وهذا _ لا شك _ يشير إلى أن هذه الفترة تمثل اتجاهاً مغايراً لفترة الطلب الأولى _ وهي فترة التثقيف الذاتي _ إنها فترة الإختصاص بالعلم، وليس التخصص في فرع من فروعه.

⁽١) السخاوي. الجواهر والدرر ق ٢٦ أ، عبدالله بن زين. جمان الدرر ق ٧ أ.

⁽٢) البقاعي. عنوان الزمان ج ١ ق ٣٧ ـ ٣٨.

⁽٣) ابن فهد المكي. لحظ الألحاظ ص ٢٣٠.

شيوخه وأساتذته

من حسن حظ مؤرخنا أن اجتمع له من الشيوخ الذين يُشار إليهم، ويُعَولُ في حل المشكلات عليهم ما لم يجتمع لأحد من أهل عصره، لأن كل واحدٍ منهم كان متبحراً ورأساً في فنه الذي آشتهر به لا يُلْحق فيه. . «فالبرهان التنوخي» (ت ٨٠٠ه هـ. / ١٣٩٨ م.)(١) في معرفة القراءات وعلو سنده فيها، وتفرد بالكثير من المسموعات الحديثية و «الزين العراقي»(٢) (ت ٨٠٦هـ. /

⁽١) هو «إبراهيم بن أحمد بن عبد الواحد بن عبد المؤمن بن سعد بن علوان بن كامل التنوخي البعلي، ثمم الشامي، برهان الدين».

اجتمع به «ابن حجر» وخرج له عشاريات مائة ، والأربعين العشارية ومعجم شيوخه ـ المعجم الكبير ـ في أربعة وعشرين جزءاً ، ففرح به وصار يتذكر مشايخه وعهده القديم ، وقد حبب إليه السماع فانبسط به . ولازمه «ابن حجر» ثلاث سنوات وصل فيها عليه كثيراً من مسموعاته التي تفرد بها . وأذن له بالإقراء سنة ست وتسعين وسبعمائة ، ثم توفى في جمادي الأولى سنة ثمانمائة للهجرة .

⁽٢) هـ و «عبد الرحيم بن الحسين بن عبدالرحمن بن إبراهيم بن أبي بكر بن إبراهيم، أبو الفضل العراقي، زين الدين».

توفي في الثامن من شعبان سنة ست وثمانمائة للهجرة عن أكثر من إحدى وثمانين سنة ، بعد أن كان «ابن حجر» قد لازمه عشر سنين ـ تخلل في أثنائها رحلاته إلى الشام وغيرها ـ قسراً عليه فيها الكثير من المسانيد والأجزاء الحديثية ، وبحث عليه في كثير من المسائل ، وأخذ عنه جل مؤلفاته ، وشهد له الشيخ في مواطن كثيرة بالحفظ، وكتب خطله له بدلك مراراً ، وقدمه على ولده في الحفظ ، واستخدمه في كتابة كثير من أماليه في غيبة ولده .

١٤٠٥ م) في معرفة الحديث ومتعلقاته، و «النور الهيثمي» (ت ٨٠٧ ه.. / ٥٠١ م.) (١) في حفظ المتون واستحضارها، «والسراج البلقيني» (ت ١٤٠٥ ه.. / ٣٠١ م.) (٢) في سعة الحفظ وكثرة الإطلاع، و «السراج ابن الملقن» (ت ٨٠٤ ه.. / ٢٠٢ م.) (٣) في كثرة التصانيف، «والمجد الشيرازي»

(١) هو «علي بن أبي بكر بن سليمان بن أبي بكر بن عمر بن صالح الهيثمي نور الدين، أبو الحسن». اجتمع به «ابن حجر» وقرأ عليه قريناً للعراقي كما قرأ عليه منفرداً: نحو النصف من مجمع الزوائد ... له ... ونحو الربع من زوائد مسند أحمد، وزوائد مسند جابر، ومسند أحمد.

وكان «ابن حجر» قد تتبع أوهامه في كتابه «مجمع الزوائد» فبلغه أن ذلك شق عليه ـ وكانت بينها مودة ـ فتركه رعاية له. بل ربما عاتبه في ذلك.

(٢) هو «عمر بن رسلان بن نصير بن صالح بن شهاب بن عبدالخالق بن عبدالحق الكناني البلقيني، صراح الدين».

مات في حادي عشر ذي الحجة سنة خمس وثمانمائة بالقاهرة وابن حجر متغيب في الحج، فرثاه ــ عندما علم بموته ـ بمرثية تزيد على الماثة بيت مطلعها:

يا عين جودي لفقد البحر بالمطر واذري الدموع ولا تبقي ولا تدري للمورد ترداد دمع ذاهباً سبقت شهب الدموع بعيني جريه النهر (البسيط)

بل لقد وصلته .. وهو هناك .. رسالة فيها «حادثتان طامتان: موت البلقيني، ومحاصرة الفرنج للأسكيندرية» بحد أولهما أعظمهما.

لازمه «ابن حجر»، وسمع وقرأ عليه الكثير، وحضر دروسه في الفقه وخرج له أربعين حديشاً عن أربعين شيخاً ـ حدث بها مراراً، وشهد له الشيخ بالحفظ، وأذن له بالإفتاء وكتب له جزءًا من مؤلفه «تعليق التعليق» وبلغ من إجلاله لابن حجر حداً جعله يتمادى في ركوعه وهو يصلي الظهر حتى يدرك الصلاة معه، وقد أحس به داخلاً.

(٣) هو عمر بن علي بن أحمد بن محمد بن عبدالله الأنصاري الأندلسي ثم المصري، سراج المدين، أبو الحسن ـ المعروف بابن الملقن»، نسبة إلى زوج أمه الشيخ عيسى المغربي ملقن القرآن في جامع ، ابن طولون.

بصحبه «ابن حجر»، وسمع وقرأ عليه قطعة كبيرة من شرحه على المنهاج والسادس والسابع من أمالي المخلص، والمسلسل بالأولية بسماعه من أحمد بن كشتغدي، والخامس من مشيخة النجيب. . . وأجاز له .

(ت ١٨١٧ هـ. / ١٤١٥ م.) (١) في حفظ اللغة والإطلاع عليها، و «الغماري» (ت ١٨٠٨ هـ. / ١٤٠٠ م.) (٢) في معرفة العربية ومتعلقاتها، وحفظها وكذا «المحب ابن هشام» (ت ٧٩٩ هـ. / ١٣٩٧ م.) (٣) وكان حسن التصرف فيها، و «العز ابن جماعة» (ت ١٨٩ هـ. / ١٤١٧ م.) (٤) في تفننه في علوم كثيرة، بحيث أنه كان يقول: «أنا اقرىء في خمسة عشر علماً لا يعرف علماء عصري

(۱) هـ و «محمـد بن يعقـوب بن محمـد بن إبــراهيم بن عمـر الشيــرازي، مجـد الـــدين أبـ و طــاهـر الفيروزبادي».

مات باليمن ليلة العشرين من شوال سنة سبع عشرة وثمانمائة للهجرة.

لقيه «ابن حجر» في رحلتيه إلى اليمن، وأخذ عنه الكثير مما هو مـدون في الفصل التـالي من هذا الكتاب.

(٢) هو «محمد بن محمد بن علي بن عبد الرزاق، أبو عبد الله الخماري المصري». تـوفي في رجب سنة
 اثنين وثمانمائة للهجرة.

سمع عليه «ابن حجر» البردة بسماعه لها علي أبي حيان بسماعه من ناظمها، وأجاز له غير ذلك.

 (٣) هو «محمد بن عبدالله بن يوسف بن أحمد بن عبدالله بن هشام، محب الدين». توفي في رجب سنة تسع وتسعين وسبعمائة للهجرة.

سمع عليه «ابن حجر» علوم الحديث لابن الصلاح، وحكايات أبي على الفقيه، وبعض جزء الحسن بن عرفة، وجزء الحسن بن أيبك.

(٤) هو «محمد بن أبي بكر بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم بن سعدالله بن جماعة ، عز الدين» .

لازمه «ابن حجر» من سنة تسعين وسبعمائة إلى أن مات، وأشار إلى أنه كان يوده كثيراً ويشهد له في غيبته بالتقدم، ويتأدب معه إلى الغاية، كها كان «ابن حجر» يبالغ في تعظيمه ولايسميه في غيبته إلا بإمام الأئمة.

حصل «ابن حجر» منه إجازات له ولأولاده، وأخذ عنه: شرح منهاج الأصول، وجمع الجوامع، ومختصر ابن الحاجب، والمطول لسعد الدين، كما قرأ عليه الخامس من مسئد السراج.. وتطارحاً بأبيات من الشعر.

(۱) ابن قاضي شهبة. طبقات الشافعية ق ١٨٢ أ، ١٩٧ أ، ابن حجر. المجمع المؤسس ق ١٢٥ أ، السخاوي. الجواهر والدرر ق ٢٦ أ، اللذيل على رفع الإصر ص ٧٩، الضوء اللامع ج ٢ ص ٣٣، السيوطي. حسن المحاضرة ج ١ ص ٥٣٨، بغية الوعاة ج ١ ص ٣٣، عبدالله بن زين. جمان الدرر ق ٧ أ.

ويلاحظ الإقتصاد هنا في إيراد الشيوخ على أبرزهم حسب تنويه كل من «ابن حجر» وتلميذه «السخاوي» بهم، وإن كان قد ترجم لأكثر من أربعمائة وخمسين ومنهم من أكثر عنه، كما أن منهم من أخذ عنه حديثاً واحداً، أو بيتاً من الشعر، أو حكاية، أو مناماً. ومنهم من سمع عليه، ومنهم من سمع بقراءته، أما هؤلاء المترجم لهم _ هنا _ فهم في حقيقة الأمر اللذين لازمهم وتردد عليهم أكثر من غيرهم وانتفع بهم فكانوا أقرب إلى الأساتيذ بمفهوم العصر، وأرسخ بالنسبة إلى الفهم.

والملاحظ فضلاً عن هذا أن العصر كان عصر الموسوعية في الفكر والإختصاص في العلم وليس التخصص في فرع من فروعه إهمالاً لسائر الفروع الأخرى للمعرفة ـ المعروفة آنـداك ـ مما يعسر معه تصنيف هؤلاء وغيرهم حسب العلوم، ليقال: إن «البلقيني» كان استاذاً لابن حجر في الفقه دون غيره، أو أن «التنوخي» كان استاذاً له في القراءات. . وهكـذا فلقد أخـذ عن هذا وذاك إلى جانب الفقه والقراءات علم الحديث، واللغة والأدب. .

رحلاته داخل القطر المصري وخارجه

كان لرغبة «ابن حجر» في تحصيل المعارف(١) وشغفه بالعلم مبكراً(٢) وحرصه على أن يكون بالحديث النبوي عالماً متبحراً ورأساً فيه لا يلحق -(٣) المدافع على مواصلة العدو والترواح إلى الشيوخ والعلماء والمسندين بالبواكر والعشايا(١) للتخرج بهم، والإنتفاع بملازمتهم(٥) والقراءة عليهم(١). ولذا فإنه لم يكتف بتحصيل العلم، وجمع شتات المعرفة في موطنه الصغير القاهرة ومصر وحده، وإنما إنساح في أرض الله جامعاً لكل ذلك . . فعرفت له رحلات داخل مصر، وأخرى خارجها تمثلت في الإرتحال إلى:

(١) أشار ابن حجر إلى ذلك قائلًا:

طلب المعارف هاجراً لدياري أنفك في الحالين من أسفاري (الكامل) وإذا المديمار تنكسرت سافسرت في وإذا أقمت فمرؤسي كتبيى فللا

السخاوي. الجواهر والدررق ٢٦ ب، عبدالله بن زين. جمان الدرر ق ٧ أ.

- (٢) كان ذلك ابتداء بسنة خمس وثمانين وسبعمائة للهجرة، وهو ابن اثنتي عشرة سنة _ السخاوي.
 الجواهر والدررق ٢١ أ.
- (٣) نفسه ق ٢٦ أ، ولعل هذا كان دافعاً لديه على شرب ماء زمزم لثلاث منها: أن ينال مرتبة الحافظ «الذهبي» في الحفظ، ثم شربه لينال مرتبه أعلى من ذلك _ نفسه ق ٣٣ ب.
 - (٤) نفسه ق ٢٢ أ، الذيل على رفع الاصر ص ٧٨.
 - (٥) السخاوي. الجواهر والدررق ٢٢ أ.
 - (٦) نفسه في مواضع متفرقة .

١ - الصعيد

وتمثل أولى رحلاته _ سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة _ حيث سافر إلى «قوص» وغيرها من بلاد الصعيد. . لكنه لم يستفد بها شيئاً من المسموعات الحديثية بل لقي جماعة من أهل العلم منهم: «نور الدين»(١) قاضي «هو» و «ابن السراج» قاضي «قوص» وجماعة من أهل الأدب سمع من نظمهم(٢).

٢ ـ الأسكندرية

كما كانت له رحلة إلى الأسكندرية التي دخلها يوم الثلاثاء لثلاث بقين من ذي القعدة سنة تسع وتسعين وسبعمائة، فأقام بها إلى أن رحلت هذه السنة ودخل في السنة التي تليها عدة أشهر (٣).

كها ذكر له ما يفيد مصافحته لبعض أصحاب «أبي العباس الملثم» الذي قيل فيه أب عمر وروي عن «معمر» الصحابي المختلق ـ وهو ما لم يعتمده ابن حجر، ولا تلميذاه البقاعي والسخاوي . (ابن حجر . إنباء الغمر ج ٢ ص ٧٧ ، لسان الميزان ج ٦ ص ٧١ ، السخاوي . الجنواهر والدرر ق ٢٦ ب) .

ومن الغريب أن «ابن حجر» قد التقى بابن السراج وأخذ عنه شيئاً من نظمه، ولم يفد ما إذا كان قد واجهه بهذه الحكاية للتحقق من صحتها فضلًا عن نسبتها إليه ـ ابن حجر. إنباء الغمر ج ٢ ص ٧٧.

⁽۱) هو «علي بن محمد بن محمد بن النعمان الأنصاري الهوي» (ت ۸۰۱هـ / ۱۳۹۹ م.) لقيه «ابن عجر» بهو بالقرب من قوص و كان يحكى عن «ابن السراج» قاضي «قوص» أنه كان في منزله فخرج عليه ثعبان مهول المنظر ففزع منه فضربه فقتله فاحتمل في الحال من مكانه ففقد من أهله، فأقام مع الجن إلى أن حملوه إلى قاضيهم، فادعى عليه ولي المقتول فأنكر، فقال له القاضي: «علي أي صورة كان المقتول؟»، فقال: «في صورة ثعبان» فالتفت القاضي إلى من بجانبه فقال: «سمعت رسول الله عليه وسلم يقول: من تزيا لكم فاقتلوه»، فأمر القاضي بإطلاق المذكور فرجعوا به إلى منزله. (ابن حجر. إنباء الغمرج ٢ ص ٢٦-٧٧، السخاوي. الجواهر والدرر ق ٢٦ ب).

⁽٢) ابن حجر. إنباء الغمرج ١ ص ٤١٩، السخاوي. الجنواهر والندرر ق ٢٦ ب عبدالله بن زين. جمان الدررق ٧.

⁽٣) ابن حجر. إنباء الغمرج ١ ص ٤٩٥، السخاوي. الجواهر والدرر ق ٢٧ ب.

وبها التقى بجماعة من المحدثين والمسندين منهم «ابن الخيراط» (ت ٩٨٠ هـ. / ١٤٠١ م.) (١) ، و «ابين سليمان الفيشي» (ت ٧٩٨ هـ. / ١٤٠١ م.) (٢) و «ابين سليمان الفيشي» (ت ١٤٠١ هـ. / ١٣٩٠ م.) (٢) و «ابن يفتح الله» (ت ٧٩٨ هـ. / ١٣٩٠ م.) (٤) ، و «ابن شافع الأزدي» (ت ؟؟) (٥) و «ابن الله» (ت ٧٩٨ هـ. / ١٣٩٧ م.) (٢) ، و «ابن موسى الأسكندراني» الحسن التونسي» (ت ٨٠٣ م.) (٢) و «ابن الموفق» (ت ٧٩٨ هـ. / ١٣٩٧ م.) (٨) ،

⁽١) هو «أحمد بن محممد بن أحمد بن عبدالله بن عمر بن عبد القوي، التاج السكندري، المالكي، سبط الشاذلي، المعروف بابن الخراط».

سمع عليه: التيسير للداني، والموطأ، والشفاء، وترجمة القاضي عياض ودرء السمط في خبر السبط لابن الأبار ـ بسماعه للأخير علي محمد بن حبان عن مؤلفه، وبعض التقصي لابن عبدالبر، وسداسيات الرازي . . ـ ابن حجر . المجمع المؤسس ق ٤٠ ب، السخاوي . الضوء اللامع ج ٢ ص ٧٦ .

⁽٢) هو «محمد بن أحمد بن سليمان الفيشي المرجاني، زين الدين الأسكندراني المالكي» - قرأ عليه جزءاً حديثياً خرجه الحافظ شرف الدين الدمياطي» - ابن حجر. المجمع المؤسس ق ١٦٥ أ.

⁽٣) هـ و «محمد بن عـلي بن أحمد بن هبـ ة الله بن البوري الأسكنـ دراني» قرأ عليـ ه المسلسل بالأوليـ ق بشرطه، تخريج حافظ الأسكندرية «منصور بن سالم»، وسداسيات الرازي بسماعه لها على مشايخ سبعة ذكرهم في معجمه وجزء عمر بن سينك بسماعه لـ ه علي أحمـ د بن عيسى بن سعد الحـداد ـ ابن حـجر. المجمع المؤسس ق ١٦٨، السخاوي. الضوء اللامع ج ٨ ص ١٦٧.

⁽٤) هو «محمد بن محمد بن عبد الوهاب بن يفتح الله المالكي الأسكندراني» قرأ عليه مشيخة الجوهري الصغرى بسماعه لها على على بن أحمد الفرضي _ ابن حجر. المجمع المؤسس ق ١٥٩ ب.

⁽٦) هـ و «محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن علي بن الفخر التونسي الاسكندراني» ـ قرأ عليه مشيخة الرازي بسماعه لها علي ابن المصفي وابن الفرات ـ ابن حجر. المجمع المؤسس ق ١٥٧ أ، السخاوى . الضوء اللامع ج ١٠، ص ٢١١ .

⁽٧) هو «محمد بن أحمد بن عبد الرزاق بن موسى الأسكندراني، تاج الدين» آخر من يروي بها حديث السلفي بالسماع المتصل، قرأ عليه مشيخة وجيهية تخريج تقي الدين ابن عسرام ـ ابن حجر. المجمع المؤسس ق ١٦٤ أ، السخاوي. الجواهر والدررق ٢٧ ب.

⁽A) هو «محمد بن أحمد بن محمد بن الموفق، ناصر الدين بن جمال السدين بن البزار الأسكندراني «قرأ =

و «ابسن قسرطاس» (ت ٧٩٩ هـ/ ١٣٩٧ م) (١) و «السشسمس الجسزري» (ت ٨٣٤ م.) (٢) وقسد حضمه عملى السرحلة ـ لا سيسا - إلى دمشق. (٣).

وهناك جمع ما وقع له من النظم والمراسلات في مؤلف سماه «الدرر المضية من فوائد أسكندرية» (٤) ثم رجع إلى مصر ليقيم بها حتى يوم الخميس الثاني والعشرين من شوال سنة تسع وتسعين وسبعمائة إلى أن ظهر منها قاصداً اليمن عن طريق الطور ـ راكباً البحر ـ في ذي الحجة ليصلها في السنة المقبلة (٥).

٣ ـ اليمن

وما أن وصل «الطور» حتى لقي جماعة من العلماء «كالرضي الزبيدي» (ت ١٤١٨ هـ. /١٤١٨ م.) (٦) الذي أنشده لنفسه لغزاً كتبه «ابن حجر» عنه في «التـذكرة» كـما أفـاده عن بعض شيـوخ اليمن (٧). و «الصـلاح الأقفهسي»

⁼ عليه مشيخة الرازي بسماعه من ابن المصفي وابن الفرات ـ ابن حجر. المجمع المؤسس ق ١٦٥ أ ـ ١٦٦ أ، إنباء الغمرج ١ ص ٥٣٩.

⁽١) هـو «محمد بن أبي بكـر بن محمد بن قبرطاس الأسكنـدراني، ناصر المدين» قرأ عليه مشيخة أبي عبدالله الرازي بسماعه لها على ابن المصفى وابن الفرات ـ ابن حجر. المجمع المؤسس ق ١٦٨.

⁽۲) هو «محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف بن الجزري» وكانت بينها مراسلات، وسمع كل منها على الآخر، وكتب في الاستدعاء إليه وروج لسه كتبه _ ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٢٤٩ ب _ ٢٥٠ ب، إنساء الغمر ج ٣ ص ٤٦٦ ـ ٤٦٨، النعيمي. السدارس ج ١ ص ٨، السخاوي الفعوء اللامع ج ١٠ ص ٢٥٥ ـ ٣٦٠.

⁽٣) ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٢٥٠ پ، السخاوي. الجواهر والدرر ق ٢٧ پ.

⁽٤) السخاوي. الجواهر والدرر ق ٢٧ ب.

⁽٥) أفسه، ابن حجر. إنباء الغمرج ١ ص ٥٣٠.

⁽٦) هو «أبو بكر بن أبي المعالي بن عبدالله الناشري» _ قدم القاهرة صحبه «فاخر الطواشي» سفير الأشرف صاحب اليمن ورافق «ابن حجر» في عودته إلى زبيد، ولم يؤرخ لوفاته (المجمع المؤسس ق ٢٢٣، وكسذا السخاوي. الضوء اللامع ج ١١ ص ٩٥ ـ ٩٦) وإن أشار إلى أن «العفيف الناشري» قد أرخ وفاته بسنة إحدى وعشرين وثمانمائة.

⁽٧) ابن حجر: المجمع المؤسس ق ٢٢٣ ب.

(ت ٨٢٠ هـ. / ١٤١٧ م.) (١) فسمع عليه جزءاً من حديث الإسواري عن حكايات العقلي (٢) و «النجم والمرجناني» (ت ٨٢٧ هـ. / ١٤٢٤ م.) (٣) - وكان قد مهر في العربية حتى لم يبق في بلاد الحجاز من يبدانيه فيها، بيد أنه كان منجمعاً عن الناس منشغلاً بعياله - فسمع عليه حديثاً واحداً عن ابن مسعود، وكثيراً من إنشاده لنفسه ولغيره (٤). ثم توجهوا إلى «ينبع» فلقي بها بعض (٥) من أخذ عنه عدة أحاديث من الترمذي.

وكان دخولهم اليمن في ربيع الأول سنة ثمانمائية، وقد استأنس برفقته وانتشرت الفوائد الأدبية وغيرها بينهم (٦).

وفي «اليمن» انساح «ابن حجر» بحثاً عن العلم والمعرفة، فحصل الكثير

⁽۱) هو «خليل بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن الأقفهسي» - رافقه في هذه الرحلة قاصداً المجاورة بمكة، في طلع من جدة إليها، وتوجه «ابن حجر» إلى اليمن - ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٢٠٢ ب، الضوء اللامع ج ٣ ص ٢٠٢، ابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب ج ٧ ص ١٥٠، ويلاحظ تأرجح المصادر في تحديد سنة وفاته، حيث أرخها كل من ابن حجر. المجمع المؤسس - ق ٢٢٥ أ - وابن فهد المكي. لحظ الألحاظ من ٢٧٢ - والسخاوي. الضوء السلامع ج ٣ ص ٢٠٣ بسنة ٢٨٠ هـ. / ١٤١٨ م.، بينا أرخها في السنة التي تليها كل من: ابن حجر - إنباء الغمر ج ٣ ص ١٨٠ وإن تشكك فيها، والسيوطي. حسن المحاضرة ج ١ ص ٣٦٣، ذيل طبقات الحفاظ ص ٣٠٠، وابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب ج ٧ ص ١٥٠.

⁽٢) ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٢٢٥ أ.

⁽٣) هو «محمد بن أبي بكر بن علي بن يوسف المصري، ثم المكي، المعروف بالمرجاني» - ابن حجر. إنساء الغمر ج ٣ ص ٣٣٨، المجمع المؤسس ق ٢٦٢ ب، السخاوي. الضوء السلامع ص ١٨٢ - ١٨٣ ، الجواهر والدرر ق ٢٧ ب - ٢٨ أ.

⁽٤) ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٢٦٢ ب.

⁽٥) أورد «السخاوي» اسمه على سبيل النشكك قائلًا: «. . . وممن لقيه بها لكن لا أتحقق أنه في هـذه الخطرة: جار الله بن صالح بن أحمد الشيباني المكي ـ الجواهر والدرر ق ٢٨ أ.

⁽٦) نفسه.

مما التقطه من «تعمر» و «زبيد» و «عمدن» و «المهجم» و «وادي الخصيب».. وغيرها.

أما «تعز» فإنه لقي بها «ابن الخياط الشافعي» (ت ٨١١ هـ/ ١٤٠٩ م) (١) ـ وكان قد مهر في الفقه، وشارك في غيره، وتخرج به جماعة ـ (٢) فاجتمع به وسمع من فوائده (٣).

كلا التقى في «زبيلا» بكل من: «ابن عبد الصمد الجبرت» (ت ٨٠٦ هـ. / ٤٠٤ م.) (٤) _ وكان لأهل زبيلا فيه اعتقاد زائلا، وله عند السلطان منزلة وكلمته لا ترد، ومنزله ملجأ لكل أحد _ فحدثه عن الحافظ أبي بكر بن المحب وأبي محملا بن عساكر (٥). و «أحملا بن أبي بكر الناشري» (ت ٨١٥ هـ. / ١٤١٣ م.) (٢) _ وكانت إليه رياسة الفتوى ببلده _ (٧) فاجتمع به واستفاد منه (٨١٥ هـ. / ١٣٣٤ م.) (٩) _ وقد مهر في الفقه والعربية والأدب _ (١٠٠ عيث استفاد منه الكثير، كها سمع هو منه كتابه «ضوء الشهاب المنتخب من نظمه» وطارحه بأبيات رائية، وأحسن له منه كتابه «ضوء الشهاب المنتخب من نظمه» وطارحه بأبيات رائية، وأحسن له

⁽١) هو «أبو بكر بن محمد بن صالح الجيلي التعزي الشافعي» .

⁽٢) ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٢٢٣ ب، إنباء الغمر ج ٢ ص ٤٠٨، السخاوي. الضوء الـلامع ج ١١ ص ٧٧ - ٧٩.

⁽٣) ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٢٢٣ ب، السخاوي. الجواهر والدرر ق ٢٨ أ.

⁽٤) هو «إسماعيل بن إبراهيم بن عبد الصمد الجبرتي».

⁽٥) ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٢٢٠.

⁽٦) هو «أحمد بن أي بكر بن علي بن محمد بن أي بكر بن عبدالله بن عمر بن عبد الرحمن بن عبدالله ابن يعقوب الزبيدي ، شهاب الدين الناشري».

⁽٧) ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٢٠٩ ب، إنباء الغموج ٢ ص ٥٢٥.

⁽٨) نفسه، السخاوي. الجواهر والدررق ٢٨ أ.

⁽٩) هو «إسماعيل بن محمد بن أبي بكر الحسيني».

⁽١٠) ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٢٢٠ ب ـ ٢٢١ أ، إنبساء الغمرج ٣ ص ٥٢١، السخساوي. الضوء اللامع ج ٢ ص ٢٩٢.

⁽١) ابن حجر. المجمع المؤسس ق ١٢٢١ أ، السخاوي. الضوء اللامع ج ٢ ص ٢٩٤.

⁽٢) هو «عبد الرحمن بن محمد بن يوسف بن عمر بن علي بن عمر بن أبي بكر العلوي الزبيدي، وجيه الدين» ـ ويلاحظ تأرجح «ابن حجر» في تأريخ سنة وفاته ـ المجتمع المؤسس ق ٢٣٦ ب ـ وأن السخاوي لم يؤرخه ـ الضوء اللامع ج ٤ ص ١٥٤ ـ وإن أشار إلى تـأريخ المقـريزي لهـا في ربيع الأول عام ثلاثة وثمانمائة.

⁽٣) ابن حجرً. المجمع المؤسس ق ٢٣٦ ب، السخاوي. الضوء اللامع ج ٤ ص ١٥٣ - ١٥٤.

⁽٤) هو «عبد اللطيف بن أبي بكر بن أحمد بن عمر اليماني».

⁽٥) ابن حجر. إنباء الغمر ج ٢ ص ١٢١ - ١٢٢ ، المجمع المؤسس ق ١٣٨ أ، السخاوي . الضوء اللامع ج ٤ ص ٣٢٥ .

⁽٦) هو «علي بن الحسن بن أبي بكر بن الحسن بن علي الخزرجي الزبيدي».

⁽٧) ابن حجر، المجمع المؤسس ق ٢٤٠ ب، إنباء الغمرج ٢ ص ٤٤١، السخاوي الضوء السلامع ج ٥ ص ٢١٠.

 ⁽٨) هو «علي بن محمد بن إسماعيل بن أبي بكر بن عبدالله بن عمر بن عبد الرحمن الناشري» .

⁽٩) ابن حجر. إنباء الغمرج ٢ ص ٤٤١، السخاوي. الضوء اللامع ج ٥ ص ٢٩١.

⁽١٠) نفسه، والمجمنع المؤسس ق ٢٤١ ب.

⁽١١) هو «أحمد بن أبي بكر بن محمد الرداد المالكي، شهاب الدين».

مقالة ابن عربي _ فسمع من نظمه ومن فوائده، كما سمع هو من «ابن حجر» جزءاً حديثياً (١).

على حين لقي «بعدن» «الرضى بن المستأذن» (ت ٨١٦هـ/ ١٤١٤ م.) (٢). وكان قد تعاني النظر في الأدب ومهر في القراءات وتكلم على الناس وخطب فسمع من شعره (٣) كما سمع عنه من نظم القيراطي باعتبار أنه لازمه وكتب عنه أكثر ديوانه الذي ابتدأه القيراطي لنفسه -(٤) وسمع هو من «ابن حجر» كثيراً (٥) وكتب عنه من تصانيفه «تعليق التعليق» و «تهذيب التهذيب» و «لسان الميزان» (٢).

ولقي بها كالم مراكب «ابين حيدد الشيبرازي» (ت ١٩١٨ هـ . / ١٤١٥ م م) (٢) فجدته عن «ابن الجوخي»، وكان قد لقيه قبل بزييد محدثاً عن ست العرب بنت محمد بن الفيخر بن البخاري (٨).

كما التقى بالمهجم «بالتقي أحمد بن إبراهيم القوصي» (٩) فسمع منه حديثاً واحداً علقه في البلدانيات (١٠٠٠. و «علي بن أحمد الصنعاني» (ت ٨٠٦هـ/ ١٤٠٤ م.) (١١٠) فأنشده قصيدة رثى بها «البرهان المحلي» وفي آخرها مدح لولده (٢١).

⁽١) ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٢٠٩ أ.

⁽٢) هو «أبو بكر بن يوسف بن أبي الفتح العدني».

⁽٣) ابن حجر. إنباء الغمرج ٢ ص ٢٣، السخاوي. الضوء اللامع ج ١١ ص ٩٨.

⁽٤) ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٢٢٤ أ.

⁽٥) ابن حجر. نفسه، إنباء الغمرج ٣ ص ٢٣.

⁽٦) ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٢٢٤ أ.

⁽٧) هو «عبد الرحمن بن حيدر بن علي بن أبي بكر الشيرازي الدهقلي، التاجر السفار».

⁽٨) ابن حجر. إنباء الغمرج ٣ ص ٤٤، المجمع المؤسس ق ٣٣٤ أ، السخاوي. الضوء اللامع ج ٤ م ٧٦. ٧٦

⁽٩) هو «أحمد بن إبراهيم بن أحمد، شهاب الدين القوصي اليماني الشافعي». لم تعرف سنة وفاته.

⁽١٠) ابن حجر . المجمع المؤسس ق ٢٠١ أ، السخاوي . الضوء اللامع ج ١ ص ١٩٤.

⁽١١) لم يزد كل من «ابن حجر» و «السخاوي» عن هذا في اسمه.

⁽١٢) ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٢٣٩ ب، السخاوي: الضوء اللامع ج ٥ ص ٥٩٠.

على حين التقى في وادي الخصيب «بالجمال المصري» (ت ٨٢٠هـ./ ١٤١٨ م.)(١) وسمع منه قليلًا(٢).

والتقى في زبيد ووادي الخصيب «بالمجد الفيروزبادي» (ت ٨١٧ هـ. / ٥٠ م.) (٣) - وهبو من هو - فناوله جبل القاموس المحيط - لتعنذر اكتماله عنده، وأذن له مع المناولة في روايته عنه، وقرأ عليه من حديثه عدة أجزاء والمسلسل بالأولية بسماعه من السبكي، وأنشده لنفسه، كما أفاده عن «رتن الهندي»، الذي تشكك «الذهبي» في وجوده وصحبته، وكتب له تقريطاً على «تعليق التعليق» أ

عسلى حسين التقى في زبيد وتعسز «بالنفيس العلوي» (ت ٨٢٥ هـ/ ١٤٢٢ م.) (٥) - محدث اليمن المنعوت من الفيروزبادي بإمام أهل السنة - ٢٥ فأعجب «ابن حجر» بحرصه على محبة الحديث واستمراره على ملازمته له قراءة ومطالعة ونسخاً واستنساخاً ومقابلة، وسمع منه جزءاً خرجه له من حديثه، كما سمع هو «المائة العشارية» له، وحدث بها «ابن حجر» هناك (٧).

كما خرج «ابن حجر» وهو باليمن من مرويات نفسه إلى جانب ذلك ــ الأربعين المهذبة بالأحاديث الملقبة إجابة لـه، وكتب بخطه «التقييد» لابن نقطة

⁽۱) هو «محمد بن أبي بكر بن علي بن يـوسف بن إبراهيم بن مـوسى بن ضرغام بن حميد، الجمال أبـو عبدالله الأنصاري اللروي المصري، ثم المالكي الزبيدي الشافعي» ـ تـرجمه ابن حجـر في المجمع المؤسس ق ٢٦٣ أ، إنبـاء الغمـر ج ٣ ص ١٥٠ ـ ١٥١، السخـاوي. الضـوء الـلامـع ج ٧ ص ١٥٠ ـ ١٨١ ، السخـاوي . الضـوء الـلامـع ج ٧ ص

⁽٢) ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٢٦٣ أ.

⁽۳) مرت ترجمته.

⁽٤) ابن حجر. إنباء الغمر ج ٣ ص ٥٠، المجمع المؤسس ق ١٧٧ أ، وما بعدها، السخاوي. الجواهر والدرر ق ٢٨، الضوء اللامع ج ١٠ ص ٨٦.

⁽٥) هو «سليمان بن إبراهيم بن عمر بن علي بن عمر، نفيس الدين أبو الربيع بن البرهان أبي إسحق العكى العدني التعزي الزبيدي الحنفي».

⁽٦) ابن حجر. إنباء الغمرج ٣ ص ٢٨٦.

⁽٧) نفسه، السخاوي. الضوء اللامع ج ٣ ص ٢٥٩ ـ ٢٦٠.

و «فصل الربيع في فضل البديع»، وحدث بمشيخة الفخرابن البخاري، والمائة العشاريات لشيخه «التنوخي»، و «الحصن الحصين في الأدعية» للشمس الجزري فروجه له قبل دخوله إليهم (١٠).

ولما تسامع صاحب اليمن (٢) به خطبه للاجتماع به فالتقى «ابن حجر» به وامتدحه، وأهدى إليه نسخة من «خريدة القصر» للعماد الكاتب بخط «الكمال ابن الفوطي» في أربع مجلدات، بالإضافة إلى تذكرته الأدبية بخطه في أربعين مجلداً لطاف (٢) _ فأثابه ثواباً عظيماً، ولاقى عنده رواجاً واحتفالاً (٤).

كما اتصل «بــابن جميع» (ت ٨٠٣ هـ. / ١٤٠١ م.) (٥) المفــوض إليه أمــر عدن، حيث سر به، وبالغ في الإحسان إليه لكونه كان صديق خاله قديماً (٢).

وبعدها رجع «ابن حجر» من اليمن صحبة المحمل المجهز من قبل صاحبها إلى مكة التي دخلها سنة ثمانمائة ليحج حجة الإسلام وقد إزدادت معارفه وتوثقت صلاته وصداقاته، وانتشرت علومه ولطائفه(٧).

على أن «ابن حجر» قد توجه إلى اليمن للمرة الشانية ـ سنة ست وثمانمائة ـ بعد أن جاور بمكة، ويشير «السخاوي» إلى أنه قد واجهته ـ في هذه المرة ـ متاعب جمة، نتيجة لغرق المركب الذي كان يقله إلى اليمن، حيث غرق معه ما اصطحبه «ابن حجر» من الأمتعة والنقد والكتب، ووديعة لبعض أصحابه . . فأقام ببعض الجزر ـ هناك ـ ملتمساً إخراجها فخرج أكثر ما غرق وصولح ـ عها جرت العادة بأخذه مما طلع بعد الغرق ـ وتوجه إلى «اليمن» ليلتقي

⁽١) ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٢٥٠ ب، السخاوي. الجواهر والدرر ق ٢٨ ب.

⁽٢) هو «إسماعيل بن عباس بن علي بن داود بن عمر بن علي بن رسول، الملك الأشرف الغساني ـ صاحب كتباب «العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك» (ت ٨٠٣هـ / ١٤٠١م.).

⁽٣) اُلسخاوي. الجواهر والدُررُق ٢٩ ب.

⁽٤) نفسه ق ۲۸ ب، ۲۹ ب.

⁽٥) هو «على بن يحيى الطائي الصعدي».

⁽٦) ابن حجر. إنباء الغمر ج ٢ ص ١٧٦، السخاوي. الجواهر والدرر ق ٢٨ ب.

⁽٧) السخاوي. الجواهر والدرر ق ٢٩ أ.

ببعض الذين أخذ عنهم في المرة الأولى وغيرهم، فأخذ عنهم وأخذوا عنه. (١)

ويعزو «السخاوي» ـ نقلًا عن شيخه ـ هذا الغرق إلى عـين من استعرض كتبه وتعجب من كثرة ما فيها بخطه(٢) ولكنه لا يشير إلى ظروف هذا الغرق وملابسات استنقاذ شيخه ـ خاصة وأنه لم يكن يحسن السباحـة ـ(٣) وجملة ما افتقده من جراء هذه الكارثة مما غرق أو صولح عليه بعد إخراجه، وطرق هذه المصالحة وشرائطها.

٤ _ الححاز

وطبيعي أن تكون «لابن حجر» وغيره من العلماء والمحدثين رحلات إلى الحجاز للحج والمجاورة، حيث الفرصة سانحة للإشتغال والمذاكرة على من يصادفونه هناك من العلماء والشيوخ والمحدثين والمسندين. .

ولذا تشير المصادر إلى أن «ابن حجر» كان قد قدم الحجاز للحج والمجاورة والأشغال لأكثر من مرة(٤) التقى خلالها «بمنى»(٥) و «مكة»(١)

محمد بن على بن محمد بن على بن ضرغام، الشهير بابن سكر» (ت ٨٠١ هـ / ١٣٩٩ م) - ابن =

⁽١) ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٢٢٠ ب، السخاوي. الجواهر والدرر ق ٢٢٠ ب.

⁽٢) السخاوي. الجواهر والدرر ق ٢٢٠ ب. (٣) نفسـه ق ٢٩ ب ـ حيث اتفق له ـ بعـد ذلك ـ وهـو راجع من الخانقاة الركنيــة أن سقط من تحته بعض ألواح المركب فسقط في الماء بثيابه فسارع أهل المركب لطلوعه.

⁽٤) قدم «ابن حجر» الحجاز ـ طفلًا ـ صحبة والده وقد جاور هناك، ثم قدر لـه أن يفد عليـه صحبة وصيه «الزكى الخروبي» ـ حدثـاً ـ وأن يجاور بمكة، وبعدها حج حجة الإسلام سنة ثمانمائة، بعــد أن كان قد ارتحل إلى اليمن للمرة الأولى، وفي عودته منها للمرة الثانية حج _ كذلـك _ سنة خمس وثمانمائة، وجاور بمكة بعض سنة ست، كما اتيحت له فرصة السفر إلى الحجاز للحج والاشتغال سنة خمس عشرة وثمانمائة، وكانت آخر مرة حج فيها سنة أربع وعشرين وثمانمائة، وفيها نـزل بالمدرسة الأفضلية _ أنزله فيها المحب ابن ظهيرة قاضى مكة _ ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٢٢٢ ب، ٢٢٣ أ إنباء الغمرج ١ ص ٢٦١، ج ٢ ص ١٢٦، ج ٣ ص ٢٥٠، السخاوي. الجواهر والدرر ق ٢٩ .

⁽٥) لقي بها «أبا بكر بن حسين بن عمر بن عبدالله المراغي» (ت ٨١٦ هـ. / ١٤١٤ م.) ـ ابن حجر. إنباء الغمرج ٣ ص ٢٣، السخاوي. الضوء اللامع ج ١١ ص ٢٨ ـ ٣١، وكذا لقيه بالمدينة المنورة ومكة .

⁽٦) لقى بها:

= حجر. المجمع المؤسس ق ١٧٣ ب ١٧٥ أ، إنباء الغمرج ٢ ص ٨٥، السخاوي. الجواهر والدررق ٣٠ أ.

و «ست الكل بنت أحمد بن إمام الدين محمد القسطلانية المكية» (ت ٨٠٣هـ. / ١٤٠١م.) - ابن حجر. إنباء الغمرج ٢ ص ١٦٤، السخاوي الضوء اللامع ج ١٢ ص ٥٧.

و «إبراهيم بن محمد بن صديق بن إبراهيم بن يوسف الدمشقي» (ت ٨٠٦هـ. / ٤٠٤ م.) - ابن حجر. المجمع المؤسس ق ١٤١، إنباء الغمرج ٢ ص ٢٧٠ - ٢٧١، السخاوي. الضوء اللامع ج ٢ ص ١٤٧ - ١٤٨.

و «محمد بن عمر بن على بن عمر بن محمد بن السعيد، أب السطيب السلختولي» (ت ٨٠٧ هـ / ١٤٠٥ م.) - ابن حجر. المجمع المؤسس ق ١٧٦ أ، إنباء الغمر ج ٢ ص ٣١٣، السخاوي. المضوء اللامع ج ٨ ص ٢٥١.

و «محمد بن أحمد بن إسراهيم بن محمد بن إبسراهيم بن أبي بكر السطبري الشافعي» (ت ٨٠٩ هـ / ١٤٠٧ م) - ابن حجر. إنباء الغمرج ٢ ص ٣٧٣، المجمع المؤسس ق ١٦٥ ب، السخاوي. الجواهر والدرر ق ٣٠ أ، الضوء اللامع ج ٢ ص ٢٨٧ - ٢٨٨.

و «ظهيرة بن حسين بن علي بن أحمد بن عطية بن ظهيرة القرشي» (ت ٨١٩ هـ / ١٤١٧ م.) -ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٦٦ ب، إنباء الغمر ج ٣ ص ١٧٠، السخاوي. الضوء السلامع ج ٤ ص ١٥.

و «خليل بن هرون بن مهدي بن عيسى بن محمد الجزائري المغربي» (ت ٨٢٦ هـ. / ١٤٢٣ م.) - ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٢٤٤ ب، السخاوي. الضوء اللامع ج ٣ ص ٢٠٥ - ٢٠٦.

و «عيلي بن أحمد بن محمد بن سلامة بن عطوف السلمي المكي، نور الدين ابن سلامة» (ت ٨٢٨ هـ. / ١٤٢٥ م.) - ابن حجر، إنباء الغمرج ٣ ص ٣٥٦، ٢٥٧، المجمع المؤسس ق ٢٣٩، السخاوي. الضوء اللامع ج ٥ ص ١٨٣ ـ ١٨٤.

(١) لقي بها:

«محمد بن معاني بن عمر بن عبد العزيز بن سند، السمس الحراني» (ت ٨٠٩هـ. / ١٤٠٧م.) ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٢٧١ أ، إنباء الغمر ج ٢ ص ٣٧٥، السخاوي. الضوء اللامع ج ١٠ ص ٥١ - ٥٢.

عليه، وحملوا عنه بعض تصانيفه وغيرها. (١)

كما كان كثيراً ما يحدث في موسم الحج ببعض مروياته (٢) أو يرشد من يصادفه _ هناك _ إلى المعروف له من المسندين _ القادمين للحج والمجاورة _ فيسمعون عليه ويأخذون عنه . (٣)

ه _ الشام

خرج «ابن حجر» من القاهرة - عصر يوم الاثنين الثالث والعشرين من شعبان سنة اثنتين وثمانمائة - قاصداً بلاد الشام للأخذ عن من بها من الشيوخ والمحدثين والمسندين (3). وكان وصوله إليها في الحادي والعشرين من رمضان من نفس السنة (٥) حيث ظل مقياً بها مائة يوم (٦) آخرها غرة المحرم سنة ثلاث

⁼ و «محمد بن أحمد بن عبدالله القنزويني» (ت ٨١١ هـ. / ١٤٠٩ م.) - إبن حجر. المجمع المؤسس ق ٢٥٨ ب، إنباء الغمرج ٢ ص ٤١٤ السخاوي الضوء اللامع ج ٧ ص ١٠٥.

و «عبد الرحمن بن علي بن يوسف بن الحسن بن محمود الزرندي» (ت ٨١٧ هـ. / ١٤١٥ م.) ـ ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٢٣٤ ب، إنباء الغمر ج ٣ ص ٤٤ ـ ٤٥، السخاوي. الضوء اللامع ج ٤ ص ١٠٥ ـ ١٠٦، ابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب ج ٧ ص ١٢٥.

⁽١) حيث أخذوا عنه هناك _ المسلسل بالأولية، وبعضاً من ترجمة البخاري التي ذكرها في مقدمة شرحه، وقصيدة له _السخاوي. الجواهر والدررق ٣٠ أ.

⁽٢) من ذلك تحديثه _ هناك _ بجـزء من تصانيفه في الحج، وبـالأربعين المتبـاينة، وتخـريج الأربعـين النووية، والكلام على حديث القضاة كلها تخريجه _ السخاوي. الجواهر والدررق ٣٠ أ..

⁽٣) من ذلك إرشاده لجمع كبير من قضاة مكة وأعيانها وطلبتها إلى المسند الرحلة «زين الدين ابن طولوبغا السيفي البكري» (ت ٨٢٥هـ. / ١٤٢٢م.) وكان قدم للحج، فأخذوا عنه شيئاً من مروياته _ السخاوي . الجواهر والدررق ٣٠أ، وله تعرجمة في ابن حجر . إنباء الغمرج ٣ ص ١٣٢٠ .

⁽٤) السخاوي. الجواهر والدرر ق ٣٠ ب.

⁽٥) نفسه ق ۱۳۲ أ.

⁽١) نفسه.

وثمانمائة ـ بعدما تواترت الأخبار بقرب مجيء المغول إليها ـ (١) فآثر العود إلى القاهرة وقد إتسعت معارفه كثيراً، بما أخذه عن العلماء بها، أو في الطريق إليها سواء في «سرياقوس» (٢) أو المرج (٣) أو «قطية» (٤) أو «غزة» (٥) أو «نابلس» (١) أو

(٢) كان عن لقيه بها:

«سليمان بن عبد الناصر بن إبراهيم الابشيطي الشافعي» (ت ٨١١ هـ. / ١٤٠٩ م.) - ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٢٤ ب، إنباء الغمر ج ٢ ص ٤٠٩ تر ٢٠، السخاوي. الضوء اللامع ج ٣ ص ٢٦٥ ـ ٢٦٧.

(٣) لقى بها:

«محمد بن أبي الزين أبا الطيب القيرواني المغربي المالكي» (ت ٢٠٦ هـ. /١٤٠٤ م.) - أبن حجر. المجمع المؤسس ٢٦٤ أ، السخاوي. الضوء اللامع ص ٢٤٧ / ٦).

(٤) بالفتح ثم السكون وباء مفتوحة، قرية في طريق مصر في وسط الرمـل قرب الفـرما ـ يـاقوت. معجم البلدان ج ٤ ص ٣٧٨.

سمع بها على «محمد بن أحمد بن على بن أبي عبدالله محمد بن محمد بن عمد بن عبد الرحن، التقي الفاسي (ت ٨٣٢ هـ. / ١٤٢٩ م.) - ابن حجر. إنباء الغمسر ج ٣ ص ٢٩ تر ١٧، السخاوي الضوء اللامع ج ٧ ص ١٨ - ٢٠ - وكان مرافقاً له في هذه الرحلة هو وقريب «ابن حجر» الزين شعبان - السخاوي. الجواهر والدرر ق ٣٠ ب.

(٥) وممن سمع عليه بها:

أحمد بن محمد بن عثمان بن علي بن عبدالله الخليلي» (ت ٨٠٥هـ. / ١٤٠٣ م) ـ ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٤٢، إنباء الغمر ج ٢ ص ٢٤٠ تر ٥، السخاوي. الضوء اللامع ج ٢ ص ٤٠٠ .

و «إبراهيم بن محمد بن بهادر بن عبدالله بن أحمد الغري» المعروف بابن زقاعة (ت ٨١٦ هـ. / ١٤١٤ م.) - ابن حجر. إنباء الغمرج ٣ ص ١٧ تر ٢ ، المجمع المؤسس ق ٢٠٠ ب، ٢٠١ أ، السخاوي الضوء اللامع ج ١ ص ١٣٠ - ١٣٤ .

(٦) وممن لقيه بهما:

«إبراهيم» و «علي» ابنا «محمد بن إبراهيم النابلسي العطار المعروف بابن العفيف الجعدي الحلبي» ... ابن حجر. المجمع المؤسس ق ١٣ ب، ١٤ أ، ٢٤١ ب، السخاوي. الضوء اللامع ج ٥ ص ٢٧٩ .. ٢٨٠ .

و «أبا بكر بن على بن أبي بكر بن الحكم، سيف الدين، وتقي الدين النابلسي الحنبلي ـ المعروف =

⁽١) المصدر السابق، وابن حجر. إنباء الغمرج ٢ ص ١١٠، ١٣٣.

«الرملة»(١) أو «بيت المقدس»(٢) أو «الخليل»(٣) أو «دمشق» و «صالحيتها»(٤) أو

= بابن الحكم» - ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٢٢٢ ب، السخاوي. الضوء اللامع ج ١١ ص ٥١.

و «أحمد بن محمد بن عبد القادر بن عثمان بن عبد الرحمن بن عبد المنعم بن نعمة بن سلطان بن سرور النابلسي الحنبلي، شهاب الدين ـ ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٢١٦ ب، السخاوي. الضوء اللامع ج ٢ ص ١٢٥.

و «عيسى بن عملي بن محمد بن غمانم الشريف المقدسي» - ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٢٤٦ ب، السخاوي. الضوء اللامع ج - ٦ ص ١٥٥.

(١) لقى بها:

«أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عمر الأيكي الفاسي، المقلب بسابين زغلش»: (ت ٨٠٣هـ. / ١٤٠١م.) - ابن حجر. إنباء الغمرج ٢ ص ١٥٥ - ١٥٦ تر ١٦، المجمع المؤسس ق ٣٩، السخاوي. الضوء اللامعج ٢ ص ٢٥٥، ابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب ج ٧ ص ٢٥٠.

(٢) لقي به:

«أب بكر بن عثمان بن خليل الحوراني، تقي الدين المقىدسي. (ت ٨٠٤ –١٤٠٢/٧٨ م.) ـ ابن حجر. إنباء الغمر ج ٢ ص ٢١٦ تر ١٠، السخاوي. الضوء اللامع ج ١١ ص ٤٦.

و «صالح بن خليل بن سالم بن عبد الناصر بن محمد بن سالم المغرب» (ت ١٠٥هـ. /١٤٠٢ م.) - ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٢٦ أ، إنباء الغمر ج ٢ ص ٢١٣ تر ١٦، السخاوي. الضوء اللامع ج ٣ ص ٣١١.

و «عبد الرحمن بن محمد بن حامد بن أحمد بن عبد الرحمن بن حميد المقدسي، المعروف بابن حمامد» (ت ٨٠٧ هـ. / ١٤٠٥ م.) - ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٩٨ أ، السخاوي. الضوء اللامع ج ٤ ص ١٢٧.

و «محمد بن إسماعيل بن علي بن الحسن بن علي القلقشندي» (ت ٨٠٩هـ. /١٤٠٧ م.) - ابن حجر. إنباء الغمر ج ٢ ص ٣٧٣ تر ٢٦، المجمع المؤسس ق ١٦٧ ب، السخاوي. الضوء اللامع ج ٧ ص ١٣٧ ـ ١٣٨.

و «عبد الهادي بن عبدالله بن خليل بن علي بن عمر بن مسعود البساطي المقدسي»=

= (ت ٨٠٩ هـ. /١٤٠٧ م.) - ابن حجر. إنباء الغمرج ٢ ص ٣٧٠، المجمع المؤسس ق ٢٣٨ أ، السخاوي, الضوء اللامع ج ٥ ص ٩١ - ٩٢.

و «محمد بن عمر بن عيسي بن مـوسي البصـري الـدمشقي، المعـروف بـابـن القــزع» (ت ١١١ هـ. /١٤٠٩ م.) - ابن حجر. المجمع المؤسس ق ١٧٦ أ، السخاوي . الضوء اللامع ج ٧ ص ٢٥٣.

و «أحمد بن حمد بن علي بن محمد بن أحمد بن مثبت المالكي» (ت ٨٠٣ هـ. / ١٤٠١ م.) - ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٤٣ أ.

و « أحمد بن ناصر بُن خليفة بن فرج بن عبدالله بن يحيى بن عبد الرحمن المقدسي الباعوني» (ت ٨١٦هـ. /١٤١٤ م.) - ابن حجر. إنساء الغمرج ٣ ص ٢٠ - ٢٢، المجمع المؤسس ق ٢١٩ أ، السخاوي. الضوء اللامع ج ٢ ص ٢٣١ - ٢٣٣.

و «حسن بن مـوسى بن إبراهيم بن مكي المقـدسي الشافعي» (ت ٨١٧ هـ. / ١٤١٥ م.) ـُ ابن حجر, إنباء الغمرج ٣ ص ٤٣، المجمع المؤسس ق ٥٨ ب، السخاوي. الضوء الـلامع ج ٣ ص ۱۲۹ - ۱۳۰.

و «أحمد بن محمد بن عبد الكريم، الشهاب التزمنتي» ـ ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٢١٧ أ، السخاوي. الضوء اللامع ج ٢ ص ١٢٥.

ج ۱۲ ص ۸۵.

وكان قد رحل من القاهرة إلى القدس للقاء «أحمد بن خليل بن كيكلدي العلائي المقدسي» (ت ٨٠٢ هـ. / ١٤٠٠ م). بسبب ظهور سماع له في سنن ابن ماجة عن الحجار فبلغه وفاتــه وهو بالرحلة، فعرج عن القدس إلى دمشق ـ ابن حجر. إنباء الغمر ج ٢ ص ١١٤، المجمع المؤسس ق ۳۱ أ، السخاوي. الجواهر والدرر ق ۳۱ ب.

(٣) لقى بها:

«محمـد بن محمد بن عـلى بن يحيى بن زكـريـا المنيحي المقـدسي الحنفي» ـ السخـاوي. الضـوء اللامع ج 9 ص ١٦٦ .

(٤) الصالحية مدينة ممتدة في سفح جبل قاسيون تشرف على دمشق وضواحيها، إسلامية محدثة في أواخر القرن السادس الهجري / الحادي عشر الميلادي، اختلف في سبب تسميتها، فقيل لكونها بسفح قاسيون وهو معروف بجبل الصالحين، وقيـل نسبة إلى الصالحيـــن لصــلاح من كان ابتــــدأ وضعها، وقيل لأن الذين وضعوها كانـوا بمسجد أبي صالح فنسبت إليـه ـ ابن طولـون. القلائـد الجوهرية ص ٦٤ وما بعدها،القلقشندي . صبح الأعشى ج ٤ ص ٩٤ .

= لقى بهما:

«أحمد بن علي بن محمد بن علي بن أحمد بن علي بن يوسف بن يونس المدمشقي الحنفي، المعروف بابن عبد الخالق» (ت ٨٠٢هـ. /١٤٠٠م.) ـ ابن حجر. إنباء الغمرج ٢ ص ١١٥ تر ١٦، المجمع المؤسس ق ٣٤ أ، ١٣٦ أ.

و «أبا بكر بن عبدالله بن العماد أبي بكر بن أحمد بن عبد المجيد بن عبد الهادي الصالحي»، و «حديجة بنت إسراهيم بن إسحاق المدمشقية»، و «داود بن أحمد بن علي بن حمزة البقاعي الصالحي» و «عبدالله بن محمد بن أحمد بن عبدالله المقدسي»، و «فاطمة بنت محمد بن أحمد بن عجمد بن عثمان بن المنجا»، و «فاطمة بنت محمد بن عبد الهادي»، و «محمد بن عبد المرحمن بن الحافظ أبي عبدالله المذهبي»، و «محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن قوام»، و «محمد بن محمد بن منيع المواق» - ابن حجر. إنباء الغمر، وفيات سنة ٣٠٨ هـ. / ١٤٠١ م.)، المجمع المؤسس في مسواضع متفرقة، المدرد الكامنية ج ٢ ص ١٤٧ ـ و «أبا الخير البقاعي المدمشقي» (ت ٢٠٨ هـ. / ١٤٠٤ م.) - ابن حجر. المجمع المؤسس في ٢٢٢ ب.

و «أنس بن علي بن محمد بن أحمد بن سعيد بن سالم الأنصارى» (ت ٨٠٧ هـ. / ١٤٠٥ م.) - نفسه ق ٢٢١ ب - ٢٢٢ أ.

و «عبد السرحمن بن يوسف بن أحمد الكفيسري، زيسن السدين السدمسقي» (ت ١٤٠٧ هـ. /١٤٠٧ م) ـ نفسه ق ٢٣٧ أ.

و «عائشة بنت محمد بن عبد الهادي الصالحية» (ت ٨١٦ هـ. /١٤١٤ م.) - ابن حجر. إنباء الغمرج π ص ٢٥ تر ٢٦، السخاوي. الضوء اللامع ج ٢١ ص ٨١.

و «عبد القادر بن محمد بن إبراهيم بن عبدالله بن إبراهيم بن يسوسف الأرموي» (ت ٨٢٤ هـ. /١٤٢١ م.) - ابن حجر. إنباء الغمرج ٣ ص ٢٦٠ تر ١٠، السخاوي. الضوء اللامع ج ٤ ص ٢٦١ .

(١) لقي بها:

. «أحمد بن إسماعيل بن خليفة الحسباني ثم الدمشقي، شهاب الدين» (ت ١٥٨هـ هـ. /١٤١٣ م.) - ابن حجر, إنباء الغمرج ٢ ص ٢٣٥ تر ٣ السخاوي. الضوء السلامع ج ١ ص ٢٣٧ - ٢٣٧.

(٢) النيرب: بالقتح ثم السكون وفتح الراء، وباء موحدة ـ قرية مشهورة بدمشق على نصف فرسخ في وسط البساتين ـ ياقوت. معجم البلدان ج ٥ ص ٣٣٠.

الكبار والأجزاء الصغار وغيرها مما كان قد إنقطع من مدد متطاولة واحتيج في وصله للقراءة بتوالي ثلاث إجازات أو أكثر(١).

كما حصل جملة مستكثرة من الكتب، منها ما يكون في مجلدة ضخمة أو أكثر ومنها ما يكون في مجلدة لطيفة (٢) ـ حتى لقد قاربت مجتمعة حوالي ألف جزء حديثي (٣).

وساعده على ذلك أمور ـ قل أن تجتمع في غيره ـ أشار «السخاوي» إليها، وهي :

⁼ لقي بها: «ابن الكفري» (ت ٨٠٣ هـ. /١٤٠١ م.) - ابن حجر. إنباء الغمرج ٢ ص ١٦٩ م.) تر ٥٥، السخاوي. الضوء اللامع ج ٥ ص ٢٦٦.

و «أنس بن علي بن محمد بن أحمد بن سعيد بن سالم الأنصاري» (ت ٨٠٧ هـ. /١٤٠٥ م.) - ابن حجر. إنباء الغمرج ٢ ص ٣٠٠ تر٣.

⁽١) السخاوي. الجواهر والدرر ق ٣١ أ.

⁽٢) حيث حصل ثلاث مجلدات من المعجم الأوسط للطبراني، والصغير بتصامه في مجلد، ومن الدعاء له مجلدة، والمعرفة لابن مندة أربعة مجلدات، والسنن للدارقطني في اثنتين، ومسند مسدد، والموطأ لأبي مصعب ـ كل واحد منها في مجلد ـ ومن صحيح ابن خزيمة، وابن حبان مجلد، ومن المختارة للعقيلي خسة، ومن الاستيعاب لابن عبد البر واحد، والطهور لأبي عبيد، والذكر لجعفر العرباني، وفضائل الأوقات للبيهقي، والإيمان لابن مندة، ومكارم الأخلاق للخرائطي ـ كل واحد في مجلد ـ ومسند الدارمي ـ مجلد ـ وقطعة من مساوىء الأخلاق للخرائطي، والخراج ليحيى بن آدم، ومشيخه المباغيان، والمشمائل للترمذي، والأدب للبيهقي وعلوم الحديث للحاكم، والإرشاد للمخليلي، وحديث قتيبة للعيار واختلاف الحديث لابن قتيبة، وأدب الحكماء، وذم الكلام للهروي، والسنن للشافعي ـ رواية ابن عبد الحكم ـ وغرائب شعبة لابن مندة ـ كل واحد في محلد، ومن مشيخة مسعود الثقفي مجلد، ومن مسند أبي يعلى الموصلي مجلد، والكنجروديات في نسختين مجلد، والمؤائد النشرية، والسمات التي يلحقها في تصانيفه ونحوها ثمانية مجلدات فأكثر، وطرف كتاب المختارة لابن عبد الواحد المقدسي في مجلد ضخم. ـ ابن حجر. المعجم المفهرس، وطرف كتاب المختارة لابن عبد الواحد المقدسي في مجلد ضخم. ـ ابن حجر. المعجم المفهرس، غط. دار الكتب رقم ٨٢ مصطلح ـ وفيه إسناداته لها، السخاوي. الجواهر والمدرد ق ٢٢.

⁽٣) السخاوى: نفسه ق ٣٢ أ.

- * ذكاؤه الوقاد، ومعرفته بالإنتقاء والإستيعاب(١).
 - * سرعة القراءة مع حسنها(٢).
- * سرعة الكتابة مع شغل الوقت بغيرها، حيث لم يمنعه فهم ما يسمعه مما لا يدخل في موضوعها عن ممارستها معه (٣).
- * إعانة رفقته له بالقراءة، والكتابة، والعارية، والمذاكرة، والتنبية على السلامة(٤).
- * صرف همته إلى المطالعة، والقراءة، والسماع، والتصنيف، والإفادة، بحيث لم يكن يخلي لحظة من أوقاته من شيء من ذلك، حتى في حال أكله وتوجهه وهو سالك(٥).
- * تفرس الشيوخ فيه النجابة وحثهم له على الإشتغال وانقيادهم له، وكانوا قبل عسرى التحديث(٢).

مما جعله يستحوذ على السبق بين علماء عصره ومحدثيه الذين شهدوا له بذلك وبالتقدم في فنونه إلى أعلى رتبة . .(٧)

٦ _ حلب

کان «ابن حجر» ـ وهو بدمشق ـ قد عزم على التوجه إلى حلب للأخذ عن خماتمة المسندين بها «عمر بن أيدغمش» (ت $^{(1)}$ هـ. / $^{(2)}$ فبلغه وفاته فتخلف عن التوجه إليها $^{(3)}$. ثم قدر له ـ بعد ذلك ـ السفر إليها سنة ست

⁽١) المصدر السابق ق ٣٤، ٤٠ ب.

⁽٢) نفسه ق ٣٢ أ ـ حيث يذكر أمثلة لذلك.

⁽٣) نفسه ق ٣٤ ـ حيث يذكر أمثلة لذلك.

⁽٤) نفسه ق ٣٤ ب.

⁽٥) نفسه ق ٣٥ ب. (٦) نفسه ق ٣٥ أ ـ ٣٦ ب.

⁽۷) نفسه ق ۳۵ ب.

^(^) هـو «عمر بن أيـد غمش النصيبي الحلبي، ويعـرف بـالكبـير» ـ ابن حجـر. إنبـاء الغمــر ج ٢ ص ٧٤ ـ ٧٥ .

⁽٩) ابن حجر. إنباء الغمرج ٢ ص ٧٨، السخاوي. الجواهر والدرر ق ٣٧ أ.

وثلاثين وثمانمائمة صحبة السلطان «الأشرف برسباي» (ت ٨٤١ ه. / ١٤٣٨ م.) في السفرة الشمالية لدفع أذى التركمان المتغلبين على بلاد آمد وماردين. وغيرها من البلاد الشمالية بعد الكائنة اللنكية (١) وقد كثر إفسادهم ونهبهم وقطعهم للطرق، وكان إبتداء السفر من الريدانية بعد صلاة الجمعة من يوم التاسع عشر من رجب ووصلوا إلى الشام في النصف من شعبان (٢) فنزل بالمدرسة العادلية الصغري (٣) حيث لم يخل سفره من فائدة (١) فلقد سمع وكتب وهو بالطريق إلى الشام في بسليس (٥) والصسالحية (٦) وبسيسان (٧)

(١) حيث تغلب تيمورلنك والمغول على دمشق، وحلب سنة ٨٠٣ هـ. /١٤٠١ م.

(٢) ابن حجر. إنباء الغمرج ٣ ص ٤٩٢ ـ ٤٩٤، السخاوي. الجواهر والدرر ق ٣٨ أ، عبدالله بن زين. جمان الدرر ق ٩٠ أب عبدالله بن الرحلة في حجر» قبد أورد تقريراً مفصلاً عن الرحلة في حوليتي: ست، وسبع وثلاثين وثمانمائة من كتابه «إنباء الغمر».

(٣) كانت تقع داخل باب الفرج شرقي باب القلعة الشرقي قبلي الدماغية والعمادية ثم حرقت بعد سنة ١٩١٠م. ولم يبق منها سوى بعض جدرانها وكانت داراً لابن سونك حولتها «زهرة خاتون بنت الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب «مدفناً ومدرسة ومواضع للسكني، شارطة للمدرسة مدرساً ومعيداً وإماماً ومؤدباً وقيماً وعشرين فقيها، جاعلة لمصالحها ومصارفها أوقافاً كثيرة. - ابن شداد، الأعلاق الخطيرة - تاريخ مدينة دمشق - ص ٣٤٣، النعيمي، الدارس ج ١ كثيرة. - أبو شامة. ذيل الروضتين ص ١٣٨، ٢١٢، ٢١٢.

(٤) السخاوي. الجواهر والدرر ق ٣٧ أ.

(°) كتب بها حديثاً دار في المناظرة بينه وبين «محمد بن احمد بن عثمان بئ نعيم البساطي، شمس المدين» (ت ٨٤٢ هـ. /١٤٣٩ م.) - له ترجمة في: المقريزي. السلوك ج ٤ ص ١٥٠، ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٢٥٧ أ، إنباء المغمر ج ٩ ص ٨٢ - ٨٥، ابن تغري بردي. النجوم المؤاهرة ج ١٥ ص ٢٦٦، السخاوي. الضوء اللامع ج ٧ ص ٥ - ٨، الذيل على رفع الإصر ص ٢٢١ - ٢٢٧، ابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب ج ٧ ص ٢٤٥ - ٢٤٦.

(٦) كتب بهما حكاية عن نائبه قاضي المنصورة «محمد بن أحمد بن كميل بن عوض بن راشد بن عمرو بن الشمس المنصوري الشافعي» (ت ٨٤٨ هـ, /١٤٤٥ م.) ـ له ترجمة في: ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٢٥٨ أ، إنباء المعمرج ٩ ص ٢٤٠ ـ ٢٤١، السخاوي. التبر المسبوك ص ١١٠ ـ ٢٤١، الضوء اللامع ج ٧ ص ٢٨ ـ ٣٠، ابن العماد الحنبلي. شذارت الذهب ج ٧ ص ٣٨ ـ ٣٠، ابن العماد الحنبلي. شذارت الذهب ج ٧ ص ٣٨ ـ ٣٠٠

(٧) بيسان: بالفتح ثم السكون وسين مهملة ونون _ مدينة بين حوران وفلسطين _ ياقوت. معجم البلدان ج ١ ص ٧٧ ه.

والخربة (١) ـ الكثير عن رفقته من القضاة والشيوخ المرافقين للعسكر المصري ـ على جاري العادة في ذلك (٢).

كم سمع - كذلك - حال مقامه بالشام غير واحد من الشيوخ والأدباء بدمشق(٢) وحماه(٤)

- اخذ بها حديثاً من سنن أبي داود بسند بغدادي إلى الخطيب وبعضاً من خصائص الترك عن «أحمد بن نصرالله بن أحمد بن عثمان بن محمد بن عمر البغدادي التستري الحنبلي، محب الدين» (ت ٨٤٥ هـ. /١٤٤٢ م.) له ترجمة في: المقريزي. السلوك ج ٤ ص ١٢٣١ ـ ١٢٣٢، ابن حجر. إنباء الغمر ج ٩ ص ٢٣٩ ـ ٢٤١، "لمجمع المؤسس ق ٢١٩، ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٤٨٣ ـ ٤٨٤، السخاوي الضوء اللامع ج ٢ ص ٣٣٣ ـ ٢٣٩، الذيل على رفع الإصر ص ٢٠٩ ـ ١٢٢، ابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب ج ٧ ص ٢٥٠ ـ ٢٥١.
- (۱) بالتحريك، أشار «ياقوت» إلى أنها أرض مما يلي ضرية، سميت بـذلك لأن «خربة بنت قنص بن معد بن عدنان أم بكر بنت ربيعة بن نزار» نزلته فسمي بهـا (كذا) ـ يـاقوت. معجم البلدان ج ٢ ص ٣٥٥.

أخذ بها حكاية عن القاضي «عز الدين بن عبد العزيز بن علي بن العز الحنبلي» معزوة إلى «ابن الديري» عن «البساطي» بشأن «ابن تيمية» _ السخاوي . الجواهر والدرر ق ٣٧ . .

(٢) نفسه ق ٣٧ أ.

- (٣) سمع بها على «عائشة بنت إبراهيم بن خليل البعلبكية» أخت الشيخ جمال المدين الشرايحي (ت ٨٤٢هـ. / ١٤٣٩ م.) مع أخيها منتقي الذهبي من مشيخة الفخر بسماعها للمشيخة علي ابن أميلة، والمسلسل بالأولية بشرطها بسماعها علي ابن الصيرفي وابن المحب ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٢٤٧ أ، السخاوي. الضوء اللامع ج ١٢ ص ٧٧، الجواهر والدرر ق ٣٨ ب.
- (٤) لقي بها «أب بكر بن علي بن علي بن عبدالله، التقي الحموي الحنفي الأزدي» (ت ٨٣٧ هـ. / ٤٣٤ م.) له ترجمة في: المقريسزي. السلوك ج ٤ ص ٩٢٣، ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٢٦٣ أ، إنباء الغمر ج ٣ ص ٢٥٢ ٢٥٣، ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ١٨٩ ١٩٦، ابن الصيرفي. نزهمة النفوس والأبدان ج ٣ ص ١٩٧ ٢٣٢، السخاوي. الضوء اللامع ج ١١ ص ٥٣ ٥٦، الجواهر والدرر ق ٣٩ أ، ابن العماد الحنبلي. شذرات اللهب ج ٧ ص ٢١٩ ٢٢٠ وكان قد عمل البديعة على طريقة العز الموصلي وشرحها في ثلاثة مجلدات سمع «ابن حجر» منها أكثرها وكتب عنه، كما كتب هو عن «ابن حجر»، فلما ...

وحمص (۱) _ إلى أن كان يوم السبت الخامس من رمضان، وقد وصل الجمع إلى حلب، فنزل على «ابن خطيب الناصرية» (ت ٨٤٣ هـ. / ١٤٤٠ م.) قاضي حسلب _ آنداك _ مقيماً بها خمسة عشر يوماً (٢) سمع أثناءها بحسلب (٣)

= توجه «ابن حجر» في هذه السفرة إلى حلب سمع من نظم «ابن حجة» - السخاوي. الجواهر والدررق ٣٩ أ. عبدالله بن زين. جمان الدررق ٩ أ.

كها لقي بها: «علي بن يوسف بن مكتوم بن ثابت بن ربيع الشيباني الرحبي الحلي الشافعي» فكتب عنه جزءاً فيه عشرة أحاديث من عشرة الحداد وغيرها ـ السخاوي. الجواهر والدرر ق ٣٩ أ، الضوء اللامع ج ٦ ص ٥٤ ـ ٥٥.

ولقي بها ـ كذلك ـ «محمد بن أحمد بن أبي بكر بن محمد الطائني البياني الحموي الشافعي، ويعرف بابن الأشقر» (ت ٨٥٠ هـ. /١٤٤٧ م.) فأخذ عنه حديثاً من البخاري ـ السخاوي. الجواهر والدرر ق ٣٩ أ، الضوء اللامع ج ٦ ص ٢٢٩ ـ ٣٠٠، التبر المسبوك.

- (١) لقي بها «محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن القواس المخزومي الحمصي» وكتب عنه حمديثين سمعها من شخيه «ابن زهرة» عن النبي في المنام . . . السخاوي . الجواهر والدرر ق ٣٩ أ، الضوء اللامع ج ٩ ص ١٩٤ .
- (٢) ابن خطيب الناصرية. الـدر المنتخبج ا ق ١٠٧ أ، ابن حجر. إنباء الغمرج ٣، ص ٤٩٥، السخاوي. الجواهر والدررق ٣٩ أ.
- (٣) سمع بها عشرة الحداد على «أحمد بن إبراهيم بن محمد بن عمر بن عبد العزيز بن أبي جرادة العقيلي الحنفي، المعروف بابن العديم» (ت ٨٢٧ هـ. /١٤٢٤ م.) ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٢٠٧ ب، السخاوي الضوء اللامع ج ١ ص ٢٠١ ٢٠٢، الجواهر والدرر ق ٣٩ أ.

كها سمع بها المسلسل بالأولية، ومشخة ابن البخاري - تخريج ابن الظاهري - وقد احضرت له من دمشق لعدم توفرها - آنذاك - بحلب على «إبراهيم بن محمد بن خليل الطرابلسي، سبط ابن العجمي، برهان الدين المحدث، المعروف بالقف» (ت ٨٤١ هـ. /١٤٣٨ م.). - ابن حجر المجمع المؤسس ق ١٩٩١ أ - ٢٠٠ أ، السخاوي. الضوء اللامع ج ١ ص ١٣٨ - ١٤٥، الجواهر والدرر ق ٣٩، ابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب ج ٧ ص ٢٣٧ - ٢٣٨.

وسمع بها _كذلك _ بعض عشرة الحداد على «علي بن محمد بن سعد بن محمد بن علي بن علي بن عثمان بن إسماعيل بن إسراهيم بن يوسف بن يعقوب، المعروف بابن خطيب الناصرية» (ت ٨٤٣ هـ. / ١٤٤٠ م.) _ ابن حجر. إنباء الغمر ج ١٩ ص ١١٥ - ١١٦، المجمع المؤسس ق ٢٤١ ب ٢٣٢ أ، ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٤٧٩ ـ ٤٨٠، السخاوي. _

وظاهرها من القرى - كالبيرة(١) وعينتاب(٢) وزاوية خيضر(٣) وصرخد(٤) والسحلولية(٥) والباب وبزاعة(١)

= الضوء اللامع ج ٥، ص ٣٠٣ ـ ٣٠٧، الجواهر والدرر ق ٣٩ ب، ابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب ج ٧ ص ٢٤٧.

- (۱) لقى بها «كمال الدين محمد بن محمد بن ناصر الدين محمد بن البارزي» (ت ٨٥٦هـ. /١٤٥٦م.) وسمع من لفظة قصيدة الأديب «شيخ علي» التي امتدح بها «البدرابن الشهاب محمود» ـ بسماعه لها من ناظمها ـ وما ناقضها به «ابن المنجم» ـ ابن تغري بردي . النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٣ ـ ١٨، السخاوي . الضوء اللامع ج ٩ ص ٢٣٦ ـ ٢٣٩، الجواهر والدررق ٤٠ أ، ابن العماد الحنبلي . شذرات الذهب ج ٧ ، ص ٢٩٠ .
- (٢) سمع بها حديثاً من مسند أحمد، وأخرين من صحيح مسلم على «محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين بن يوسف، المعروف بالبدر العيني، والعينتابي» (ت ٨٥٥ هـ. /١٤٥١ م.) ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٢٧١ ب، ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٦ ١١٠ السخاوي. الضوء اللامع ج ١١ ص ١٣١ ١٣٥، التبر المسبوك ص ٣٧٥ ٣٨٠، الجواهر والدرر ق ٤٠، الذيل على رفع الإصر ص ٤٢٨ ٤٤٠، السيوطي. نظم العقيان ص ١٧٤، بغية الوعاة ج ٢ ص ٢٧٥ ٢٧٦ ابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب ص ٢٨٦ ٢٨٨/٧، وكان «ابن حجر» قد وصل إليها صحبة البدر العيني ليأكل ضيافته ببلده ـ ابن حجر. إنباء الغمر ج ٣ ص ٤٩٦.

(٣) لقي بها:

«الشريف يحيى بن أحمد بن عمر بن يوسف بن عبد الله بن عبد المرحمن بن إبراهيم الحموي، المعروف بابن العطار» (ت ٨٥٣هـ. /١٤٥٠م.) وكتب عنه من شعره، ومن شعر غيره، كما كتب هو عن «ابن حجر» - ابن حجر. المجمع المؤسس ٢٧٤، ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ١٥٤٥ - ٢٦١، الجواهر والدرد ق ٤١ أم.

- (٤) كتب بالقرب منها مناماً رواه له «ابن العطار» ـ المذكور. السخاوي الجواهر والدرر ق ١٤١ أ.
- (٥) سمع بالقرب منها جزءاً فيه منتقى الحارث، ومنتقى العلم لأبي حنيفة وأبياتاً من الشعر للسراح البلقيني _ عــلى «ابـراهيم بن عــلى بن ناصر، بــرهـان الــدين الــدميـاطي الحلبي الشــافعي» (ت ١٤٤٧ هـ. /١٤٤٤ م.) _ السخاوي. الجواهر والدرر ق ٤١ أ، الضوء اللامع ج ١ ص ٩٩.
- (٦) الباب: وتعرف بباب بزاعة، بليدة في طرف وادي بطنان من أعمال حلب بينها وبين منبج نحو ميلين وإلى حلب عشرة أميال ـ ابن شاهنشاه. تقويم البلدان ص ٣٦٦، ياقوت. معجم البلدان ج ١ ص ٣٠٣، البغدادي. مراصد الإطلاع ج ١ ص ١٤٢.

وسرد(۱) _ الكثير بما جمعه في تذكرته المسماة «جلب حلب» المحتوية على أربعة أجزاء حديثية (۲) بالإضافة إلى ما ينيد على المجلدين بما انتقاه أو لخصه هناك . . (۳) ثم عاد صحبة العسكر المصري الذي دخل القاهرة يوم العشرين من المحرم سنة سبع وثلاثين وثمانمائة (٤) وقد حدث هناك (٥) وعقد مجالس الإملاء بدمشق وحلب (٢) وخطب بالسلطان _ في وداع السنة _ (٧) بجامع بني أمية (٨) وصلى بالناس صلاة كسوف _ بالجامع الكبير

⁼ وبزاعة: بالضم والكسر، والقصر، بليدة من أعمال حلب في وادي بطنان بين منبج وحلب، بينهما وبين كل واحدة منهما مرحلة. - ابن شاهنشاه تقويم البلدان ص ٣٦٦ - ٣٦٧، ياقوت. معجم البلدان ج ١ ص ٤٠٩، البغدادي. مراصد الإطلاع ج ١ ص ١٩٢. دائرة المعارف الإسلامية ج ٧ ص ١٩٨.

سمع بها شيئاً من أربعين القاضي المرداوي على «محمد بن أبي بكر بن أحمد بن علي بن السماعيل الحسني الحموي، المعروف بابن الرسام» (ت ١٤٤٨هـ./١٤٤١ م.) - ابن حجر، المجمع المؤسس ق ٢٠٨ ب - ٢٠٩ أ، السخاوي. الضوء اللامع ج ١ ص ٢٤٩ - ٢٥٠ ، الجواهر والدرر ق ٤١ أ، ابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب ج ٧ ص ٢٥٢ - ٢٥٣.

⁽۱) سمع بها حديثاً من عشرة الحداد على «عمربن أحمد بن صالح بن أحمد بن عمر بن يوسف، المعروف بابن السفاح» (٨٦٦ هـ. /١٤٦٢ م.) - السخاوي. الجواهر والدرر ق ٤١ أ، الضوء اللامع ج ٦ ص ٦٨ - ٦٩.

⁽٢) السخاوي . إلجواهر والدرر ق ٣٧ ب.

⁽٣) من ذلك; منتقى شرح البخاري للبرهان الحلبي، ومنتقى تاريخ قروين للرافعي - المسمى التبدوين ومنتقى. زوائد الألغاز للغزي، وتلخيص ثبت البرهان الحلبي، وما علقه من تاريخ حلب - لابن خطيب الناصرية، - ابن حجر. إنباء الغمرج ١ ص ٥، السخاوي. الجواهر والدررق ٤١.

⁽٤) ابن حجر. إنباء الغمرج ٣ ص ٥١٠.

⁽٥) روي لأهل الشَّام جزء أبي الجهم، وحدث بحلب بكتاب المحدث الفاضل بـين الراوي والـواعي للرامهرمزي، وقرىء عليه كتاب الأربعين لابن المجبر ـ السخاوي. الجواهر والدرر ق ٤٠ أ.

⁽٦) ابن خطیب الناصریة. الدر المنتخب ق ۱۰۷ ا وما بعدها، ابن حجر، إنباءالغمرج ٣ ص ٤٩٤، السخاوي. الجواهر والدرر ق ٣٨ ب، ٤٠ ب.

⁽٧) تقليد متبع، يشبه في أيامنا الاحتفال بمقدم عام هجري جديد «عيد رأس السنة الهجرية».

⁽٨) السخاوي. الجواهر والدرر ق ٤١ أ.

بحلب . فما سلم إلا وقد انجلت الشمس وغربت(١) كما نبه . أثناء مقامه هناك _ على فساد ما بشه «الشمس الفرياني»(٢) من الأسانيد المركبة المختلقة، فرجع الكثيرون عن الرواية عنه. . ^(٣).

⁽١) ابن حجر. إنباءالغمرج ٣ ص ٤٩٧.

⁽٢) هو « محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن عبدالله بن أبي القاسم عبد الرحمن بن علي بسن الحسين اللخمي الفرياني ـ نسبة لفريانة إحدى مدائن أفريقية».

⁽٣) ابن حجر. إنباء الغمرج ٩ ص ٢٢٦ ـ ٢٨٨، تبصير المنتبه بتحرير المشتبه ص ٨، ١١، السخاوي. الجواهر والدررق ٤٦ ب، ٤٢ أ، الضوء اللامع ج ٧ ص ٦٧ ـ ٧٠.

وظائفه

أولاً _ الإملاء:

الإملاء أعلى مراتب الرواية والسماع، وفيه أحسن وجوه التحمل وأقواها، لا يتصدى له إلا المحدث العارف. ولذا نجده قد انقطعت مجالسه بعد «ابن الصلاح» (ت ٦٤٣ هـ. / ١٢٤٥ م.) إلى أواخر أيام الحافظ «أبي الفضل العراقي» (ت ٢٠٨ هـ. / ٤٠٤١ م.) الذي افتتحها سنة خمسس وتسعين وسبعمائة مملياً إلى سنة وفاته أربعمائة مجلس وبضعة عشر مجلساً، ثم أملى «أبو زرعة» ولده - (ت ٨٢٦ هـ. / ١٤٢٣ م.) إلى أن مات أكثر من ألف مجلس (١). كما شرع الحافظ «ابن حجر» في عقد مجالس الإملاء إبتداء بسنة ثمان وثمانمائة، وانتهاء بسنة اثنتين وخمسين وثمانمائة - وهي السنة التي توفي فيها - فزادات مجالسه على ألف مجلس (٢) احتوتها بعض النسخ في عشر مجلدات (٣).

يقول راجي إلىه الحق أحمد من أملي حديث نبي الحق متصلاً تدنو من الألف إن وُعدَّتُ مجالسه فالسدس منها بلا قيد لها حصلا [من البسيط]

⁽١) ابن حجر. المجمع المؤسس ق ١٠٠ أ، السيوطي. تدريب الراوي ج ١ ص ١٣٩.

⁽٢) السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٥١، الضوء اللامع ج ٢ ص ٣٩، الذيل على رفع الإصر ص ٨٦، النبيل على رفع الإصر ص ٨٦، التبر المسبوك ص ٢٣٠، ابن طولون. القلائد الجوهرية ج ٢ ص ٤٥٥ ـ ٤٥٦، السيوطي. تدريب الراوي ج ٢ ص ١٣٩، حسن المحاضرة ج ٣ ص ٣٦٣، نظم العقيان ص ٥٠، طبقات الحفاظ ص ٨٤، ذيل طبقات الحفاظ ص ٣٨١. ويلاحظ أن «ابن حجر» قد أشار في شعبان سنة تسع وأربعين وثمانمائة إلى اقتراب مجالسه من الألف، ولم يكن ـ بعد ـ قد فرغ منها قائلاً:

⁽٣) السخاوي. الجواهر والدررق ١٥١ ب.

ومجلس الإملاء لا يقع إلا في يوم واحد من الأسبوع (۱) تراوح لدى «ابن حجر» بين «الشلاثاء» و «الجمعة» (۲) ولا يتعين له إلا مستمل محصل يبلغ عن المملي إذا كثر الجمع على عادة الحفاظ (۳) وهم لدى «ابن حجر» يزيدون على مائة وخمسين نفساً (٤) وهو ما يفسر إنتقاء جماعة من علية أصحابه للقيام بهذه المهمة، منهم: «الشهاب البوصيري»، و «العز البغدادي»، و «الكمال ابن التيمي»، و «الفخر ابن درباس»، و «السزين العقبي»، و «السزين ابن خضر العثماني»، و «النور المارديني» و «الشمس ابن قمر». وغيرهم. وكثيراً ما كان يسعى من دونهم في ذلك فلا يجابون.

وقد يكون محل عقد مجلس الإملاء في بيت المملي أو في غيره من المدارس والقاعات، ولذا اختار «ابن حجر» لأمالية أماكن متعددة هي «الشيخونية» و «البيبرسية»، و «الجمالية المستجدة» برحبة العيد و «المدرسة المنكوتمرية» المجاورة لمنزله، و «دار الحديث الكاملية»، ومنزله على شاطىء النيل بمصر.

كما لم تقتصر أماليه على «القاهرة» و «مصر» وحدهما، وإنما امتد بها إلى «دمشق» و «حلب». (٥)

وقد يكون الإملاء من كتاب يقرأ فيه المملى أو من حفظه وهو لدى «ابن حجر» كان مخرجاً كله من حفظه مهذباً محرراً متقناً. فكان منه ما هو مقيد بكتاب لا يتعداه إلى غير موضوعه، كما كان له مجالس مطلقة لم يتقيد فيها بكتاب، حيث يكون حرصه في الغالب الأعم على المناسبات في الأزمان والوقائع (٢) وهذه وتلك تكون كثيرة النفع لاحتوائها على الكثير من الفوائد

⁽١) السيوطي. تدريب الراوي ج ٢ ص ١٣٩.

⁽٢) ابن حجر. إنباء الغمرج ٣ ص ٣٢٤، السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٥١ أ.

⁽٣) السخاوي. الجواهر والدررق ١٥١، السيوطي. تدريب الراوي ج ٢ ص ١٣٣.

⁽٤) السخاوي. الجواهر والدررق ٢٥٢.

^(°) ابن خطیب الناصریة. الـدر المنتخب ج ۱ ق ۱۰۷ ب، ۱۰۸ أ، ابن حجر. إنباء الغمر ج ۳ ص ٤٩٤، السخاوي. الجواهر والدرر ق ۲۳۸، ۱۰۱ أ.

⁽٦) السخاوي. الجواهر والدررق ١٥١ أ، عبدالله بن زين. جمان الدرر ق ٦٩ ب.

الحديثية من أبحاث وفوائد مهمة ونكت نفيسة، مع تحري علو السند، وقصر المتن، والتعريف بالمروي عنهم من الشيوخ وغيرهم، والمستفاد من الحديث، والتنبيه على صحته، وما فيه من علو وفائدة: وضبط مشكل، ومراغاة لما يحتمله العقل والفهم من حاضر مجالسه(١).

على أن هذه المجالس - غالباً - ما كانت تستفتح بقراءة قاريء حسن الصوت لسورة الأعلى (٢) والصلاة على رسول الله على والدعاء له وللحاضرين والأثمة الماضيين (٣). وتختم - خاصة في المجالس المطلقة - بإنشادات من نظمه (٤) أو ببعض الحكايات والنوادر والانشادات التي القصد منها ترويح القلوب ابتغاء لطرف الحكمة (٥). فإذا ما نجز مجلس الإملاء وقد تحرر في كراسة قوبلت على الأصل الذي حرره، قصداً للغاية في الإتقان (١).

ثانياً ـ التدريس:

حث الإسلام على العلم والتعلم وغدت وظيفة التدريس فيه من الوظائف السنية التي يتمتع مزاولها بمكانة عظيمة في النفوس، حتى لقد تواترت الأخبار عن «أبي الأسود الدؤلي» بقوله: «ليس شيء أعيز من العلم، الملوك حكام على الناس، والعلماء حكام على الملوك»(٢).

⁽١) السخاوي . الجواهر والدرر ق ١٥١ ب، السيوطي . تدريب الراوي ج ٢ ص ١٣٧ - ١٣٨ .

⁽٢) السخاوي. الجواهرُ والدرر ق ١٥١ ب، عبد الله بن زين. جمان الدرر ق ٦٩ أ.

ويشير «السَّخاوي» إلى أن «ابن حجز» قد استَقْسُرُ منه عن خصوصية سورة الأعلى دون غيرها، فقال الله «قد تبعث في ذلك شيخنا العراقي وفيها من المناسبة قوله: ﴿ستقرتك فلاتشى﴾، وقوله: ﴿فَلَكُرُ وقوله: ﴿ستقرتك فلاتشى﴾، وقوله:

⁽٣) السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٥١ ب، السيوطي. تدريب الراوي ج ٢ ص ١٣٥.

⁽٤) ابن خطیب الناصریة. الدر المنتخب ج ۱ ق ۱۰۸ أ. السخاوي. الجواهر والـدرر ق ۱۵۱ ب، عبدالله بن زین. جمان الدرر ق ۶۹ أ.

⁽٥) السبيوطي و تدريب الراوي ج ٢ ص ١٣٨ ، ٠٠ ، ٠٠

⁽٦) السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٥١ ب، السيوطي. تدريب الراوي ج ٢ ص ١٣٩.

ولقد كان هذا مدركاً لدى القائمين على أمر مصر، وأهلها بحيث نهضت مصر برسالتها في نشر العلم واحتضان أهله، فكانت بجدنها الكبرى من الأسكندرية شمالاً حتى قوص جنوباً محطاً لكثير من العلماء مشارقة ومغاربة على حد سواء (۱). بما يتحملون من العلم، أو يحملون من مادته. خاصة بعد سقوط بغداد (٢٥٦ هـ. / ١٢٥٨ م.) واتلاف التتار للكتب والمكتبات. فظهرت مصر قلعة للإسلام، ومنارة لنشر ثقافته، وهو ما يفهم من قول «ابن خلدون»: «... ونحن لهذا العهد نرى أن العلم والتعليم إنما هو بالقاهرة من بلاد مصر» (٢٥ وقوله: «... ونفقت بها ـ أي بمصر ـ أسواق العلوم، وزخرت بحارها» (٢٠ بحيث استكثر السلاطين، والملوك والأمراء، والصلحاء، والعلماء ... بها من بحيث استكثر السلاطين، والملوك والأمراء، والصلحاء، والعلماء ... بها من المدارس، والزوايا، والربط، ووقفوا عليها الأوقاف المغلة. فكان من المدارس ما يجوز أن تكون محلًا لتدريس غيرها أم تلك التي تجمع بين تداريس مختلفة .. كها لم تكن المدارس وحدها وقفاً على العلم والتعلم، بل لقد تعداها التدريس إلى القباب والجوامع ...

وكان للمدرس شروطه في المدرسة التي يجعلها محلاً لتدريسه، كما كان للمدرسة شروطها في المدرس الذي لم يكن يختار إلا من مشاهير المعلمين لمعتبرين الذين يجب أن تتوفر فيهم شروط معينة بحيث لا يقبل عليه الطلبة ما لم يكن محلاً لهذه الشروط وأهلاً لها. وهذا يفسر لنا حرص «ابن حجر» وعنايته بتحصيل أكبر قدر من الإجازات العلمية من جلة علماء عصوه. ناهيك عن كثرة طلبته «بحيث كان رؤوس العلماء من كل مذهب تلامذته، ولم يجتمع عند أحد مجموعهم»(٥). ويفسر لنا حكذلك _ إختصاصه بالتدريس في أماكن متعددة كانت محلاً لتداريس في علوم شرعية منها:

⁽١) ابن خلدون. المقدمة ص ٤٣٥، د. محمد زغلول سلام. الأدب في العصر المملوكي ج ١ ص ١٠٧.

⁽٢) ابن خلدون. المقدمة ص ٤٣٤.

⁽٣) نفسه ص ٤٣٥.

⁽٤) القلقشندي. صبح الأعشى في صناعة الإنشاج ٣ ص ٣٦٤.

⁽٥) السخاوي. الذيل على رفع الإصر ص ٨٦.

«التفسير» بالمدرسة الحسنية (١)، والقبة المنصورية (٢)، و «الحديث» بالشيخونية (٣)، وقبة الخانقاة البيبرسية (٤)، والجمالية المستجدة (٥)، وجامع ابن طولون (٢)،

- (۱) كان ابتداء تدريس «ابن حجر» بها سنة تسع وعشرين وثمانمائة من أجل أنه اطلع على كتاب وقفها فوجد فيه مدرساً للتفسير وآخر للحديث، ولم يجد بها أحداً، بل كانا شاغرين من عهد الواقف، فعندما علم ذلك التمس من الناظرين عليها تقريره في التفسير وتقرير ولده في الحديث، وأن يأذنا لولده في الإستنابة، ففوضا إليها ذلك. فباشر كلتا الوظيفتين، الأولى بطريق الأصالة، والأخرى نيابة عن ولده، إلى أن رغب عن التفسير لبعض جماعته «النزين السندبيسي» للسخاوي. الجواهر والدرر ق ١٥٦ ب.
- (۲) قام «ابن حجر» بالتدريس فيها بعد أن رغب له عنه «الشيخ شمس الدين البرماوي» بمال عوضه «النجم ابن حجي» تبرعاً عن «ابن حجر»، وذلك في سفر البرماوي لدمشق صحبة النجم المذكور واستمر بيده حتى مات ابن حجر، إنباء الغمر ج ١ ص ١٩٦، السخاوي . الجواهر والدرر ق ١٥٠ ١٥٥ .
- (٣) كان ابتداء تدريس «ابن حجر» بها في شوال سنة ثمان وثمانمائة ـ في الحديث والفقه ـ عوضاً عن الشيخ «الشمس ابن معبد المدني المالكي» بحكم نزوله عنه، وهي أول مكان ولي «ابن حجر» فيه تدريس الحديث. ـ ابن حجر. إنباء الغمر ج ٢ ص ٣٢٤، البقاعي. عنوان الزمان ق ٣٨، السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٥٣ أ.
- (٤) وكان ابتداء تدريسه بها بعد وفاة «النور الرشيدي» سنة ثلاث عشرة وثمانماثة، بعد ولاية «ابن حجر» لمشيخة الصوفية ونظرها بيسير، وأناب عنه فيها «البرهان ابن خضر»، ومن بعده «الشمس ابن حيان» ـ ابن حجر. إنساء الغمر ج ٢ ص ٤٧٣ البقاعي. عنوان الرمان ج ١ ق ٣٨ السخاوي. الجواهر والدررق ١٥٤ أ.
- (٥) ولاه. تدريس الحديث بها أول ما فتحت واقفها «جمال الدين يسوسف البيري» (ت ١٤١٠ هـ. /١٤١٠ م.) في رجب سنة إحدى عشرة وثمانمائة فاستقر يدرس بها إلى أن نزل عنها عن الوظيفة لبعض جماعته «ابن خلف الله الشمني» سنة تسع عشرة وثمانمائة لتشاغله عنها بدرس الفقه بالشيوخونية مابن حجر. إنباء الغمر ج ٣ ص ٣٩٩، ج ٢ ص ٤٥٥ -٤٤٨، ج٣ ص ١٨٥، السخاوى. الجواهر والدررق ١٥٤ أ.
- (٦) ولي «ابن حجر» التدريس به عوضاً عن «التقي علي» حفيد «ابن العراقي» بحكم وفاته ـ سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة ـ وكان كتب له تفويضاً به بعد وفاة جده في ذي القعدة سنة ست وعشرين وثمانمائة، واستمر بيده حتى مات ـ السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٥٤ ب ـ وإن خرج عنه نظره للقاضي «علم الدين البلقيني» (ت ٨٦٨ هـ. /١٤٦٤ م.) وكذا نظر الناصرية ليسكت عن طلب =

والقبة المنصورية (١). ومشيخة الحديث بالمدرسة الزينية (٢)، ومشيخة إسماع الحديث بالمحمودية (٣)، و «الفقه بالشيخونية (٤) والشريفية الفخرية (٥) والكهارية (٦) والمؤيدية (٧)

= العود للقضاء والسعي فيه ففوض «ابن حجر» له ذلك راضياً، وأخذ توقيعاً سلطانياً ـ ابن حجر. إنباء الغمر ج ٣، ص ٤٧٤، السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٦٤ أ، الذيل على رفع الإصر ص ٨١ ـ ٨١.

(۱) تولى «أبن حجر» التدريس بها عوضاً عن «صدر الدين أحمد بن جمال المدين محمود بن العجمي»، ثم رغب عنه «للبدر ابن الأمانة»، وذلك حين رغب عن درس الفقه بالشيخونية _ ابن حجر. إنباء الغمرج ١ ص ١٩٦، السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٥٤ ب.

(٢) ولي الحديث بها بعد الفراغ من عمارتها في رجب سنة إحدى وخسين وثمانمائة _ قبل موتـه بيسير _ بالتماس الواقف وغيره من حاشيته قصداً لحصول التجمل بابن حجر. فلما توفي لم يقـرر صاحبها فيها أحداً، قائلًا: «إنما فعلت ذلك لأتشرف به» _ السخاوي . الجواهر والدرر ق ١٥٤ ب .

(٣) ولي «ابن حجـر» التدريس بهـا في ربيع الأول سنة تسع وثمـانمـائـة بعـــد وفـــاة «البــــدر الطنبدي» وكان يستخلف فيها من اختاره من طلبته ـ السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٥٤ ب.

(٤) رغب له عنها ـ بمال ـ الشيخ «النور اللواتي الأبياري» (ت ٨١٤ هـ. / ١٤١٢ م.) سنة إحدى عشرة وثمانمائة بعد أن استقر فيها، ودرس بها يوماً واحداً، فلما أصبح «ابن حجر» قاضياً نزل عنها سنة سبع وعشرين وثمانمائة ـ ابن حجر، المجمع المؤسس ٢٤٠ ب، إنباء الغمر ج٢، ص ٣٠ الجواهر والدرر ق ١٥٥ ب.

(°) ولي «ابن حجر» تدريس الفقه بها سنة ثمان وثمانمائة عوضاً عن «الزين حرمي»، ثم رغب عنها فيها بعد «للنور القمني» ـ السخاوي الجواهر والدرر ق ١٥٥ ب.

(٦) ثم رغب عنها «لابن الأمانة» ـ السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٥٥ ب.

(٧) استقر «ابن حجر» في تدريس الشافعية بها، وخلع عليه بحضرة السلطان، فدرس بالمحراب يوم الخميس ثالث عشر وأقبل السلطان ليحضر عنده وهو في إلقاء الدرس ومنعه من القيام له، فلم يقم، واستمسر فيها هسو بصدده، وجلس السلطان عنده ملياً _ المقسرييني. الخسطط ج ٢ ص ٣٥ ـ ٣٧، ١٩٣٠، ابن حجر. إنباء الغمسر ج ٣ ص ٥٦ ـ ٧٥، ١٩٣٠، البقاعي. عنوان المزمان ج ١ ق ٤٠ السيوطي. حسن المحاضرة ص ٢٧٢ ـ ٣٧٣ ـ وهي معروفة الآن ـ بجامع المؤيد بجوار باب زويلة بالغورية ـ ويشير «ابن حجر» إلى أنه في ربيع الأول سنة سبع وعشرين وثمانمائة أنهى الشيخ «شمس الدين الهرماوي» إلى السلطان أن شرط المؤيد أن لا يكون المدرس بها قاضياً، وأعانه قوم آخرون، فانتزع تدريس الشافعي بالمؤيدية منه، فسعى «ابن حجر» إلى أن

والخروبية البدرية (١)، والصالحية النجمية (٢) والصلاحية المجاورة لقبة الإمام الشافعي، ونظرها (٣).

ثالثاً _ الإفتاء:

ولي «ابن حجر» إفتاء دار العدل(٤) سنة إحدى عشرة وثماغائة واستمرت هذه الوظيفة معه حتى مات(٥). فكان إلى فتاويه النهاية في الإيجاز مع حصول الغرض، لا سيها في المسائل التي لا نقل فيها، فإنه كان أحسن علماء عصره تصرفاً وتخريجاً على القوانين المحررة بالدلائل المعتبرة. وهو فقيه النفس(١). حيث كان يكتب منها في اليوم - غالباً - أكثر من ثلاثين فتيا(٧) وقل أن يمضي له يوم لا يكتب في المجلس الواحد على نحو عشرين فتيا(٨). بل لقد توافرت له الكتابة على

⁼ أظهر كتاب الوقف وقد سكت عن الشرط المذكور فأعيد ذلك له، وعوض «الهرماوي» بأن ينوب عن حفيد العراقي في جهاته بثلث المعلوم، فباشر ذلك ـ ابن حجر. إنباء الغمرج ٣ ص ٣٣٥، السخاوي. الجواهر والدررق ١٥٥ ب.

⁽١) ولي ابن حجر التدريس بها في ثامن عشر رمضان سنة إحدى وثلاثين وثمانمائة، بـرغبة «ابن أبي الحسن» له عنه، ثم نزل عنه فيها بعد ـ البقاعي. عنوان الزمان ج ١ ق ٣٢، السخاوي، الجواهر والدررق ١٥٥ ب.

⁽٢) كان ابتداء تدريس «ابن حجر» بها سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة عوضاً عن حفيد الولي العراقي، ثم صار بعد ذلك مضافاً لوظيفة القضاء، لكنه لما انفصل «ابن حجر» عن القضاء آخر مرة انتزع له تدريسها تطييباً لخاطره، وليس خلعة لذلك _ السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٥٦ أ.

⁽٣) تلقاها «ابن حجر» عن «العلاء القلقشندي» فباشرها بحكم انفصاله عنها يوم الاثنين ثاني عشر رجب سنة ست وأربعين وثمانمائة، وتألم العلاء لذلك، ولما رجع «الونائي» من الشام منفصلاً عن قضائها سعى في تدريسها لكونها وظيفة صهره «التلواني» فتركه «ابن حجر» له اختياراً في صفر سنة ثمان وأربعين وثمانمائة ـ السخاوي، الجواهر والدرر ق ١٥٦.

⁽٤) نفسه ق ١٥٦ ب، الذيل على رفع الإصر ص ٨٥، عبدالله بن زين. جمان الدررق ٦٩ ب.

^{· (}٥) السخاوي. الجوهر والدرر ق ١٥٦ ب.

^{. (}٦) نفيته ق ١٦١ أ، عبدالله بن زين. جمان الدرر ق ٧٠ ب.

⁽٧) نفسه .

⁽٨) البقاعي. عنوان الزمان ج ١ ق ٥٤.

الفتيا وهو على راحلته مسافراً (۱). أو وهو متشاغل بغيرها من الحديث. . (۲) مما يشير إلى تمكنه من مادتها. وقد سبقت الإشارة إلى صرف همته إلى الفقه بتوجيه أحد أساتذته وقد تفرس النجابة فيه (۳), وشربه لماء زمزم في تيسير أمر الفتاوى عليه (٤). وإجازة أعلام عصره له بالفتيا.

وعلى الرغم من كل هذا، وعلى الرغم من حرصه على ألا يجابي بالفتيا أحداً ولو عظم (٥) فإنه قد انتقض بعض فتاويه، وعدد البعض الخطأ في بعضها على حين أقر «ابن حجر» نفسه بذلك في صدر مصنف له وقع في مجلدة جمع فيها مهم فتاويه سماه «عجب الدهر في فتاوي شهر»(١) كما أن تلميذه

⁽١) السخاوي ، الجواهر والدررق ١٦١ أ.

⁽٢) البقاعي. عنوان الزمان ج ١ ق ٥٤.

⁽٣) حيث يشير السخاوي إلى أن الإصام «محب الدين بن المواحدي المالكي» كان قد رآه حثيثاً على سماع الحديث وكتابته، فقال له: «إصرف بعض هذه الهمة إلى الفقه فإنني أرى بطريق الفراسة أن علماء هذا البلد سينقرضون وسيحتاج إليك، قلا تقصر بنفسك». _ السخاوي. الجواهر والدرر ق ٣٦ أ - ويعقب «ابن حجر» على ذلك قائلًا: «. . . فنفعتني كلمته، ولا أزال أترحم عليه بهذا السبب» _ البقاعي. عنوان الزمان ج ١ ق ٣٨، ٣٩.

⁽٤) السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٦١ أ.

⁽٥) نفسه ق ١٦١ ب، عبدالله بن زين ، جسّان الندر ق ٧٠ ب - ومن ذلك ما اورده «ابن حجر» في إنباء الغمسر بنسان كتسابة عضر بتكفير «قسوا يسوسف» وولده وإثباته على القضاة، والطواف به على المشايخ ليكتبوا في ظاهره بتصويب الحكم المذكور، وإلزام السلطان وكاتب السر له بذلك، ومدافعته لهم، حيث لم يف بما عهد إليه - تقديماً لحق الله تعالى - وعدم المحاباة في دينه - ابن حجر، إنباء الغمرج ٣ ص ٢٢٢، السخاوي. الجواهر والدرر ق ق ١٦١ ب، عبدالله بن زين. جمان الدرر ق ٧٠ ب - وكذا توقفه في الفتيا بالإذن «لشاه رخ» في كسوة الكعبة مشيراً إلى أنه إن خشي منه الفتنة فيجاب دفعاً للضرر - السخاوي الجواهر والدرر ق كسوة الكعبة مشيراً إلى أنه إن خشي منه الفتنة فيجاب دفعاً للضرر - السخاوي الجواهر والدرر ق احرا ب و خالفته و «البساطي» للقاضي «الجلال البلقيني» في إحدى فتاويه - على الرغم من اختصاصه به، وقبوله الإنابة عنه في القضاء - عا جعل «الجلال» يتغير، وإن احتشم مع «ابن حجر» واستضعف جانب غيره - السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٦٢٠].

«السخاوي» قد علل لذلك قائلاً: «.. فمن يفتي في الشهر بأكثر من ثلاثمائة لا يستغرب إذا أخطأ منها في ثلاثة، بل في ثلاثين»(١).

ويبدو أن الفتاوى كانت ترد إليه من مواضع شتى، متضمنة موضوعات حديثية أو فقهية، نشرية وشعرية، وأن ردوده عليها كانت مناسبة لذات مادتها(۲). كما كان يسرى منه العجب في معرفة مقاصد السائلين من عباراتهم المعجرفة وحروفهم المقلمة (۲). فإن عمي عليه المسراد، كتب تحت السؤال أو بجانبه: «يكتبها طالب علم»، وقد يعلم أن مذهبه وهو الشافعي ـ لا يوافق غرض السائل فيرشده لمن عنده ما ينفعه، أو يطلع على تعنت السائل، فلا يكتب قصداً لردع من هذا سبيله، لكن ترك الكتابة مع ذلك في النادر(٤).

وما من شك في أن تقلده لوظيفة الإفتاء قد جعله يتصل إتصالاً مباشراً بالكثير من أحداث عصره ويشارك في بعضها، فضلاً عن إحتكاكه _ عن قرب ببعض السلاطين وغيرهم من أرباب الدولة، ناهيك عن سائر طبقات مجتمعه مما انعكس على الكثيرمن كتاباته، خاصة التاريخي منها.

رابعاً ـ القضاء:

عرض على «ابن حجر» النيابة في القضاء ـ قبل القرن ـ فامتنع من القبول، لأنه ـ حينتذ ـ كان لا يؤثر على الإشتغال بعلم الحديث شيئاً (°). كما كان له في فعله هذا سلف.

خطىء وقع عند كاتبها ذهول عن تقييد ما يوهم الإطلاق فيه فشنع علي في ذلك، وبالغ مع أنه عند التأمل لا يخفي المراد، فلما بلغني ذلك حداني على تدوين ما يقع في من الأسئلة في شهر واحد ليعذر من يقف عليها فيراها وصوابها أكبر من خطئها، فإن الإنسان طبع على النسيان، والسعيد من غلب صوابه على خطئه».

⁽١) السخاوي. الجواهر والدررق ١٦١ أ.

⁽٢) نفســه ق ٢٣٢ أ وما بعدُها ـ الباب السادس في سياق شيء من بليغ كلامه نظماً ونثراً .

⁽٣) نفسه ق ٢٣٢ أ وما بعدها.

⁽٤) نفسه ق ١٦٢ أ.

⁽٥) حيث أشار «السخاوي» إلى أن القاضي «صدر الـدين محمد بن الشـريف إبراهيم بن إسحـاق بن =

بيد أن موقفه من القضاء بدأ يتغير حثيثاً نتيجة لإسناد بعض المهام المتعلقة بالقضاء إليه، وهي:

أ ـ إسناد المؤيد شيخ إليه الحكم في قضية خاصة، وهي الفصل بين «الهروي» ـ قاضي القضاة الشافعية آنذاك ـ وبين خصومه من الخليليين والمقادسة، وذلك سنة اثنتين وعشرين وثمانمائة (١).

ب - قبوله النيابة في القضاء عن القاضي «جلال الدين البلقيني» (ت ١٤٢١ هـ. / ١٤٢١ م.) وكان بينهما من الود ما اشتهر - بعد الحاج وتكرينر

إبراهيم المناوي» (ت ٨٠٣هـ. /١٤٠١م.) - له ترجمة في: ابن قاضي شهبة. طبقات الشافعية ق ١٩٢ ب - ١٩٣ أ، وابن حجر. إنباء الغمرج ٢ ص ١٨١ - ١٨٢، والمجمع المؤسس ق ١٦٦ ب - ١٦٧ أ، السخاوي. الضوء اللامع ج ٦ ص ٢٤٩ - ٢٥٠، الذيل على رفع الإصر ص ٢٥٦ - ٢٥٧، ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب ج ٧ ص ٣٤ قد عوض على «ابن حجر» النيابة عنه في القضاء - قبل القرن - فامتنع - الجواهر والدرر ق ١٦٢، الذيل على رفع الإصر ص ١٨، الضوء اللامع ج ٣، ص ٣٨، عبدالله بن زين. جمان الدرر ق ٧٠ ب - كما كان هناك من يشعر بأن «ابن حجر» كان قد عرض عليه النيابة في القضاء في كل من الأيام المؤيدية والظاهرية ططر - السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٦٢ ب، الذيل على رفع الإصر ص ١٨٠.

كما يشير «ابن حجر» إلى أن «المؤيد شيخ» كان قد عرض عليه منصب القضاء مراراً فامتنع وأصر على الإمتناع، فأراده على ذلك ورغبه فيه حتى صرح بأن للقاضي بدمشق في الشهر عشرة آلاف درهم فضة معاليم قضاء وأنظار إذا كان رجلاً جيداً، فإن كان غير ذلك كان ضعف ذلك فأصر على الإمتناع وبالغ في الاستعفاء _ إنباء الغمر ج ٣ ص ٩٥ _ ٩٦ _ وأن الناصر بن الأشرف ملك اليمن كان قد ترك قضاءها شاغراً بعد وفاة المجد الفيروزبادي _ مدة سنتين _ ينتظر قدومه عليه ليوليه إياه فلم يجبه إلى ذلك _ إنباء الغمر ج ٣ ص ١٧٨، السخاوي. الجواهر والدرر ق عليه ليوليه إياه فلم يجبه إلى ذلك _ إنباء الغمر ج ٣ ص ١٧٨، السخاوي. الجواهر والدرر ق عليه المادية المادية

(۱) السخاوي. الجواهر والدرر ق ۱۵۲ ب، ۱۷۵ أ، الذيل على رفع الإصر ص ۸۰ ويشير «ابن حجر» إلى ذلك قائلاً: «... فلما كان في الثامن من شهر ربيع الأول قدم طائفة من الخليل والقدس صحبة الناظر عليهم... فشكوا منه أنه أخذ منهم مالاً عظيماً في أيام نظره، فابتليت بالحكم بينهم بأمر السلطان، فتوجه الحكم على الهروي فخرج في الترسيم...» _ إنباء الغمر جس ١٩٠.

سؤال من القاضي له في ذلك(١). وإن لم يباشر من الأحكام إلا اليسير مما لا يستغني فيه عنه(٢).

جــ إجابته التماس القاضي «ولي الدين ابن العراقي» (ت ٨٢٦ هـ. / ٢٤٢٣ م.) في النيابة عنه، وكان قد استقر في القضاء بعد وفاة ابن البلقيني ـ دفعاً منه لتوهم مزية للقاضي «جلال الدين» عليه (٣).

د على أن سؤال القاضي «علم الدين صالح بن البلقيني» (ت ٨٦٨ هـ. / ١٤٦٤ م.) له في تنفيذ مكتوب الخشابية، وإجابة «ابن حجر» له كان سبباً مباشراً في ولوج «ابن حجر» إلى القضاء، وقد تغير موقفه كلية منه، لأنه وجد في هذا الموقف من الإستفزاز ما دفعه إلى التلبس بالقضاء على إعتبار أنه كان قد أستشير في ولاية «العلم» للقضاء فامتدحه، كها كان «العلم» ممن قرأ عليه في محاسن الإصطلاح ناهيك عن كونه ابناً لشيخه «السراج البلقيني»، وأخا لعزيز عليه هو «الجلال البلقيني» وهو ما دفع «بابن حجر» إلى تنفيذ ما أسند إليه ظناً منه أن في إسناد تنفيذه إليه تشريفاً من القاضي له «لعلو منزلته» وأن ليس في هذا كبير أمر ـ فلم يتوهم أنه يترفع عليه بذلك، فها كان إلا اليسير حتى رأى منه ما لم يألفه منه قبل (٤). وكان هذا سبباً للإجابة حين عُرِضَ عليه قضاء الديار ما لم يألفه منه قبل (٤). وكان هذا سبباً للإجابة حين عُرِضَ عليه قضاء الديار المصرية فاستمر فيه ـ بتفويض من الملك «الأشرف برسباي» ـ يوم السبت ثاني عشر المحرم سنة سبع وعشرين وثمانائة ـ بعد إنفصال «العلم» المذكور (٥).

⁽۱) السخاوي. الجواهر والدرر ق ۱٦٢ ب، الذيل على رفع الإصر ص ٨٠، الضوء اللامع ج ٢، ص ٣٨. عبدالله بن زين. جمان الدرر ص ٧٠ ب.

⁽٢) السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٦٢ ب.

⁽٣) نفسه.

⁽٤) ابن حجر. رفع الإصرج ٢ ص ٢٥٨، السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٦٢ ب.

^(°) ابن خطيب الناصرية. الدر المنتخب ق ١٠٨ ب، ابن حجر. إنباء الغمرج ٣، ص ٣٣٤، رفع الإصرج ١، ص ٣٨، ٢/٢٥٨، ابن فهـد المكي. لحظ الألحاظ ص ٣٣٠، ابن تغـري بردي. حوادث الدهورج ١ ص ١٤٧ (مختارات بوبر)، المنهل الصافيج ١، ق ٢١ب، البقاعي. عنوان الزمان ج ١ ق ٤٦، السخاوي. الجواهر والدررق ١٦٢ ب، الذيل على رفع الإصر ص ٨٠، الضوء اللامع =

وظل يُصْرف ويُعَاد إليه (١) إلى أن عزل نفسه في الخاس والعشرين من جمادي الآخرة سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة (٢) فاستمر منفصلاً عنه، مخلصاً في عدم العود إليه ـ من كثرة ما تواني عليه من الإنكار والمحن بسببه (٣) ـ حتى مات (٤) فكانت مدة ولايته في المرار كلها تزيد على إحدى وعشرين سنة بأشهر (٥).

وعلى الرغم من أنه كانت لديه دراية بالأحكام، وخبرة بالمصطلح (٢) ومباشرة مع الديانة والتحري في الأحكام الشرعية (٢) ونزاهة وتواضع زائد، واستجلاب لخاطر الصغير قبل الكبير، وتصميم على الأمور، وإحسان للفقراء والطلبة، فإن ذلك كله كان بنكد وعناد وتعب وكثرة معاد وقلة منصف (٨) مما والطلبة، فإن ذلك كله كان بنكد وعناد وتعب وكثرة معاد وقلة منصف (٨) مما جعل «ابن حجر» يندم على قبوله وظيفة القضاء، لكون أرباب الدولة لا يفرقون بين أولي الفضل وغيرهم ويبالغون في اللوم حيث ردت اشاراتهم، وإن لم تكن على وفق الحق، بل يعادون على ذلك، واحتياج القاضي بسببه إلى مداراة الكبير والصغير بحيث لا يمكنه مع ذلك القيام بكل ما يرومه على وجه العدل، مما جعله يصرح بأنه جني على نفسه بتقلده أمرهم (٩) وأنه ما بقيت شعرة في بدنه تقبل اسم القضاء (١٠).

⁼ ج ٢، ص ٣٨، السيوطي. نظم العقيان ص ٤٦، ابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب ج ٧ ص ٢٧٠.

⁽١) السخاوي. الضوء اللامع ج ٢ ص ٣٨، ابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب ج ٧ ص ٢٧٠.

⁽٢) ابن تغري بردي. المنهل الصافي ج ١ ق ٦٢ أ، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٣٨٣. السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٦٦ أ، الضوء اللامع ج ٢ ص ٣٨.

⁽٣) السخاوي. الذيل على رفع الإصر ص ٨٤ ــ ٨٥.

⁽٤) السخاوي . الجواهر والدرر ق ١٦٦ أ، الضوء اللامع ج ٢ ص ٣٨.

⁽٥) السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٦٧ أ.

⁽٦) نفسه .

⁽٧) ابن خطيب الناصرية. الدر المنتخب ق ١٠٨ ب.

⁽٨) السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٦٢ أ.

⁽٩) نفسه ق ١٦٣ أ، الذيل على رفع الإصر ص ٨٠ ـ ٨١، الضوء الـلامع ج ٢، ص ٣٨، عبدالله ابن زين. جمان الدرر ق ٧٠ ب.

⁽١٠) السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٦٦ أ، الضوء اللامع ج ٢ ص ٣٨.

وهنا تجدر الإشارة إلى أمور متعلقة بتلبس «ابن حجر» بالقضاء، وهي:

أولاً _ أن «ابن حجر» وقد حقق الغاية من توليه القضاء _ وهي رد ما انتقص من كرامته بالإنابة عن «العلم البلقيني» في بعض المهام لم يكن حريصاً على الإستمرار فيه، ولذا صرح في غير موضع بأن القضاء والقدر هو الذي أوقعه في القضاء (۱) وبأنه ما سر بالولاية، ولكن ساءه العزل(۲) وبأن المحرك له على البقاء فيه هو ولده، بل كثيراً ما كان الولد يسعى في ذلك ويتكلف من غير علم الوالد إلى أن يجاب(۳). وهذا ينفي إدعاء «ابن فهد المكي» تكالب «ابن حجر» على المنصب وبذله فيه . (٤).

وينافي ذلك ما عرف من تصرفات «ابن حجر» إزاء المنصب، مما سجل في غيره من المصادر، حيث يشير «السخاوي» إلى أن دوادار السلطان قد تكلم مع «ابن حجر» بعد صرفه عن القضاء في وزن مال ليعود، فامتنع من ذلك منشداً:

الدوايدار قال لي أنا أقضي مأربك قم زن المال قات: لا حفظ الله جانبك (من الخفيف)

ويعلق «السخاوي» على ذلك قائلًا: «. . .على أن شيخنا لم يكن يتوقف عن البذل، بحيث أنه كان يكلفه في أيام الظاهر ـ فقط ـ ثلاثة عشر ألف دينار، من خالص ماله من ذلك ستة، وباقية كان من فائض الأوقاف ويشهد عليه بوصوله إليه، وأن يصرفه في مصارفه.

كما أن «ابن حجر» كان قد كتب مما يتعلق بدلك قوله: «... نبدل في القضاء المال لأجل عزل زيد، فيبقي أن يؤجر لا أن يؤزر، والأعمال بالنيات» ـ السخاوي. الجواهر والدر، ق ١٦٣ ب.

ويضاف إلى ذلك أنه روسل بـالإجتماع بـالسلطان بعد عـزله في خـامس عشر ذي القعدة سنـة =

⁽١) المصدر السابق ص ١٦٣ أ، ج ٢ ص ٣٨ على التوالي.

⁽٢) السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٦٦ ب.

⁽٣) نفسه ق ١٦٦ أ.

⁽٤) حيث يشير إلى ذلك قائلًا: إد... وكان يتخلله في غضون ذلك من الملك قلة رضى ويشاع صرفه، فيهدي إليه ما يليق به من المال فيرده في المنصب، فلو تنزه عنه ولـزم الاشتغال بـالعلم ليلًا ونهاراً وحج إلى بيت الله وزار قبر نبيه على وجاور بالحرمين الشريفين لأزداد بذلك رفعة ووجاهة عند الله _ تعالى _ والمسلمين، لكنه عجن قلبه بمحبة ذلك وفتن فيه بولـده، فأوقعـه في المهالـك..» _ لحظ الألحاظ ص ٣٣٠ _ ٣٣٠.

ثانياً - أن «ابن حجر» لم يحرص على المنصب حرصه على صون كرامته وعدم إهدارها، ولذا فإنه لم يلتفت لتهديد جاهل(١) بل لقد كان في تصرفاته مع أرباب الدولة ما يشير إلى تصلبه في الحق واجلاله لذاته، ويكفي الإشارة في هذا الصدد إلى أمور منها:

* مبادرته بعزل نفسه للتكلم في نزاهة القضاء بحضرة السلطان(٢).

* إزعاجه للسلطان _ بعد إخراج مشيخة البيبرسية عنه _ ونهره لكاتب السرودوادار السلطان لتكلمه معه بالتركية، تعمية «لابن حجر» عن مرادهم (٣).

ست وأربعين وثمانمائة، وكان قد صمم على عدم القبول من أول يوم فاجتمع به القاضي المالكي وبلغه عن جماعة ما يقتضي التخويف والتهديد إذا استمر على الإعراض بما يخشى منه على المال والولد والعرض فقبل على ذلك _ ابن حجر. إنباء الغمرج ٩ ص ١٨٨ ـ ١٨٩، السخاوي الجواهر والدررق ١٦٤ ب، الذيل على رفع الإصر ص ٨٣.

كما أنه عزل نفسه من القضاء عندما حضر من القاضي المالكي بحضرة السلطان كسلام لا يليق به، واشتد في ترفعه وامتناعه من العبود إلى المنصب مما أوجد السلطان عليه. والبقاعي. عنوان الزمان ج ١ ق ٤٦.

- (١) حيث يشير «السخاوي» إلى أن السلطان قرر بعض الأمراء في شيء من الأنظار التي استرجعها «ابن حجر» وجاءه الرسول عن السلطان بأنه إن لم يجب لـذلك وإلا. . وسكت الرسول، فبادر «ابن حجر» بعزل نفسه قائلاً: «عثر الحمار بشهوة المكاري» الجواهر والدرر ق ١٦٤ ب، الذيل على رفع الأصر ص ٨٣.
- (٢) حيث يشير «ابن حجر» إلى أنه في التاسع من ربيع الآخر سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة قرىء تقليد السلطان «الظاهر جقمق» بالقصر وجرى كلام يتعلق بالقضاء، فقال الشافعي: عزلت نفسي، فقال له السلطان: أعدتك. فقبل، وخلع عليه وعلى رفقته ورسم بإعادة الأوقاف التي خرجت عن الشافعي.. فاعيدت بتوقيع جديد، وفي يوم الاثنين سلخه حضر لتهنشة السلطان بالشهر الجديد فسأل السلطان أن يشهد على نفسه بما فوض له من الولاية والأنظار وغيرها فأشهد على نفسه بذلك بحضرة القضاء إنباء الغمرج ٩ ص ٤٢، ٤٦. وأكد عليه في أن لا يقبل رسالة مشجوة ولا يؤجر وقفاً لذي جاه لسؤاله له في التأكيد عليه بذلك لينتفع به في الموصول إلى غرض الحق ـ السخاوى . الحواهر والدررق ١٦٤، الذيل على رفع الإصر ص ٨٢.
- (٣) حيث يشير «السخاوي» إلى أن «ابن حجر» كان قـد اتفق طلوعه إلى السلطان في بعض القضايا فأظهر ما عنده من التأثر وشافه الظاهر بقوله: أعطيت وظيفتي من لا يدري إسلام، وكذا نهر ابن =

* عتابه العنيف للسلطان إلى الحد الذي أخجله منه فاندفع يعيده إلى وظيفته في اليوم التالي(١).

* رسالته الجريئة إلى السلطان، وقسد هضم حقه وأخسد في مقاهـرته (٢). بل، والسعي في عزل السلطان دفعاً للظلم والجور (٣).

= البارزي ودولت بأي لكونه تكلم مع السلطان ـ حينتذ ـ بالتركي، وانزعج السلطان من ذلك كله حتى صارت ركبته تهتز.

ويعلق على ذلك بقوله: ١٠٠٠ وأظنه كان سبباً لعزله من وظيفة القضاء عن قرب. . . بل ما كفه عنه إلا الله _ عز وجل _ وما صدر كل هذا من شيخنا إلا وقد بلغت الروح الترقوة » _ الجواهر والدرر ق ١٥٨ أ.

- (۱) يشير «السخاوي» إلى أنه ـ بعد عزل «ابن حجر» عن القضاء «بالعلم البلقيني» ـ راسله السلطان في الطلوع إليه للسلام عليه ومحادثته جرياً على عادة «ابن البلقيني» في أيام بطالته، فلم يسع «ابن حجر» إلا الإمتثال على طريق الإعتدال، فلم اجتمعا أخذ السلطان في التشوق إليه بعد مزيد من الإقبال عليه، لكن «ابن حجر» اشتد عليه بما انشده من شعر في موضع العتب، مما جعل السلطان يطرق رأسه خجلاً، فبادر «ابن حجر» عند ذلك فقراً الفاتحة ودعا وانصرف، فلما ولي راسله السلطان بالطلوع من غده ليعيده إلى وظيفته، وقد كان ـ السخاوي. الجواهر والدرر ق ع ١٦٤ أ.
- (٢) وكان ذلك بعد سقوط منارة الفخرية القديمة، وتغيظ السلطان عليه ظناً منه أن الناظرعلى المدرسة ينوب عنه، وقد انكشف الغطاء بأنه ليس في ذلك ولاية ولا نيابة، ولا عرف بشيء من ذلك منذ ولي وإلى تاريخه. لكن انتهز الأعداء الفرصة وأوصلوا إلى السلطان ما أوغر صدره عليه فغضب زيادة على الغضب الأول وراسله بأن ينعزل عن الحكم، ويغرم دية الموتى. ابن حجر. إنباء الغمرج ٩، ص ٢٣٢ ٣٣٣، السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٦٥ أ، الذيل على رفع الإصر ص ٨٣٠ ٨٤ ولهذا راسله «ابن حجر» مع «العلاء بن أقبرس» بقوله: «القاضي جلال الدين البلقيني قتيل ططر، والقاضي ولي الدين ابن العراقي قتيل الأشرف برسباي، وأنا قتيلك، وأرجو أن الله تعالى يقضي للمظلوم من الظالم»، أو معنى هذا، وإن لم تصله الرسالة لإشارة والعلاء» بذلك إلى الخليفة، واستشارته في تبليغها، ومنعه إياه من ذلك خشية على «ابن حجر» السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٦٤ ب.
- (٣) حيث يشير «ابن حجر» إلى ذلك قائلاً: «. . . ثم إن بعضهم أغرى السلطان بأن قال له: إن فلاناً يتبجح بكذا، وينسب السلطان إلى الظلم والجور ونحو ذلك ـ إنباء الغمرج ٩ ص ٢٣٣ .

ثالثاً - أن تلبسه بالقضاء جعله يتصل بسائر طبقات مجتمعه ابتداء بالسلاطين ومروراً برجالات الدولة والعلماء، وانتهاء بالعامة من الناس، وهذا وإن كان قد أعطاه رؤية صادقة لحال مجتمعه بدت في كتاباته - خاصة التاريخي منها - فإنه - لا شك - قد أكسبه عداء الكثيرين له سواء بتصرفاته المتصلبة في الحق التي لا تخشى في الله لومة لائم، أم بكتاباته عنهم - خاصة فيها يكتبه متعلقاً باستقراراتهم الوظيفية، وجرحهم وتعديلهم - ناهيك عن العداء المتولد من تغايرهم على المنصب الواحد(١).

رابعاً ـ أن تلبسه بالقضاء أفسح له المجال لاظهار قومات في الله ـ تعالى ـ ما كان لها أن تنطلق لإفادة مجتمعه وقد ظهر من خلالها «ابن حجر» مصلحاً إجتماعياً، وحلقة وصل بين الحكام والمحكومين لولا شغله لهذا المنصب ومعاناته فيه . .

من ذلك:

* ما تعلق بمجلس أخذ الزكاة من التجار (٢).

* تكلمه مع السلطان بشأن قناديل رمضان (٣).

كيا يشير السخاوي إلى أن «ابن حجر» قد التمس من رفيقه القاضي الجنفي «سعد الدين ابن الديري» أن ينفذ ما يصدر منه بخلع السلطان فنم القاضي عنه بصفاء الخاطر، لا قصداً للأذية، مما أوغر السلطان علي «ابن حجر» _ الجواهر والدرر ق ١٦٥ أ.

⁽١) بالإضافة إلى ما مر يمكن الوقوف على مـوقفه من كــل من «العلم البلقيني» و «الشمس الهروي» في كتابته عنهما في إنباء الغمر والمجمع المؤسس مقارناً بكتابات سواه.

⁽٢) عقد هذا المجلس في السنة الأولى من ولايته، فقام مع التجار قصداً لعدم تطرق الظلم عليهم وأيدهم، فتبعه المالكي والحنفي وانفرجت عنهم وعن غيرهم ـ ابن حجر. إنباء الغمرج ٣ ص ٣٢٧، السخاوى الجواهر والدررق ١٦٧ أ.

⁽٣) كان تكلمه مسع السلطان في أن لا تطفأ القناديـل في رمضان إلا قبـل طلوع الفجر لما يحصل من الإجحاف بالناس ممن ينام ثم يستيقظ وهو عطشان حيث يمنع من الشرب ظناً منه أن ذلك حرام. - ابن حجر. إنباء الغمرج ٣ ص ٣٨٣، السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٦٧ ب.

- * ما تعلق بشأن إبطال إدارة المحمل(١).
 - * إصلاح اضطراب قيمة النقد(٢).
 - * حماية الأوقاف(٣).
- * بالإضافة إلى بعض الأحكام والتصرفات الصادرة عنه بخصوص كائنة
- (۱) يشير «ابن حجر» إلى ذلك قائلاً: «... التمس الشيخ علاء الدين. . . البخاري من السلطان أن يبطل إدارة المحمل حسياً لمادة الفساد الذي جرت العادة بوقوعه في الليل والنهار من ارتكاب المنكرات والتجاهر بالمعاصي، فأمر السلطان بجمع القضاة وكاتب السر وأن يتوجهوا إلى الشيخ علاء الدين فيتكلموا معه في هذه المسألة، فوقع الكلام فقلت: ينبغي أن ينظر في السبب في هذه الإدارة فيعمل بما فيه المصلحة منها، ويزال ما فيه المفسدة، وذلك أن الأصل فيه إعلام أهل الأفاق أن الطريق من مصر إلى الحجاز آمنة، وأن من شاء أن يحج فلا يتأخر لخشية خوف الطريق. . .

فالإدارة لعلها لا بأس بها لهذا المعنى، وما يترتب عليها من المفاسد يمكن إزالته بأن يبطل الأمر بزينة الحوانيت، فإنها السبب في جلوس الناس فيها، وكثرة ما يوقد فيها من الشموع والقناديل، ويجتمع فيها من أهل الفساد، فإذا ترك هذا وأمر السلطان من تعاطي إدارة المحمل من غير تقدم إعلام الناس بذلك حصل الجمع بين المصلحتين وانفصل المجلس على ذلك» - ابن حجر، إنساء الغمرج ٣ ص ٢٠١ . ٢٠٣٠، السخاوي . الجواهر والدرر ق ١٦٨ أ.

- (٢) يشير «ابن حجر» إلى ذلك قائلًا: «... وفي هذا الشهر ـ ربيع الآخر سنة اثنتين وثلاثين وثمانمائة ـ نبودي على الفلوس أن يباع الرطل المنتقي منها بثمانية عشر درهما، ففرح من كان عنده منها حاصل، وحزن من عليه منها دين لما يقاسونه من نواب الحكم في إلىزامهم إعطاء ذلك بالوزن الأول. وفيه بخس كثير، وبينت أن ذلك لا يلزم على الإطلاق، بل لا بد فيه من شروط. واقتفى الحال كتابة مراسيم للشهود أن لا يكتبوا وثيقة في معاملة ولا صداق ولا غيره إلا باحد النقدين: اللهب والفضة بسبب شدة اختلال أحوال الناس واختلاف الفلوس التي صارت هي النقد عندهم في عرفهم . . . فحسمت هذه المادة من هذا التاريخ على يد من وفقه الله لذلك وهو كاتبه ـ أي ابن حجر ـ وتمادي الاختلاف بسبب ما كان كتب أولًا، فلم يزل يضمحل بحمد الله تعالى ـ إنباء الغمر ج ٣ ص ٢٩٤.
- (٣) يراجع إلى جانب ما مر موقفه من تجديد الجوانب التي فيها السيوفيين والصيارفة بظاهر الصاغة وعلوها ـ السخاوي . الجواهر والدرر ق ١٦٨ ب ـ وقيامه بتبييض الجوانيت المجاورة للكاملية ـ وكانت تحت نظره في جملة أوقاف البيبرسية ـ وكانت قبل مع كونها محكمة البناء ـ شعثة، مما جعل بعض الأعيان يحسن للأشرف برسباي أخذها، فلما صارت تضيء بذلك كفو عنها ـ نفسه.

«الميموني»(١) والكشف عن دور العبادة الخاصة بالذميين(٢).

خامساً - أن «ابن حجر» قد تحرى - قدر المستطاع - الدقة في إختيار الوكلاء والنواب والأمناء عنه في القضاء، والذين راعى فيهم أن يكونوا من علية أصحابه - وقد حصل جلهم بعد على المناصب الرفيعة في الدولة - وكان كثيراً ما يرسل إليهم مراسيمه بالتحذير والإنذار والتخويف من غضب الله، وأنه لا يأخذ في أجرة اليمين ولا الدرهم الواحد وفي الثبوت والعقود لا يتعدى إلى القدر الزائد، ويؤكد في ذلك كله غاية التأكيد، ويتفقد أحوالهم.. لكنه مع ذلك لم يكن راضياً عنهم بحيث أنه كان يقول بآخرة: «ليس في نوابي من يفتح عليه العين» كما أنهم كانوا يكلفونه مرة للتغبين عليهم، ومرة للدعاء لهم (٣).

⁽١) هو الشيخ «شمس الدين بن الشيخ سراج الدين بن عمر الميموني» وكان القاضي التفهيني قد غضب منه فادعى عليه بالزندقة وحكم بسفك دمه وقال للحنفي: نفذ لي. فقال: حتى ينفذ الشافعي، فامتنع ابن حجر من التنفيذ عندما سأله السلطان ذلك، قائلاً: «وقعت عندي ريبة تمنع من تنفيذ الحكم، فإني أعرف هذا الرجل وقد ذكر لي أن في عقله خللاً والقاضي سارع فيه بالحكم في حالة غضب». وطال البحث في ذلك وآل الأمر إلى أن انفك من القتل على يد «ابن حجر» قصداً للحق ـ ابن حجر. إنباء الغمرج ٣ ص ٣٤٩، السخاوي. الجواهر والدرر ق

⁽٢) كانت مواقفه بهذا الصدد متعددة ومعتدلة، ومنها قوله بشأن ما أحدث من تجديد بناء بعض الأديرة: «... فلما تأملت المحضرين وشاهدت الأمكنة المجددة أغنت المشاهدة عن الخبر، وظهر الحق... لكن رأيت الغوغاء قد اجتمعوا ومعهم المساحي والمعاول، فلو أذنت بهدم شيء ما لهدمت الكنيسة كلها، ونهب ما فيها، وكان ذلك وقت العصر، فقلت لهم: لا بد من كشف كنيسة النصارى حتى ينظر ماأحدثوا - أيضاً - ويهدم الجميع. فأعجبهم ذلك، وافترقوا على العود في أول النهار، ثم استوفى الشافعي - أي ابن حجر - والحنبلي الشروط في المسألة، وحكم بهدم ما أحدث... واتصل ذلك بالسلطان، وكبت عند الإفتراق: أصرت الوالي أن ينزيل ما أحدثوه من الأبنية الجديدة كلها بالليل. ففعل ذلك وانحسمت المادة بعون الله تعالى» - ابن حجر. إنباء الغمرج ٣ ص ٣٩٨ - ٣٩٩ .

⁽٣) السخاوي: الجواهر والدرر ق ١٧٢ ب ١٧٣٠ ب.

خامساً ـ الخطابة والإمامة والوعظ:

تولي «ابن حجر» وظيفة الخطابة بالجامع الأزهر(١) برغبة «ابن رزين»(٢) له عنها سنة تسع عشرة وثماغائة ـ ربما بمشاركة غيره له في ريعها(٣) ـ ثم الخطابة بجامع عمرو بن العاص(٤) ـ وفي آخر يوم من رمضان سنة ثمان وثلاثين وثماغائة، بعد أن قايض الشيخ «شمس الدين محمد بن يحيى» بما كان معه من خطابة الجامع الأزهر، بما معه من نصف خطابة جامع عمرو ـ (٥) ثم استعمل الوظيفة ـ بعد ذلك ـ باستنزال «البدر ابن البرماوي» عن نصفها الأخر(٢). وقد ينوب عنه في الخطابة به أيام تلبسه بالقضاء وغيره موقعه «ناصر الدين ابن المهندس المصري»(٧).

وكان طبيعياً أن يخطب بالسلطان بجامع القلعة أيام تلبسه بالقضاء على جاري عادة قضاة الشافعية _ آنذاك _ وربحا أناب عنه في ذلك غيره (^). وأن

⁽۱) هو أول مسجد أسس بالقاهرة، أنشأه القائد «جوهر الصقلي» مولى الخليفة الفاطمي «المعز لدين الله» لما اختط القاهرة، وكإن ابتداء البناء فيه يوم السبت لست بقين من جمادي الأولى سنة تسع وخمسين وثلاثمائة وكمل بناؤه لتسع خلون من شهر رمضان سنة إحدى وستين وثلاثمائة المقريزي. الخطط ج ٢ ص ٢٧٧ ـ ٢٧٧.

⁽٢) هـو «التاج محمد بن علاء الدين محمد بن محمد بن محمد بن عبد المحسن بن عبد اللطيف بن قاضي القضاة تقي الدين محمد بن العامري الحموي» (ت ٨١٩ هـ. /١٤١٧ م.) - السخاوي . الضوء اللامع ج ٩ ص ٢٣٥ تر ٥٨٠ .

⁽٣) السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٥٨ أ، الضوء اللامع ص ٢٣٥/ ٩.

⁽٤) ويعرف بالجامع العتيق، وهو أول مسجد أسس بالدّيار المصريـة بعد الفتـــــ ـــ المقريــــزي. الخطط ج ٢ ص ٢٤٦ ــ ٢٥٦.

⁽٥) آبن حجر. إنباء الغمرج ٣ ص ٥٥١، السخاوي. الجواهر والدررق ١٥٩ أ.

⁽٦) السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٥٩ أ.

⁽٧) هـو «محمّد بن أحمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عمر بن عثمان بن أبي بكر، الشمس التميمي المصري» (ت ٥٥٨ هـ, /١٤٥١ م.) ـ السخاوي. الضوء اللامع ج ٧ ص ٧١ ـ ٧٢ تر ١٣٣، الجواهر والدرر ق ١٥٨ ب، ١٥٩ أ.

⁽٨) المصدر السابق، حيث ذكر من نوابه _ كذلك _ «أبو العباس الزركشي» و «الصدر ابن روق»، و «الصلاح السيوطي». .

يخطب به _ كذلك _ عندما صحبه في سفرة آمد(١).

كما كان إليه وظيفة الوعظ بجامع الظاهر بالحسينية (٢)، تلقاها عن الشيخ «نور الدين الرشيدي» بحكم وفاته (٣) فكان يستخلف فيها غيره (٤).

ولقد كان لمنصب الخطابة خطره ووقعه في النفوس، لاتصاله المباشر بسائر طبقات مجتمعه، لأنه لم يكن منصباً دينياً بحتاً، وإنما كان له إلى جانب ذلك أبعاد حيزها دائرة مجتمعه بأكملها. ولذا نجدنا مع «ابن حجر» وقد نهج به نهجاً إجتماعياً صرفاً:

* فهو يتمثل ـ من خلاله ـ ما يصدر من أوامر يرى فيها اعزازاً لدينه وإن رفضها غيره(٥).

* وينبه على مكانة العلماء وينزلهم منازلهم، وتكثر بسببه الصلاة على الغائبين من العلماء والصالحين المتوفين (٦).

* ويشتد إنكاره وهـ و على المنبر على من يـدخل من العـ وام فيجلس فإذا

⁽١) راجع الفصل الثالث من هذا الباب.

⁽٢) كان يقع خارج القاهرة، اهتم السلطان الملك «الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري» بعمارته في ربيع الأخر سنة خمس وستين وستمائة ـ المقريزي ج ٢ الخطط ٢٩٩ ـ ٣٠٣.

⁽٣) السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٥٢ ب.

⁽٤) ومن نوابه فيه: «الشهاب الطنبدي»، و «ابن الضياء الحنبلي» و «البرهان البقاعي» ـ نفسه.

⁽٥) من ذلك ما أورده «ابن حجر» في إنباءالغمر قائلًا: «... وفي هذا الشهر ـ أي رجب سنة تسع عشرة وثمانمائة ـ أمر السلطان الخطباء إذا وصلوا إلى الدعاء في الخطبة أن يهبطوا درجة أدباً ليكون اسم الله ورسوله في مكان أعلى من المكان الذي فيه السلطان، فصنع ذلك كاتبه ـ أي ابن حجر في الجامع الأزهر... وبلغ ذلك القاضي جلال الدين (البلقيني) في أعجبه كونه لم يبدأ بمذلك، في الجامع القلعة، فأرسل السلطان يسأله عن ذلك، فقال: لم يثبت ذلك في السنة. فسكت عنه وترك فعل ذلك بعد ذلك، وكان مقصد السلطان في ذلك جميلًا» ـ إنباء الغمر حسر ٣٠، ص ٩٢ ـ ٩٣، السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٥٨ ب.

⁽٦) ابن حجر. إنباء الغمرج ٣، ص ٢٦٤، السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٥٨ ب.

تمت الخطبة الأولى قيام فصلى، وينكر ما تفعله الجهال من كتابة أوراق في آخر جمعة من رمضان، ويبالغ في ذلك(١).

* ويعمل على إبطال ما تعود من شرب المشروب بجامع القلعة (٢).

* وينبه بين يدي السلطان والأمراء ورجالات الدولة على أن من لغام من اللغو لل جمعة له (٣). ويفصل بين حديث من رواية البخاري، وعبارة تسبقه لتوهم السلطان أنها من نفس الحديث (٤).

* ويصلى بالناس صلاة خسوف أو كسوف فينجلي الأمر، ولله الحمد (م.

* ويذيع على الناس في خطبة الجمعة ما يصله من أخبار سياسية (٢).

ومع كل هذا كان لخطبه صدع في القلوب، ويزداد وهو على المنبر من المهابة والنور والخفر بما لا مزيد عليه(٧).

⁽١) السخاوي. الجواهر والدررق ١٥٩ أ، عبدالله بن زين. جمان الدررق ٧٠ أ.

⁽٢) السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٥٩ أ، ولم يفصح عن كيفيته، ولعله «الشراب التمربغاوي» الوارد لدى ابن حجر في الإنباء - ج ١٠ ص ٤٨٧ ـ على الكيفية الآتية: «... وفيه بدأ الظاهر بشرب الشراب التمربغاوي وصفته أن يعمل لكل رطل زبيب أربعون رطل ماء ويدفن في زبل - الخيل إلى أن يشتد..».

⁽٣) السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٥٩ أ.

⁽٤) نفسه ,

⁽٥) نفسه ق ۱۵۸ ب.

⁽٦) من ذلك قراءة « ابن حجر» _ على الناس من فوق منبر الجامع الأزهر سنة خمس عشرة وثمانمائية _ كتاب الخليفة _ المستعين بالله _ بعد سلطنته، وقد قتل الناصر فرج _ ابن حجر، إنباء الغمرج ٢ ص ٥٠٩ _ وقراءته كتاب السلطان الملك «المؤيد شيخ» بشرح سيرته في السفرة إلى بلاد الروم سنة عشرين وثمانمائة _ نفسه ج ٣، ص ١٤٢، السخاوي . الجواهر والدرر ق ١٥٨ ب.

⁽٧) السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٦٢ أ.

١- مشيخة البيبرسية ونظرها

ولي «ابن حجر» مشيخة البيبرسية ونظرها(١) برغبة «العلاء الحلبي» له عنها في ثالث ربيع الأول سنة ثلاث عشرة وثمانمائة، ثم سعي «الشمس» أخو «جمال الدين الاستادار» إلى أن اشترك معه في المشيخة سنة خمس عشرة وثمانمائة، ثم انتزعها منه كلها سنة ست عشرة (٢) بعد أن كتب «لابن حجر» توقيعاً بها في مستهل جمادي الأولى سنة خمس عشرة وثمانمائة من الخليفة حملًا على ما بيده من المستندات الشرعية (٣). ثم اعيدت «لابن حجر» سنة ثمان عشرة ما بيده من المستندات الشرعية (٣).

⁽۱) استتبع انتشار التصوف في مصر، وكثرة الصوفية بها في عصر سلاطين المماليك ـ إنشاء الخنقاوات (= بيوت الصوفية) وتعددها، وجرت العادة بأن يعين لكل خانقاة شيخ يشترط فيه أن يكون من جماعة الصوفية ممن عرف بصحبة المشايخ، بشرط أن لا يكون قد اتخذ من التصوف حرفة له. كما اتخذ لها ناظراً مهمته النظر في مصالح الخانقاة والإشراف على أوقافها وصيانتها والعمل على زيادة ريعها وتمييز مالها وتنفيذ شروط الواقف بخصوصها، وموراقبة أرباب وظائفها.

وقد تجمع الوظيفتان في يد شخص واحد كما هو مبين في المتن.

⁽د. سعيد عبد الفتاح عاشور. العصر المماليكي ص ٣٤١، المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك ص ١٦٨ ـ ١٧٥، د. حسن الباشا. الفنون الإسلامية والوظائف ج ٣ ص ٢٦٧، وما بعدها، ج ٣ ص ١١٧٧ وما بعدها).

⁽٢) ابن حجر. إنباء الغمرج ٢ ص ٥١٦، العيني. عقد الجمان ج ١٩ ق ١٢٤ أ السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٥٧ أ.

⁽٣) السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٥٧ أ.

وثمانمائة، حيث كتب السلطان الملك «المؤيد شيخ المحمودي» له توقيعاً بها في ثباني عشر ربيع الآخر من السبنة، ولبس بها خلعة وحضرها وصرف أخو «جمال الدين» منها، ثم عوض بعد سنتين بمشيخة سعيد السعداء بعد موت «البلالي» (١) بعناية «ططر» قبل أن يتسلطن (٢). واستمرت بيد «ابن حجر» إلى أن قرر «الظاهر ططر» فيها «الشمس القاياتي» (ت ٥٨٠ هـ ، /١٤٤٧ م .) يوم الثلاثاء العشرين من جمادي الأولى سنة تسع وأربعين وثمانمائة (٣). ثم أعيد «ابن حجر» إلى المشيخة في أوائل ربيع الثاني سنة اثنتين وخمسين لكن تدبير ولده فيها كان سبباً في عزله عنها، وإن لم يخرج النظر عليها عنه (١٠).

ويشير «السخاوي» إلى أن «ابن حجر» قد رتب أسهاء المستحقين بها على الحروف مما احتذي في ترتيب ديوان الجيش، وكثير من مستحقي المدارس ونحوهم. . وكانوا قبل في تعب زائد(٥).

٢ ـ خزن الكتب

أسند إليه مهمة خزن الكتب بالمدرسة المحمودية (٢) الكائنة بالموازنين وكانت تحتوي على أنفس الكتب الموجودة _ آنذاك _ في القاهرة، والتي كان قد جمعها «البرهان ابن جماعة» (ت ٧٩٠هـ. /١٣٨٨ م.) (٧) طوال حياته. فعمل

⁽۱) هو «محمد بن علي بن جعفر العجلوني» (ت ۸۲۰ هـ. /۱۶۱۸ م.) تـولى مشيخة سعيـد السعداء سنة تسعين وسبعمائة وما بعدها مدة ثلاثين سنة، وحتى وفاتـه ــ السخاوي. الضـوء اللامـع ج ۸ ص ۶۳. ص ۶۳۹، وحاشية إنباء الغمر ج ۳ ص ۶۳.

 ⁽٢) ابن حجر. إنباء الغمرج ٣ ص ٦٢ ـ ٦٣، العيني. عقد الجمان ج ١٩، ق ١٢٤ أ السخاوي.
 الجواهر والدررق ١٥٧ أ.

⁽٣) السخاوي. الجواهر والدررق ١٧٥ أ، الضوء اللامع ج ٨ ص ٢١٣.

⁽٤) السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٥٧ ب ـ ١٥٨ أ.

⁽٥) نفسه ق ۱۵۸ أ.

⁽٦) راجع بشأنها: السيوطي. بذل المجهود في خزانة محمود. نشرة فؤاد السيد ـ مجلة معهد إحياء المخطوطات العربية.

⁽٧) سترد ترجمته في العلاقة بين التراجم والحوادث من هذا البحث.

«ابن حجر» لها فهرستاً على الحروف في أسهاء التصانيف، وآخر على الفنون، وكان يقيم بها في الأسبوع - غالباً - يوماً واحداً. وتيسر على يديه عبود أشياء مما كان ضاع منها - قبل - كما كان كثيراً ما يفتديها بكتبه (١).

وما من شك في أنه قد انتفع كثيراً بكتبها، حيث كان يكتب في مدة الأسبوع قائمة بما يحتاجه من المراجعة ليتذكره في يوم حلوله بها (٢). كما تنعكس قيمتها المدركة لديه على ما أورده بشأنها في ترجمته «للبرهان» المذكور (٣).

٣ ـ النظر على حمام ابن الكويك

كما استمر بيده النظر على حمام ابن الكويك (٤) بتفويض من «التقي المقريزي» (ت ٨٤٥هـ. / ١٤٤٢م.) - الذي كان إليه النظر عليه قبله - حتى وفاته ويشير «السخاوى» إلى أن «العلم البلقيني» قد رام أخذه منه في بعض عزلاته متمسكاً بأنه من متعلقات القضاء، فأرسل إليه «ابن حجر» بتفويض «المقريزي» له فسكت (٥).

وظائف رشح لها ولم يقبلها:

كما رشح لبعض الوظائف التي لم يقبل تقلدها: كالتوجه عن السلطان الملك «المؤيد شيخ المحمودي» في الرسلية إلى اليمن مسنة تسمع عشرة وثمانمائة (٢) موتولي قضاء اليمن وكتابة سرها للملك الأشرف صاحبها (^).

⁽١) السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٩٥ ب.

⁽۲) نفسه .

⁽٣) ابن حجر. إنباء الغمرج ١ ص ٣٥٥ ـ ٣٥٦.

⁽٤) كانت تقع فيها بين حارةً زويلة ودرب شمس الدولة، أنشأها الوزيـر «عباس» أحـد وزراء الدولـة الفاطمية لدارة، ثم جددها أحد التجار سنة تسع وأربعين وسبعمائة فعرفت باسمـه ـ المقريـزي. الخطط ج ٢ ص ٨٣ ـ ٨٤.

⁽٥) السخاوي. الجواهر والدررق ١٥٨ أ.

⁽٦) ابن حجر. إنباء الغمرج ٣، ص ٨٨، السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٧٤ أ.

⁽٧) نفسه ج ٣ ص ٩٥ ـ ٩٦ في ١٧٤ أ، على التوالي.

⁽٨) نفسه ج ٣ ص ١٧٨ ، ق ١٧٤ أ ـ على التوالي .

حياته الإجتماعية

زوجاته:

تزوج «ابن حجر» أولى زوجاته «أنس»(۱) ابنة القاضي «كريم الدين عبد الكريم بن أحمد بن عبد العزيز بن أبي طالب بن سيدهم النستراوي الأصل المصري» _ في شعبان سنة ثمان وتسعين وسبعمائة للهجرة(۲) _ بإشارة العلامة «ابن القطان» _ وصيه(۳).

فاعتنى بها، وأسمعها الحديث المسلسل بالأولية على شيخه «النوين العراقي»، و «الشريف ابن الكويك»، وحصل لها جملة من الإجازات باستدعاءات عدد من الحفاظ والمسندين «كأبي الخير ابن الحافظ العلائي»، و «أبي هريرة ابن الحافظ اللهبي». وغيرهما من المصريين والشاميين والمكيين واليمنين. . (٤) كما استصحبها معه إلى الحج سنة خمس عشرة وثمانمائة، وأذن لها

⁽۱) ابن حجر. إنباء الغمرج ۹ ص ۲٤٠، وهي أصغر خمس بنات مات عنهن أبوهن، هن: «خدديجية» (ت ۸۵۳ هـ. / ۱٤٥٠ م.) و «آمنية» (ت ۸۲٥ هـ. / ۱٤٦١ م.) و «فياطمية» (ت ٨٤٩ هـ. / ١٤٤٦ م.) و «فرح» (ت ٨٦٣ هـ. / ١٤٥٩ م.)، وهي.

⁽٢) نفسه ج ١ ص ٥١٣، السخاوي. الجواهر والدرر ق ٣٢٦.

⁽٣) السخاوي. الجواهر والدررق ٣٢٦ أ.

⁽٤) ابن حجر. المجمع المؤسس في مواضع متفرقة، السخاوي. الجواهر والدرر. ق ٣٢٦، الضوء اللامع ج ١٢ ص ١١.

بعد ذلك في الحج سنة أربع وثلاثين وثمانمائة ـ فحجت بمفردها وجاورت ومعها سبطها وهو صغير (١).

ويشير «السخاوي» إلى أنها حدثت بحضور زوجها وبعده، وقرأ عليها الفضلاء، فكان يقرأ عليها العلامة «ابن خضر» (٢) صحيح البخاري في رجب وشعبان من كل سنة، ومن بعده سبطها، وفي يوم الختم تحتفل بأنواع الحلوى والفاكهة وغيرها، ويهرع الكبار والصغار لحضور هذا اليوم ـ وهو قبل رمضان ـ بين يدي زوجها (٣).

كما خرج لها «السخاوي» أربعين حديثاً عن أربعين شيخاً قراءة عليها بحضور زوجها بعد أن أسلف «ابن حجر» لها بالإعلام بذلك قائلًا على سبيبل المداعبة: «قد صرت شيخة»(3).

ولقد استولدها عدة بنات هن: «زين خاتون»، و «فرحة»، و «غالية» و «رابعة»، و «فاطمة»، ولم تلد ولداً ذكراً (م).

وكان كثير التبجيل والتعظيم لها، وكانت هي عظيمة الرغبة فيه.

ولم تزل بعده على جلالها وتصونها، لم يضبط لها هفوة ولازلة بل مات كل أولادها بين يديها فتصبرت واحتسبت إلى أن ماتت (٢) وكانت قبل قد أوقفت ما بقي من أملاكها وهزقها على سبطها وذريته، ووهبت وتصدقت بما بقي تحت يديها على من لديه أعواز بمن يدخلن عليها من الأهل والعجائز (٧).

السخاوي. الجواهر والدررق ٣٢٧ أ، الضوء اللامع ج ١٢ ص ١١.

هـو «إبـراهيم بن خضر بن أحمـد بن عثمـان بن كـريـم الـدين بـن جـامـع بن محـمـد» (ت ٨٥٢ هـ. / ١٤٤٩ م.) _ السخاوي. الضوء اللامع ج ١ ص ٤٣ ـ ٤٧.

⁽٣) السخاوي. الجواهر والدررق ٣٢٧ أ، الضوء اللامع ج ١٢ ص ١١.

⁽٤) نفسه.

⁽٥) السخاوي. الجواهر والدرر ق ٣٢٧ أ.

⁽٦) نفسه ـ وكان موتها في ربيع الأول سنة سبع وستين وثمانمائة ـ الضوء اللامع ج ١٢ ص ١١.

⁽٧) السخاوي. الجواهر والدرر ق ٣٢٧.

كا تزوج من أرملة «الرين أي بكر الأمشاطي» (ت ٨٣٣ هـ. / ١٤٣٠ م.) وعتيقة العلامة «نظام الدين يحيى بن سيف الدين الصيرفي» (١) - في مجاورة أم أولاده ـ سنة أربع وثلاثين وثمانمائة، وأنزلها بقاعة المشيخة البيبرسية واستولدها في السنة التالية لدخوله بها بنتاً أسماها «آمنة» ماتت في ثالث عشر شوال سنة ست وثلاثين وثمانمائة، وبموتها طلقت أمها، فإنه كان علق طلاقها عند سفره إلى آمد على موتها (٢).

أما «ليلى» فإنه تزوجها حيث سافر مع «الأشرف برسباي» إلى آمد سنة ست وثلاثين وثماغائة، وكانت ثيباً ذات ولدين بالغين (٣) واستمرت معه إلى أن سافر من حلب ففارقها دون أن يعلمها بالطلاق، وإنما أسره لبعض خواصه ملتمساً منه أن لا يعلمها بذلك إلا بعد مضي المدة، وكان قد عجل لها النفقة (٤).

ويبدو أن التطليق كان ترفقاً منه بها كي لا يشعرها بوحشة مفارقة الأهل والوطن مما يجعلها متضررة بشبكته (٥). ولذا نجده وقد وجد فيها رغبة قوية ظاهراً وباطناً يرسل إلى بعض الحلبيين من أخصائه في تجهيزها له إن اختارت وإعلامها بالحامل على تطليقها، واعداً إياها بكل جميل، فهي إن قدمت عليه «لا يكون عنده أعز منها، وينزلها أحسن المنازل، ويعوضها عن كل شيء من الفرش والأمتعة ولا يحوجها لشيء». كما نعتها بقوله: «... نعم المرأة عقلاً وحسن خلق وخلق (١) مما استرق قلبها، فقدمت مصر فاستعادها بعد أن أنزلها بقاعة المشيخة البيبرسية واحتفل بشأنها. واستمرت في عصمته حتى سافرت إلى حلب في زيارة

⁽۱) هو «يحيى بن يوسف بن محمد بن عيسى النظام السيفي الصيـرفي» ــ ابن حجر. إنبـاء الغمر ج ٣ ص ٤٥٢ ـ ٤٥٣ السخاوي. الضوء اللامع ج ١٠ ص ٢٦٦ ـ ٢٦٧.

⁽٢) السخاوي. الجواهر والدررق ٣٣١.

⁽٣) نفسه، الضوء اللامع ج ١٢ ص ١٢٣.

⁽٤) السخاوي. الجواهر والدررق ٢٣١ ب.

⁽٥) نفسه ق ٤٣ أ، ٣٣١ ب.

⁽٦) نفسه ق ٣٣١ ب _ نقلاً عن رسالة «ابن حجر» بشأنها.

أهلها في منتصف شوال سنة إحدى وأربعين وثمانمائة ففارقها بعد أن أكملت في عصمته خمس سنين سواء(١). ثم عادت في رجب من السنة التي تليها فأعادها إلى عصمته واستمرت معه حتى مات وورثته، ولم يرزق منها أولاداً، وتأخرت بعده دهراً وتزوجت عدة أزواج، ثم ماتت في منتصف رجب سنة إحدى وثمانين وثمانمائة (٢). وقد قاربت الثمانين (٣).

كما أن «ابن حجر» نتيجة لكثرة ما تلده أم أولاده من الإناث أحب أن يكون له ولد ذكر، فاختار التسري. وكان لزوجته جارية تشرية اسمها «خاص ترك» فوقع في خاطره الميل إليها، فاقتضى رأيه أن أظهر تغيظاً منها بسبب تقصيرها في بعض الخدمة، وحلف أنها لا تقيم بمنزله، فبادرت زوجته إلى بيعها بعد أن أمرها أن تأمر القاصد بعدم التوقف في بيعها بأي ثمن كان، قائلًا: «وكل ما رمته من الزيادة على ذلك أقوم لك به» ففعلت، وأرسل هو الشيخ «شمس الدين ابن الضياء الحنبلي» فاشتراها له بطريق الوكالة، وأقامت ببعض الأماكن حتى استبرأها ثم وطئها فحملت له بولده القاضى «بدر الدين أبي المعالي محمد» وكان مولده في ثامن عشر صفر سنة خمس عشرة وثمانمائة، واستدعى

(٢) نفسه، ويلاحظ شدة توليع ابن حجر بها من خلال ما أورده «السخاوي» ـ في الباب الثاني من الجواهر والدرر له من شعر فيها، وهو كثير منه:

بـرغـمي ولم أجـنــح إلى غيــره مـيـــلاً أشاغل نفسي بسالحديث تعللاً نهادي وليل أحسن إلى ليل (من الطويل)

رحلت وخلفت الحبيب بداره

(الجواهر والدرر ق ٤٣ أ، الضوء اللامع ج ١٢ ص ١٢٣).

باتت معانقتي ولكن في الكسرى أترى دري ذاك الرقيب بما جرى · (من الكامل)

قف واستمع طربــأ خليـلي بــالـدجـــا وجسرى بمدمعى رقصمة بخيمالها

(الجواهر والدرر ق ٤٣ ب).

(٣) السخاوي. الضوء اللامع ج ١٢ ص ١٢٣.

⁽١) ابن حجر. إنباء الغمرج ٩ ص ٩.

بالطلبة ونحوهم يوم السابع إلى منزل أم أولاده وعمل لهم شواء فكانت العقيقة عندها وهي لا تشعر، حتى بلغها الخبر قبل إنفصال الولد عن الرضاع، فركبت وأمها من فورها إلى المكان الذي كانا به، واحضرتها معها إلى منزلها فتركتها ببعض المنازل إلى أن حضر «ابن حجر» _ وليس عنده شعور بما وقع _ فاستخبرته عن ذلك «فها اعترف ولا أنكر»، لكن أجاب بما يفهم منه الإنكار فقامت وأحضرت الولد وأمه فسقط في يده. ولم تزل به حتى نزل عنها لمن تزوجها بعده (۱).

أولاده:

أنجب «ابن حجر» خمس بنات وولداً واحداً، أما البنات فهن:

زين خاتون:

هي بكر أولاده، ولدت في رجب سنة اثنتين وثمانمائة، واعتني بها أبوها فعلمها الكتابة والقراءة، واستجاز لها في سنة مولدها كثيراً من المسندين من أهل دمشق وأسمعها على «الزين العراقي» و «النور الهيثمي» و «الجلال ابن خطيب داريا» و «الشريف ابن الكويك» (۲). وزوجها بالأمير «شاهين الكركي» (ت ٨٦٠هـ./١٤٥٦ م.) فاستولدها عدة أولاد ماتوا في حياة أبيهم ولم يتأخر منهم إلا «أبو المحاسن يوسف» المعروف بسبط ابن حجر (۳).

ماتت بالطاعون وهي حامل سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة (٤) .

فرحة:

⁽١) السخاوي. الجواهر والدرر ق ٣٢٩ ب.

⁽۲) ابن حجر. إنباء الغمرج ٣ ص ٤٤٥ تر ١٧، السخاوي. الجواهـر والدرر ق ٣٢٦ ب، الضوء اللامع ج ١٢ ص ٥١ تر ٣٠١.

⁽٣) السخاوي. الجواهر والدرر ق ٣٢٦ ب.

⁽٤) ابن حجر. إنباء الغمرج ٣ ص ٤٤٥، السخاوي. الضوء اللامع ج ١٢ ص ٥١، الجواهر والدررق ٣٢٦ ب.

⁽٥) السخاوي. والجواهر والدرر ق ٣٢٦ ب، الضوء اللامع ج ١٢ ص ١١٥ تر ٢٩٧.

أبوها إجازات في سنة سبع وثمانمائة في بعدها(١) وأسمعها من «ابن الكويك» وغيره (٢). وزوجها شيخ الشيوخ «محب الدين ابن الأشقر» فاستولدها ولداً مات صغيراً في حياة أمه (٣) وكانت وفاتها في تاسع ربيع الآخر سنة ثمان وعشرين وثمانمائة ـ عن ثلاث وعشرين سنة وتسعة أشهر ـ بعد أن حجت في العام الماضي قبله مع زوجها ورجعت موعوكة (٤).

غالبة:

مولدها في ذي القعدة سنة سبع وثمانمائة ، استجيز لها جماعة ، وماتت وفاطمة - الآتية - بالطاعون في ربيع الأول سنة تسع وثمانمائة مع بعض عمال أبيها(٥).

رابعة:

ولدت في رجب سنة إحدى عشرة وثمانمائة (٢) وأسمعها والدها في سنة خمس عشرة على الشيخ «زين الدين ابن حسين المراغي» بمكة (٧) وأجاز لها جمع من الشاميين والمصريين. . (^) وتزوجها «الشهاب ابن مكنون» ودخل بها بكراً بنت خمس عشرة سنة فولدت منه بنتاً (٩) سماها «غالية» ماتت في خياتها بعد أن

⁽١) ابن حجر. المجمع المؤسس في مواضع متفرقة، السخاوي. المصدران السابقان.

⁽٢) السخاوي. الضوء اللامع ج ١٢ ص ١١٥.

⁽٣) السخاوي. الجواهر والدرر ق ٣٢٦ ب.

⁽٤) ابن حجر. إنباء الغمرج ٣ ص ٣٥٨، السخاوي. الجواهر والـدرر ق ٣٢٦ ب، الضوء الـلامع ج ١١ ص ١١٥.

⁽٥) ابن حجر. إنباء الغمرج ٣ ص ٧٨، السخاوي. الجواهر والدرر ق ٣٢٧ أ، الضوء اللامع ج ٢ ص ٨٥ تر ٢١ه.

⁽٦) ابن حجر. إنباء الغمرج ٣ ص ٤٢٥، السخاوي. الجواهر والدرر ق ٣٢٧ أ. الضوء اللامع ص ٣٤ تر ١٩٩.

⁽٧) نفسه .

^(^) ابن حجر. المجمع المؤسس في مواضع متفرقة، السخاوي. الجواهـر والدرر ق ٣٢٧ أ، الضوء اللامع ج ١٦ ص ٣٤.

⁽٩) ابن حجر. إنباء الغمرج ٣ ص ٣٧٤.

استدعى لها الشيخ «رضوان» وغيره (١) ثم مات زوجها عنها في رمضان سنة تسع وعشرين وثمانائة فتزوجها «المحب ابن الأشقر» واستمرت حتى ماتت عنده سنة اثنتين وثلاثين وثمانمائة (٢).

فاطمة:

ولدت في ربيع الآخر سنة سبع عشرة وثمانمائة، وأجاز لها جماعة، وماتت وهي طفلة في الطاعون في ربيع الأول سنة تسع عشرة (٣).

ولده:

أما «بدر الدين أبو المعالي محمد» فإنه ولد في ثامن عشر صفر سنة خمس عشرة وثمانمائة، وشغله والده بحفظ القرآن ـ الكريم ـ فحفظه وصلي بالناس على جاري العادة ـ في رمضان سنة ست وعشرين وثمانمائة بالخانقاة الركنية البيبرسية وأسمعه والده الحديث على «الشهاب الواسطي»، و «الفخر الدنديلي» وغيره. وأجاز له باستدعاء والده في سنة مولده فيا بعدها ـ جماعة من مسندي الشام ومصر وغيرهم، ومنهم «عائشة بنت عبد الهادي» و «أبو بكر الحسن المراغي» وغيرهما. كما صنف «ابن حجر» لأجله كتابه «بلوغ المرام من أدلة الأحكام» (٤) وكتب هو عن والده كثيراً من مجالس الإملاء، ولازم مجلسه حتى المحكام» عليه شيئاً كثيراً. ولما ترعرع اشتغل بالقيام بأمر القضاء، والأوقاف ـ استنزالاً من والده له قصداً للدربة والتمرن في المباشرة بها (٥) ـ وولي في حياة أبيه استنزالاً من والده له قصداً للدربة والتمرن في المباشرة بها (٥) ـ وولي في حياة أبيه

⁽١) السخاوي. الجواهر والدرر ق ٣٢٧ أ.

⁽٢) ابن حجر. إنباء الغمرج ٣ ص ٣٧٥، ٣٧٤ السخاوي. الجواهر والدرر ق ٣٢٧ أ.

⁽٣) ابن حجر. إنباء الغمرج ٣ ص ٨٧، السخاوي. الضوء اللامع ج ١٢ ص ٨٨ الجواهر والدرر ق ٢٣٧ أ.

⁽٤) أشار «ابن حجر» في مقدمته إلى أنه «. . . مختصر يشتمل على أصول الأدلة الحديثية للأحكام الشرعية»، كما أشار إلى الغاية من تأليفه قائلاً : « . . . ليصير من يحفظه من بين أقرائه نابغاً، ويستعين به الطالب المبتديء ولا يستغني عنه الراغب المنتهي » .. وهو مطبوع بتحقيق رضوان محمد رضوان ط. بيروت .

⁽٥) السخاوي. الجواهر والدررق ١٧٠ ب.

عدة وظائف أجلها: مشيخة الخانقاة البيبرسية، وتدريس الحديث بالحسينية - ناب عنه فيها أبوه - والإمامة بجامع ابن طولون. وحج في حياة أبيه وبعده، وأنشأ عدة أماكن، وحدث بالكثير، وكتب على الاستدعاءات، واشترك مع السخاوي في مقابلة بعض تصانيف أبيه، ولما مات أبوه ما التفت لشيء من وظائفه، حتى ولا ما يصلح أن يكون باسمه، بل لقد عرضت عليه حسبة القاهرة ومصر فها وافق لأن «همته لم تكن منصرفة لشيء من ذلك» (۱).

مات مبطوناً سنة تسع وستين وثمانائة في السادس عشر من جمادي الثانية بعد أن اشتد به الوعك وقاسى شدائد أقام فيها أزيد من مائة يوم وفتحت في أعضائه عدة أماكن، وقد خلف _ رحمه الله _ زوجة وولداً (٢).

وعلى الرغم من هجو «السبط» له (٣). وعدم رضي «ابن فهد المكي» عنه (٤) ونعت «ابن تغري بردى» إياه بالجهل وسوء السيرة (٥) امتدحه «السخاوي» في موضعين من مؤلفاته بقوله: «وكان حسن الشكالة متكرماً على عياله قبل أن يكون في معناه من نظرائه مثله» (٢) وقوله: «.. وكان حسن الشكالة قوي النفس شهاً متكرماً على عياله» (٧). وإن انتقده لتفريطه في تصانيف أبيه قائلاً: «.. لكن عفا الله عنه ضيع ما كان أولى به الحرص على بقائم من تصانيف أبيه وغيرها مما كتبه بخطه، ونقل أكثر ذلك لناظر على ما شهراً مذراً مذراً « .. كما أشار في موضع آخر إلى تلبسه بمحنة الخاص . . وتفرقت شذراً مذراً « (٨). كما أشار في موضع آخر إلى تلبسه بمحنة

⁽١) المصدر السابق.

⁽٢) نفسه ق ٣٣١ أ، .. وكان مولد ولده «علي» في ذي القعدة سنة تسع وشلاثين وثمانمائة، واحضر مجلس جده وتردد إليه بعض الفقهاء للتعليم وغيره، ومات أبوه في حياته.

⁽۳) نفسه ق ۳۳۰ ب.

⁽٤) ابن فهد المكي. لحظ الألحاظ ص ٣٣١.

⁽٥) ابن تغري بردى. النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٣٣.

⁽٦) السخاوي. الجواهر والدرر ق ٣٣٠ أ.

⁽٧) السخاوي. الضوء اللامع ج ٧ ص ٢٠.

⁽٨) السخاوي. الجواهر والدرر ق ٣٣٠ أ.

أبيه، حيث طلب الولد مع جماعة المباشرين لجامع ابن طولون واحتجزوا على ذمة التحقيق ورام السلطان ضربه، فكان في ذلك القهر لوالده بسببه «فإنه كان في ضيق صدر زائد وألم شديد وتأوه كبير، وكل يوم يسمع من الأخبار ما لا يسمعه بالأمس، وكان يتوجه إليه في الجمعة يوماً وأكثر إلى المكان الذي يكون فيه.. »(١) بل لقد عمل «ابن حجر» الأب لهذه المناسبة جزءاً سماه «ردع المجرم عن سب المسلم» جمع فيه أربعين حديثاً منتقاة من كتب الصحاح والسنن في تعظيم المسلم والزجر عن سبه وظن السوء به وتعمد ظلمه وحربه لعظة من بسط لسانه ويده في المسلمين مع قلة علمه واعوجاجه (٢).

(١) المصدر السابق ق ١٧١ أ.

⁽٢) نفسه ق ١٧١ ب، التبر المسبوك ص ٢٠٣، الضوء اللامع ج٧ ص ١٢٠.

علاقته بشخصيات عصره

أولًا .. علاقاته بالشيوخ والأساتيذ:

أخد «ابن حجر» علومه ومعارفه عن عدد وفير من الشيوخ والعلماء والمحدثين والمسندين، على اختلاف بينهم في العلم المحمول، والطباع والأمزجة، والسن. . . مما جعله يسلك معهم مسلكاً يحقق له مرامه، ويحصل به مأمله، رسخه في نفسه آداب الحديث النبوي الذي تحمله. فكان كثيراً ما يهضم نفسه على جاري عادة أهل العلم والدين (۱). في الوقت الذي يبالغ فيه في تعظيم شيخه في حضوره وغيبته (۲). ويهش في وجه من يستقدمه من المسندين ليأخذ عنه، ويكرمه ويجلسه على بساطه الذي يصلي عليه (۳) أو يخرج مسرعاً إلى الباب لتلقيه (۱). وأحياناً كان يقبل يده إذا لقيه (۵). ولا يتحاشى عن التقاط الفائدة أو السماع ممن هو أعلى منه سنداً ولو كان دون مرتبته، لا يصده عن ذلك علو منصبه، بل يتظاهر بفعله مع إمكان خلاف ذلك . (۲).

⁽١) السخاوي. الجواهر والدررق ٣٣ أ، التبر المسبوك ص ٢٣٠.

⁽٢) ابن حجر. إنباء الغمرج ٣ ص ١١٦، السخاوي. الضوء اللامع ج ٧ ص ١٧٣.

⁽٣) السخاوي. الجواهر والدرر ق ٣٨ ب.

⁽٤) نفسه.

⁽ە) ئفسە،

⁽٦) نفسه ق ٣٩ ب.

وربما وجد ثقلاً وتعسراً لدى الشيخ المسموع عليه فيها يزال به يحركه بالقراءة كلمة حتى يظهر من طواعيته له الأمر العجيب، أو يخرج له مشيخة ليتذكر بها مشايخه وعهده القديم فيحبب إليه السماع وينبسط له(١).

ولم يتوقف إجلاله لشيوخه وأساتذته على حياتهم، وإنما امتد ذلك إليهم وقد انتقلوا من دنياه: بالتنبيه على مكانتهم وقيمتهم العلمية في ترجماتهم من مؤلفاته، وقد راعي - قدر المستطاع - شعورهم إلى الحد الذي جعله يتتبع أوهام «الهيثمي» في كتابه «مجمع الزوائد» ليفردها في كتاب، فها أن علم الشيخ بذلك وشق عليه حتى تركه «ابن حجر» مراعاة له (۲). وفي بره للأبناء حتى ولو وقع أذى الأبناء به (۳).

من ذلك أنه بلغ برغبة السلطان «النظاهر جقمق» في الإقدام على أمور مهولة في كل من «العلم البلقيني» و «التاج البلقيني» و وبينهما وبين «ابن حجر» ما كان من المنافسة التي وصلت إلى حد العداء في كثير من الأحيان - فطلع من فوره إلى السلطان متوسلاً إليه بكل طريق في إبطال ذلك، مع مشقة إبطال ذلك في أحدهما على السلطان، بل لقد رام السلطان إحراق قريب لهما بالنار، لوشاية فيه، فشفع فيه «ابن حجر» حتى بطل ذلك - كل هذا إجلالاً «للسراج البلقيني» في ذريته وأهله (٤).

واتفق أن حلف السلطان ليضربن شخصاً من أبناء العلماء ألف عصا، فراجعه «ابن حجر» في الصفح عنه، وأنه يكفر عن يمينه، فامتنع، فلا زال يتلطف به حتى أمر بجمع عيدان ضربه بها دفعة واحدة بعد أن قرأ قوله تعالى: ﴿وحذ بيدك ضغثاً فاضرب به ولا تحنث ﴾ (٤٤: ص)(٥).

⁽١) ابن حجر. إنباء الغمرج ٢ ص ٢٣، المجمع المؤسس ق ٢ أ وما بعدها السخاوي. الجواهر والدررق ٣٥ ب.

⁽٢) ابن حجر. إنباء الغمرج ٢ ص ٣٤١٠ السخاوي. الجواهر والدرر ق ٢٧٧ أ.

⁽٣) السخاوي. الجواهر والدرر ق ٢٧٧ أ.

⁽٤) نفسه.

⁽٥) نفسه ق ۲۷۷ ب.

ويقابل ذلك على الجانب الآخر تعظيم شيوخه وأساتذته له إلى الحد الذي يجعل أحدهم يوده كثيراً ويشهد له في غيبته بالتقدم ويتأدب معه إلى الغاية(١). أو يشهد له بالتقدم في الفن(١). ويقدمه فيه على ولده(١). أو يحس بدخوله وهو ما زال يصلي فيتمادى في الركوع حتى يدرك معه صلاة الظهر(١). أو يغضب من تتبعه وغيره لفتواه ومخالفتهم له، لكنه يحتشم معه وإن استضعف جانب غيره(٥).

كما كانوا كثيراً ما يراجعونه فيها غمض عليهم من مسائل العلم ومبهماته فيوافيهم بما يفيدون منه (٢). ويقرظون كتاباته بعبارات التبجيل والتعظيم (٧).

ثانياً _ علاقاته بالأقران:

أثارت تلك المنزلة التي استحوز عليها «ابن حجر» في مجتمعه، وتوليه الكثير من الولايات الدينية والوظائف العلمية بعض أقرانه من أعلام عصره فاندفعوا منافسين له في كل هذا، راغبين في انتزاع ما يقدرون على انتزاعه من وظائفه.

فكان من أعظم معانديه «علم الدين صالح البلقيني» (١ ٨٦٨ هـ. / ١٤٦٤ م.) الذي وصلت المنافسة بينه وبين «ابن حجر» حداً جعلها تمتد إلى ما بعد موته. فكان من مظاهرها:

١ _ إسناده إلى «ابن حجر» تنفيذ مكتوب الخشابية _ في توليه للقضاء»

⁽١) ابن حجر. إنباء الغمرج ٣ ص ١١٦.

⁽٢) نفسه ج ٢ ص ٣١٠.

⁽٣) نفسه ج ٢ ص ٢٢٧.

⁽٤) نفسه ج ٢ ص ٢٤٧.

⁽٥) السخاوي . الجواهر والدرر ق ١٦٢ أ.

⁽٦) نفسه ق ٤ ب.

⁽٧) ابن حجر. إنباء العمرج ٢ ص ٣٧٤.

⁽٨) السخاوي. الذيل على رفع الإصر ص ٢٨٦.

وإجابة «ابن حجر» إلى ذلك ظناً منه أن في إسناده إليه ذلك تشريفاً من القاضي له لعلو منزلته فيا كان يتوهم «ابن حجر» أن «ابن البلقيني» بذلك يترفع عليه، فيا كان إلا اليسير حتى أدرك ذلك وعهد منه ما لم يألفه قبل، مما كان سبباً في إجابته حين عرض عليه منصب القضاء والاستقرار فيه بعد عزل «ابن البلقيني»، حيث ظلا يتنافسان على المنصب ويتعاقبان فيه إلى أن رغب «ابن حجر» عن القضاء وصرح له _ في محنته بولده _ بأنه لم تعد في بدنه شعرة تقبل اسم القضاء _ على نحو ما مر بك آنفاً.

٢ - محاولة «ابن البلقيني» انتزاع الكثير من وظائف «ابن حجر»، ومن ذلك أخذه منه نظر جامع ابن طولون، ونظر الناصرية ليسكت عن طلب العود للقضاء والسعي فيه، وتفويض «ابن حجر» له ذلك وأخذه توقيعاً سلطانياً ثم سعيه بعدها عليه في المنصب، بل ورفضه الشكر لابن حجر عليه إجابة للسلطان مما كان سبباً في عزل «ابن حجر» له ـ من النظر عليها ـ فها بالي بذلك واستمر يتحدث فيهها افتياتاً من غير مبالاة (۱). وكذا رغبته في انتزاع النظر على حمام ابن الكويك منه (۲).

٣ ـ تزيينه لكل من «الشمس القاياتي» و «السفطي» انتزاع بعض الوظائف من «ابن حجر» ـ على نحو ما مر بك آنفاً.

٤ ـ حرصه على الزواج من أرملة «ابن حجر» ـ بعد موته ـ وخطبته لها مع إرسال المهر إليها، وكاد يحصل له ذلك لولا اجتماع «السخاوي» به رغبة منه في إبطال ذلك إلى أن صرح «العلم البلقيني» له بالرجوع عنه واستعاد ما دفع لها.

٥ ـ تتبعه فيها كتبه في معجمه بشأن ذويه وانتقاده له بعبارات ساقطة أثارت حفيظة «ابن حجر» وانعكست هي وتصرفاته الآنف ذكرها على كتاباته بشأنه في كل من «إنباء الغمر» و «رفع الإصر»، حيث جاء في إنباء الغمر

⁽١) ابن حجر. إنباء الغمرج ٣ ص ٤٧٤.

⁽٢) راجع ص ٧٩ من هذا البحث.

قوله: «.. وفي السادس من ذي الحجة صرف القاضي ولي الدين العراقي عن قضاء الشافعية واستقر عوضه علم الدين صالح بن شيخنا شيخ الإسلام سراج الدين، وكان أخوه جلال الدين لما مات نظمت:

مات جلال الدين قالوا: ابنه يخلفه أو فالأخ الراجح فقلت: تاج الدين لا لائت لمنصب الحكم ولا صالح (من السريع)

فكان كما قلت، فإنه تولى وظهر منه التهور والإقدام على ما لا يليق وتناول المال من أي جهة كانت حلالًا أم حراماً ما لا كان يظن به ولا ألف الناس نظيره من أحد ممن ولي قضاء الشافعية في الدولة التركية»(١).

وكان وصفه له وبعض أقاربه في «الإنباء» بالعقارب(٢) ونعته له فيه بالحمق(٣).

ويزيد ذلك تفسيراً ما جاء في رفع الإصر من قوله فيه بشأن ذلك:

«.. فيا كان إلا أن استقر في المنصب فشمخت نفسه فرأى غيره منه ما لا يرى وسار سيرة عجيبة يجمع بين دناءة النفس والطمع والحمق... وقدر وقوع الطاعون الفاشي في ثاني ولاياته فتسلط في تحصيل الأموال من التركات وكتب مرسوماً استكتب فيه خطوط جميع شهود المراكز، أن لا يشهد أحد منهم في الوصية حتى يوصي الموصي فيها للحرمين بشيء، فكان الرجل يوصي بما تسمح به نفسه ويموت من يومه غالباً. فيرسل نقيبه فيقبض ما أوصى به. ولم يحصل لأهل الحرمين من ذلك الدرهم الفرد ولا وجدنا في حساب السنة التي باشرها أنه ورد للحرمين شيء، إلا من جهة واحدة من بلد بالريف بمبلغ تافه مبلغه فضة أربعمائة درهم، ولعله حصل من الجهة المذكورة وحدها عشرة أضعافها ذهباً.

⁽١) ابن حجر. إنباء الغمرج ٣ ص ٢٧٩ ـ ٢٨٠.

⁽۲) نفسه ج ۳ ص ۱٦٤.

⁽٣) نفسه ج ٣ ص ٤٧٤ .

وأما أوقاف الحرمين والصدقات فتحيل على الانفراد بها كل حيلة. وأما المدارس ومتحصلها فلم يصرف للطلبة إلا اليسير. . »(١).

ومع ذلك يشير «السخاوي» إلى أن «الظاهر جقمق» كان قد أمر بخروج «العلم البلقيني» من القاهرة منعزلًا فتوجه مع نقيب الجيش فأقام بالمدرسة الحجازية بالقرب من بيته تمهيداً لتنفيذ ذلك لولا شفاعة ابن حجر التي ردته إلى بيته (٢).

كان من منافسيه كذلك «الشمس القاياتي» (ت ١٥٠ه./ الذي كان قد استقر في منصب القضاء تلو عزل «ابن حجر» منه حادي عشر المحرم سنة تسع وأربعين وثماغائة _ في حادثة سقوط منارة الفخرية وتغيظ السلطان عليه _ حيث سعى في انتزاع البيبرسية منه وتم له ذلك في العشرين من جمادي الأولى سنة تسع وأربعين وثماغائة مما كان سبباً في تحول «ابن حجر» بأولاده منها وتحويل مجلس املائه إلى الكمالية، وعدم حمد العقلاء للقاياتي هذا المسلك منه (۳). بل لقد نغص على «ابن حجر» عيشه بسبب تعرضه لولده وأمره بالترسيم عليه بسبب عمل حساب جامع ابن طولون وغيره، كما صار كل قليل يشكو «ابن حجر» من غير تحقق (٤). ومع ذلك فإن «ابن حجر» قد ترجمه بعد موته مادحاً، حيث جاء في «الإنباء» بشأنه:

«.. باشر القضاء بنزاهة وعفة ولم يأذن لأحد من النواب إلا لعدد قليل ويتثبت في الأحكام جداً وفي جميع أموره»(٥).

ومن هؤلاء _ كذلك _ «السفطي» (١٤٥١ هـ. / ١٤٥١ م.) حيث تعوض

⁽١) ابن حجر. رفع الإصرح ٢ ص ٢٥٨ ـ ٢٥٩.

⁽٢) السخاوي. الجواهر والدرر ق ٢٧٧ أ، الذيل على رفع الإصر ص ١٦٤.

⁽٣) السخاوي. الذيل على رفع الإصر ص ٢٨٦.

⁽٤) السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٧١ ب، الذيل على رفع الإصر ص ٢٨٤ - ٢٧٦، الضوء اللامع ج ٣ ص ٢١٣ تر ٥٥٦.

⁽٥) ابن حجر. إنباء الغمرج ٩ ص ٢٤٧.

لولده بالترسيم قاصداً بذلك إبعاد ابن حجر عن المنصب لينفرد به، واتهمه زوراً فعمل «ابن حجر» في ذلك _ كما سلف القول _ جزءاً سماه «ردع المجرم في المذب عن عرض المسلم». بل لقد انتزع من «ابن حجر» علاوة على ذلك تدريس الصالحية والنظر عليها ووليها فدعا عليه «ابن حجر» بإنقضاء الأجل في عامه فتم له ذلك بعد أن أهين «السفطي» وامتحن وسجن في حبس أولي الجرائم (۱).

ومن بين هؤلاء _ كذلك _ البدر العيني (ت ٨٥٥ هـ. / ١٤٥١ م.) الذي كانت بينه وبين «ابن حجر» صداقة اقتضت استضافته لابن حجر في بلدته _ عين تاب _ في سفرتيهما إلى حلب صحبة السلطان _ لأكل ضيافته _ وتلبية «ابن حجر» لذلك، وأخذ كل منهما عن صاحبه سواء في المناظرة أو فيما ترك من المؤلفات ولكن انقلبت هذه العلاقة إلى حد السقوط والإسفاف في بعض مواضع منها:

١ _ إنتهاز كل منها لبعض المناسبات في التعريض شعراً بصاحبه (٢).

لجمامع مولانا المؤيد رونق منارته بالحسن ترهو وبالرين تقول وقد مالت عن القصد: أمهلوا فليس على جسمي أضر من العيني (من الطويل)

فأراد بعض الجلساء العبث «بالبدر العيني» فذكروا له أن «ابن حجر» عرض به فغضب واستعان بمن نظم له ما نسب لنفسه من نقضها بقوله:

منارة كعروس الحسن إذ جليت وهدمها بقضاء الله والقدر قدارة كعروس الحسن إذ جليت ما أوجب الهدم إلا خسة الحجر ويعلق «ابن حجر» _ إنباء الغمر ج ٣ ص ١٤٥، على ذلك قائلًا: «...قلت: هما للشيخ العلامة كمال الدين النواجي، عفا الله عنهم أجمعين.

⁽۱) السخاوي. الذيل على رفع الإصر ص ٢٤٩ ـ ٢٥٤، الضوء اللامع تر ٢٥٦ ج ٧ ص ١٢٠، الجواهر والدرر ق ١٧١، أ.

⁽٢) من ذلك إنشاد «ابن حجر» في مجلس «المؤيد شيخ المحمودي» وقد مالت المشذنة التي بنيت على البرج الشمالي بباب زويلة للجامع المؤيدي وكادت أن تسقط:

٢ ـ تتبع «العيني» ابن حجر في مؤلفه «عمدة القاري» الذي شرح به «صحيح البخاري» آخذاً عليه ما يرى من المآخذ في «فتح الباري» مما جعل «ابن حجر» يتعرض له منتصفاً لنفسه في كتابين هما:

* الاستنصار على الطاعن المعثار، وقد بين فيه ما نسبه «العيني» إليه مما زعم إنتقاده في خصوص خطبة كتابه، ووافقه علماء ذلك العصر على ما أورد فيه مشيرين إلى فساد انتقاد «العيني» مصوبين صنيع «ابن حجر».

* «إنتقاض الإعتراض» الذي رد به على انتقادات «العيني» له في شرحه للبخاري.

٣ ـ بل لقد تتبع «ابن حجر» ما نظمه العيني في «السيف المهند في سيرة الملك المؤيد شيخ المحمودي» (١) محصياً ما وقع فيه من الأخطاء في مؤلف أسماه: «قذي العين في نظم غراب البين» (٢).

كما كان من بين المنافسين «لابن حجر» في وظائفه أو مركزه العلمي كل من «الشمس الهروي» (ت ٨٢٩هـ. / ١٤٢٦م.) وقد جرت بينها مناظرات بحضرة السلطان بان فيها خطأ «الهروي» وارتفعت بسببها منزلة «ابن حجر» في عين السلطان بان فيها الهرماوي» وقد أنهى إلى السلطان أن شرط المؤيد أن لا يكون في المؤيدية مدرساً قاضياً وأعانه على ذلك قوم آخرون، فانتزع من «ابن حجر» تدريس الشافعية بها إلى أن سعى في إظهار كتاب الوقف وقد سكت

⁽۱) السخاوي. الذيل على رفع الإصر ص ٤٣٦ وما بعدها، الضوء اللامع تر ٥٤٥ ج ١٠ ص ١٣٣ ـ ١٣٣.

⁽٢) حاجي خليفة. كشف الظنون ج ٢ ص ٩٩٠ وفيه قوله: ١٠٠٠ وقد جرد الشيخ شهاب الدين ابن حجر منها _ أي من سيرة الملك المؤيد _ الأبيات الركيكة بلا وزن فبلغت نحو أربعمائة بيت في كتاب وسماه قذي العين من نظم غراب البين _ وكان بينها منافسة».

⁽٣) ابن حجر. إنباء الغمرج ٣ ص ٥٨ وما بعدها، وهو غير «شمس الدين محمد الهروي الذي أشار «ابن حجر» في حوادث حولية سبع وثلاثين وثمانمائة إلى أنه أراد أن ينتقص من قدره بإغراء بعض الناس، فأبي الله ذلك وحاق المكر السيء بأهله ـ نفســه ج ٣ ص ٥١٥.

عن الشرط المذكور فاعيدت إليه(١). و «الونائي» وقد سعي في انتزاع تدريس الصلاحية من «ابن حجر» في عوده من الشام منصرفاً عن قضائها وتنازل «ابن حجر» له عنها برغبته (٢)، وسعي «البهاء ابن حجي» على «ابن حجر» جهراً في توليه لمنصب القضاء وإن لم يصب مرماه (٣). . . مما مر بك آنفاً في موضعه من هذا البحث.

ثالثاً _ علاقاته بطلبته وتلامذته:

كثيراً ما كان «ابن حجر» يرشد طلبته إلى المحدثين والمسندين ويحضهم على القراءة عليهم، والتحمل عنهم، وربحا شكوا إليه جفوة بعضهم وعدم طواعيته لهم في القراءة، فيكتب له يرغبه في التحديث، ويحضه عليه مؤكداً في الاهتمام بشأن تلامذته (أع). مع حرصه على عدم ذكر تلميذه وإن صغر إلا بصاحبنا فلان (أم). وغالباً ما كان يعين الطالب بالكتابة بيده لما يرومه من أجوبة لبعض المسائل أو سرد للأسانيد. (1) فإذا ما قصده أحدهم وقد فرغ من درسه وهم بدخول بيته وقف له لا يفارقه حتى يكون هو المفارق وإن امتد وقوفها إلى أبعد من ساعة (١٧). كما كان كثير العارية لهم بكتبه ـ التي غالباً ما كان يفتدي بها كتب الأوقاف حتى لقد ضاع منها بسبب ذلك ما يزيد على مائة وخمسين سفراً التمسها في السوق فلم يحصل معظمها (١٠). بل ربما طلب منه أحدهم نسخة من بعض الأجزاء الحديثية مفردة التماساً للخفة، حيث توجهه إلى مكان بعيد فها يتيسر له إذ ذاك طلبه فيعمد إلى قطع نسخة من مجموع بخطه ليرسلها إليه (٩٠).

⁽١) انظر ص ٦١ - ٦٢ حاشية رقم ٧ من هذا البحث.

⁽٢) انظر ص ٦٢ من هذا البحث.

⁽٣) السخاوي. الذيل على رفع الإصر ص ٨١.

⁽٤) السخاوي. الجواهر والدرر ق ٢٧٩ أ.

⁽٥) نفسه ق ۲۸۰ ب.

⁽٦) نفسه ق ۲۷۸ ب.

⁽۷) نفسه ق ۲۸۰ أ.

⁽۸) نفسه ق ۲۷۹ آ.

⁽٩) نفسه ق ۲۷۸ ب.

وغالباً ما كان يقصده طلبته وقد استعاروا من غيره كتاباً فقد ـ رجاء تفريج كربهم لدى المعير بما استكتبهم إياه فيقوم لهم بذلك (١). وكثيراً ما كان يتفقد الطلبة ـ لا سيها الغرباء والوافدين عليه ـ منفقاً فيهم، معيناً لهم بكتبه وهداياه وما شاكل ذلك، ويكتب لطلبته في الإجازات وغيرها ما يكون مشجعاً لهم على الانكباب على العلم وقد شحذت همهم (٢) ويقوم ـ كذلك ـ بعيادتهم في مرضهم (٣) ـ ويصبر عليهم في حال مرضه. فلقد مكث في مرض موته مدة وهو لا يعلم به بعض من يقرأ عليه ليلاً مراعاة لخاطره مع تحمله لكبير مشقة في ذلك، إلى أن أعيا فأعلمه بلطف (٤).

⁽۱) من ذلك أن أحد تلامذته «العز الحسني» قد استكتبه «التاج البلقيني» في كتاب استعاره من والده، وقد ضاع من تحت يد الناسخ فخشي من القاضي، وذكر ذلك «لابن حجر» فقام معه في الفحص عنه عند الكتبيين ونحوهم رجاء الظفر به ليزول ما عند تلميذه من الكرب بسبب فقده، لكن مع كبير الجهد المبذول لم يدركه، فحينئذ حصل نسخة منه وعاونه بورق أو ثمنه حتى جدد منه نسخة.

وقريب الشبه من ذلك ضياع مجلد من «تاريخ الإسلام للذهبي» من نسخة «الزيني عبد الباسط» وهي بخط «البدر البشتكي» فلما بلغه علم ذلك ممن ضاع المجلد منه بادر وأخذ المحل من نسخة الأصل بالمحمودية وتوجه به مع الورق وأجرة النسخ إلى «البشتكي» فشرع في تكملته واتفق قبل انقضاء الكتابة أن وجد المجلد فامتنع من إعلام البدر بذلك حتى لا يتعطل عليه ما كتب السخاوى. الجواهر والدررق ٢٧٦ أ.

⁽٢) من ذلك ما كتبه لمحمد بن بدل بن محمد، البدر الأردبيلي التبريزي، وقد عرض جملة من الكتب عليه، وقرأ عليه قطعة جيدة من أول البخاري قائلًا: «...الشيخ الفاضل، الحفظة الكامل، العالم المباهر، مفخرة أهل مصره، وغرة نجوم عصره»، وقوله: «...أعانه الله على الانتفاع بما حفظه، وأوزعه شكر نعمته لما أودعه واستحفظه» ... السخاوي الضوء اللامع ج ٧ ص ١٤٩ ت ٣٧٢.

ووصفه كتابة للبهاء العلقمي في عرضه «بالحُفَظَة المهرة، أعجوبة العصر ذكاء، نادرة الدهس نجابة ورواء، أسعد الله جده، وأقسر به عين أبيه، ورحم جده» ـ السخاوي. نفسه ج٧

ووصفه لابن الزين المشهدي (ت ٨٨٩ هـ. / ١٤٨٤ م.) «بالفاضل العلامة البـارع المحدث المفنن فخر المدرسين عمدة المتفننين» ـ نفسه ج ٧ ص ١٨٠.

⁽٣) السخاوي, الجواهر والدرر ق ٢٧٦ ب ـ ٣٧٧.

⁽٤) نفسه ق ۲۷۸ أ.

مقومات شخصيته

صفاته الخُلقِية والخُلقية:

كان «ابن حجر» ـ رحمه الله ـ ربعة، أبيض اللون، منور الصورة، مليح الشكل، صبيح الوجه، كث اللحية أبيضها، حسن الشيبة نيرها، صحيح السمع والبصر، ثابت الأسنان نقيها، صغير الفم، قوي البنية، عالي الهمة، خفيف المشية (۱) ذا رشاقة زائدة (۲) شجي الصوت، جيد الذكاء، عظيم الحذق، كثير الصمت لضرورة، شديد الحياء ـ يتعبه الحلاق قليل الدربة من أجل إدارة رأسه فلا يضيق به . . لكن يحكي لصحبه أنه لو دار لكان أسهل، ويتنور بيده، ويقص شاربه وأظافره بنفسه، ويتولى غالباً حمل الإبريق للوضوء ونحوه، وصب الماء على جسده مع وجود من يكفيه المؤنة في ذلك، قليل الدخول إلى الحمام ـ لا يواجه أحداً بمكروه مع الصدع بالحق، وقوة النفس فيه، مفشياً للسلام، لا يواجه أحداً بمكروه مع الصدع بالحق، وقوة النفس فيه، مفشياً للسلام، لا يتأنق في مأكله ومشربه، ولا في آنيته، يأكل العلقة من الطعام، واليسير من

⁽١) أشار «السخاوي» إلى أن «ابن حجر» كان خفيف المشية ولـو عند إقباله عـلى الملوك ونحـوهم، وقيامهم له بمجرد بصرهم عليه، فإنه لا يزيد على المعتاد. . . وربما نقم الأعداء عليه ذلك ـ المصدر السابق.

⁽٢) أشار «السخاوي» إلى أنه ما كان أرشق من «ابن حجر» في الجلوس على الحجر وهو يتوضاً، وإلى أنه قبيل وفاته صعد لعيادة أحدهم فصار يقصد درجتين درجتين مشيراً إلى أن ذلك أروح له نفسه.

الغذاء، لكنه يتقوى بالسكر، ويميل إلى القصب ميلاً قوياً، قصير الشارب، حسن العمة، ظريف العذبة، لا يتأنق في الرفيع من الثياب، مع بصر جيد في تفضيل ملبسه، خبيراً بأمور دينه ودنياه، ذا عقل وحلم ودربة بالأحكام والمداراة للناس، قليل الرغبة في العمارة، بل وفي شراء العقار يحتال في الأماكن التي يأخذ فيها المسكن على الذهب بجعله في إناء قبل وضع شيء فيه، ثم يختم عليه بما يكون حائلاً بينه وبين ما يوضع فيه، ثم يملاً بما يكون مناسباً للظرف من سمن ونحوه... فلا يفطن إليه (۱). منبسطاً في التنزه مع صحبه ورفقته وربما لاعبهم (۲).

تواضعه مع معرفته لقدر نفسه:

أثارت مقدرة «ابن حجر» العلمية، وتحصيله للعلم على هذه الصورة المبسوطة في البحث بعض تلامذته _ الأمير تغري برمش الفقيه (ت ٨٥٢ هـ. /١٤٤٩ م.) _ في البحث بعض تلامذته _ الأمير تغري برمش الفقيه (ت ٨٥٢ هـ. /١٤٤٩ م.) _ فسأله مرة: «هل رأيت مثل نفسك؟»، فقال له: «قال الله تعالى: ﴿فلا تزكوا أنفسكم﴾» (النجم: ٣٢)(٣).

كما سأله بعض أصحابه: «أنت أحفظ أم الذهبي؟» فسكت، فما كان ذلك إلا تواضعاً منه، لأنه ـ رحمه الله ـ حكي أنه شرب ماء زمزم لما حج لينال مرتبة الحافظ الذهبي، قال: ثم حججت بعد مدة فوجدت من نفسي طلب المزيد على تلك المنزلة، فسألته رتبة أعلى منها. وقد تحقق رجاؤه، وشهد له بذلك غير واحد(٤).

ولما تحول من الكاملية إلى البيبرسية لقيه أحد نزلائها قائلًا: «يا سيدي

⁽۱) ابن تغري بردى. المنهـل الصافي ج ۱ ق ۱۹۲ أ، النجـوم الزاهـرة ج ۱۵ ص ۵۳۳، السخاوي. الجواهر والدرر ق ۲۸۰ أـ ۲۸۱ ب، ابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب ج ۷ ص ۲۷۳.

⁽٢) السخاوي. الجواهر والدررق ١٨٢ أ.

⁽٣) نفسه ق ٣٣ ب، التبر المسبوك ص ٢٣٠ ، الذيل على رفع الإصر ص ٨٦ .

⁽٤) السخاوي. الجواهر والدرر ق ٣٣ ب، السيوطي. طبقات الحفاظ ص ٣٨٠.

وحشت الكاملية»، فأجابه: «الكاملية مشتقة من الكمال» ـ يعني ولست كاملًا(١).

ولكنه مع تواضعه، كثيراً ما كان ينوه بمكانته العلمية، ولا يصبر على من يحاول انتقاضها أو تصغير جانبه، من ذلك ما كان بينه وبين «الشمس الهروي»، وما شعر به بعد إسناد «العلم البلقيني» إليه تنفيذ مكتوب الخشابية، ويوم عزله السلطان عن مشيخة البيبرسية، وعندما أراد بعض الرفاق تعمية يوم الختم ختم صحيح البخاري _ عليه كي لا ينفرد بالمجلس دونه _ على نحو ما هو بين في العلاقة بالأقران من هذا البحث.

ضبطه للسانه وكظمه لغيظه:

كما كان كاظماً للغيظ، لا يظهر عليه الغضب إلا نادراً، جلداً على ريب الزمان، متلقياً له بصدره (٢٠).

ومن أمثلة ذلك أن بعض خصومه عقب على مؤلفه «المجمع المؤسس بالمعجم المفهرس» في تصنيف جمعه، وبالغ في ذكره بألفاظ لا يقابله عليها إلا الذي أنطقه بها فاطلع «ابن حجر» على ذلك، فكتب عليه ما نصه: «لا شكوى إلا إلى الله ولا حول ولا قوة إلا بالله، وحسبنا الله، واشتمل هذا التصنيف على نسبة مصنف الأصل إلى أشياء نسبه المعترض عليها إليها، لا تجتمع في آدمي فيها يغلب على الظن في في أشياء نسبه المعترض عليها إليها، لا تجتمع في آدمي فيها يغلب على الظن في فلله الأمر، وسردها وهو نحو خمسين صفحة خارجة عن السب والدعاء عليه، وكذا سب ولده والدعاء عليه، فلم يتعرض «ابن حجر» له بلفظة فاحشة ولا بكلمة سوء ولا تشاغل بردها، بل وكل الأمر إلى من يجازي المسيء، ولا يضيع أجر من أحسن عملًا «».

وكان بعض الشعراء قلم عاون في المصنف _ المشار إليه _ على الرغم من

⁽١) السخاوي. الجواهر والدررق ٢٨٠ ب.

⁽٢) البقاعي. عنوان الزمان ج ١ ق ٥٥.

⁽٣) السخاوي. الجواهر والدرر ق ٢٨٦ ب.

وصل «ابن حجر» له، وبالغ في هجوه، في احتمل أتباع «ابن حجر» وولده وأمروا باحضاره، فاحضر، وبلغه ذلك فتغيظ عليهم وأمرهم بصرفه مكرماً بعد أن أنعم عليه بشيء من الدنيا، وضبط ما يحصل له منه فكان ألف درهم كل شهر(۱).

وذهب يوماً إلى مدرسته لالقاء درسه _ على جاري عادته _ فوقف من وراء الشباك معتوه يسمى «العرباني» و «ابن حجر» في المنكوتمرية في تلامذته، فأخذ المعتوه في السب الفاحش والألفاظ القبيحة، فقال: نقوم إلى أن يفرغ أو يروح ونهض فدخل من باب الخلوة ورد بابها يسيراً، فترك المعتوه الشباك وانصرف، فظن «ابن حجر» توجهه بالكلية ففتح باب الخلوة ووقف، وإذا بالمعتوه قد أقبل من باب المدرسة، وزاد على ما كان عليه. فقال: ما بقي إلا الانصراف، وأغلق الباب وترك المخبول فيها هو فيه ساعة، ولم يمكن _ مع كل هذا _ أحداً من التعرض له، بل سمع به تلك الليلة وقد أمسكه بعضهم بأعوان الوالي _ لا لهذا السبب _ فأرسل إليه وأطلقه (٢).

واجتاز _ يوماً _ في طائفة من جماعته بباب جامع الغمري، فبدت من شخص وقف ببابه _ يوصف بالجذب _ كلمات فيها: «عمائم كالأبراج، وأكمام كالأخراج والعلم عند الله»، فرام بعض جماعته منه تعذيره بالحبس ونحوه فامتنع قائلًا: هذا مجذوب يسلم له حاله.

هذا مع من أصابه الجذب أو غيره الخبل، وأضعافه مع الحاسدين وغيرهم من المنافسين على المنصب، الذين نازعوه مكانته العلمية وهم دونه، أو في وظائفه وقد شق على أنفسهم أن لا يكونوا هم المستأثرين بمعاليمها، مما فصل في موضعه من هذا البحث.

تحریه فی مأكله ومشر به:

حرص «ابن حجر» قدر مستطاعه على أن لا يأكل حراماً، أو ما فيه شبهة

⁽١) المصدر السابق ق ٢٦٩ ب.

⁽٢) نفسه ق ۲۷۰.

الحرام ولذا فإنه كان يتحرى في وظائفه ما كان أقرب إلى الحلال ليأكل من معاليمها، بل لقد كان يميز المعاليم بعضها من بعض بالإشارة بنقطة أو نقطتين. ونحو ذلك(١). ولا يتناول شيئاً مما يهدي لبيته(٢). فإذا ما اضطر إلى الحضور في الولائم والمهمات ونحوها - مما الغالب على أربابها عدم التوقي - يوهم أنه يأكل، وربما أعطى هذا وهذا ممن يكون جالساً على السماط من الأتباع ونحوهم مما بين يديه بحيث يسر صاحب المهم - غالباً - أما هو فلا يدخل في جوفه من ذلك شيئاً البتة(٣).

وتشير المصادر إلى أن السلطان كان قد رتب له في السفرة الشمالية وأثناء المقام بحلب راتباً من اللحم يؤتى إليه به كل يوم، فكان لا يأكله، ولكن يشتري له غيره إلى أن فني ماله _ هناك _ فعمل حينئذ البقسماط يأكله بسكر ونحوه، ومن معه يأكلون اللحم المرتب لهم على السفرة التي يأكل السلطان عليها(٤).

كما كان يتعفف عن تعاطي معلوم الخطابة بالقلعة أيام قضائه بسبب ضعف الوقف(°).

وكان يعطي خادمه ما يشتري به له شيئاً من المأكل ويوصيه أن لا يكلف الباثع لأكثر مما يعطيه باختياره (٢). ويسأله مع ذلك عن مصدر أكلته، فإذا ما نسي السؤال واستطاب الأكل منه _ ظناً منه أنه مما جرت العادة بأكله يلقي الله في خاطره السؤال عنه قبل تمام أكله، فإذا ما ذكرت له جهته التي لا يحب الأكل منها استدعي بطست وقال: أفعل كما فعل أبو بكر _ رضي الله عنه _ ثم يتقيأ ما في بطنه (٧).

⁽١) السخاوي. الجواهر والدرر ق ٢٦٧ ب.

⁽٢) البقاعي. عنوان الزمان ج ١ ق ٥٥، السخاوي. الجواهر والدرر ق ٢٦٦ ب.

⁽٣) السخاوي. الجواهر والدرر ق ٢٦٦ ب، ٢٦٧ ب.

⁽٤) البقاعي. عنوان الزمان ج ١ ق ٥٥، السخاوي. الجواهر والدرر ق ٢٦٧ ضأ.

⁽٥) السخاوي , الجواهر والدرر ق ٢٦٧ أ.

⁽٦) نفسه ق ۲٦٧ ب.

⁽٧) نفسه ق ۲٦٦ أ.

بره وتصدقه:

أما بره وتصدقه على خلق الله _ على اختلاف طبقاتهم _ فقد وردت فيه روايات وقصص متعددة، مفادها أنه كان كثير البر مواظباً على الصدقة.

من ذلك أنه كان يعطي بعض جماعته مالاً جزيلاً ليفرقه على طلبته ونحوهم ويدفع هو لجماعة آخرين، كما كان يجتمع عنده الفقراء في يوم من السنة معلوم فيتولى عالباً بنفسه التفرقة عليهم، أو بحضوره، ويتفقد أناساً من المعتبرين في العلم وغيرهم بالإرسال إلى محالهم، ويتفقد عكذلك في كل قليل المحابيس ويصالح عنهم من ماله، ويحسن للفقراء من الجيران، ويشتري في رمضان عسلاً وسكراً تفرق على الناس توسعة في نفقة الشهر، وفي العيد الزبيب وغيره، وفي عيد الأضحى يرسل بالضحايا إلى الفقراء والمحتاجين، أو يفرق فيهم ما يساوي مائة دينار ويابلغ في إخفاء كل هذا نشداناً لحصول صدقة السر(۱).

وربما ضيع بعض ماله، أو سرقه من جانبه لاعواز لديـه(٢) فلا يعــذر هذا ولا يكشف ستر ذاك مع تحققه لفعلهما ومعاينته له.

إكثاره من العبادة وعدم تخلية وقته منها:

وطبيعي أن يكون «ابن حجر» وقد حاز لقب شيخ الإسلام، والحافظ والمحدث حتى صار علماً عليه _ ملازماً للعبادة، ومثلاً يقتدي به، فلقد كان قواماً بالليل متهجداً حتى في حال سفره وترحاله، واشتداد المرض به إلى أن عجز عن ذلك تماماً (٣) لا يترك جمعة ولا جماعة إلا قهراً عنه (٤) كثير الصوم (٥) حريصاً على عدم تخلية وقته من العبادة (٢).

⁽١) المصدر السابق ق ٢٧٤ ب ـ ٧٧٠ ب.

⁽۲) نفسه ق ۲۷۸ أ.

⁽۳) نفسه ق ۲۸۲ آ، ۳۲۰ ب.

⁽٤) نفسه ق ٣٢٠ أ.

⁽٥) ابن تغري بردى. النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٣٣.

⁽٦) السخاوي. الجواهر والدررق ٣٥ أ. وفيه أمثلة لذلك.

ولعمل هذا همو الدافع لمدى «ابن تغمري بمردى» إلى القمول فيه: «... وبالجملة فإنه أحد من أدركنا من الأفراد»(١).

الموضوعية والإنصاف في البحث:

على الرغم من أن ثقافة «ابن حجر» وعلومه كانت سلفية، وغالب قضايا وتصرفات مجتمعه كانت كذلك، فإنه قد انسلخ بفكره من بيئته وصار سباقاً لعصره في التحرر، والتحرز عن التعصب الذي كثيراً ما أهلك العلماء، وأوقع بهم في زلات كثيرة عرفت بالكائنات التي عقدت لها المجالس، واحتوت أخبارها مصنفات التاريخ في عصرها، وحوكم فيها الكثيرون منهم فأهينوا وعذبوا، أو لقوا حتفهم. لكنه كان على خلاف ذلك ـ حال تلبسه بالقضاء وغيره من المناصب المشاركة في الحكم على هؤلاء وغيرهم _ يتحرز عن التعصب والانقياد للإجماع الخاطىء، ميالاً إلى الحق بل والمعاداة فيه ـ على نحو ما أثبت في تلبسه بالقضاء من هذا الباب.

ويضاف إلى ذلك أنه كان منصفاً في البحث ولو على نفسه، لا يستنكف من سماع الفائدة ولو من صغار الناس أو آحاد الطلبة، بل يستحسنها ويأمر الحاضرين بسماعها (٢).

⁽١) ابن تغري بردى. النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٣٣.

⁽٢) السخاوي. الجواهر والدرر ق ٢٨٦ أ.

مرضه ووفاته

ابتدأ المرض بابن حجر _ رحمه الله _ في ذي القعدة سنة اثنتين وخمسين وثماغائة للهجرة (١) بعد أن فرغ من مجلس الإملاء _ يوم الثلاثاء الموافق الحادي عشر من الشهر _ ورجع إلى منزل أم أولاده _ وكان قبل قد تعشى عند إحدى زوجاته. _ فقدمت له العشاء فها امتنع من الأكل مراعاة لخاطر أهله، فثقل ذلك عليه وتغير مزاجه وأصبح ضعيف الحركة، وإن استمر مكتوماً ولا يعلم به أحد. . يطلع إلى المدرسة للصلوات والإقراء، بل لقد حضر في اليوم المناظر آخر مجالس إملائه على الرغم من توعكه. فلما اشتد به الوعك، وتضرر بالكتمان كثيراً أفصح عن مرضه، وخشي الأطباء أن يناولوه مسهلاً لأجل سنه، فأشير بلبن الحليب فتناوله فلانت الطبيعة قليلاً، وأدى ذلك إلى نشاط يسير ونوع شيئاً ثقيلاً على معدته » فتخلف عن صلاة عيد الأضحى، وهو الذي لم يترك شيئاً ثقيلاً على معدته » فتخلف عن صلاة عيد الأضحى، وهو الذي لم يترك جمعة ولا جماعة ، وإن تمكن في اليوم الشالث بعده من صلاة الجمعة برواق البسملة من جامع الحاكم، والتوجه إلى إحدى زوجاته حيث استعطف خاطرها في انقطاعه عنها وحاللها واسترضاها، وكأنه كان قد شعر بدنو أجله. (٢)

⁽١) ابن فهد المكي. الحظ الالحاظ ص ٣٣٧، السخاوي. الجواهر والدرر ق ٣١٩ أ.

 ⁽۲) نفسه ص ۳۳۹، ق ۳۱۹ أ ـ على التوالي ـ . . حيث أشار «السخاوي» (الجو هبر والـدرر ق ۳۲۹ أ) إلى أن «ابن حجر» ـ رحمه الله ـ كان «إذا خبر بالمنامات وشبهها مما يدل على صحته . .
 يقول: أما أنا فلا أراني إلا في تناقص، وما أظن الأجل إلا قد قرب، ثم ينشد:

وبعدها تزايد به المرض، وتردد إليه الأطباء، وصار مشغولاً بمطالعة «القانون» وغيره من كتب الفن، ومناظرة الأطباء. . (١) لكن ما أفاد، لقد عظم الكرب، واشتد الخطب (٢) وعجز «ابن حجر» حتى عن التوضوء، وصار يصلي الفرض جالساً، وترك قيام الليل وانتابه الصرع (٣). فهرع الناس كبارهم وصغارهم من: أمراء، وقضاة، ومباشرين، وعلماء، وطلبة، وصلحاء. . إليه أفواجاً لعيادته والسلام عليه (٤) وما أن كانت ليلة السبت من أواخر ذي الحجة بعد العشاء بنحو ساعة (٥) وقد جلس من حوله سبطه وبعض أصحابه يقرأون «يس»

الشكائسين مني أوهنت بدني فكيف حالي بعد ثاء الشمانينا ويقول: اللهم حرمتني عافيتك، فلا تحرمني عفوك».

كما يشير «ابن فهد المكي». (لحظ الألحاظ ص ٣٣٩) إلى أن «ابن حجر» في أواخر مرضه بأيام يسيرة عاده قاضي القضاة «سعد الدين ابن الديري الحنفي» فسأله عن حاله، فأنشده أربعة أبيات من قصيدة للإمام أبي القاسم الزمخشري، وهي:

ف اجعل المي خير عمري آخره وارحم عيظامي حين تبقى ناخرة ولت بأوزار غيدت متواترة فيحار جودك يا إلهي زاخرة (من الكامل).

قرب السرحيل إلى ديار الأخرة وارحم مبيتي في القبور ووحدي فأنا المسيكين المذي أيامه فلئن رحمت فأنت أكرم راحم

(١) السخاوي. الجواهر والدرر ق ٣٢٠ أ.

(٢) ئفسە .

(٣) نفسه ق ٣٢٠ ب.

- (٤) نفسه ق ٣٢١ أ ـ حيث عد «السخاوي» ممن حضر إليه: الأمير دولات باي والقاضي ولي الدين السفيطي، والشريف يحيى بن العيطار، والقاضي كمال الدين البارزي، والقاضي بدر الدين العيني، والشيخ مدين، والبدر ابن التنسي.
- (٥) اختلفت المصادر في تحديد يوم الوفاة، فبينها يشير «ابن طولون» ـ القلائد الجوهرية ج ٢ ص ٥٥٦ ـ و «السيوطي» ـ نظم العقيان ص ٥١ ـ إلى أن وفاته كانت في الثامن عشر من ذي الحجة، نسرى أن «ابن إياس» ـ بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٦٨ ـ ٢٦٩ ـ يجعلها في التاسع عشر من ذي الحجة، على حين أن «ابن فهد المكي» ـ لحظ الألحاظ ص ٣٣٧ ـ و «ابن تغري بردى» ـ النجوم الزاهرة ج ٧ ص ٢٧٤، والمنهل الصافي ج ٢ ص ٢٦١ ـ و «السخاوي» ـ الجواهر والدرر ق ٣٢١ ب، =

مرة، ويعيدون أخرى إلى قوله تعالى: ﴿سلام قولاً من رب رحيم﴾ -حتى فارقت الروح الجسد إلى بارئها فتولى أحدهم تغميضه، وشغل ولده ـ في اليوم التالي لموته ـ بتجهيزه وغسله.

وكانت تلك ساعة عظيمة، وأمراً مهولاً.. لقد وقع النوح في سائر النواحي _ حتى من أهل الهذمة _ وقفلت الأسواق، وغلقت الحوانيت(١) وشوهدت له جنازة _ لم تكن بعد جنازة «ابن تيمية» إلى وقته أخفل منها(٢).، وحرز من مشي فيها بنحو خسين ألفاً أو يزيدون، وقد تولى من بينهم الأمراء مقدمو الألوف _ حمل نعشه، وجهد الشخص الشديد الذي يتمكن من الوصول إلى نعشه أن يمس النعش برأس أصبعه(٣).

مشت تلك الجنازة المهيبة في خفر وسكون وجلال شاقة طريقها نحو مصلي المؤمني(٤). وهناك افترق الناس سماطين ليجتاز النعش من بينهما إلى حيث تلقى

⁼ والتبر المسبوك ص ٢٣٣ ـ و «ابن العماد الحنبلي» ـ شذرات الذهب ج ٢ ص ٢٧٣ ـ يجعلون وفاته في الثامن والعشرين من ذي الحجة.

وهي نقول لا يرتاح إلى إثبات أحدها لوقوع هذا الاختلاف والتضارب فيها، فضلاً عن أن بعض من أرخ ليوم الوفاة قد أسقط اليوم من ترجمته لابن حجر في موضع آخر من مؤلفاته مكتفياً بقوله: «توفي في ذي الحجة سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة» ـ ابن تغري بردى. المدليل الشافي ق ١٢ أ السخاوي. الضوء الملامع ج ٢ ص ٤٠، السيوطي. حسن المحاضرة ج ١ ص ٣٦٤، ذيل طبقات الحفاظ ص ٣٨١ ـ وتابعهم على ذلك «الشوكاني» ـ البدر الطالع ج ١ ص ٩٢.

كما أن بعضهم قد ناقض نفسه في موضع آخر (ابن تغري بردى. حوادث الدهمور (غتارات بوبر) ج ١ ص ٤٠) حيث جعله يوم الثامن عشر من ذي الحجة.

⁽١) ابن تغري بردى. المنهل الصافي ج ١ ص ٦٢، السخاوي. الجواهر والدرر ق ٣٢١ ب.

⁽٢) السخاوي. الجواهر والدرر ق ٣٢٢ أ.

⁽٣) ابن تغيري بردى. النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٣٣، المنهل الصافي ج ١ ق ٢٦، السخاوي. الجواهر والسدرر ق ٣٦٣، السيوطي. حسن المحاضرة ج ١ ص ٣٦٣، طبقات الحفاظ ص ٣٨٢.

⁽٤) تقع مصلي المؤمني تحت القلعة بالـرمل، وهي منسـوبة إلى منشئهـا الأمير سيف الـدين بكتمر بن ==

السلطان له، وقد أشار إلى أمير المؤمنين - الخليفة العباسي - بالتقدم للصلاة عليه (١). وبعدها توجهوا به إلى المحل الذي عين لدفنه (٢) فدفن هناك (٣). وأقام الطلبة والقراء والوعاظ على قبره أسبوعاً لعمل الختمات وانشاد المراثي على كثرتها(٤) وقد أعطى بتربته من المآكل وشبهها شيء كثير (٥).

أما خارج وطنه، فكانت صلاة الغائب عليه «بمكة»، و «بيت المقدس» و «الخليل»، و «حلب» و «دمشق». . وغيرها(٢٠) .

ولمحبة الناس إياه ظنوا أن الخضر ـ عليه السلام ـ قد شهد جنازتـه(٧) كما نسبوا إليه جملة من المنامات التي رويت له في حياته وبعد موته(٨) وترنموا بصـوت

عبدالله المؤمني ـ علي باشا مبارك. الخطط التوفيقية. ج ٥ ص ١٢٣.

⁽۱) ابن فهــد المكي. لحظ الألحاظ ص ٣٣٧، ابن تغــري بـردي. المنهــل الصــافي ج ١ ق ٢٦ أ، السخاوي. الجواهر والدرر ق ٣٢٢ أ، التبر السبوك ص ٢٣٣، الذيل عــلى رفع الإصر ص ٨٨، الضوء اللامع ج ٢ ص ٤٠، ابن طولون. القلائد الجوهرية ج ٢ ص ٤٥٦.

⁽٢) وهو «تبربة بني الخروبي المقابلة لجامع الديلمي والسروتين بين تربة الإمام الشافعي والشيخ مسلم السلمي ـ ابن فهد المكي. لحظ الألحاظ ص ٣٣٨، السخاوي. الجواهر والدرر ق ٣٢٢ أ، التبر المسبوك ص ٣٢٣، الذيل على رفع الإصر ص ٨٨ ـ ٩٨، ويلاحظ أن قبره يتبع ـ حالياً _ قارفة سيد عسل. _ شاكر محمود. ابن حجر العسقلاني ودراسة مصنفاته. . ج ١ ص ١٩٤.

⁽٣) السخاوي. الجواهر والدرر ق ٣٢٢ أ.

⁽٤) ذكر «السخاوي» في الجواهر والدرر فيضاً من مراثي الشعراء فيه منسوبة إلى كل من «الشيخ محيي المدين الكافياجي»، و «برهان المدين البقاعي» و «ابن أبي السعود المنوفي»، و «الشهاب المنصوري»، و «أبي هريرة بن النقاش الأصم» و «ابن الأوجاقي» و «ابن عامر الأشليمي»، و «الوزين ابن عبد المطلب»، و «الشمس البهرسي»، و «القيم القالاتي»، و «المحب ابن القطان»، و «سبط ابن حجر».

⁽٥) السخاوي. الجواهر والدرر ق ٣٢٢ ب.

⁽٦) نفسه .

⁽٧) نفسه ق ٣٢٢ أ، التبر المسبوك ص ٣٣٣.

⁽٨) البقاعي. عنوان الزمان ص ٥٩ ــ ٦١، السخاوي. الجواهر والدرر ق ٣٢٣ أ ــ ٣٢٤ ب.

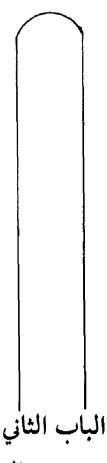
مفعم بالحزن والأسى بمرثية بعضهم فيه(١) وقد سحت أجفانهم دمعاً(٢).

(۱) هـو «أبو الـطيب أحمد بن محمـد بن علي الأنصـاري الخزرجي، المعـروف بالشيخ شهاب الـدين الحبجازي» ارت ٨٧٥ هـ. / ١٤٧١ م.)، ومرثيته في «ابن حجر» مطلعها:

كل البرية للمنية صائرة وقفولها شيئاً فشيئاً سائرة والنفس إن رضيت بذا ربحت وإن لم ترض كانت عند ذلك خاسرة (من الكامل)

وقد ذاعت بخصوصية الوعاظ والعامة لها، بحيث لم يشتهر غيرها. ابن فهد المكي. لحظ الألحاظ ص ٣٣٩، السخاوي. الجواهر والدرر ق ٣٢٢ ب، الضوء اللامع ج ٢ ص ١٤٧، السيوطي. حسن المحاضرة ج ١ ص ٥٧٣ - ٥٧٤.

(٢) السخاوي. الجواهر والدرر ق ٣٢٢ ب.



منهج «ابن حجر العسقلاني» في كتابه «الإنباء»

الفصل الأول: الخطة العامة للكتاب

الفصل الثاني: طبيعة الكتاب وأسس انتقاء مادته

الفصل الثالث: العلاقة بين الترجمات والحوادث في الكتاب

الفصل الرابع: مصادر مادة الكتاب

الفصل الخامس: النقد التأريخي في الكتاب

الفصل السادس: العلاقة بين «الإنباء» والمؤلفات التأريخية الأخرى

لابن حجر العسقلاني

الخطة العامة للكتاب

وصف الكتاب

يعد «إنباء الغمر» من أهم ما خلف «ابن حجر» من مؤلفات تأريخية لكونه الكتاب الوحيد الذي اشتمل على الحوادث والتراجم، وكان «ابن حجر» معاصراً لحيزه الزماني، مشاركاً للكثير من حوادثه، مدركاً لمعظمه، مما جعله ينفرد بذلك عن مؤلفين له معاصرين هما «ذيل الدرر»، و «المجمع المؤسس»، حيث اقتصرا على التراجم، إهمالاً لذكر الحوادث فيهما تفصيلاً وإن وردت عرضاً في التراجم باعتبارها مشكلة لبعض عناصره، مكونة لمادتها.

ويبدو أن «ابن حجر» لم يشرع في تدوين حولياته حال وقوع حوادثها أو حدوث وفياتها، وإنما كان ذلك يحدث _ غالباً _ بعد انقضاء أمد طويل على وقوعها(١) كما أنه كان دائب الرجوع إلى حولياته، معدلاً _ سواء بالإضافة أو

⁽۱) يتأيد ذلك بقوله في ترجمة «ابن خطيب القلعة الحموي» (ت ٧٧٤هـ. / ١٣٧٣ م.): «... وآخر من بقي ممن أسد عنه: موقع الحكم بحماه، شرف الدين بن المغيزل، لقيته في سنة ست وثلاثين وثمانمائة بها ـ ابن حجر. إنباء الغمر ج ١ ص ٥٥ تر ٤٧، وقوله في ترجمة «ابن الصائغ الحنفي» (ت ٢٧٧هـ. / ١٣٧٥ م.): «... وأدركت أنا في الجامع نحو هذا العدد لكنهم لا يحضرون أصلاً، بل يأخلون المعلوم من وقف الجامع، ثم قطعوا في أواخر دولة الأشرف، ثم أعيد بعضهم في دولة الظاهر» ـ نفسه ج ١ ص ٩٥ ـ ٣٦، وقوله في حوادث حولية إحدى وثمانين وسبعمائة: «... واستقر تدريس الحديث بيده، ثم استقر فيه ولده إلى أن صار إلى كاتبه» ـ نفسه ج ١ ص ١٩٥ ، وقوله في حوادث وفي شعبان أسلم نصراني يقال ص ١٩٥، وقوله في حوادث وفي شعبان أسلم نصراني يقال

بالحذف _ ولذا فإن صفحات الكتاب قد تداخلت المعلومات فيها في مواضع كثيرة، من إحالات في المتن إلى تتمات في سائر الجوانب، وإضافات لترجمات فاته تدوينها في صلب الكتاب ومتن الصفحات، أو كثير من الجوادث التي اطلع عليها في كتب ومؤلفات الغير كابن خطيب الناصرية _ على سبيل المثال(١).

كما كان كثير الضرب على المعلومات الواردة في المتن وجوانب الصفحات ـ كذلك ـ حتى لقد وصل به الأمر في ذلك إلى الضرب على كثير من الترجمات المكتملة لتأتي وقد عدلت في زوايا الصفحات المضروب عليها فيها ـ في ثوب جديد كما وكيفاً.

كما كان كثيراً ما ينص على الترتيب(٢) أو التحويل إلى حولية أخرى(٣) وقد دون إحدى الترجمات في غير موضعها من الوفيات سهواً.

[—] له ميخائيل من أهل مصر، فقرر ناظر المتجر السلطاني، وحصل للناس منه ضرر كبير، وسيأتي ما آل إليه أمره في سنة تسع وثمانين» ـ نفسه ج ١ ص ٣١٧، وقوله في حوادث حولية تسع وثمانين وسبعمائة: «... وفيها ضربت الفلوس التي أحدثها جركس الخليلي، وجعل اسم السلطان في دائرة فتفاءلوا له من ذلك بالحبس، فوقع عن قرب، ووقع نظيره لولده الناصر فرج في الدنانير الناصرية» ـ نفسه ج ١ ص ٣٣٥، وقوله في حوادث حولية اثنتين وتسعين وسبعمائة: «... وفي صبيحة هذا اليوم ـ عاشر صفر ـ استقر كريم الدين بن عبد العزيز ـ الذي تزوجت أنا ابنته بعد هذا بست سنين ـ ناظر الجيش .. » ـ نفسه ج ١ ص ٣٨٤ ـ ٣٩٥ وقوله في حوادث حولية سبع وتسعين وسبعمائة: «... وفيه أمر شيخ ـ الذي صار بعد ذلك سلطاناً (أمير) أربعين، وأمر نوروز تقدمة ألف» ـ نفسه ج ١ ص ٤٨٧ ، وقوله : «... في آخر هده السنة رحلت إلى ثغر الأسكندرية فسمعت بها من ... وأقمت بها إلى أن رحلت هذه السنة ،ودخل في السنة التي تليها عدة أشهر» نفسه ج ١ ص ٤٨٥ .

⁽١) نفسه ج ١ ص ٥.

 ⁽۲) نفسه ق ۲٦ ب (هـامش أيمن) حيث ينص في تــرجمـة «إبــراهيم بن ســرايــا الكفــرمــاوي»
 (ت ٧٨٦ هــ/ ١٣٨٥ م.) إلى ضرورة ترتيبها، ويقابلها في مطبوعة القاهر ج ١ ص ٢٩٢ ترا.

⁽٣) نفسه ق ٦٣ ب، حيث أشار في ترجمته «لا سماعيل بن بـردس» (ت ٧٨٦ هـ/١٣٨٥ م.) ـ وقد وردت ضمن وفيات حولية خمس وثمانين وسبعمائة ـ إلى ضرورة التحويل، ويقـابلها في مـطبوعـة القاهرة ج ١ ص ٢٩٢ تر ٥.

كل هذا ـ لا شك ـ جعل مؤلف مختل الترتيب، وإن ظهر ذلك جلياً في القسم الخاص بتدوين الوفيات من كل حولية. بل لقد أتت آخر حوليات الكتاب، حولية خمسين وثمانمائة ـ مختلة الترتيب، مخالفة للمنهج المتبع في الحوليات السابقة لها حيث تداخلت فيها المعلومات، واختلطت فيها الحوادث بالترجمات.

وهـذا يشير ـ دون أدنى شـك ـ إلى أن «ابن حجر» قـد تـرك كتـابه في المسودة، وإلى أنه لم يكن قد أكمله بعد، وإلا لما وقف به عند نهاية حولية خمسين وثمانمائة، ولما أتت هذه الحولية على تلك الكيفية.

وتلك مسئولية القيت على عاتق نساخ الكتاب وناشريه، فاضطلعوا بـذلك وراعـوا رغبة المؤلف في الترتيب والتبويب ـ قدر الإمكان .

تاريخ كتابة الإنباء:

لا يعرف ابتداء « ابن حجر» بالكتابة في «إنباء الغمر»، وإن كان أقدم تاريخ ورد في المتن مؤرخاً لمادته يرجع إلى «شعبان سنة ست وثلاثين وثمانمائة»، كما لا يعرف تاريخ الفراغ من كتابة آخر حولياته، وهو لا يسريب بعد الخمسين وثمانمائة أو في نهايتها.

عنوان الكتاب:

لا يحتاج عنوان الكتاب وهو: «إنباء الغمر بأنباء العمر» إلى تحقيق أو جهد في نسبته إلى المؤلف، وانتساب الكتاب إليه، ذلك أن «ابن حجر» قد أثبته في خطبة الكتاب، وبقي الكتاب إلى وقتنا في صورته الأولى بخط مصنفه، ولكن قد يكون في حاجة إلى زيادة توضيح وتفسير.

فالغمر ، جمع غمر ـ بفتح الغين أو كسرها أو ضمها، وجواز تحريك ميم المفرد ـ وهو: غير المجرب للأمور (١٠).

والإنباء _ بكسر الهمزة _ إخبار المتكلم سواه الخبر(٢).

⁽١) ابن منظور. لسان العرب ج ٦ ص ٤٣١٥.

⁽٢) نفسه.

والأنباء، جمع نبأ، وهي الأخبار التي ينبيء بها المتكلم غيره (١). وعلى ذلك فالمعنى الذي يتضمنه العنوان هو:

«إخبار اللاحقين بأخبار عصره».

النسق الفني للإنباء

.. هكذا ترك «ابن حجر» كتابه «إنباء الغمر» مسودة لم يمهله الأجل ليبيضها أو يكملها، فكانت تلك مسئولية ملقاة على عاتق النساخ الذين وجدوا أمامهم كما هائلاً من الورق والمعلومات، فلم يتيسر لهم تخريجه إلا في مجلدتين أو ثلاث دون مراعاة لرغبة المؤلف في تجزيء الكتاب، ذلك أن «ابن حجر» قد نص على تجزيء الكتاب - في ذيل حولية ثماغائة - قائلاً: «.. الثاني من إنباء الغمر للفقير إلى عفو ربه القدير أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الأصل المصري، فيه أول سنة إحدى وثماغائة» (٢). وهو ما يشير إلى أنه كان ينتوي تخريجه في مجلدتين تستفتح ثانيتها بحولية إحدى وثماغائة للهجرة باعتبارها بداية لقرن هجري جديد.

وتلك رغبة متعلقة بنظرة شمولية لديم عالج بها التأريخ لعصره، واقتضته أن يخرج مؤلفاً مستقلاً لأعلام قرن كامل، أرخ فيه لهذا القرن من خلال تراجم الأعلام (٣) لأن دراسة قرن كامل تكون أقرب إلى الرؤية على اعتبار طول المدة بما يبدو فيها من العوامل الفاعلة والمنفعلة في الحوادث، مما يتيح فرصة للحكم الشمولي على هذا القرن أو ذاك.

وإن كان قد تأتي له هذا في «الدرر الكامنة» - باعتباره شاهد عيان لفترة من نهايته - لا بأس بها - وباطلاعه على مراجع التأريخ لهذا القرن - فإنه من غير المعقول أن يتأتى له ذلك بالنسبة للقرن التاسع الهجري، فتلك مسألة آجال.

⁽١) المصدر السابق ج ٥ ص ٣٢٩٥.

⁽٢) ابن حجر. إنباء الغمرج ٢ ص ٣٥.

⁽٣) هو كتاب «الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة» ، وسوف يرد التعريف به .

ولذا فإنه قد سلك طريقاً وسطاً، فخرج الكتاب على سنوات العمر، ثم عمد بعد ذلك إلى التأريخ للقرن التاسع الهجري.

ولا محل للتساؤل _ هنا _ عن عزوفه في الجزء الأول من الكتاب عن التأريخ بداية بالقرن الشامن ما دامت المسألة مسألة تأريخ في وحدات زمانية أمدها مائة عام، لأن «ابن حجر» كان قد أرخ لهذا القرن _ الشامن _ حقيقة من خلال الترجمة لأعلامه في «الدرر الكامنة» مما يجعله في غير حاجة إلى سرد حوليات له على النحو الوارد في «الإنباء»، كما أن ابتداء «الإنباء» بالتأريخ للقرن الثامن كله عمل غير ذي جدوى بالنسبة له، فالكتاب بصورته التي أرادها له مؤلفه «يحسن من حيث الحوادث أن يكون ذيلاً على تاريخ الحافظ عماد الدين بن كثير فإنه انتهى في ذيل تاريخه إلى هذه السنة _ ٧٧٣ هـ. _ ومن حيث الوفيات أن يكون ذيلاً على الوفيات التي جمعها الحافظ تقي الدين ابن رافع، فإنها انتهت _ أيضاً _ إلى أوائل هذه السنة »(١).

ويتأيد ذلك _ كذلك _ فضلاً عن وجود عبارته آنفة الذكر _ في ذيل حولية ثمانمائة _ بافتتاحية حولية إحدى وثمانمائة بما يشير إلى بداية فعلية لمجلدة تالية عن استهلال بالبسملة والحمدلة متبوع بقائمة استقرارات وظيفية يأي على رأسها السلاطين والملوك وغيرهم من أرباب الدولة والمتغلبين عليها لتكون بمثابة تعريف بأبرز الشخصيات التي سوف تسند إليها الأعمال الجارية على مسرح الحوادث في العالم الإسلامي للوقوف على دوركل وتفهمه من خلال حوليات تالية، وبعدها نجده يفصل بين قائمة الاستقرارات _ تلك _ وبين ما سوف يتبعها من تسلسل للحوادث الفرادى قائلاً: «ذكر الحوادث فيها. . »(٢) وهو ما نعدم نظيره في حوليات : سابقة أو لاحقة على هذه الحولية، اللهم إلا في حولية ثلاث وسبعين وسبعمائة المتصدرة لحوليات الكتاب كله، حيث استهلت بقائمة مثيلة لتلك، ثم اتعبت بقوله: « . . فمن الحوادث في هذه السنة . »(٣).

⁽١) ابن حجر. إنباء الغمرج ١ ص ٥.

⁽٢) نفسه ج ٢ .ص ٣٧ .

⁽٣) نفسه ج ١ ص ٩.

ولو لم يكن البدء الآنف الذكر مقصوداً منه لهذا الغرض لتكرر ذلك في حوليات لاحقة لحولية إحدى وثمانمائة، فوجد على غراره وما ألحق به ثالث ورابع من «إنباء الغمر».. وهكذا.

لكن هذا التجزيء يجعل المجلدة الأولى من الكتاب غير متناسقة مع لاحقتها من حيث عدّ الأوراق فيها، فضلاً عن الحوليات في كل، حيث أن المجلدة الأولى وقد ابتدأت بعد المقدمة بحولية ثلاث وسبعين وسبعمائة، وانتهت بحولية ثمانائة قد احتوت على ثمان وعشرين حولية فقط، على حين أن المجلدة الثانية وقد ابتدأت بحولية إحدى وثمانمائة وانتهت بحولية خسين وثمانمائة قد احتوت على خسين حولية، وهو ما لا يتأتى معه التناسق الفني بين المجلدتين.

وهذه النظرة الفنية لم تكن تعنيه البتة، فتجزيء الكتاب لا يخضع لديه للشكلية البحتة التي يراعي فيها التنسيق الفني بين مجلدتيه، وإنما هي مسألة منهج توجهه نظرة تأريخية شمولية ملحة على هذا التجزيء، وتظهر - كذلك - في العمد إلى الشمول الموضعي لموضوعات حوادث حولياته.

ويؤيد ذلك أنه لم يراع التناسق بين عدد الصفحات أو كمية المعلومات الواردة في الحوليات _ فرادى، فقد تطول حولية (١) وتقصر أخرى (٢) وتكون ثالثة ربعة لا هي بالطويلة ولا بالقصيرة. . (٣) فضلاً عن إغفال النسق الفني في البناء الداخلي للحولية منفردة، حيث لا يوجد مثل هذا التناسق بين التراجم والحوادث من حيث المساحة الشاغلة لها، والعدّ فيها، كما يلاحظ تباين ذلك في النوع الواحد، فقد يقصر الترجمة أو الخبر ليشغلا أقل من السطر (٤) وقد

⁽١) من نماذج ذلك حولية ثلاث وثمانمائة للهجرة.

⁽٢) من نماذج ذلك حولية خمسين وثمانماتة للهجرة.

⁽٣) من نماذج ذلك حولية إحدى وعشرين وثمانمائة للهجرة.

⁽٤) كنحو قوله في وفيات حولية خمس وسبعين وسبعمائة: «عمر بن تقي الدين السعودي، شيخ خانقاة بكتمر. مات في ذي الحجة» - إنباء الغمر ج ١ ص ٦٧ تر ٢٤ - وقوله في وفيات حولية ثمان وسبعين وسبعمائة: «إبراهيم بن عبدالله العجمي، أحد من كسان يعتقد بدمشق» - نفسه ج ١ تر ٣ ص ١٣٤ - وقوله في حوادث حولية اثنتي عشرة وثمانمائة: «. . . . وفي تاسعه صرف =

يطولهم ليزيدا على الصفحة. . (١).

وهذا طبيعي لدى كتاب الحوليات الإسلامية التقليديين بصفة عامة - ومنهم «ابن حجر»، لأن ذلك خاضع قبل كل شيء لطبيعة كاتبها، وتوفره على المصادر، وتوفر المصادر له، فضلًا عن نوع المعلومة المدونة، وجدارتها بالتسجيل على الإسهاب أو الإقتضاب حسب مقاييسه هو، ومفهومه للتأريخ، وتفهمه لها. بل لا يتأتى ذلك للمؤرخ الحديث والمعاصر إلا بتكلف ربما أفسد عليه ما يناط به من عمل.

وهكذا فإن هذه النظرة المنهجية لديه لم تكن _ للأسف _ متفهمة لدى نساخ الكتاب وناشريه، فتخطوا التقسيم المعتبر لـدى كاتبـه إلى تقسيمات أخرى على نحو ما هو بين قبل.

هذا من حيث تجزيء الكتاب، أما من حيث تنظيمه فإن «ابن حجر» قد رتبه على مقدمة (٢) تتبعها معلومات نظمت على الحوليات المتتابعة الإفراد ابتداء بحولية ثلاث وسبعين وسبعمائة _ وهي سنة مولده _ وإنتهاء بحولية خمسين وثماغائة _ أي قبل وفاته بنحو عامين _ مراعياً فيها أن تذكر الحوادث وتراجم

⁼ ابن شعبان عن الحسبة، وأعيد الطويل».. هكذا مجرداً ـ المصدر السابق ج ٢ ص ٤٣٢ ـ على عكس ما فعل بغيره من الاستقرارات الوظيفية المتعلقة بالبرهان ابس جماعة وغيره ـ راجع: العلاقة بين الترجمات والحوادث من هذا الباب.

⁽۱) من نماذج الترجمات المطولات في «الإنباء» ترجمته لابن حجي الحسباني ـ ج ٣ تر ٦ ص ١٨ ـ ٢٠ ـ والمجد الفيروزبادي ج ٢ تر ١٦ ص ٢٩ ـ ٥٠ ـ والعجل بن نعير ـ ج ٣ تـر ٢٠ ص ٢٦ ـ ٢٧ ـ وفتح الله بن نفيس ج ٣ تر ٢٤ ص ٢٩ ـ ٣٠.

ومن نماذدج الحوادث المطولات ما تعلق بسفرة آمد (السفرة الشماليسة) ـ نفسمه ج ٢ ص ٤٩٢. وما بعدها.

⁽٢) وتحتوي على البسملة والدعاء والشهادتين، ونسبة الكتاب إلى مؤلفه ثم تعريف بالكتاب وبمصادره والهدف منه، والإشارة إلى تعديله لمادته بعد اطلاعه على ذيل ابن خطيب الناصرية على تاريخ ابن العديم في سفرة آمد.

الوفيات منفصلة عن الأخرى من حيث النسق الترتيبي (١) ولذا نجده يفصل بين الحوادث والتراجم في الحولية الواحدة بعنوانات هي: «ذكر من مات في سنة... من الأعيان»، ذكر من مات سنة... من الأكابر»، «ذكر من مات في هذه السنة من الأكابر»، على أن عبارة «ذكر من مات سنة... من الأكابر»، على أن عبارة «ذكر من مات سنة... من الأعيان»غالبة الشيوع في مؤلفه.

وقد تكون لبعض الحوليات طبيعة خاصة تقتضيه التمييز بين نوعين من تراجم الوفيات الكائنة فيها، على نحو ما فعل بوفيات حولية ثمان وسبعين وسبعمائة، حيث وردت تحت عنوانين هما: «ذكر من مات في سنة ثمان وسبعين وسبعمائة من الأعيان»(۲)، «وفيها مات من الأمراء:»(۳) وما فعل بوفيات حولية ثماغائة، حيث وردت الوفيات موزعة فيها على عنوانين هما: «ذكر من مات في سنة ثماغائة من الأعيان»(٤)، «ذكر من مات في سنة ثماغائة من الأعيان»(٥)، «ذكر من مات في سنة ثماغائة من الأجناد»(٥).

ويلحق بهذا البناء الداخلي للحوليات _ فيها يختص بتراجم الوفيات _ تنظيم التراجم والوفيات في الحولية الواحدة على حروف الهجاء(٢) معتبراً اسم المترجم له فحسب، وليس اسم الشهرة سواء كانت الشهرة في لقبه أم كنيته، اللهم إلا إذا غاب عنه اسم المترجم له، أو تخوف من أن يسبب ذلك لبساً لدى مطالع حولياته(٧) وهذا لا يتأتى معه التسلسل التأريخي للوفيات داخل لدى

⁽١) وإن ترجم لبعض الوفيات في القسم الخاص بالحوادث من حوليات الكتاب ـ راجع: العلاقة بين التراجم والحوادث من هذا الباب.

⁽٢) ابن حجر. إنباء الغمرج ١ ص ١٣٤.

⁽٣) نفسه ج ١ ص ١٣٧، ١٣٩.

⁽٤) نفسه ج ۲ ص ۲۲.

^(°) نفسه ج ۲ ص ۲۳.

⁽٦) وإن اختل ذلك في بعض مواضع منها وفيات حولية ٨١٣ هـ. _ نفسه ج ٢ ص ٤٧٨ _ ٤٧٩ .

⁽٧) وأكثر ذلك يتعلق بالمعتقدين (المتصوفة) وأمراء المماليك، ومنه الترجمة على اسم الشهرة مغفلًا الاسم الأصلي لكل من «حسام الدين الصفدي» _ نفسه ج ٣ تـر ١٣ ص ٢٤ ـ و «نجم ابن =

الحولية الواحدة حسب الأيام والشهور المتعاقبة _ الواقع فيها الوفاة _ على نحو ما ورد لدى مصادر معاصرة له(١) وإن تميز بسهولة الكشف عن المترجم له إذا ما عرفت سنة الوفاة واسم المترجم له على الصواب.

أما الحوادث فإنه راعى فيها أن تأتي متتابعة التسلسل في صدر حولياتها وقد فصل بين حولية وأخرى بقوله: «سنة (كذا)».

لكن قد تتصدر بعض الحوادث حولية بعينها باعتبار نوعيتها المغايرة لسائر الحوادث المتتابعة الإفراد، أو لغلبتها على فكر المؤرخ أو عصره. وهنا نجده قد فصل بين تلك الحوادث المتميزة وبين غيرها من الحوادث المتعاقبة بما يشير إلى ذلك، كنحو قوله في حولية ثلاث وتسعين وسبعمائة وقد تصدرتها «الأخبار المنطاشية»: «ذكر بقية الحوادث الكائنة في هذه السنة»(٢) وقوله في حوادث حولية ثلاث وثمانمائة وقد تصدرتها أخبار «تمرلنك»: «ومن الحوادث غير قصة

⁼ عبدالله القابوني» ـ نفسه ج ٣ ص ٨٤ تر ١٧ ـ و «شاهين الأفرم» ـ نفسه ج ٣ تر ٦ ص ٣٥ و « نوروز» ـ نفسه ج ٣ تر ١٧ ص ٥٠ ـ ١٥ وقد يترجم للوفاة في موضعين: على الاسم، ثم على اسم الشهرة، أو العكس ـ مع الإحالة في الموضع الثاني على الموضع الأول، كما فعل بترجمته «لعبدالله بن محمد بن سهل المرسي المغربي» وقد ترجم على الاسم ـ نفسه ج ١ تر ٢١ ص ١٨٤ ـ ثم على اسم الشهرة محيلاً على الأول قائلاً: «نهار الذي كان يعتقد بالأسكندرية، وهو عبدالله تقدم» ـ نفسه ج ١ تر ٢١ ص ١٨٩ ـ وترجمته لقرايوسف ـ ضمن وفيات حولية ثلاث وعشرين وثمامائلة تحت اسم «قرا يوسف بن قرا محمد التركماني» ـ نفسه ج ٣ تر ٨ ص ٢٣٠ ـ ثم الترجمة له في موضع آخر بالإحالة قائلاً: «يوسف قرا محمد التركماني المعروف بقرا يوسف بن بيرم خجا، تقدم في قرا يوسف» نفسه ج ٣ تر ٢٣ ص ٢٣٠ ـ وترجمته لكل من: «أحمد بن موسى بن سند» ـ نفسه ج ١ تسر ٩ ص ١٥٥ ـ و «صدقة بن محمد فتح الدين» ـ نفسه ج ١ تسر ٢٤ ص ١٥٠ ـ و «صدقة بن محمد فتح الدين» ـ نفسه ج ١ تر ٢٤ ص نفسه عمد أبو دقن، نفسها ـ على اسم الشهرة محيلاً على الأول قائلاً: «أبو سعمد بن سند، اسمه محمد، أبو دقن، اسمه صدقة. تقدما» ـ نفسه ج ١ تر ٥٠ ٢ ص ١٥٠ .

⁽١) كما فعل المقريزي في «السلوك»، وابن حجي في تــاريخه، وصــاحب حوليــات دمشقية ــ نشــرة د. حسن حبشي.

⁽٢) ابن حجر, إنباء الغمرج ١ ص ٤١٤.

تمرلنك»(١) وقوله في حوادث حولية اثنتي عشرة وثمانائة، وحولية ثلاث عشرة وثمانائة: «ذكر حوادث أخرى غير ما تعلق بالمتغلبين»، «ذكر الحوادث الخارجة عن حروب المتغلبين»(٢) وقد أفرد صدريها للصراع بين «شيخ المحمودي» وغيره من كبار أمراء المماليك ونواب السلطنة، وبين «الناصر فرج» وحربه لهم. وقوله في حوادث حولية ثمان وعشرين وثمانمائة: «ذكر غزاة قبرس الأولى»(٣) ليفصل بين أخبارها وما سبقها من الأخبار الفرادى المتوالية التتابع، وقوله في حوادث حولية ست وثلاثين وثمانمائة: «ذكر السفرة الشمالية»(٤) مميزاً لها عن حوادث أخرى تسبقها، ثم اتبعها بنوع آخر من الحوادث المعنونة بقوله: «ذكر الحوادث في غيبة السلطان الأشرف بالقاهرة»(٥). وجمعه لحوادث تعلقت بغزو رودس سنة في غيبة السلطان الأشرف بالقاهرة»(٥). وجمعه لحوادث ذات نوعية مغايرة وقد سبع وأربعين وثمانمائة في موضع واحد لتتبعها حوادث ذات نوعية مغايرة وقد سبقت بقوله: «ومن الحوادث بعد أن سافر الغزاة...»(٢)... وهكذا.

لكن ـ مع ذلك ـ فإن الملاحظ من استقراء الحوادث ومقابلتها بمثيلاتها في كتابات غيره من المؤرخين المعاصرين:

١ ـ أنه لم يكن دقيقاً في تأريخ أو عرض الكثير من حوادث كتابه.

٢ ـ أن التأريخ والعرض للحوادث لم يسر على وتيرة واحدة .

وحتى لا يطول الحديث في هذا الموضوع ويخرج بنا عن الخطة العامة للبحث فإنه سوف يكتفي باختيار خمس حوليات لدراستها كمثال ـ للتدليل على هذه الملحوظة وهي سنة ٧٧٣هـ. ـ على اعتبار أنها أولى حوليات الكتاب، والمقطوع به أن دور «ابن حجر» فيها كان دور الناقل من كتابات سواه، ولم

⁽١) المصدر السابق ج ٢ ص ١٤١.

⁽٢) نفسه ج ٢ ص ٤٣٠، ٤٥٩ ـ على التوالي.

⁽٣) نفسه ج ٣ ص ٣٤٦.

⁽٤) نفسه ج ٣ ص ٤٩٢.

⁽٥) نفسه ج ٣ ص ٥٠٠.

⁽٦) نفسه ج ۹ ص ۲۰۰ .

يعاين أحداث هذه السنة لكونه ولد فيها _ وسنة • ٠٨ هـ. _ باعتبار أنها تمثل نهاية القرن ويمكن أن يقال فيها أن «ابن حجر» قد مزج فيها بين ما التقطه بنفسه من الحوادث وبين ما أخذه من بطون الكتب _ وسنوات متأخرة من حوليات كتابه يكتفي فيها بسنة ٨٤٥ هـ. _ لأن لها طابعاً خاصاً _ وسنة ٨٤٩ هـ. ، وسنة ٠٥٨ هـ. _ وسنة ٠٥٨ هـ. .

حيث نجده قد نهج في حولية ثلاث وسبعين وسبعمائة للهجرة نهجاً هو:

* _ إغفال تأريخ الحوادث بنسبتها إلى اليوم أو الشهر الذي وقعت فيه باستثناء ثلاثة مواضع _ اكتفاء بنسبتها إلى السنة، قائلًا: «... فمن الحوادث في هذه السنة...»(١)، أو «وفيها...»(١) أو «وفي هذه السنة...»(١) أو «واتفق في هذه الأيام...»(١).

٢ ـ أما المواضع المؤرخة، فقد أتى موضع منها مؤرخاً بنسبة الحدث إلى الشهر دون تحديد اليوم قائلاً: «وفي صفر...»(٥) بينها أرخ باليوم في الموضع الشاني، وبالليلة في الموضع الثالث قائلاً: «... وفي أول يوم من جمادي الأخرة...»(٢)، «وفي ليلة الرابع عشر من شهر ربيع الأول...»(٧).

أما حولية ثمانمائة للهجرة، فإنه قد اتبع فيها نهجاً أكثر وضوحاً في عدم الدقة من هذا وهو:

١ ـ اختلال تسلسل الأيام في الشهر الواحد، ومن أمثلة ذلك ما ورد
 بخصوص الحوادث التي أرخها بذي الحجة، حيث أتت على النحو التالي:

⁽١) المصدر السابق ج ١ ص ٩.

⁽۲) نفسه ج ۱ ص ۹، ۱۰، ۱۲، ۱۶، ۱۵، ۱۶۱. ۱۳.

^{· (}٣) نفسه ج ١ ص ١٧ .

⁽٤) نفسه ج ١ ص ١٩.

⁽٥) نفسه ج ١ ص ١١.

⁽٦) نفسه ج ١ ص ١٦.

⁽٧) نفسه ج ١ ص ١٧ .

- في أواخر ذي الحجة^(١).
- ـ في سابع عشري ذي الحجة (٢).
- $_{-}$ في السابع والعشرين من ذي الحجة $^{(7)}$.
 - في الثالث من ذي الحجة ^(١) .
 - ـ في أول يوم من ذي الحجة.
 - _ فلما كان في الثامن من ذي الحجة .

٢ ـ الاختلال في تتابع الشهور في الحولية الواحدة:

حيث وردت الشهور المرتبة للحوادث على النحو التالي: (بعد اسقاط الحوادث المنسوبة إلى السنة دون تأريخ باليوم والشهر):

المحرم / صفر / شعبان / ربيع الأول / صفر / جمادى الأولى / جمادى الأخرة / شعبان / رمضان / شوال / ذي القعدة / ذي الحجة / ربيع الأول / جمادى الأولى / ربيع الآخر.

ومعنى ذلك:

أ_أن حوادث شهر صفر قد أتت في ثـلاثة مواضع من الحولية: بعـد المحرم مباشرة، لتقطعها حوادث شعبان وربيع الأول.

ب_ أن حوادث شهر شعبان أتت في موضعين: بعد صفر مباشرة، ثم ليعترضها أشهر: ربيع الأول، وصفر، وجمادى الأولى، وجمادى الأخرة، _ بحوادثها.

جــ أن حوادث شهر ربيع الأول قد أتت في مواضع ثلاثة: في موضعين يعترضها شهر صفر بحوادثه، ثم بعد الشهور التالية بما تحمله من الحوادث المؤرخة بها: صفر _ جمادى الأولى _ جمادى الآخرة _ شعبان _ رمضان _ شوال _ ذي القعدة _ ذي الحجة.

⁽١) المصدر السابق ج ٢ ص ٢٠.

⁽٢) نفسه ،

⁽٣) نفسه ج ٢ ص ٢١.

⁽٤) نفسه .

د ـ أن حوادث جمادي الآخرة قد أتت في موضعين تفصل بينها حوادث: جمادي الآخرة ـ شعبان ـ رمضان ـ شوال ـ ذي القعدة ـ ذي الحجة ـ ربيع الأول.

ومعنى ذلك أنه لا يمكن الكشف عن حادث وقع في أي من شهور السنة بدون قراءة الحولية بتمامها للوقوف على المطلوب منها. كما أن هذا ربحا يشير إلى أن مفهومه من التأريخ للحوادث هو مجرد إثباتها في حيز الحول الواقعة فيه دون تتابع أو ترتيب زمني يسير فيه على وتيرة واحدة (١).

 7 الشهر الواقعة فيه، أو بنسبتها إلى السنة متجاهلًا التأريخ باليوم والشهر ومن الشهر الواقعة فيه، أو بنسبتها إلى السنة متجاهلًا التأريخ باليوم والشهر ومن أمثلة الاتجاه الأول - التأريخ بالشهر مع إغفال اليوم: «في المحرم . . . $^{(7)}$ ، «في ربسيسع الأول $^{(7)}$ ، «في صفر . . . $^{(3)}$ ، «في جسادي الآخرة . . . $^{(9)}$ ، «في معبان . . . $^{(7)}$ ، «في رمضان . . . $^{(7)}$ ، «في شوال . . . $^{(7)}$ ، «في زمضان . . . $^{(7)}$ ، «في شوال . . . $^{(7)}$ ، «في خفال اليوم ومن أمثلة الاتجاه الثاني ، وهو نسبة الحوادث إلى سنة وقوعها مع إغفال اليوم والشهرة وله : «وفي هذه السنة . . . $^{(1)}$ ، «وفيها . . . $^{(1)}$).

⁽١) ربما وقع ذلك في الكتاب لتركه له في المسودة، وهي صورة لفكره وقت التأليف الأول للمعلومات، وهذه الدراسة الوصفية مبنية عليها لأنها العمل الراهن الواقعي، أما ما كان في الغيب لو عاش «ابن حجر» لتصنيفه في المبيضة فلا يمكن إدراكه ليوصف. ويلاحظ أن مثل ذلك المثبت في المتن قد وقع في كتاب الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري لآدم متز، الذي جمع تلاميده أوراق مسودته ونشروها بعده.

⁽٢) ابسن حجر. إنباء الغمرج ٢ ص ٨.

⁽٣) نفسه .

٧٤٠ ئۆسە،

⁽٥) نفسه ج ٢ ص ١١.

⁽٦) نفسه ج ۲ ص ۱۲.

⁽٧) نفسه .

⁽٨) نفسه ج ٢ ص ١٤.

⁽٩) نفسه ج ٢ ص ١٦.

⁽۱۰) نفسه ج ۲ ص ۹.

⁽١١) نفسه ج ٢ ص ٩، ١٢، ١٤، ١٨، ١٩، ٢٠، ٢٢.

٤ ـ كما قد تأتي الحوادث مؤرخة تقريبياً _ منسوبة إلى أوائل أو وسط أو أواخر الشهر _ وليس على وجه الدقة ، كنحو قوله :

«وفي أوائل ذي القعدة...» (١) ، «وفي وسط هــذا الشهر...» (٢) «وفي أواخر ذي الحجة...» (٣) .

0 _ لكن على العكس من ذلك قد أتت بعض الحوادث المؤرخة باليوم والشهر نحو قوله: «وفي الشامن من المحرم. . . » (3) وقوله: «وفي العشرين من ربيع الأول. . . » (6) أو باليوم والشهر واليوم من الأسبوع ، كنحو قوله: «وفي ليلة الجمعة ثامن شعبان . . . » (7) ، أو باليوم والشهر الهجري مقابلاً بالشهر القبطي ، كنحو قوله: «وفي سابع عشر صفر الموافق الشالث عشر (من) هاتور . . . » (٧) . وقد يكون التأريخ _ كذلك _ بالوقت من اليوم حسب توقيت الصلوات ، كنحو قوله: «فلها كان في الثامن من ذي الحجة العصر . . » (٨) .

أما حولية خمس وأربعين وثمانائة فإنه لم يخل التأريخ باليوم والشهر من السنة بحدث واحد.

وكذا حولية تسع وأربعين وثمانمائة، إذا ما استثنى موضعان أرخ فيها بالشهر دون تحديد اليوم قائلًا: وفيه . . . (أي في المحرم)»(٩) وقوله: «وفي هذا الشهر . . »(١٠).

⁽١) المصدر السابق ج ٢ ص ١٥.

⁽٢) نفسه.

⁽۳) نفسه ج ۲ ص ۲۰.

⁽٤) لفسه ج ٢ ص ٧.

⁽٥) نفسه ج ۲ ص ۱۰.

⁽٦) نفسه ج ٢ ص ١٢ .

⁽۷) نفسه ج ۲ ص ۱۱.

⁽۸) نفسه ج ۲ ص ۷۲۱

⁽۹) نفسه ج ۹ ص ۲۳۱.

⁽۱۰) نفسه ج ۹ ص ۲۳۵.

أما حولية خمسين وثمانمائة فإنه قد أرخ فيها الحوادث تأريخاً كاملاً مع ملاحظة أنه قد أدمج فيها الوفيات المؤرخة على أنها من الحوادث الواقعة في هذه السنة (١).

من كل هذا نصل إلى الآتي:

١ ـ أن «ابن حجر» قد أتى بحوادثه مسلسلة الحوليات والشهور والأيام من داخلها على التتابع في الحوادث المتأخرة جداً من حوليات كتابه، أما المتقدمة منه فإنها لم تؤرخ على وتيرة واحدة، حيث ظهر فيها الآتي:

أ ـ الاختلال في تتابع الأيام والشهور.

بـ التأريخ بالتقريب مغفلًا الدقـة ـ أحياناً ـ ودقيقاً في كثير منها حيث لم يكتف بالتأريـخ بالشهـر أو بتجـزئته إلى أول وآخر ووسط أو باليوم أو الليلة، وإنما بما يقابله من شهور السنة القبطية خاصة في الحوادث المتعلقة بالنيل أو الأرصاد والأفلاك. وقد يؤرخ ـ كذلك ـ بالوقت تبعاً لمواعيد الصلاة كالعصر (٢) أو ما كان قبل صلاة الجمعة، أو أواخر النهار (٣).

٢ ـ أنه قد نقل بعض الحوادث من حولياتها إلى حوليات أخرى غير الواقعة فيها أو كررها، وهو ما سوف يبحث في موضوع الدقة في النقل من الفصل الخاص بالمصادر من هذا البحث.

النسق التعبيري للكتاب

كان لاطلاع «ابن حجر» على الكثير من علوم ومعارف عصره، وتمهره فيها خاصة فيها تعلق بالعربية _ أدباً ونحواً وصرفاً وبلاغة _ وإنشاده للشعر وروايته له واطلاعه على نماذج أدبية وأساليب متعددة لكتاب مختلفين، وأخذه

⁽١) المصدر السابق ج ٩ ص ٢٤٥ ـ ٢٥١.

⁽۲) نفسه ج ۲ ص ۲۱، ۳۹، ۶۸، ۹۳.

⁽۳) نفسه ج ۲ ص ۲۰۸ .

جل مادة كتابه عنهم ـ أثره في إسلوب «الإنباء»، حيث بدت عباراته وضاحة، عالية الأسلوب تامة المعنى، متخيرة الألفاظ، فصيحتها. . مما جعل أسلوبه يتيمز بخصائص منها:

١ ـ فصاحة اللفظ ومعجميته:

کنحـو: قـولـه: «صفعـة»(۱)، «رجیفـة»(۲)، «الکـامن»(۳)، «الکـامن»(۳)، «فسخطوها»(٤)، «تبطل»(٥)، «یتعانی المتجـر»(٦)، «اشتوروا»(۷)، «یتفلل»(۱۱)، «مزجی البضاعة»(۱۲)، «أججوا ناراً»(۱۱)، «مزجی البضاعة»(۱۲)، «أججوا ناراً»(۱۱)، «شذر مذر»(۱٤)، . .

٢ ـ تخير الأساليب البلاغية نشداناً لعلو الإسلوب والمحافظة على بلاغته:

كنحو قوله في حولية ست وثمانمائة على سبيل الطباق: «... وفيها مات عمد سلطان بن تنكر بن اللنك... فمات بعد الوصول والظفر بابن عثمان،

⁽۱) ابن حجر. إنباء الغمر ج ۲ ص ۸، والصفع بسط الرجل كفه ليضرب بها قفا الانسان أو بدنـه ــ ابن منظور. لسان العرب ج ٤ ص ٢٤٦١.

⁽٢) نفسه ج ٢ ص ٩، أي فزعه ١٠١٠ منظور ج ٣ ص ١٥٩٥.

⁽٣) نفسه ج ٢ ص ١٠، أي المختفى .. ابن منظور ج ٥ ص ٣٩٣٣.

⁽٤) نفسه ج ٢ ص ١٨، أي استقلوها ـ ابن منظور ج ٣ ص ١٩٦٤.

⁽٥) نفسه ج ٢ ص ٤٤، أي تعطيل ذلك ـ ابن منظور ج ١ ص ٣٠٣.

⁽٦) نفسه ج ٢ ص ٤٤، أي يتحمله على شدة ـ أبن منظور ج ٤ ص ١٣٤٦.

⁽٧) نفسه ج ۲ ص ۱۳۶، أي تشاوروا ــ ابن منظور ج ٤ ص ٢٣٥٨.

⁽٨) نفسه ج ٢ ص ١٤٥، أي تفلتوا منهزمين ـ ابن منظور ج ٥ ص ٥٤٦٦.

⁽٩) نفسه ج ۲ ص ۲۰۸، أي قهراً ـ ابن منظور ج ٤ ص ٣١٤٤.

⁽١٠) نفسه ج ٢ ص ٢٥٩، أي انخفض ـ ابن منظور ج ٦ ص ٤٦٠٥.

⁽١١) نفسه ج ٢ ص ٢٦٩، أي رفع صوته ـ ابن منظور ج ١ ص ٢٨٥.

⁽١٢) نفسه ج ٣ ص ٤٦، أي قليل البضاعة (من العلم) ـ ابن منظور ج ٣ ص ١٨١٥.

⁽١٣) نفسه ج ٣ ص ٦٩، أي ألهبها وأشعلها رابن منظور ج ١ ص ٣٠.

⁽١٤) نفسه ج ٢ ص ٢٢٦، أي ذهبوا في كل وجه ـ ابن منظور ج ٤ ص ٢٢٢٠.

فبدل فرح اللنك ترحاً وحزن عليه حزناً عظيماً»(١)، وقوله بشان سيل مكة - ضمن حوادث حولية اثنتين وثماغائة - على سبيل التشبيه فالإستعازة: «...وفي ليلة الخمس العاشر من جمادي الأولى حصل بمكة مطر عظيم انصب كأفواه القرب، ثم هجم السيل فامتلأ المسجد حتى بلغ إلى القناديل، وامتلأ، ودخل الكعبة من شق الباب»(٢). وقوله في ترجمة «المجد الفيروزبادي» - ضمن وفيات حولية سبع عشرة وثماغائة - على سبيل إستعمال الصفة للمبالغة في الكثرة: «... ولقي بغيرها - أي بغير مكة - من البلاد جمعاً جماً من الفضلاء، وحمل عنهم شيئاً كثيراً»(٣)، وقوله في حوادث حولية أربع وثماغائة مستعملاً جناس الإشتقاق فالمبالغة والإستعارة: «... فأخل - تمرلنك - بغداد عنوة يوم الأضحى، فضحى بذبح المسلمين إلى أن جرت بدمائهم دجلة، وبنيت برؤوسهم عدة فضحى بذبح المسلمين إلى أن جرت بدمائهم دجلة، وبنيت برؤوسهم عدة مسلات»(٤).

٣ - تضمين العبارات بعض التعبيرات البليغة، شائعة الإستعمال لدى بلغاء الكتاب:

کنحو قوله: «... ودبت عقارب التشاحن بینهم إلى أن دبر الأمراء الجدد الأمر» (٥) وقوله: «... فتزاید البلاء على أهل البلد، وندموا حیث لا ینفع الندم» (٢) وقوله: «... وفیه _ أي في ذي القعدة سنة أربع وثمانمائة _ خرج الأمراء عن بكرة أبیهم» (٧) وقوله: «... فقیل أرادوا بذلك قص جناحه» (٨) وقوله: «... وعادوا بخفي حنین» (٩).

⁽١) المصدر السابق ج ٢ ص ٢٦٨.

⁽۲) نفسه ج ۲ ص ۹۸.

⁽٣) نفسه ج ٣ ص ٥٠.

⁽٤) نفسه ج ٣ ص ٢٠٨.

⁽٥) نفسه ج ٢ ص ٩٤ ـ ٥٥.

⁽٦) نفسه ج ٢ ص ١٣٨.

⁽V) نفسه ج ۲ ص ۲۰۷.

⁽٨) نفسه ج ٢ ص ٦٩.

⁽٩) نفسه ج ٣ ص ٦٩.

٤ - تسوارد الكثير من اصطلاحات وتعبيرات العصر في سياق عباراته:

ومن ذلك قوله: «خلع عليه» (١): «انكسر» (٢)، «نفي بطالًا» (٣)، «ضرب مقترحاً» (٤)، «عصر» (٥)، «وسط» (٢)، «التسعيط» (٧)، «سمر»(^)، «رسم عليه»(٩)، «الكشف عما استولى عليه»(١١)، «جرس»(١١)، «نودي عليه» (۱۲)، «دق الكوسات» (۱۳)، «صناجق» (۱٤)، «الكتابية الصغار» (۱۰)، «مغل الأمراء» (١٦٠)، «سماط» (١٧)، «تفصيلة» (١٨)، «مراسيم بمساميح» (١٩)، «ميسم اللحم» (٢٠).

⁽١) المصدر السابق ج ٢ ص ٢٠١.

⁽۲) نفسه ج ۲ ص ۱٦.

⁽۳) نفسه ج ۲ *ص* ۱۹.

⁽٤) نفسه ج ۲ ص ۲۰۹.

⁽٥) نفسه ج ۲ ص ۱۱۲،

⁽٦) نفسه ج ۲ ص ۱۸.

⁽۷) نفسه ج ۲ ص ۸.

⁽۸) نفسه ج ۲ ص ۲۰.

⁽٩) نفسه ج ۲ ص ۲۰۰.

⁽۱۰) نفسه ج ۲ ص ۲۰۰.

⁽۱۱) نفسه ج ۲ ص ۱۰۶.

⁽۱۲) نفسه ج ۲ ص ۲۰۱.

⁽۱۳) نفسه ج ۲ ص ۹۵.

⁽١٤) نفسه ج ٢ ص ١٢.

⁽۱۵) نفسه ج ۲ ص ۲۰.

⁽١٦) نفسه ج ٢ ص ٩٤.

⁽۱۷) نفسه ج ۲ ص ۱۲.

⁽۱۸) نفسه ج ۲ ص ۲۳۷،

⁽۱۹) نفسه ج ۲ ص ۲۳۸.

⁽۲۱) نفسه ج ۲ ص ۲۰۷.

ه ـ التأثر بالقرآن الكريم والإقتباس منه:

٦ ـ تضمين الكتاب الكثير من أبيات الشعـر، سواء من انشـاده (٥) أو روايته عن غيره:

بل وتوجيه تلك الشواهد الشعرية وجهة تأريخية نقدية.

٧ ـ الابتعاد عن السجع والتكلف في اللفظ:

الذي غالباً ما أفسد المعنى وأغلق العبارة لدى غيره من المؤرخين(٢) - وإن حافظ في مواضع متعددة من «الإنباء» على منقوله المسجوع، على الرغم من عمده إلى التصرف في النسق التعبيري المصاحب لكثير من منقولاته»(٢).

ومن أمثلة ذلك قوله _ نقالًا عن ابن حبيب _ في ترجمة «البهاء السبكي»

⁽١) المصدر السابق ج ١، ص ١٩، ويقابلها: سورة آل عمران، آية ١٧٨.

⁽٢) نفسه ج ٢ ص ٢٣٧ ، ويقابلها: سورة الأنبياء، آية ٧٨.

⁽٣) نفسه ج ٢ ص ١٩٥، ويقابلها سورة الأنعام، آية ٧٦.

⁽٤) نفسه ج ٢ ص ٣٣١، ويقابلها: سورة الرعد، الآية ١٣.

⁽٥) كنحو ما ورد من شعر له في رثاء الزين العراقي _ نفسه ج ٢ ص ٢٧٧ ، والسسراج البلقيني والعراقي _ نفسه ج ٢ ص ٢٧٨ _ ٢٧٩ _ وقوله في التاج والعلم البلقينيين _ ضمن حوادث حولية خس وعشرين وثمانمائة _ نفسه ج ٣ ص ٢٨٠ ، وقوله معرضاً بالعيني في مناسبة سقوط منارة المؤيدية _ نفسه ج ٣ ص ١٤٦ .

⁽٦) كابن حبيب في كتابه «درة الأسلاك في دولة الأتراك.

⁽٧) راجع الفصل المعقود للمصادر من هذا البحث.

(ت ٧٧٣ هـ. /١٣٧٢ م.): «.. وقال ابن حبيب: إمام علم، زاخسر اليم، مقرون الجم، وفضله مبذول لمن قصد وأم، وقلمه كم باب عدل فتح، وكم شمل معروف منح»(١).

والحق أن «ابن حجر» كان معجباً بكل أسلوب أدبي يبتعد به كاتبه عن اللحن الطاهر، ولعل هذا كان دافعاً له على انتقاد «البدر العيني» في مقدمة «الإنباء» (۲)، بل والتصرف في النسق التعبيري للعديد من منقولاته عن مصادره ارتقاء بعبارتها.

٨ ـ استعمال المختصرات في التراجم والحوادث:

سواء في الإسناد إلى المصادر، أو في الألفاظ والتعبيرات المؤدية للمعنى، كنحو قوله: «قال القاضي في الذيل» (٣) مشيراً بذلك إلى قاضي حلب «علاء الدين بن خطيب الناصرية» في مؤلفه «الدر المنتخب في تكملة تاريخ حلب» الذي ذيل به على تاريخ «ابن العديم» (٤)، وقوله في حوادث حولية ثمانمائة: «. . . ووصل تغري بردى _ الذي كان نائب حلب فاعطى إقطاع شيخ الصفوي، ونفي شيخ إلى القدس بطالاً، واستمر بيبرس _ ابن أخت السلطان _ أمير مجلس عوضاً عن الصفوي» (٥). ويلاحظ الإختصار في الاسم على الشق الأول منه، فالثاني على التتابع، ويمثله قوله: «تمرلنك» (٢)، و «تمر» (٧)، و «اللنك» (٨)،

⁽١) ابن حجر. إنباء الغمرج ١ ص ٢٣.

⁽٢) نفسه ج ١ ص ٤، حيث ورد فيها قوله: «... وربمنا قلده ـ أي ربما قلد العيني ابن دقمناق ـ فيها يهم فيه حتى في اللحن الظاهر، مثل أخلع على فلان».

⁽٣) نفسه ج ٣ ص ٣٩٦.

⁽٤) راجع: طرق الإسناد إلى المصادر من هذا البحث.

⁽٥) نفسه ج ۲ ص ۸.

⁽٦) نفسه ج ۲ ص ۱۰۸ ـ ۱۰۹.

⁽٧) نفسه ج ٢ ص ٢٢٥.

⁽٨) نفسه ج ٢ ص ١٨.

والنسب إليه في قوله: «ابن اللنك»(١)، و «ولد تمر»(٢)، وقبوله: «اللنكية»(٣) و «التمرية»(٤).

٩ ـ المزاوجة في التدوين التأريخي بين الأرقام والحروف:

ومنه قوله في ترجمة «الجمال المكي» (ت ٨١٥ هـ. / ٢١٤١٣ م.):
«...ولد سنة ٧٤٢... ومات في سابسع شهر رجب سنة خمس عشرة وثمانائة»(٥).

١٠ ـ ضبط الأسماء في الأعلام والأنساب والأمكنة بـالحـروف وليس شكلًا بالقلم:

كنحو قوله: «جمال الدين المكي الحلوي ـ بفتح المهملة واللام الخفيفة ـ المعروف بابن العليف ـ بمهملة ولام وفاء مصغر...» (٢)، وقوله: «... عبدالله بن عمر بن مجلي بن عبد الحافظ البيتليدي ـ بفتح الموحدة وسكون التحتانية، وفتح المثناة بعدها لام مكسورة خفيفة ثم تحتانية ساكنة (٧)، وقوله: «... وهو من شقان ـ بضم المعجمة، وتشديد القاف وآخره نون ـ من السواحل بين جدة وحلي (٨)، وقوله (٨.. عمد بن أبي بكر المالكي الكتامي ـ بضم الكاف وتخفيف المثناة ـ إلى حارة كتامة من القاهرة (٩).

١١ ـ الإفصاح عن رأيه وانفعالاته بعبارات وألفاظ سافرة:

كنحو قولمه: ١٠٠٠ فإن الأيام لم تمض إلا قليلًا حتى طرق (تمرلنك)

⁽١) المصدر السابق ج ٢ ص ١٨.

⁽۲) نفسه ج ۲ ص ۱۹.

⁽٣) نفسه ج ٢ ص ١٥٩.

⁽٤) نفسه ج ٢ ص ٢٣٦.

⁽٥) نفسه ج ٢ ص ٥٣٢.

⁽٦) نفسه ج ٢ ص ٥٣٢ .

⁽۷) نفسه ج ۱ ص ۱۸ ه.

⁽٨) نفسه ج ١ ص ٤١ .

⁽۹) نفسه ج ۹ ص ۸۵.

البلاد، فلا حول ولا قوة إلا بالله»(١)، وقوله: «... فدخل الفرنج البلد في شعبان من هذه السنة ـ سنة سبع عشرة وثمانمائة ـ ونقلوا ما كان بها حتى الكتب العلمية. . . وتركوها قاعاً خراباً، ومع ذلك فهي بايديهم فلا قوة إلا بالله»(٢). وقوله: «... وفيها ـ أي في سنة سبع وثمانمائة ـ مات الطاغية تمرلنك الخارجي . . . فأخذه أسر البول فتمادى به حتى هلك بالقولنج وأراح الله منه» (٣)، وقوله: «. . . الحطي الحبشي، ملك الحبشة الكافر، لا رحم الله فيه بغرز ابرة»(٤).

كما أن من التعبيرات ما يظهر تطهيره من بعضهم، نحو قوله: «... وكان مشئوم النقيبة، ما كان في عسكر قط إلا انهزم، ولا حفظ له أنه ظافر في وقعة قط» (٥)، ومنها قوله مبيناً عن شماتته: «... فاستخلص منه أموالاً جمة، منها في يوم واحد مائة وخمسون ألف دينار، وأخرجت ذخائره على النحو الذي كان هو يدبره في أمر محمود سواء» (٢).

١٢ ـ استعمال اصطلاحات ومختصرات المحدثين:

كنحو قوله في روايته للخبر في بعض المواضع: «أخبرني ناصر الدين عمد بن عبد الرحيم الحنفي إذناً، وكتبته من خطه، قال: أخبرني الشيخ شمس الدين بن الصائغ أنه شاهد بجامع عمرو أكثر من خمسين متصدراً يقرأ عليهم الناس العلوم. قلت: وأدركت أنا في الجامع . . . » (٧) ، وقوله تبياناً لمرويات إحدى ترجمات وفياته (٨): « . . . وقرأ علي أحمد بن العماد وأبي بكر بن العنر ـ

⁽۱) المصدر السابق نج ۲ ص ۱۱۰.

⁽٢) نفسه ج ١ ص ٤١.

⁽٣) نفسه ج ٢ ص ٢٩٩.

⁽٤) نفسه ج ٣ ص ٥٦٢ .

⁽٥) نفسه ج ٥١.

⁽٦) نفسه ج ۲ ص ۱۲.

⁽٧) نفسه ج ١ ص ٩٥ تر ٧٦.

⁽٨) نفسه ج ٩ ص ١٧٨ فيها يختص بابن الطحان الحنبلي (ت ٨٤٥ هـ. /١٤٤٢ م.).

شيخنا بالإجازة _ ومحمد بن الرشيد وعبد الرحمن _ ابن السبط _ كتباب التوكل لابن أبي الدنيا، قالا: أنا العماد أبو عبدالله محمد بن يعقوب الجرائدي، ويحيى ابن سعد، قالا أنا عبد الرحمن بن مكي وعلي بن أبي بكر بن يوسف بن عبد القادر الخليلي جزءاً في فضل ركعتي الفجر وغير ذلك من أمالي القاضي أبي عبدالله المحاملي: أنا محمد بن غازي بن الحجازي أنا يحيى بن محمد القرشي أنا عبد الصممد بن محمد الأنصاري أنا عبد الكريم بن الخضر السلمي أنا الخطيب بسنده » (۱).

١٣ ـ التكرار: ويأخذ أشكالًا ثلاثة هي:

أولاً _ تكرار عنصر الخبر مما يتسبب في ركاكة بعض العبارات، كنحو قوله: «. . . واستقر ولده برهان الدين _ واسمه أحمد الحنفي _ في امرتها، وكان برهان الدين واسمه أحمد الحنفي اشتغل ببلاده «(٢).

ثانياً - تكرير الخبر في أكثر من موضع - في الحولية - واهماً، كنحو قسوله في حوادث حولية أربع وتسعين وسبعمائة: «... وفيه - من صفر منها - جهز حسن الكجكيني بهدية إلى صاحب الروم» (٣) ثم عوده إلى إثبات الخبر - في الحولية نفسها - بالصورة التالية: «... وفيها أرسل السلطان نائب الكرك حسن الكجكيني إلى ابن عثمان صاحب الروم بهدايا جليلة» (٤).

ثالثاً: الخطأ في التأريخ بنقل الخبر من حوليته إلى غيرها، فيكون بذلك قد أرخ له في موضعين: الأول على وجه الصواب، والثاني مجانب له، كنحو قوله في حولية ثمانمائة: «... وفي جمادى الأولى انتزع السلطان الأسكندرية من ابن الطبلاوي وأعيدت لناظر الخاص» (٥) ثم عوده إلى ذكر ذلك في الحولية التالي لها يسنة ٨٠١ قائلاً: «... وفي جمادي الآخرة انتزع السلطان الأسكندرية من ابن

⁽١) المصدر السابق.

⁽۲) نفسه ج ۲ ص ٤٠.

⁽٣) نفسه ج ١ ص ٤٣٤ .

⁽٤) نفسه ج ١ ص ٤٣٩ .

⁽٥) نفسه ج ٢ ص ٢١.

الطبلاوي وأعادها لناظر الخاص». . (١) ويلاحظ التباين في التأريخ فيهما ـ فضلًا عن اختلاف الإسناد إلى الحول الواقع فيه الحدث ـ في الشهر كذلك.

١٤- التبييض لمواضع كثيرة في الكتاب:

ولما كان «ابن حجر» قد ترك «الإنباء» في مسودته، فإنه من الطبيعي أن ترد فيه مواضع وقد تركت فيها فراغات لاكمالها ـ فيها بعد ـ فكان منها ما تعلق باكتمال الخبر وتتميمه، كنحو قوله: «. . . وفي هذا اليوم ـ أول المحرم سنة سبع عشرة وثمانمائة ـ هبت ريح شديدة تلاها رعد عظيم وبرق ومطر وبرد ملأ وجه الأرض، كل واحدة قدر . . . وأكبر من ذلك (7). ومنها ما تعلق باكتمال اسم المترجم له، كنحو قوله: « . . . أحمد بن . . . البشبيشي (7)، ومنها ما تعلق بضبط التواريخ سواء في المولد ـ نحو قوله: « . . . وقد تقدمت وفاته في . . . وخمس وسبعمائة (3)، أو السوفاة ـ كنحو قوله: « . . . وقد تقدمت وفاته في . . . (6) ـ أو الاستقرار في الوظيفة ـ كنحو قوله: « . . . وكان استقر في التوقيع سنة . . . فأقام في ذلك . . . أربعين سنة (7)، أو ضبط تاريخ أعمالهم ـ كنحو قوله: « . . . فثارت بينها الفتنة في شوال . . . وكان لهم وقعة (7) ـ ومنها ما تعلق بتقدير ثقافة المترجم له وتقييد شيوخه ، كنحو قوله: « . . . وسمع الحديث من . . . وتقدم في الفقه (7)

٥١ ـ التناقض في بعض التراكيب والعبارات:

ومنها قوله: «. . . وفي أولها ـ أول سنة خمس وثمانحائة ـ استولى تمرلنك

⁽١) المصدر السابق ج ٢ ص ٤٨.

⁽۲) نفسه ج ۳ ص ۳۵.

⁽٣) نفسه ج ١ ص ٤٩٧ تر ٨.

⁽٤) نفسه ج ٩ ص ١٩٤.

⁽٥) نفسه ج ٣ ص ٤٠٩ تر ٦.

⁽٦) نفسه ج ٩ ص ١٨١.

⁽۷) نفسه ج ۲ ص ۳۲۵ تر ۱٤.

⁽٨) نفسه ج ٣ ص ٣٧٩ تر ٩.

على أبي يزيد بن عثمان وأسره وأسر ولده موسى، ثم قتل أبو يزيد... ومات أبو ينيد بن مراد في أسر تمر، وكان مطلقاً فأدركه أجله إما من القهر أو من غيره»(١).

١٦ ـ الشمول الموضوعي:

لما كانت نظرة «ابن حجر» للتأريخ نظرة شمولية، فإنه كان دائب الخروج على تنظيم حولياته، عمداً إلى إعطاء نظرة شمولية يكتمل فيها الحدث بتتابعه وتسلسل عناصره في موضع واحد، حيث يعمد إلى الربط بين عناصر الخبر الواحد لتكتمل صورته، وإن تفرقت عناصره في حوليات مختلفة متخطياً بذلك الحيز الزماني الذي اختط لمادة كتابه، وهو مع هذا مدرك لذلك ملح عليه، مشير إليه.

والدليل على ذلك قوله _ في حوادث حولية ثلاث وسبعين وسبعمائة _ بخصوص تملك «تمرلنك» وقد أن في موضع واحد بحوادث متعلقة بذلك امتدت بين حوليتي ثمان وعشرين وسبعمائة، وثلاث وسبعين وسبعمائة المؤرخة بها: «. . . وسيأتي ذلك في ترجمته سنة سبع وسبعين وسبعمائة وإنما جمعت هذه الأخبار مع أنها لم تكن في سنة واحدة لتسهل معرفتها على من أراد أن يعرف أولية اللنك» (٢).

وهو بهذا يكون قد أشار إلى مبتغاه من الشمول الموضعي لموضوع حوادثه:

ــ معرفة أولية الخبر بضم عناصره وتفسيره .

ـ تواليه .

ولذاك فإنه .. غالباً .. ما يشير في ثنايا مثل تلك المواضع إلى السببية كنحو قسوله: «وكان السبب. . . »(*)، «والسبب في ذلك . . . »(*)، وكان أصل

⁽۱) المصدر السابق ج ۲ ص ۲۲۵، ۲۲۲.

⁽٢) نفسه ج ١ ص ٢١.

⁽٣) نفسه ج ۲ ص A.

⁽٤) نفسه ج ٢ ص ٢٦٤.

ذلك . . . » (١) ، «وأصل ذلك . . . » (٢) .

وقد يكون الهدف من الشمول الموضعي لموضوع الحوادث هو توجيهها وجهة نقدية، حيث لايكون فيها متتبعاً لتسلسل عناصره، وإنما مفصحاً عن حال المتعلق به الحدث، كنحو قوله _ في حوادث حولية سبع وثمانمائة بخصوص زواج «شيخ المحمودي» من أخت «الناصر فرج» لأمه: «... وفيها في جمادي الأولى جهزت بنت تنم، وهي أخت الناصر لأمه إلى الشام، وتلقاها زوجها _ نائب الشام _ شيخ، فدخلت في جمادي الآخرة، فدخل بها وأولدها ومات عنها، وتزوجت بعده بعض الأمراء الصغار، وماتت في عصمته سنة ست وثلاثين»(٣). وهو هنا يتتبع حالة ولا يدون خبراً، وإلا لما ورد الخبر على هذه الصورة بين زفاف فترمل فزواج فموت..

وقد يكون الشمول الموضعي لموضوع الحدث موظفاً للإبانة عن تعاطفه مع إحدى الشخصيات السياسية، والتأثير على مطالع تاريخه وقد تقرر لديه دوافع ذلك استناداً إلى مظاهر طبيعية، كنحو قوله في حوادث حولية أربع وثمانمائة: «... وفي رجب منها ظهر كوكب كبير قدر الثريا له ذؤابة ظاهرة النور جداً، فاستمر يطلع ويغيب، ونوره قوي يُرى مع ضوء القمر حتى رؤي بالنهار في أواثل شعبان، فأوله بعض الناس بظهور ملك شيخ المحمودي، فإنه نقل في هذه السنة بعد خلاص يشبك إلى نيابة دمشق عوضاً عن آقبغا الجمالي في ذي القعدة، وقرر في نيابة طرابلس بعد دمرداش، واستقر قدم شيخ بدمشق فلم يزل يترقى بعد ذلك ختى ولي السلطنة، واستمر بعد هذه الحادثة عشرين سنة _ كها سيأتي تفصيله _ أميراً وسلطاناً . . . »(٤).

وهو بهذا لا يسجل أرصاداً فلكياً، وإنما يوظفه لخدمة غرض نقدي بحت كما يظهر من سياق العبارة، ومن تخير ألفاظها.

⁽١) المصدر السابق ج ٢ ص ٢٣٢.

⁽٢) نفسه ج ٢ ص ٢٣٢.

⁽٣) نفسه ج ٢ ص ٢٩٨.

⁽٤) نفسه ج ۲ *ص* ۲۰۲.

وقد يكون الشمول الموضعي متعلقاً برواية الأخبار وتتبع الإخبار عنها والتأريخ لها كنحوقوله: «... وكانت الوقعة في خامس عشر ذي القعدة ووصل خبرها إلى الشام في ذي الحجة، ووصل إلى مصر في أواخرها (١).

كما أن «ابن حجر» في طريقه إلى الشمولية التاريخية قد اتبع طريقة تقليدية لدى الكتاب الحوليين، لم تخرجه عن التنظيم الحولي المعتبر لديهم، وهي الإحالة في التراجم والحوادث على معلومات فائتة أو لاحقة في كل، وهو ما سوف يدرس تفصيلاً في العلاقة بين التراجم والحوادث من هذا الفصل.

⁽١) المصدر السابق ج ٢ ص ٣٥٧.

طبيعة الكتاب وأسس انتقاء مادته

طبيعة الحوادث وأسس انتقاء مادتها:

اشتمل «الإنباء» على الحوادث الواقعة في الفترة من سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة، إلى سنة خمسين وثمانائة، أي الفترة الأخيرة من حكم السلطان «الأشرف شعبان»، و «الظاهر برقوق»، و «الناصر فرج»، و «المؤيد شيخ المحمودي» و «الظاهر ططر» و «الأشرف برسباي»، وجزء من سلطنة «الظاهر جقمق».

ولم يقف «ابن حجر» به عند الحوادث السياسية ـ فقط ـ وإنما تناول معها الأوضاع السياسية، والإدارية، والإقتصادية، والإجتماعية، والسدينية، والتقافية. ليس في مصر والشام وحدهما، بل وفي الحجاز، والعراق، واليمن، والمغرب العربي، وسائر بلدان العالم التي كانت لها علاقات بالمجتمع الإسلامي ـ إذ ذاك ـ أو بدولة المماليك على وقته، عامداً إلى إيجاد نوع من الشمول النوعي، والشمول المكاني لحوادث حولياته، وإن استأثرت حوادث دولة المماليك ـ في هذه الفترة ـ بالحيز الكبير من كتابه، باعتبار أنها دولة الخلافة، وباعتبار أن «ابن حجر» قد ولد على أرضها، ونشأ فيها، وعاش في كنفها.

كما أنه لم يفرد مكان الصدارة في حولياته لنوع معين من الحوادث، وإنما كان ذلك قسمة مشتركة بين سائر الأنواع الواردة في كتابه، المشكلة لمادته، اللهم

إلا أن تكون لمثل تلك الحوادث المفردة بالصدارة في بعض الحوليات غلبة على عصره أو فكره، لما لها من تأثير على الرأي العام في وقته(١).

ولذا نجده يعني إبتداء بأولى حوليات الكتاب، وانتهاء بآخر حولياته بإيراد قوائم الإستقرارات الوظيفية، وما يطرأ عليها من تغيرات، باعتبار أن تلك الوظائف أو المناصب سوف يكون لها تأثير في تحريك الكثير من الحوادث المنسوبة إلى شاغليها.

كما أورد الكثير مما تعلق بترقي أو عزل الأمراء والجند (٢).

ويلاحظ أن «ابن حجر» لم يورد هذه الإستقرارات _ في كثير من الأحيان عجردة، وإنما كان معنياً بالكشف عن ما يعتريها من الإختلال أو الإستقرار والإنتظام معللاً وناقداً، ومن أمثلة ذلك قوله في حوادث حولية تسع وثمانمائة: « . . . ووقع في هذه السنة، والتي قبلها، والتي بعدها من تلاعب الجهلة بمنصب الحسبة ما يتعجب من سماعه، حتى إنه في الشهر الواحد يليه ثلاثة أو أربعة، وسبب ذلك أنهم فرضوا على المنصب مالاً مقرراً، فكان من قام في نفسه أن يليله يزن المبلغ المذكور ويُغلَع عليه، ثم يقول آخر فيزن ويُصْرَف الذي قبلة، واستمر هذا الأمر في أكثر دولة الناصر فرج» (٣).

⁽١) ابن حجر. إنباء الغمر ج٢، ص ١٣٣ ـ ١٤٠، حيث أفرد بالصدارة في حولية اثنتين وثمانمائة غير غلبة المغول على حلب ودمشق، ثم أتبع ذلك بباقي الحوادث وقد عنونت بقوله: «ومن الحوادث غير قصة تمرلنك..».

⁽٢) نفسه ج ١ ص ١٣١، ١٥٦، ٢٣٢.

⁽۳) نفسه ج ۲ ص ۳٦٠.

⁽٤) نفسه ج ١ ص ٢١٩.

وظيفتين على غير عادة _ كنحو قوله في حوادث حولية ست عشرة وثمانمائة: «... وأضيفت الحسبة إلى صدر الدين بن الأدمي، وهو أول من جمع بين القضاء والحسبة» (١) أو تبطيل بعض الوظائف _ كنحو قوله في حوادث حولية ست وثمانمائة: «... وفيها رسم بإبطال القاضيين: المالكي والحنبلي من القدس، فأبطلا منه، ومن غزة» (٢).

لكن مع هذا فإنه لا يمكن أن نستخرج قوائم استقرارية مطردة ومنتظمة لتلك الوظائف أو المناصب الواردة في حوادث حولياته فيها عدا منصبي الخلافة والسلطنة.

كما أورد الكثير بما تعلق بالناحية السياسية، سواء فيها يخص علاقات الدولة المملوكية بالمغول والصليبين (الفرنج) والتركمان والحبشة وأولاد الكنز والعراق. مورداً تفصيلات عن هذه النواحي، وما يحدث فيها من تقلبات سياسية وعسكرية، وإتصالات بالدولة المملوكية، سواء بالإغارة والحروب أم بالتراسل وبتادل الهدايا والزيارات.

كما كان معنياً بذكر الكثير بما تعلق بالناحية السياسية داخلياً، سواءبالنسبة للتغاير على منصب السلطنة، نتيجة لوفاة سلطان سابق وتقليد سلطان لاحق بعهد منه أو نتيجة لتغلب مدبر المملكة أو أتابك العسكر على المنصب أو بخروج بعضهم على سلطانه وحربه، بما يؤدي إلى عزله وسجنه أو قتله وتولي غيره.

من وكذا الإفصاح عن إطاعة الأمراء ونواب السلطنة للسلاطين، وعلامة هذه البطاعة أو تباليبهم على السلطان، وتطاولهم عليه، وانتقاصهم من السلطنة المركزية بالعاصمة. مشيراً إلى ما يتبع ذلك من التغاير في كثير من المناصب، وإنبزال الكثير من أنواع العقوبات كالقبض (٣) والسجن أو الحبس (٤)

⁽١) المصدر السابق ج ٣ ص ١١.

⁽٢) نفسه ج ٢ ص ٢٦٧ .

⁽٣) نفسه ج ١ ص ١٥٦.

⁽٤) نفسه ج ١ ص ١٥٤.

والاعتقال(۱) أو النفي (۲) والإهانة (۳) والضرب (٤) والتقييد بقيد ثقيل (٥) والتسمير (٦) والتوسيط (٩). . فضلًا عن الحوطة على والتسمير (١) والمصادرات (١١). وهو ما يتبع في مثل هذه الحالات، وفي حالات التقصير والعزل من بعض المناصب في الإدارة المملوكية.

كما أبرز الكثير من أعمال السلاطين تصدياً لمثل تلك الحالات، وكذا ما يقع في أيامهم من حروب أو إغارات العربان على تخوم البلاد وإفسادهم فيها وتصديهم لهم، وما يكون في عهدهم من الفتوحات.

وأبان عن تصرفاتهم ـ وكذا الأمراء والمماليك ـ المتصلة بالشرع والدين من إعزاز لجانبه أو انتقاص له وتطاول عليه وما يكون من الجور والفساد الواقع من المماليك أو أرباب المناصب والولايات وتشكي الأهالي منهم للسلطان أو ثوراتهم عليهم.

وهو مع هذا لا يغفل رد فعل مثل تلك الحوادث السياسية وغيرها لدى الرأي العام (رجل الشارع) ووقعها على أنفس الناس.

كما اهتم بإبراز أعمال السلاطين والأمراء فيما يختص بالعمارة والبناء، سواء ببناء المدارس أو الجوامع والوكالات والحمامات وبعض البيمارستانات

⁽١) المصدر السابق ج ١ ص ١٧٠.

⁽٢) نفسه ج ١ ص ٤٥.

⁽٣) نفسه ج ١ ص ١٧٠.

⁽٤) نفسه ج ١ ص ٢١٦.

⁽٥) نفسه ج ١ ص ٢٧٦.

⁽٦) نفسه ج ١ ص ١٥٨.

⁽V) نفسه ج ۱ ص ۱۷۲.

⁽۸) نفسه ج ۲ ص ۱۲.

⁽٩) نفسه.

⁽۱۰) نفسه ج ۱ ص ۲۱۲.

⁽١١) نفسه ج ١ ص ١٧٠.

والأبراج والأسوار والجسور والقناطر والترع وما يستجد من العمارة أو إصلاح للقلعة أو تجديد لحكر.

وهو مع هذا لم يغفل الجانب الخاص من حياة السلاطين، ذاكراً لمرضهم (۱) وتعافيهم (۲) وسرحاتهم (تنزهاتهم) (۳) وخروجهم للصيد (٤) وحضورهم المواكب (۵) والأعياد (۲) والموالد (۷) وإقامة الزينات لهم (۸) وما يقع لهم ولكبار موظفيهم من الزيجات (۹) وما يتبع ذلك من التبشير بإنجاب الذكور (الأولاد) (۱۱) وعمل المهمات لطهورهم (ختانهم) (۱۱) وكذا لعبهم بالأكرة (۱۲) والرمح (۱۲) وغيره. وشربهم المسكرات (۱۲) وعيادتهم المرضى من الخاصة (۱۱) والعامة بالمارستان (۱۲).

كم اهتم بإثبات الكثير من المراسم الصادرة عن الإدارة المملوكية فيما يتعلق بتمايز الأشراف (١٧) أو ما يستجد من اللباس لكبار الأمراء (١٨) أو التغاير في

⁽۱) المصدر السابق ج ۱ ص ۱۲۷، ۵۳۰، ج ۲ ص ۳۸، ۲۹۹، ج ۳ ص ۳۱۸، ۱۵٤.

⁽۲) نفسه ج ۲ ص ۳۱٦، ج ۳ ص ۲۱۷.

⁽٣) نفسه ج ۱ ص ٢٦٢، ج ٣ ص ١٥، ١٥٥، ٢٠١، ٣٠٠.

⁽٤) نفسه ج ٣ ص ٥٥٥.

⁽٥) نفسه ج ١ ص ٢٤٥.

⁽٦) نفسه ج ٣ ص ٢٠٢.

⁽٧) نفسه ج ۱ ص ٤٨٧، ج ٣ ص ١٦٢، ٣٠٠.

⁽٨) نفسه ج ٢ ص ٩، ٣٧.

⁽٩) نفسه ج ۱ ص ۳۱۲، ۳۱۹، ۲/۱۳۹، ۲/۲۳۹، ۵۱۰/۲، ۳/۳۰.

⁽۱۰) نفسه ج ۳ ص ۱۹۲.

⁽۱۱) نفسه تم ۱ ص ۱۰۳، ج ۲ ص ۱۱.

⁽۱۲) نفسه ج ۲ ص ۱۵.

⁽۱۳) نفسه ج ۱ ص ۲۳۱ .

⁽۱٤) نفسه ج ۱ ص ۲۵۱، ۴۸۷.

⁽۱۰) نفسه ج ۱ ص ۳۸۲، ۲۷۰.

⁽١٦) نفسه ج ٣ ص ١٦٣.

⁽۱۷) نفسه ج ۱ ص ۱۰.

⁽۱۸) نفسه ج ۱ ص ۱۵.

اللباس تبعاً للإختلاف في الفصول^(۱) أو تحديد عدد الشهود ونواب الحكم^(۲) أو استعمال دواب الحمل والإنتقال^(۳) أو شرب مشروب جديد⁽³⁾ أو تقييد زواج بعض المطوائف^(۵) أو تبطيل بعض المكوس والضمانات^(۱) أو تسعير بعض السلع^(۷) أو تحجير بعض الأصناف^(۸) أو عدم البيع بالنسيئة (بالأجل)^(۹) أو القيود على بعض الموظفين ـ كمباشرة الديوان، وقد صدر مرسول بعدم إسنادها إلى نصراني^(۱) ـ أو كيفيةالدعاء في خطبة الجمعة للسلطان^(۱)، بل، وحتى ما يخص مسك الكلاب. ^(۱)

وكذا تسجيل أحوال النيل والحالة الإقتصادية في مصر والقاهرة (١٢) والشام (١٤) ودمشق (١٥) وحلب (١٦) والحجاز (١٧).

وما يتبع ذلك من إحتلاف وتغاير في أسعار بعض العملات (١٨) أو الشروع

⁽١) المصدر السابق ج ٣ ص ٢٨٠.

⁽۲) نفسه ج ۱ ص ۲۱۸.

⁽٣) نفسه ج ١ طس ٤٠٢ .

⁽٤) نفسه ج ١ ص ٣٥١.

⁽٥) نفسه ج ٣ ص ٩٠.

⁽٦) نفسه ج ۲ ص ۲۳۸.

⁽٧) نفسه ج ۲ ص ۲۳۸.

⁽٨) نفسه ج ٣ ص ٤٢٣ .

⁽۹) نفسه ج ۳ ص ۲۷۲.

⁽۱۰) نفسه ج ۳ ص ۲۷۱.

⁽۱۱) نفسه ج ۳ ص ۹۲.

⁽۱۲) نفسه ج ۱ ص ۱۹۱.

⁽۱۳) نفسه ج ۱ ص ۱۱۵، ۲۵۷/۱۰.

⁽۱٤) نفسه ج آ ص ۳٤٩.

⁽۱۵) نفسه ج ۱ ص ۲۱۸.

⁽١٦) نفسه ج ١ ص ٧٦.

⁽۱۷) نفسه ج ۱ ص ۲۳۲.

⁽۱۸) نفسه ج ۲، ص ۳۷، ۲۱۱، ۲۸۷.

في تبطيلها(۱) واستجداد عملات أخرى(۲) أو حدوث زيف فيها يؤدي بها إلى الفساد (۳).

وما يكون من مجاعات يعز فيها القوت وتؤكل الميتة، فضلاً عن القطط والكلاب⁽³⁾ ويتخطف فيها الخبز من أسطح الأفران⁽⁶⁾ والغلال من المراكب بالموانيء⁽⁷⁾ وما تتخذه الدولة، وأهل المروءة من تدابير لمعالجة مثل تلك الحالات، سواء بالنفقة في الفقراء والمحتاجين^(۷) أوبجلب الحبوب من أماكن توفرها، والإلزام ببيعها ولو بالخسران^(۸) وكذا الزام المياسير من الناس بإطعام المحتاجين، كل حسب ما يحتمل ويطيق^(۹)، وفك المحبوسين على الديون^(۱۱) وتكفين الموتى من الطرحاء والفقراء ودفنهم^(۱۱).

وما يصاحب ذلك في بعض الأحيان من تعديلات في الإستقرارات الوظيفية خاصة منصب المحتسب(١٢) إرضاء للعامة وتسكيناً للحال.

واهتم _ كذلك _ بذكر بعض النكبات المتسببة عن الفيضانات المفرطة(١٣)

⁽١) المصدر السابق ج ٢ ص ٤٠١.

⁽٢) نفسه ہم ۱ ص ٣٣٥، ہم ٢ ص ٤٠٣، ہم ٣ ص ١٢٥.

⁽٣) نفسه ج ١ ص ٤٣٩، ج ٢ ص ٥١.

⁽٤) نفسه ج ١ ص ١٠٤، ١٣٢.

⁽٥) نفسه ج ٣ ص ٦٩.

⁽٦) نفسه ج ٣ ض ٧٠.

⁽٧) نفسه ج ۱ ص ٥٠٧، ٨٠٥، ج ٢ ص ٣٨، ج ٣ ص ٨٥.

⁽٨) نفسه ج ٣ ص ٧٢.

⁽٩) نفسه ج ١ ص ٧١.

⁽۱۰) نفسه ج ۲ ص ۲۵۳ .

⁽۱۱) نفسه ج ۲ ص ۲۶۰.

⁽۱۲) نفسه ج ۱ ص ۵۹.

⁽۱۳) نفسه ج ۱ ص ۹۲، ۹۳.

والحرائق^(۱) وتهدم بعض المباني والدور^(۲) وخسوف بعض المدن^(۳) والطواعين والأمراض^(٤) وما يصاحب ذلك من غلاء في أسعار البطيخ وبعض المرطبات، والسكر النبات، والزيت الحار، أو إختفاء وندرة كل باعتبار أنها من الأدوية المستخدمة في العلاج، وكذا تزايد الموق في الكبار والصغار من الإنسان والحيوان^(٥).

كما اهتم بأمر الحاج وما يتبع ذلك من تجهيز الكسوة (١) وتجديد ثوب المحمل (٧) وإدارته (٨) والعادة في ذلك (٩) وتعيين أمير الحاج (١١) وعودة مبشرة (١١) وحج بعض الشخصيات الهامة (١٢) وما يصادف الحجيج من مشاق: كالأمطار والسيول (١٣) أو العطش والحر (١٤) أو النهب في الطريق (١٥) أو الإزد حام المفضي إلى الموت (١٦) أو ما قد يصادفهم هناك من الغلاء المفرط (١٢). أو يقع لهم من مضايقات أمير الحاج عينه (١٨).

⁽١) المصدر السابق ج ١ ص ٣٥.

⁽٢) نفسه ج ٣ ص ٧٤.

⁽٣) نفسه ج ٢ ص ٣٥٩.

⁽٤) نفسه ج ٣ ص ١٤.

⁽٥) نفسه ج ٣ ص ١٤٣.

⁽٦) نفسه ج ۱ ص ٤٠١، ج ٣ ص ٢٠٠.

⁽٧) نفسه ج ١ ص ٢٧٧.

⁽٨) نفسه ج ٣ ص ٥٥١.

⁽٩) نفسه ج ٣ ص ١٣٥.

⁽۱۰) نفسه.

⁽۱۱) نفسه ج ۳ ص ۲۷۹.

⁽۱۲) نفسه ج ۳ ص ۷۷.

⁽۱۳) نفسه ج ۱ ص ۳٤٧.

⁽۱٤) نفسته ج ۱ ص ۳۳.

⁽۱۵) نفسه ج ۱ ص ۱۰۲، ۱۰۷.

⁽١٦) نفسه ج ١ ص ٢٦٠.

⁽۱۷) نفسه ج ۱ ص ۱۹۰.

⁽۱۸) نفسه ج ۱ ص ۱۷.

كما كان مهتماً بالإفصاح عن مجهودات الدولة حيال إصلاح ظريق الحاج وتجديد عمارة مناسكه (۱) وكذا بيان ما قد يحدث من التنازع بشأن كسوة الكعبة (۲). بالإضافة إلى تسجيل خروج الركب الرجبي (۳).

ولم يخل حوادث حولياته من إثبات ما تعلق بظهور البدع كادعاء أحدهم النبوة (٤) أو ظهور بعض الخوارج (٥) أو المستخفين بعقول الناس المغررين بهم (٢).

وكذا ما يقع من التنافس على الولايات الدينية (٢) والتحاسد بين العلماء إلى الحد المؤدي إلى الإنحطاط والإسفاف (^) وما يتبع ذلك من رمي بالكفر (٩) والزندقة (١٠) وعقد المجالس لبحث الكائنات، وإجراء المحاكمات (١١).

كما أبان عن الكثير مما تعلق بالعوام (النزعر) سواء فيما يختص بعلاقاتهم بالسلطات، حيث نصرتهم لبعض المتخاصمين والمحاربين بانحيازهم لجانبهم والرمي على سواهم ونقض داره ونهبه (١٢) أو فيما يتعلق بفضولهم في تناقل الأخبار واشاعتها (١٣) أو ما يكون من خروجهم عن الشرع، كنحو تزوج إمرأة برجلين في

	(١) المصدر السابق ج ٣ ص ٥٣٦، ج ٣ ص ٥٤٢.
· ,	(۲) نفسه ج ۱ ص ۱۷۸ .
	(٣) نفسه ج ۲ ص ۲۷۵ .
$(x,y) = \frac{1}{x^2} \int_{\mathbb{R}^n} dx dx dx$	(٤) نفسه ج ۱ ص ۱۹٦.
	(٥) نفسه ج ۲ ص ۱۳۲ ـ ۱۳۷ .
\mathcal{E}_{ij}	(٦) نفسه ج ۳ ص ٩٩.
	(۷) نفسه ج ۱ ص ۱۷۸ .
The state of the s	(۸) نفسه ج ۱ ص ۲۹۰.
	(٩) نفسه ج ۱ ص ۲٦٢.
The state of the s	(۱۰) نفسه ج ۱ ۷۱.
Contract of the Contract of th	(۱۱) نفسه ج ۱ ص ۹.
All the second of the second	(۱۲) نفسه ج ۱ ص ۱۹۲، ۲۳۲، ۲۳۷، ۳۱۷.
Park Commence	(۱۳) نفسه ج ۱ ص ۱۵۱، ۱۹۱.

آن واحد، شارطة لأحدهما الليل والآخر النهار(۱) أو إشاعتهم الفساد وتكالبهم عليه في الحفلات العامة، وموالد بعض الصلحاء(۲) أو ممارستهم للفسق والفحور في سلم الجامع في جرأة يتعجب منها(۳) أو إشاعتهم الفساد وبثهم الزعر والرعب في القلوب نتيجة لما يتخطفونه وقت الفوضي وأيام الانحلال(٤) وتخطفهم الأطفال وخنقهم طمعاً في ملبوسهم(٥) واحتيالهم في إخراج الضائع(٦) وكذا التكلم من وراء حائط إيهاماً بتحضير جان(٧) طلباً للرزق بغير الطريق الحلال.

واهتم ـ كذلك ـ بإثبات الكثير مما تعلق بأهل الذمة (اليهبود والنصارى) من أحكام سواء فيما يختص بهدم بعض كنائسهم أو أديرتهم (^) أو التضييق عليهم في بعض الأوقات (٩) أو دخولهم الإسلام، ثم إرتدادهم عنه، وما يتبع ذلك من تطبيق أحكام شرعية عليهم (١٠) أو إنصافهم في قضاياهم وإن كان في ذلك إثارة للشعور العام (١١) أو تجاوزهم للحد المسكوت عليه (١٢) وما يقوم به بعض رهبانهم من مباريات فكرية مع المسلمين. (١٣) وكذا حفلات عرسهم وأعيادهم (١٤).

⁽١) المصدر السابق ج ١ ص ٢١٨.

⁽٢) نفسه ج ١ ص ٣٥١.

⁽٣) نفسه ج ١ ص ٤٩٧.

⁽٤) نفسه ج ١ ص ٢٣٧ ، ٣١٧ .

⁽٥) نفسه ج ۱ ص ٦١.

⁽٦) نفسه ج ١ ص ١٣٠ .

⁽۷) نفسه ج ۱ ص ۱۹۸

 ⁽۸) نفسه ج ۱ ص ۱۷۷

⁽٩) نفسه ج ١ ص ٢٢٠. آ

⁽۱۰) نفسه ج ۱ ص ۹ .

⁽۱۱) نفسه ج ۱ ص ۶۸۹.

⁽۱۲) نفسه ج ۱ ص ۲۷۳ ـ ۲۷۶ ،

⁽۱۳) نفسه ج ۱ ص ۱۹۵.

⁽۱٤) نفسه ج ۱ ص ۲۷۳.

كما أورد الكثير مما تعلق بترجمته الذاتية من زواج، ورحلة في طلب العلم وحبج ومجاورة، وتمولى بعض المناصب، والمخاصمة فيه. . على نحو ما مر آنفاً.

وكذا الكثير مما تعلق بالظواهر المناخية والطبيعية ، كالحر الشديد(۱) والبرد القارس (۲) والرياح والعواصف (۳) والأمطار والسيول (٤) وما يصاحبها من رعد وبرق أو سقوط برد وتزلق طرقات والخوض في الوحل والماء، وتصدع الدور، وإتلاف الزروع. وكذا كسوف الشمس وخسوف القمر (٥). وظهور أو إحتفاء النجوم والكواكب وغيرها من المذنبات (٢). وتحديد بدايات ونهايات الشهور العربية بتراثى الهلال (٧).

ومع ذلك فإن «ابن حجر» قد إهتم بذكر بعض الحوادث الغريبة التي لا نعدم لها نظيراً في كتابات سواه من كتاب الحوليات الإسلامية التقليديين: معاصرين وسابقين (^)، يسند بعضها إلى مصدره، ناعتاً لها بأنها من العجائب أو

⁽١) المصدر السابق ج ١ ص ٣٣.

⁽۲) نفسه ج ۱ ص ۳٦٤.

⁽٣) نفسه ج ١ ص ٦٢.

⁽٤) نفسه ج ١ ص ٢١٧.

⁽٥) نفسه ج ۱ ص ۱۳۰.

⁽٦) نفسه ج ۱ ص ۱۷۵.

⁽V) نفسه ج ۳ ص ۵۷۵ ـ ٤٧٦ .

⁽٨) من ذلك ما ورد في كنز الدررج ٧ ص ٣٤٣، ٣٤٣ ـ لابن أيبك الدواداري مسنداً إلى رسول ملك التتار من ذكر لبعض العجائب والمستغربات ومنها وجود أقوام ليس لهم رؤوس، وأعينهم وأفمامهم في مناكبهم، بالإضافة إلى زراعة بعضهم في الأرض بزراً يتولد منه الغنم كما يتولد دود الحرير، وهذا النوع المتولد لا يعيش سوى شهرين على شاكلة النباتات ولا يتناسل.

وما أورده المقريزي ـ السلوك ج ٤ ص ٩٢١ ـ ضمن حوادث حولية سبع وثلاثين وثمانمائة من أنه «طلق رجل من بني مهدي بأرض البلقاء امرأته وهي حامل فنكحها رجل غيره، ثم فارقها، فنكحها رجل ثالث، فولدت عنده ضفدعاً في قدر الطفل، فأخذوه ودفنوه خوف العار»..

المستغربات. . من ذلك ما ورد في حوادث حولية ثمانين وسبعمائة من بعث الحياة في ميت بعد إدخاله القبر وصيرورته يحدث الناس بما رأى وعاين (١) . وما ورد في حوادث حولية اثنتين وثمانين وسبعمائة من انقلاب وجه عابث بإمام جماعة وهو يصلي إلى وجه خنزير (٢) . وما ورد في حوادث حولية ثلاث عشرة وثماغائة من شرب رجلين من العوام الخمر وقد أصبحا محروقين ، ولم يوجد منها نار ولا أثر حريق في غير يديها وبعض ثيابها وقد مات أحدهما وفي الآخر رمق . . (٣) وما ورد في حوادث حولية ست وسبعين وسبعمائة من تحول بنت إلى ذكر بعد إكتمال سنها خمس عشرة سة (٤) . وما ورد في حوادث حولية ثلاث وعشرين وثماغائة من ذبح جمل بغزة فأضاء اللحم كها تضيء الشموع (٥) . وما ورد في حوادث حولية ست وسبعين وسبعمائة من أمطار السهاء _ بشيزر _ ثعابين (٢) .

ويلحق بذلك ـ كذلك ـ ولادات غريبة الكيفية شاعت في ثنايا حوادث بعض حوليات الكتاب، ومنها ما ورد في حولية عشرين وثمانحائة من ولادة جاموس بلقيس لمولود «برأسين وعينين وأربعة أيدي وسلسلتي ظهر ودبر واحد ورجلين اثنتين لا غير وفرج واحد أنثى والذنب مفروق باثنين» (٧). وما ورد في حوادث حولية خمس وعشرين وثمانحائة من ولادة فاطمة بنت القاضي جلال الدين البلقيني ولداً «خنثى له ذكر وفرج أنثى . . . وقيل إن له يدين زائدتين ثابتين في كتفه، وفي رأسه قرنان كقرني الثور» (٨). وما ورد في حوادث حولية سبع وثلاثين وثمانمائة من ولادة امرأة ـ كانت قد طلقت وهي حامل فكتمت حملها وتزوجت

⁽١) ابن حجر . إنباء الغمرج ١ ص ١٧٨ .

⁽۲) نفسه ج ۱ ص ۲۱۰.

⁽٣) نفسه ج ٢ ص ٤٥٩.

⁽٤) نفسه ج ١ ص ٧٣ ـ ٧٤.

 ⁽٥) نفسه ج ٣ ص ٢٢٤ .

⁽٦) نفسه ج ١ ص ٧٣.

⁽۷) نفسه ج ۳ ص ۱۳۷.

^{. (}۸) نفسه ج ۳ ص ۲۲۲.

ثم طلقها الزوج فتنزوجت بثالث مولوداً صورته صورة الضفدع في قدر الطفل»(١).

والملاحظ أن الغالبية العظمى لهذا النوع من الحوادث إنما تعبر عن شعور ديني من نوع خاص هو السائد في عصره، فهي تمثل كرامات لبعض المعتقدين (٢) أو عقوبة لفساد ليكون في ذلك عبرة وعظة، أو تستر على فعل جاهل. وإن كان منها ما يرد على سبيل الطرفة والتندر، ومنها ما لا يتوقع حدوثه حتى من بعض معاصريه الذين إنتقدوه لا يراد مثل هذه الوقائع العجيبة.

ويبدو أن «ابن حجر» قد أدرك تطرق الشك إلى تصديقها، بما دفعه إلى العمد في إسنادها إلى مصادرها في الغالب الأعم نصاً على أنها من العجائب أو مستغربات الحدوث. حتى يبريء ساحته منها.

ونتيجة لثقافته التاريخية الواسعة، وولعه بالتاريخ منذ صباه ـ على نحو ما أوضحت في ترجمته ـ فإنه قد وجد في بعض أحداث عصره مناسبة للمقارنة بينها وبين مثيلاتها في سنوات أخرى فائتة، فاعتمد في ذلك بعض المصادر المتقدمة، من ذلك قوله في حوادث حولية ست وسبعين وسبعمائة بشأن بنت تذكرت: «. . وفيها: أحضر عيسى بن باب جك وإلى الأشمونين وكان يسكن عند جامع آل ملك بالحسينية إلى الأميرمنجك بنتاً له عمرها خس عشرة سنة فذكر أنها لم تزل بنتاً إلى هذه الغاية فأنسد الفرج وظهر لها ذكر وأنثيان واحتلمت فشاهدوها وأمر بإلباسها لبس الرجال وسماها محمداً وأمرها بلزوم خدمته، وأقطعها إقطاعاً وشاهدها جماعة من أصحابنا. رأيت بخط ابن دقماق: رأيته غير مرة وتكلمت معه. وقصتها شبيهة بالقصة التي ذكرها ابن كثير في أواخر ذيل تاريخه من وقنوع نحو ذلك بدمشق، وأنه كلمها بعد أن صارت رجلاً ووجد في الكلام أنوئة ووفور الحياءالذي طبع عليه النساء باق. قلت: ووقع في عصرنا نظير ذلك في

Experience Contraction

⁽١) المصدر السابق ج ٣ ص ١٢٥.

⁽۲) نفسه ج ۱ ص ٥٠ تر ٣١ فيها يخص الكازروني

سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة»(١). وهو بذلك يربط بين ثلاث وقائع متماثلة حدثت في أزمنة متفاوتة ساقتها إليه إطلاعاته على مصادرها فأثبتها جرياً على معهوده في العمد إلى الشمول الموضعي والموضوعي للكثير من مادة كتابه.

وقد تكون المقابلة بين حادثتين سابقة ولاحقة بينها فاصل زمني كبير يزيد على قرن من الزمان، ليس بغية الشمول الموضعي أو الموضوعي، أو الجميع بين حادثتين متماثلتين على سبيل الطرفة والتندر، وإنما لتوكيد خبر قد يتبطرق الشك إليه لاستغراب حدوثه، فضلاً عن توثيق مصدره، ومثال ذلك قوله بخصوص برد حوران ممن حوادث حولية ست وعشرين وثمنا ثمائة: «. . . في العشر الأواخر من المخرم وقع في ضواحي حوران برد كباز على صورة خشاش الأرض، والماء كخنفسة . . وغير ذلك، هكذا ذكر علاء الدين ابن أبي الشوارب الشاد بتلك الناحية أنه شاهد ذلك. وقد ذكر الحافظ علم الدين البرزالي في تاريخه في صفة حيوانات مثل حية وسبع وعقرب وطيور مختلفة وصفة رجان في أوساطهم شبه حوائص، وأنه أثبت محضراً على قاضي الناحية واتصل بقاضي حاه» (٢).

كما أن عمده إلى تعديل رجال عصره الواردين ضمن وفياتها وتقييمه لثقافتهم وبمعنى أغم: النقد التأريخي في أرخب صوره، جعله يقابل بأين عملين أدبيين لما في عيلته من ثقافة أدبية واسعة أبت عليه إلا أن تنظهر في بعض الجوانب من كتاباته، ومن أمثلة ذلك قوله في خوادث خلولية ثلاث وثمانين الوسبعمائة بخصوص كائنة «ابن القماح البزار»: «... وكانت سلامته من القطع (٣) من العجائب، وفي ذلك يقول بدر الدين ابن الصاحب مضمناً، وكان بلغه أنه عثر فانكسرت بده:

قالنوا بأنَّ يد القمّاح قد كُسِرَت فَ أَعْلَنْتُ أَخْتَهَا بِالوَيْسَلُ والغِسْيُ ا

⁽۲) نفسه ج ۳ ص ۲۹۸.

Attage of the Contract of

⁽٣) أي قطع اليد جزاء بما سرق.

تأخّر القطع عنها وهي سارقة فجاءَها الكسر يستقصي عن الخبر (من البسيط)

وقد اهتدم ذلك برمته من البيتين السائرين في تاريخ ابن خلكان:

إن العماد بن جبريل أنحا علم له يد أصبحت مذمومة الأثر تا أخر القطع عنها وهي سارقة فجاءها الكسر يستقصي عن الخبر»(١) طبيعة التراجم وأسس انتقاء مادتها:

أشار «ابن حجر» في مقدمة كتابه إلى أنه سوف يفصّل «في كل سنة أحوال المدول من وفيات الأعيان» (٢)، وأورد في كل حولية عنوانات تندرج تحتها ترجمات الوفيات مشيراً إلى أنها سوف تكون «للأعيان» أو «للأكابر». وهو بهذا يشير إلى أن أولى خطوات «الإنتقاء» هي الشهرة، أياً كانت في المنصب أو الوظيفة أو الحرفة، في العلم أو الجهل به، في الحفظ وجوده القريحة، في الرياسة والوجاهة، في اللعب والتمهر فيه، في الإلتزام بالدين أو في التهتك فيه والخروج عليه.

وتلك نظرة نسبية لا تخضع لمعيار واحد تقاس به، فها يراه «ابن حجر» جديراً بالإنتفاء والتسجيل على أنه من المشاهير أو الأعيان، قد يراه غيره هملاً بين الناس أو قد يقره عليه، ولذا تفاوتت الترجمات من حيث العدد وتغايرت في الحولية الواحدة المسجلة لدى مصادر معاصرة.

على أنه يمكن أن نميز له في هذا الموضع منهجاً في إنتقاء الترجمات وإيرادها يضيف إلى عامل الشهرة عوامل أخرى، وهي:

⁽۱) المصدر السابق ج ۱، ص ۲۳۷، ويقابلها في المصدر ابن خلكان. وفيات الأعيان ج ۱ ص ٣٤ تـر ٧) والبيتان لأبي محمد عبد الحكم بن إبراهيم بن منصور بن مسلم العراقي في العماد بن جبريل المعروف بابن أخي العلم ـ وكان صاحب ديوان بيت المال بمصر، وكان قد وقع فانكسرت يده.

⁽٢) ابن حجر. إنباء الغمر ج ١ ص ٤.

١ - الشمول النوعي:

بمعنى أنه لم يقصر ترجمات الوفيات على نوع واحد من الأعلام المشاهير سواء في الجنس أو في الأصل أو في الديانة أو في المذهب أو في المنصب أو في الوظيفة، أو في الحرفة، أو في العلم والمعرفة. ولذا نجده يترجم للرجال وللنساء، للمسلمين وللأقباط، للمشتركين معه في المذهب الشافعي وللمتمذهبين بغيره، وإن اختلف معهم في الأهواء والنحلة، للمتمسكين بالدين المحافظين عليه وللماجنين المتهتكين فيه.

بل لقد ترجم لكل فئات الناس ـ تقريباً ـ من خلفاء (١) وسلاطين وملوك (٢) ونواب سلطنة وولاة أقاليم (٣) ومتغلبين على البلاد (٤) وكشاف (٥) وأمراء (٢) ووزراء (٧) وحجاب (٨) ودويدارية (٩) ونظار (١١) ونقباء (١١) وموقعين (١٢) ومباشرين (١٣) وغيرهم من أرباب الوظائف في الإدارة المملوكية (١٤) ، بالإضافة إلى

⁽١) المصدر السابق ج ٣ ص ٤٤٥ تر ١٩.

⁽٢) نفسه ج ١ ص ٤٦٧ تر ٤٥، ٤٧٨.

⁽٣) نفسه ج ١ ص ٤٦٢ تر ٣٢.

⁽٤) نفس ه ج ١ ص ٤٧٩ تر ٤.

⁽٥) نفسه ج ١ ص ٢٨٤ تر ٢٥.

⁽٦) نفسه ج ۱ ص ٤٨٠ تر ١٢.

⁽٧) نفسه ج ١ صُ ٤٦٦ تر ٤٦.

⁽۸) نفسه ج ۳ ص ۹۰۷ تر ۱۲.

⁽٩) نفسه ج ١ ص ٤٦٨ تر ٤٦.

⁽۱۰) نفسه ج ۱ ص ۵۳۱ تر ۲۸.

⁽١١) ومنهم «نقباء الحكم» - ج ١ تـر ١٧ ص ٥١٦ - و «نقباء الأشراف» - ج ١ ص ٤٩٦ - و «نقباء المذاهب - ج ٣ ص ٤٤ ص ١٢١.

⁽۱۲) نفسه ج ۱ تر ۲۹ ص ٤٦٣.

⁽۱۳) نفسه ج ۳ ص ۲۳ ـ ۲۶ تر ۱۲.

⁽١٤) ومنهم: المهمندار ـ نفسه ج ٣ ص ٢٢١ تـر ٢٨ ـ والإستادار ـ نفسه ج ١ ص ٥٤٦ تـر ٥٥ ـ ووكيـل بيت المال ـ نفسه ج ٣ تر ١٥ ص ٥٢٨ ـ وشاد المراكـز ـ نفسه ج ١ ص ٥٤٠ تـر ٤٦ ـ وشاد الواحات ـ نفسه تر ١٦ ج ١ ص ٥١٦ ـ وشاد ـ

القضاة (١) ونسواب الحكم (٢) والشهود أو العدول (٣) والمحتسبين (٤) والفقهاء (٥) والمحدثين والمسندين(٢) والمدرسين(٧) والمعيدين(١٠) وأئمة المساجد(٩) والخطباء(١٠) والقراء(١١) والمؤذنين(١٢) وخدام الصوفية (١٣) والمعتقدين (١٤) ومتولي عقود الأنكحة (١٠) والأطباء (١١) والكحالين (١٧) والعلماء (١٨) والأدباء (١٩) والشعراء (٢٠)

En Contrata attention of the second of the الشربخاناه - المصدر السابق ج ٣ تر ١٥ ص ١٠٧ - وشاد الزردخاناه - نفسه ج ٣ ص ١١٤ تبر ٢٨ -والخازندار _نفسه ج ١ ص ١٨٢ تر ١٠ _ ومقدم المماليك _ نفسه ج ١ ص ١٠٠ ج ٢ تبر ٩٦، ص ١٢٥ تر ٧٦ ـ ومقدم السريدية ـ نفسه ج ١ تسر ١٠ ص ٣٨٤ ـ والزمام ـ نفسه ج ١ تـر ٣٣ on the first of th (٢) نفسه ص ١٠٥/١ بتر ٢٩ . (٣) نفسه چ ۱ ص ٤٨٦ تر ٢١ . (٤) نفسه چ ۱ ص ٤٨٦ تر ٢١ . (٤) نفسه تر ٣ ج ١ ص ٤٩٦ . (٥) نفسه ج ۱ ص ٤٥٨ تر ٣. (٦) لفسه تر ۸ ص ٥٣٢ . (۷) نفسیه ج ۱ ص ۲۰۵. (۸) نفسه ج ۱ ص ۵۳۸ تر ۳۹. (٩) نفسه ج ۱ ص ۱٤٥ تر ٥. W. W. J. C. C. C. 11 (۱۰) نفسه ج ۱ ص ۵۵۸. (۱۱) نفسه ج ۱ ص ٤٩٧ تر ٦ .

Harris E. Harris (۱۲) نفسه ج ۳ ص ۱۲۰ تر۲۶.

A to a formation of the same (۱۳) نفسه ج ۱ ص ٤٨٢ تر ۲۰ . (١٤) نفيمه ج ١ اص ٢٠٠٠ قر ٧ مدا ١٠٠٠ ما ١٠٠٠ ما ١٠٠٠ ما ١٠٠١ ما ١٠٠١ ما ١٠٠١ على الما الما ١٠٠٠ (١٤)

(۱۵) نفسه ج ۲ ص ۳۱۳ تر ۲۳.

(۱٦) نفسه ج ۱ ص ٤٨١ تر ١٧.

the state of the s (۱۷)نفسه ج ۱ ص ۱۱۵ تر ۸.

(۱۸) نفسیه یچ ۸۰ جس ۲۱،۵ تو ۲۰ تا ۱۰ تا ۲۰ ت

(۱۹) نفسه ج ۱۱ ص ۳۸۷ تر ۴۳ تر ۱۱ تا ۱۱ تا ۱۲ د د د د د د د د ۱۲ تا ۱۲ تا ۱۲ تا ۱۲ تا ۱۲ تا ۱۲ تا ۱۲ تا

(۲۰) نفسه سج ۲ ص ۲۳۷ م ۳۳۳ ۱۰ تر ۲۵ . . . ایا ۱۰ تا ۱۰ تا

والمؤرخين(١) وندماء السلاطين(٢) والمغنين(٣) والنساخ(٤) والوراقين(٩) وأصحاب الحرف والأصنياف(٢٠) والتحار(٧) والحميالتين(٨) ...من ذوي قربياه، أو ممل لا تجمعهم به علاقة (٩) بمن جمعتهم جوادث عالمه واندرجت وفياتهم تحت السنة التي أرخوا بها.

لكن مع ذلك فإنه قد آثر المجدثين والمستدرين بالكثيركما وكيفاً بحكم الإنتماء إليهم، ولقد أفصح عن ذلك إبتداء، حيث قال في مقدمة «الإنباء»

ير ٢ ـ الشمولي، المكاني: عن براس النها و المالية المراسلة بالمراسلة والمراسلة بالمال ويعال ويعالم

كان لولع «ابن حجر» بالحديث النبوي، وحرصة على تقييد الرواية والسماع، والارتحال في سبيل ذلك _ داخلياً وخارجياً _ وظروف عصره التي أوجدت في مصر المملوكية جمعاً من العلماء في كافة المهارات والتخصصات ومن مختلف الجنسيات، وإطلاعه على كتابات مؤرحين مختلفي الجنسيات بين مصريين ودمشقيين، وحلبيين، ومغاربة، ومكيين . أثاره في توعيات التراجم الواردة في «الإنباء»، حيث لم تكن الترجمة فيه وقفاً على المصريتين وإتما نجده قد ترجم فيه الكركي والمقدسي والصوري والبعلبكي والدمشقي والممداني، ولكل من شهر في حيز العالم الإسلامي _اشرقه وغرابه الما دام قل إطلع على ترجمته وضبط

(۲) نفسه ج ۱ ص ۵۳۳ تر ۱۳.

F. Bung:

⁽١) المصدر السابق ج ١ ص ٤٨١ تر ١٦.

⁽٤) نفسه ج ٢٠ ص ٣١٣ تر ٢٤٤ . بر برين مي ديور ويور ديور ديور ديور الماري الماري

⁽٦) نفسه ج ۱ ص ٤٦٣ تر ٢٧. (٧) نفسه ج ۱ ص ٥٣١ تر ٢٠.

⁽٩) راجع: المشاهدة والمشاركة من الفصل الخاص بالمصادر من هذا الباب من المشاهدة والمشاركة من الفصل الخاص Robert Transfer or

⁽۱۰) نفسه ج ۱ ص ٤.

سنة وفاته. بل لقد كان حريصاً على ذلك إلى حد مراسلة المؤرخين في تلك البلدان لضبط وفيات مشهوريها والوقف على ترجماتهم. (١)

عناصر الترجمات

أدى التباين في ترجمات «الإنباء» بين الطول والقصر، والإقتضاب والإسهاب والإختلاف في نوعية الأعلام المترجم لهم، ومدى توفر مصادر ترجمتهم لدى «ابن حجر» وتوفره على مصادره، وصلته بالمترجم لهم، وطبيعة علاقاته بهم. إلى الإختلال والتباين في مادة الترجمات. لكن مع ذلك فإنه يمكن التعرف على السمات العامة المقدرة لديه في بناء هذه المادة المشكلة للتراجم في «الإنباء» من خلال دراسة ترجمات «الإنباء» ككل للوقوف على غناصرها، مع ملاحظة أن تلك العناصر لا تجتمع في موضع واحد ـ غالباً ـ وإنما يرد أكثرها في ترجمة، وبعضها في أخرى، كما أن هذا لا يخضع للإسهاب أو الإختصار في مادة الترجمات، فقد تحتوي ترجمة طويلة على عناصر أقل من مثيلتها القصيرة، حيث الترجمات، فقد تحتوي ترجمة طويلة على عناصر أقل من مثيلتها القصيرة، حيث أن الطول والقصر في الترجمات راجع قبل كل شيء إلى التبسط والإسهاب، أو الإقتضاب والإمساك في العنصر الوارد فيها وليس إلى عدد العناصر الحاوية لها.

فإذا ما تقرر هذا، فإنه يمكن الإشارة إلى أن أهم عناصر الترجمات لديه هي :

١ - الاسم:

وهو غالباً ما يتصدر الترجمة وقد تسلسل ليشمل: إسم المترجم له فوالده فأجداده، كنحو قوله: «أحمد بن حجي بن موسى بن أحمد بن سيد بن غشم بن عزوان بن علي بن سرور بن مشرف بن تركي» (٣)، أو يرد ثلاثياً، وقد ذكر فيه إسم المترجم له فوالده فجده، كنحو قوله: «أحمد بن علي بن السيس» (٣)، وقد

⁽١) راجع الفصل الخاص بالمصادر من هذا الباب للوقوف على المساءلة والمكاتبة وعلاقاتها بذلك.

⁽٢) ابن حجر. إنباء الغمرج ٣ ص ١٨ تر ٦.

⁽٣) نفسه ج ٣ ص ٢٠ تر٧.

يرد ثنائياً ليحتوي على إسم المترجم له فوالده، كنحو قوله: «جابر بن عبدالله» (١). وقد يقتصر في الإسم على العلم المترجم له فحسب مغفلًا إسم الأب والجد، كنحو قوله: «أسنبغا الزردكاش» (٣).

ولعل هذا كان متوقفاً على صلته بالمترجم لهم لديه، وتوفره على مصادر ترجماتهم، فالملاحظ أن الترجمات التي وردت الأسهاء فيها مطولات وقد تسلسل النسب فيها، من بين هؤلاء الذين أجازوا له، أو لغيرهم ممن ترجمهم «ابن حجر» عنهم.

كما يلاحظ أن «ابن حجر» كان دقيقاً في إثبات الإسم وتتبع سلسلة النسب، حتى مع أخذه لمادته عن المترجم له عينه، ومن الأمثلة الدالة على ذلك قوله في ترجمة «المجد الفيروزبادي (ت ٨١٧ هـ. / ١٤١٥ م.): «...كان يرفع نسبه للشيخ أبي إسحاق الشيرازي _ صاحب التنبيه _ ويذكر أن عبد عمر أبا بكر بن أحمد بن أحمد بن فضل الله بن الشيخ أبي إسحاق، ولم أزل أسمع مشايخنا يطعنون في ذلك مستندين إلى أن أبا إسحق لم يعقب، ثم ارتقى الشيخ مجد الدين درجة فادعى بعد أن ولى القضاء باليمن مدة طويلة أنه من ذرية أبي بكر الصديق، وزاد إلى أن قرأت بخطه لبعض نوابه في بعض كتبه: محمد الصديقي. ولم يكن مدفوعاً عن معرفة، إلا أن النفس تأبي قبول ذلك» (٤٠).

٢ _ اللقب:

كما كان «ابن حجر» حريصاً على إيراد الألقاب مع ما يضاف إليها كنحو قوله: «رضى الدين»(٥)، «حسام الدين» ، «عفيف الدين»(٧)، وليس

⁽۱) المصدر السابق ج ٣ ص ٢٣ تر ١٢.

⁽۲) نفسه ج ۳ ص ۲۲ تر ۹.

⁽٣) نفسه ج ٣ ص ٧٧ تر ٣.

⁽٤) نفسه ج ٣ ص ٤٧ تر ٣.

⁽٥) نفسه ج ۲ ص ۲۳ تر ۱۱.

⁽٦) نفسه ج ٣ ص ٢٤ تر ١٣.

⁽V) نفسه ج ۳ ص ۲۵ تر ۱۷.

. «الرضى»، و «الحسام»، و «العفيف»، كما اعتاد كثير من المؤرخين.

الله وهذو غالباً عما يقتصر على لقب المترجم لمه فحسب، وإن تسلسلت الألقاب في بعض مواضع لترد رباعية، كنحو قوله: «عز اللدين بن شرف اللدين ابن عز الدين بن بدر الدين»(١)، أو تلاثية ، كنحنو قوله: «عفيف الدين بن ، القاضي تقي الدين بن الشيخ شهاب الدين»(٢)، أو ثنائية مكتفياً فيها بلقب المترجم له ووالده ـ كنحو قوله: «شهاب الدين بن علاء الدين» (٣٠).

٣ ـ الكنية: وترد الكنية وقعد اقتصر فيها على المترجم له فحسب، كنحو قوله: أبو . العباس»، و «أبو جامد»، و «أبو طاهبر»، و «أبو الفتح»، و «أبو أحمد»(٤) مع و ملاحظة أن تلك المواضع قليلة قياساً بالإحصاء العددي لترجمات الإنباء.

٤ ــ"اسم الشهرة" الله المالية المالية

قد يشتهر المترجم له بغير اسمه العلم، وقد تكون شهرته بغير لقبه أو كنيته، وهنا نجد «ابن حجر» قد أورد اسم الشهرة مسبوقاً بقوله «المعروف ب. . . »، أو «الشهير ب. . . »، أو «الملقب ب. . . . » كنحو قوله: «المعروف بالمدني»(٥) وقوله: «المعروف بحاجي فقيه»(١) وقوله: «الملقب القطعة»(٧)، وقوله: «الشهر بابن الأديب» (^).

(۲) نفسه ج ۳ ص ۲۵ تر ۱۷.

(٣) نفسه ج ٣ ص ١٨ تر ٦ .

(٤) نفسه ج ٣ ص ١٨ تـر ٤.

(٥) نفسه ج ٣ ص ١١٨ تر ٣٨.

(٦) نفسه ج ٣ ص ٧٨ تر ٦.

(۷) نفسه ج ۳ ص ۳۱ تر ۲۸.

(۸) نفسه ج ۳ ص ۱۰٦ تر ۱۲.

4 - 4

i F

وقد يأتي هذا الإسم في سياق الكلام دون تنصيص، كنحو قوله: «محمد ابن عزيز بن الواعظ...» (١)، وقوله: «محمد بن محمد بن محمد الشافعي الحموي، ناصر الدين بن خطيب نقرين» (٢)، وقوله: «محمد بن محمد بن عبدالله، شمس الدين بن مؤذن الزنجبيلية» (٣). ويلاحظ أنه في المشال الأول قد أورد اسم الشهرة ضمن اسم المترجم له، بينا نجده في المثالين الثاني والشالث قد أورده قرين اللقب.

كما أنه كثيراً ما يضبط هذا الاسم بالحروف، كنحو قوله: «المعروف بابن زقاعة ـ بضم الزاي، وقد تجعل سيناً وتشديد القاف»(أ)، أو يحرص على تفسيره وتبيين معناه، كنحو قوله: «ابن شنبل ـ بضم المعجمة وسكون النون بعدها موحدة مضمومة ـ وهو مكيال القمح بحمص»(٥).

ه ـ النسبة:

وتكون بنسبة المترجم له إلى القبيلة، كنحو قوله: «المخزومي» (٢) أو بنسبته إلى المدينة، كنحو قوله: «الصالحي» (٢)، أو إلى المحلة، كنحو قوله: «التباني» (٨)، أو إلى معتقه ـ خاصة إذا كان مملوكاً أو أميراً ـ كنحو قوله: «يلبغا الناصري» (٩) أو إلى الجنس، كنحو قوله: «الرومي» (١٠) أو إلى المذهب، كنحو

⁽١) المصدر السابق ج ٣ ص ٤٦ تر ١٤.

⁽۲) نفسه ج ۳ ص ۸۳ تر ۱۹.

⁽٣) نفسه ج ٣ ص ١٢٠ تر ٤١.

⁽٤) نفسه ج ٣ ص ١٧ تر٢.

⁽٥) نفسه ج ٣ ص ١٨ تر ٤ .

⁽٦) نفسه ج ٣ ص ٤٥ تر ١٣.

⁽۷) نفسه ج ۳ ص ۱٦ تر ١.

⁽۸) نفسه ج ۳ ص ۸۳ تر ۱۵.

⁽٩) نفسه ج ٣ ص ٥١ تر ١٩.

⁽۱۰) نفسه ج ۳ ص ۱۰۷ تر ۱۳.

قبوله: «الشافعي»(١) و «الحنفي» (٢) و «الحنباي»(٣) و «المالكي»(٤)، أو إلى العقيدة، كنحو قبوله: «المعتزلي»(٥)، أو إلى الديانة ـ خاصة إذا كان من غير المسلمين ـ كنحو قوله: «القبطي»(١).

وهو حريص على ضبط موضع النسبة ـ كذلك ـ وتفسيرها في مواضع كثيرة كنحو قوله: «العواري ـ بفتح المهملة والواو الخفيفة» (٧)، وقوله: «المقدسي، الناصري، الباعوني. وناصرة من عمل صفد. . . وباعونة قرية بالقرب من عجلون» (٨).

وقد تتوالى النسب إلى المواضع، كنحو قوله: «الأسكندراني، ثم المصري» (٩)، و «الخليلي، ثم الدمشقي» (١٠) ليكون المقصود بالإنتساب إلى الأول تحديد الأصل الذي انحدر منه المترجم له، وبالثاني الموضع الذي ولد ونشأ فيه.

٦ - الموطن:

كما كان «ابن حجر» حريصاً على ذكر الموضع الذي نزله المترجم له أو استقر فيه ـ لما له من أهمية في ضبط وتقييد السماع (١١) ـ ولذا ورد في ترجمات

⁽۱) المصدر السابق ج ٣ ص ٢٣ تر ١٠.

⁽۲) نفسه ج ۳ ص ۱٦ تر ١ .

⁽٣) نفسه ج ٣ ص ١٧ تر ٣.

⁽٤) نفسه ج ٣ ص ٢٦ تر ١٨.

⁽٥) نفسه ج ٢ ص ٢٤٤ تر ١٦.

⁽٦) نفسه ج ٣ ص ٢٥ تر ١٥.

⁽۷) نفسه ج ۳ ص ۳۱ تر ۲۹.

⁽۸) نفسه ج ۳ ص ۲۰، تر ۸.

⁽٩) نفسه ج ٣ ص ٣٢ تر ٣٠.

⁽۱۰) نفسه ج ۳ ص ۱۷ تر ۳.

⁽۱۱) نفسه ج ۳ ص ۲۱ تر ۸، حيث نجده يحدد مكان اللقاء بشيخه قائلًا: «... وقد اجتمعت به بيت المقدس».

كثيرة من «الإنباء» ما يفيد ذلك، ومنها قوله: «نزيل المدينة»(١)، و «نزيل مكة»(٢).

٧ - الألقاب العلمية والصفات الأصيلة:

وقد تتبع هذه العناصر أو تتخللها بعض الألقاب العلمية أو الصفات الدالة على أصالة المترجم له وعراقة نسبه، كنحو قوله: «الكاتب المجود»($^{(7)}$) و «القاضى» $^{(3)}$ و «الخطيب» $^{(9)}$ و «الفقيه» $^{(7)}$ و «القريء» $^{(8)}$.

٨ - المولد:

ويأتي في أوائل أو أواخر الترجمات على حد سواء (^)، ويعد من العناصر الهامة لديه لما له من قيمة في الإستدلال على لقاء الشيوخ والإطمئنان إلى الرواية والسماع. ولعل في المثال الآتي _ وقد أورده «ابن حجر» في «الإنباء» ضمن ترجمة «الرواقي» (ت ٨٣٠هـ. / ١٤٢٧م.) _ ما يدلل على ذلك:

«... قال القاضي علاء الدين: كان صالحاً خيراً ناسكاً سليكاً، يستحضر أشياء حسنة عن الصوفية، واجتمعت به بطرابلس فأنشدني، وساق له عن أبي حيان قصيدة... وهي في نحو العشرين بيتاً لا تشبه نظم أبي حيان ولا نفسه، ولا يتصور لمن ولد سنة سبع وأربعين أن يسمع من أبي حيان الذي مات فبل ذلك على القاضي علاء الدين ثم حسبت أن

⁽١) المصدر السابق ج ٣ ص ٢٣ تر ١٠.

⁽۲) نفسه ج ۳ ص ۲۶ تر ۱۶.

⁽٣) نفسه ج ٣ ص ١٨ تر ٥.

⁽٤) نفسه ج ٣ ص ٢٠ تر ٥.

⁽٥) نفسه ج ٣ ص ٢٤ تر ١٤.

⁽٦) نفسه ج ٣ ص ٢٦ تر ١٨.

⁽٧) نفسه ج ٣ ص ٤١ تر ٩.

⁽٨) نفسه ج ٣ ص ٣١٢. حيث نجده قد أورد العنصر الخاص بالتأريخ لمولىد المترجم لـه أواخـر ترجمته.

يكون بين الرواقي وأبي حيان واسطة، وقد زعم أنه أنشدها له العلامة جمال الدين عبدالله بن يوسف بن هشام. قال: أنشدنا أبو حيان ـ ولا نعرف أن ابن هشام أخذ عن أبي حيان شيئاً، بل كان يجتنبه. قال: وكان الرواقي يقيم بحماه ويأي طرابلس، ثم بلغني أنه توجه إلى القدس فأقام به ومات ما بين ثمان وتسع وعشرين»(١).

ولذا لا يستغرب مع هذا عناية «ابن حجر» بتقييد تاريخ الميلاد خاصة لدى العلماء والمحدثين.

لكن مع أهمية هذا العنصر وإدراك قيمته نجده قد سلك فيه طرقاً هي:

أ_التأريخ له على وجه الإكتمال بذكر اليوم والشهر والسنة، كنحو قوله: «ولد ليلة التاسع والعشرين من جمادي الآخرة سنة خمس وأربعين»(٢) ونادراً ما يكون ذلك.

- التأريخ بالشهر والسنة، كنحو قوله: «ولد في ذي الحجة سنة $^{(7)}$.

جــ التأريخ للمولد إكتفاء بالسنة ـ فقطـ كنحو قـوله: «وكـان مولـده في سنة ٧٦١»(١).

د_لكن مع ذلك فإنه لا يجزم بالتأريخ في مواضع كثيرة، بل يكون تقديره له على وجه التقريب نصاً على ذلك، كنحو قوله: «ولد سنة ستين تقريباً»(٥٠).

كها أنه معنى بتحديد محل الميلاد كلما تيسر لـه ذلك، ومن أمثلتـه قولـه: «ولد سنة . . . بغزة »(٢)، وقوله: «ولد في . . . بالمدينة»(٧).

⁽۱) المصدر السابق ج ٣ ص ٣٨٦ ـ ٣٨٧ تر ٣.

⁽۲) نفسه ج ۲ ص ۳۹۳ تر ۱۵.

⁽٣) نفسه ج ٣ ص ٣١١ تر ٣.

⁽٤) نفسه ص ٣/٣١٢ تر ٤.

⁽٥) نفسه ج ٣ ص ٣٤١ تر ٢١.

⁽٦) نفسه ج ٣ ص ٣٢١ تر ٢٩.

⁽۷) نفسه ج ۳ ص ۳۳۵ تر ۱۰.

ويلاحظ أنه كان دائب السؤال عن تاريخ الميلاد لمن يترجم له سواء بسؤال المترجم له عينه، كنحو قوله: «... لأنه ذكر أن مولده سنة ٧٢٢» (١)، أو بسؤال أهله وذويه، كنحو قوله: «... وسألت أخاه شمس الدين ـ أحد من ينوب بدمياط في الحكم عن النائب بها ـ عن مولده فذكر أنه ولد سنة ٤٣ وأنه أسن من القاضي زين الدين بعشرين سنة. ولست أرتاب في مجازفته في كل ذلك» (٢).

ولقد كان كثير التدقيق في ذلك _ حسبها يستدل من المثال قبل السابق وما يفهم من قوله: «... ولد سنة ثمانين _ على ما كتب بخطه _ لكن وجد له حضور فيها، فيحتمل أن يكون ولد في التي قبلها، ولكن وجد بخط البرزالي أن مولده في رجب سنة اثنتين وثمانين. وهذا هو المعتمد، ولعل ذلك أخ له»(٣).

١٩ ـ تقدير عمر المترجم له:

فإذا ما خفي عليه تحديد تاريخ ميلاد المترجم له، فإنه عالباً ما يجتهد في تقدير عمره حال الوفاة، كنحو قوله: «مات في صفر وقد جاوز السبعين»(٤)، وقوله: «وأظنه قارب السبعين»(٥).

ويتحدد عمر المترجم له على وجه الدقة في مواضع كثيرة كما تشير إلى ذلك تعبيراته، ومنها قوله: «مات في رجب وله سبع وخمسون سنة» (٢٠).

١٠ ـ الوفاة:

لم يكتف «ابن حجر» بإيراد الوفيات وقد انتظمتها الحوليات دون تأريخ

⁽١) المصدر السابق ج ٣ ص ٢٧٣ تر ٨.

⁽۲) نفسه ج ۳ ص ٤٨٦ تر ٣.

⁽۳) نفسه ج ۱ ص ۱٤۳ تر ۵۵.

⁽٤) نفسه ج ٣ ص ١٠٧ تر ١٦.

⁽٥) نفسه ج ٩ ص ١٩٣.

⁽٦) نفسه ج ٣ ص ١٥٢ تر ٢١.

لها في مواضع كثيرة على سبيل الإكتمال: باليوم من الأسبوع ومن الشهر والشهر، كنحو قوله: «مات في ليلة الجمعة رابع عشري ربيع الأول» (١)، أو بذكر اليوم من الشهر فالشهر، كنحو قوله: مات في حادي عشر شوال» (٢)، وقد يكتفي بالتأريخ لها بالشهر مغفلاً ذكر اليوم الواقعة فيه، كنحو قوله: «مات في صفر من هذه السنة» (٣).

وقد ترد الوفيات مؤرخة بنصف وأواسط وأواخر وسلخ الشهر، كنحو قوله «مات في نصف ذي الحجة» (٤).

وقد يرد تأريخ الوفاة على وجه التقريب، كنحو قوله: «مات في آخر هذه السنة»(٥)، وقوله: «... بلغني أنه مات في أول سنة إحدى وعشرين بيزد وكان خرج من الحمام فمات فجأة، وأرخه الشريف الفاسي في سنة عشرين، والله أعلم»(١).

وربما وردت الترجمات في بعض مواضع غير مؤرخة اكتفاء بنسبتها إلى الحولية الواقعة فيها، كنحو ما فعل بترجمة «أسنبغا الزردكاش» (٧) و «طوغان الحسني» (٨) أو بالتوكيد على وقوعها في ذات الحولية، كنحو قوله: «مات في هذه السنة» (٩)

وقد يذكر موضع الوفاة كنحو قوله: «وتحول إلى زبيد فمات بها» (١١٠).

⁽١) المصدر السابق ج ٣ ص ١٢١ تر ٤٣.

⁽۲) نفسه ج ۳ ص ۱۰۶ تر ٥.

⁽٣) نفسه ج ٣ ص ٧٦ تر ١ .

⁽٤) نفسه ج ٣ ص ١٠٤ تر ٤.

⁽٥) نفسه ج ٣ ص ١٥٠ تر ١٥.

⁽٦) نفسه ج ۳ ص ۱۸۰ تر ۱۰.

⁽٧) نفسه ج ٣ ص ٧٧ تر ٣.

⁽۸) نفسه ج ۳ ص ۸۱ تر ۹.

⁽٩) نفسه ج ٣ ص ١٢٢ تر ٥٠.

⁽۱۱) نفسه ج ۳ ص ۸۲ تر ۱۲.

وكثيراً ما يعني «ابن حجر» بتحديد كيفية الوفاة من موت طبيعي أو قتل (۱) بل والعلة المتسبب عنها الوفاة، كنحو قوله: «مات... مطعوناً» (۲) «مات في الطاعون» (۳) ، «مات... بعلة ذات الجنب» (٤) ، «اعتل بالقولنج الصفراوي فتمادى به إلى أن مات» (٥) . «مات ... مبطوناً» (۲) ، «مات مسلولاً ، ويقال إنه سقي السم» (۷) . وكذا حال المترجم له عند موته من حيث: العمل والإشتغال أو التبطيل والعزل ، كنحو قوله: «مات ... بطالاً» (٨) وقوله: «مات معزولاً» (٩) ، وقوله : «فلم تطل مدته حتى مات بعد تسعة أشهر من وزارته» (۱) ، وقوله: «وولي تدريس الحديث بالأشرفية إلى أن مات» (۱۱) وقوله: «وكان آخر أمير بدمشق» (۱۱) ، أو المكانة لمدى الوجهاء والدولة كنحو قوله: «وكان آخر عمره عين الحنابلة» (۱۲) ، وقوله: «وانتهت إليه رياسة الفقه ببلده إلى أن مات في هذه السنة» (۱۱) أو من حيث السفر والإقامة ، كنحو قوله: «فمات متوجهاً إلى

⁽۱) حيث ينص على القتلى في الترجمات ليفرق بين هذه الموتة، والموت الطبيعي كنحو قوله _ المصدر السابق ج ٣ ص ٢٥٦ تر ٥ _ السابق ج ٣ ص ١١٧ تر ٣٥ _ «مات مقتولاً»، وقوله: «قتل صبراً» نفسه ج ٣ ص ٢٥٦ تر ٥٠ _ وقوله: «توجه إلى حصار بعض القلاع فأصابه حجر في جبهته فصرعه» _ نفسه ج ٣ ص ٢٩٣ تر ٢٤.

⁽۲) نفسه ج ۳ ص ۱۰۵ تر ۵۸.

⁽٣) نفسه ج ٣ ص ١٠٦ تر ١٢.

⁽٤) نفسه ج ٣ ص ١٢١ تر ٤٠.

⁽۸) نفسمه ج ۳ ص ۱۰۷ تر ۱۳.

⁽٩) نفسه ج ٣ ص ١٢٠ تر ٤٠.

⁽۱۰) نفسه ج ۳ ص ۱۱۰ تر ۲۲.

⁽۱۱) نفسه ج ۳ ص ۱٤۹ تر ۱۲.

⁽۱۲) نفسه ج ۳ ص ۳۳۵ تر ۹.

⁽۱۳) نفسه ج ۳ ص ۱۵۲ تر ۲۰.

⁽۱٤) نفسه ج ۳ ص ۲۳۰ تر ۲۰.

الحج في شوال»(١)، وقوله: «ثم حج فلما رجع مات وهو قـافل»(٢) أو من حيث الإهانة والتغريب، كنحو قوله: «فأخرج على حمار فمات في أثناء الـطريق غريبـاً طريداً» (٣) أو من حيث حالته النفسية، كنحو قوله: «وجاور في آخر أمره فمات بها منطوياً»(٤)، أو من حيث التمرض والضعف أو الموت الفجاءة من غيرعلة أو خيوفاً من القهر، كنحو قبوله: «. . . ثم قيدم القاهرة بآخرة فوعيك ومات بالبيمارستان»(٥)، وقوله: «مات بعد مرض طويل»(٦)، وقلوله: «مات في عصر يوم السبت بعد أن أقام أكثر من عشرين يوماً ملقى على قفاه لا حراك بـ إلا في بعض الأحيان، يحرك يده كالعابث أو ينطق بما لا يفهم، وصار يجرع السويق ونحوه بالسعط فلا ينزل إلى جوفه من ذلك إلا اليسير، وكان قبل ذلك قد أفرط به الإسهال حتى انحطت قوته، ثم عرض له الصرع فأقام في أول مرة زماناً طويلًا بحيث أرجف بمـوته، ثم أفـاق منه مختبـلًا، ثم عـاوده بعـد سبعـة أيـام فـازداد انحطاطاً واستمر يعاوده حتى يئس منه كل من حوله من النساء والرجال والأطباء، وفي كل نوبة من الصرع يرجف بموت ويتهيأ الناس لذلك، ثم يتحرك . . . »(٧) ، وقوله: « . . . كان خرج من الحمام فمات فجأة » (^) وقوله: «قرأت. . . إن سب موته أنه عقد عند برقوق مجلس بسبب الأوقاف، فتكلم الضياء _ وهو المترجم له _ بكلام قوي فغضب منه برقوق وأجابه بجواب خشن خاف منه على نفسه، فلما رجع إلى الشيخونية ثم رجع إلى بيته مرض واستمر إلى أن مات» (٩) أو من حيث ضيق ذات اليد أو اليسر، كنحو قوله: «مات

⁽١) المصدر السابق ج ٣ ص ١١٤ تر ٢٨.

⁽۲) نفسه ج ۳ ص ۱٤۹ تر ۱٤.

⁽٣) نفسه ج ٣ ص ٢١١ تر ٢٨.

⁽٤) نفسه ج ٣ ص ٢٠٤ تر ١.

⁽٥) نفسه ج ٣ ص ٢١٠ تر ٢٢.

⁽٦) نفسه ج ٣ ص ٢٣٢ تر ١٥.

⁽٧) نفسه ج ۹ ص ١٦ - ١٧.

⁽۸) نفسه ج ۳ ص ۱۸۰ تر ۱.

⁽٩) نفسه ج ۱ ص ۱۸۶ تر ۱۷.

وعليه ديون كثيرة»(١)، وقوله: «وخلف تركة جيدة ورثها أخوه»(٢)، وقوله: «وخلف مالاً كثيراً جداً»(٣) أو من حيث تبيان حاله بالنسب للأهبل والأخوة، كنحو قوله: «وهو آخر إخوته موتاً»(٤) وقوله: «مات الجمال المصري في ذي القعدة وخلف عشرين ولداً ذكراً»(٥)، وقوله: «ومات له في حياته أكثر من خمسين ولداً وما مات حتى تضعضع حاله»(٢)، وقوله: «وماتت في عصمته... وهي آخر أولاد الظاهر لصلبه وفاة» (٧). أو ما يكون قد عرض له في آخرته من آفة الخرف والخلط، أو العمى للماليان ذلك من أهمية في تعديل المحدثين وجرحهم ومنه قوله: «وكان قد أضر بآخرة وحصل له خلط ثقل منه لسانه وصار كلامه قد يخفي بعضه بعد أن كان لسانه كما يقال كالمبرد»(٨)، وقوله «وكان قد أضر قبل موته»(٩)، وقوله: «وكان بعض من يتعصب عليه ينسبه إلى الخرف والتغير، ولم يقع ذلك » (١٠)، أو ما قد يعتريه من الوسواس كنحو قوله: «وابتلى بالوسواس في الطهارة حتى انحل بدنه وأفسد ذهنه وثيابه، وتأسف هو، كل ذلك، ولم يزل مبتلي به حتى مات» (١١).

كما أنه كثيراً ما يعني بذكر ما يتبع الوفاة من جنازة ودفن مفصحاً عن وقع ذلك في أنفس الناس ونفسه، محدداً لموضع الدفن، كنحو قوله: «ودفن عند باب

⁽١) المصدر السابق ج ٣ ص ٢٨٩ تر ١٨.

⁽٢) نفسه ج ٣ ص ١٣٤ تر ٥٢ ،

⁽٣) نفسه ج ٣ ص ٢٣٦ تر ٢٢.

⁽٤) نفسه ج ٣ ص ١٨٢ تر ١٦.

⁽٥) نفسه ج ٣ ص ١٥١ تر ١٨.

⁽٦) نفسه ص ۳۸۸ تر ۷.

⁽۷) نفسه ج ۳ ص ۳۱۵ تر ۱۰.

⁽٨) نفسه ج ٢ ص ٢٣ تر ٢.

⁽٩) نفسه ج ۲ ص ۳۷٦ تر ٤٦.

⁽۱۰) نفسه ج ۳ ص ۲۳ تر ۱۰.

⁽۱۱) نفسه ج ۱ ص ۶۹ تر ۳۰.

القرافة، وكان الجمع في جنازته حافلاً جداً»(١)، وقوله: «فاتفق أنه فجأه الموت في رابع جمادى الأولى، وأسف الناس عليه، وكانت جنازته حافلة»(٢)، وقوله: «وكانت جنازته حافلة ودفن بالصوفية»(٣)، وقوله «ومشى الناس في جنازته من منزله بالخراطين لل الرملة، ولم يصل السلطان عليه لأنه كان في غاية الضعف آنذاك»(٤)، وقوله: «ماتت ودفنت في المدرسة التي استجدها (الأشرف برسباي) بالحريرين، وصلى عليها أمام باب الستارة، وتقدم الشافعي للصلاة عليها والسلطان والأمراء وغيرهم خلفه. وكانت جنازتها حافلة، وقريء عليها ليلاً ونهاراً»(٥)، وقوله: «رجع إلى بلده فمات به، وأسفنا عليه ـ رحمه الله تعالى»(٧)، ومرثيته في الزين العراقي (٢).

أو على العكس من ذلك، ما يكون حدث لجثته من تمثيل أو تنكيل، كنحو قوله: «مات مقتولاً بالقاهرة، وحشى جلده تبناً، وحمل إلى صفد في ذي الحجة» (^).

مسساب لم بسنفس للخناق فروض العلم بعد الزهو ذاو وبحر الدمع يجري في اندفاق وللأحزان بالقلب اجتماع وكاد الصب أن يدفع بصبر فأما بعد يأس من تلاقي لقد عظمت مصيبتنا وجلت

أصار الدمع جاراً للمآقي وروح الفضل قد بلغ التراقي ويدر الصبر يسري في المحاق ينادي الصبر: حيّ على افتراق يهون عليه مع رجوى التلاقي فيهذا صبره مر المذاق بسوق أولى العلم إلى السياق

(۸) نفسه ج ۳ ص ۱۱۷ تر ۳۰.

(الوافر)

⁽١) المصدر السابق ج ٣ ص ١٠٩ تر ١٩.

⁽۲) نفسه ج ۳ ص ۱۸۱ تر ۱۲.

⁽٣) نفسه ج ٣ ص ٢٠٩ تر ١٦.

⁽٤) نفسه ج ٣ ص ٢٣٣ تر ١٦.

⁽٥) نفسه ج ٣ ص ٣٣٨ تر ١٧.

⁽٦) نفسه ج ٣ ص ٣١٦ تر ٦.

⁽۷) نفسه ج ۲ ص ۲۷۸ ـ ۲۷۹، تر ۱۹، ومنها قوله:

وكذا ما يتبع الوفاة من تصرف في تركته ـ على نحو ما مر ـ أو تصرف في وظائفه ، كنحو قوله: «ولما مات قررت وظائفه ـ كلها ـ بيد ولده علي وهو صغير جداً ، فاستنيب عنه خاله جلال الدين ابن الملقن»(١).

١١ ـ النشأة والتكوين:

وتختلف المادة المكونة لهذا العنصر تبعاً للإختلاف في نوعية المترجم لهم، وطبيعة صلة «ابن حجر» بهم، حيث تكون المكونات الأولى للعلماء والمحدثين ونحوهم مغايرة لها لدى الأمراء والسلاطين.

وللوقوف على ذلك، فإنه يمكن الإشارة إلى أنه قد ترجم بعض أعلام الصنف الأول قائلً بخصوص نشأة وتكوين «البرهان التنوخي» (ت ١٤٠٥هـ. / ١٤٠٥ م.): «... أجاز له إسماعيل بن مكتوم، وأبو بكر ابن عبد الدائم وعيسى بن عبد الرحمن المطعم، وأبو نصر الشيرازي، والقاسم ابن عساكر ومحمد بن مشرف، وست الفقهاء بنت شكر، وجمع كبير يزيدون على الثلاثمائة ثم طلب الحديث بنفسه فسمع الكثير من أبي العباس الحجار، وعبد الله بن الحسين بن أبي التائب، والحافظين: البرزالي والمزي، والبندنيجي وخلق كثير يزيدون على المائتين. وعني بالقراءات فأخذ عن البرهان الجعبري وابن نصحان والبرقي، ثم رحل فأخذ عن ابن أبي حيان وابن السراج وأبي العباس المرداوي، ومهر في القراءات وكتب هؤلاء له خطوطهم بها. وتفقه على البارزي بحماه، وابن النقيب بدمشق، وابن القماح بالقاهرة، وغيرهم. وأذنوا له، وأفاد وحدث قدياً» (٢).

كم ورد همذا العنصر في ترجمة «النويسن العراقي» (ت ٨٠٦هـ / ١٤٠٤ م.) على النحو التالي: «... حفظ التنبيه في الفقه، واشتغل بالفقه والقراءات، ولازم المشايخ في الرواية، وسمع في غضون ذلك

⁽١) المصدر السابق ج ٣ ص ٢٨٤ تر ٤.

⁽٢) نفسه ج ٢ ص ٢٢ تر ٢ .

من عبد الرحيم بن شاهد الجيش وابن عبد الهادي وعلاء الدين التركماني، وقرأ بنفسه على شهاب الدين بن الباب، وتشاغل بالتخريج، ثم تنبه للطلب بعد أن فاته السماع من مثل يحيى بن المصري آخر من روي حديث السلفي عاليا بالإجازة، ومن الكثير من أصحاب ابن عبد الدايم والنجيب وابن عارف، ولكنه أدرك أبا الفتح الميدومي فأكثر عنه، وهو من أعالي مشايخه إسناداً وسمع أيضاً من ابن الملوك، وابن القطرواني، ثم رحل إلى دمشق فسمع من ابن الخباز، ومن أبي العباس المرداوي، ونحوهما. وعني بهذا الشأن ورحل فيه إلى دمشق وحلب والحجان» (١).

بينها نجده قد أورد هذا العنصر في ترجمة «بهرام بن عبدالله الدميري» (ت ٨٠٥هـ. /١٤٠٣ م.) على النحو التالي:

(۲) عن الشيخ خليل وغيره

وفي ترجمة «سارة بنت علي بن عبد الكافي السبكي» (ت ٨٠٥ هـ. / ١٤٠٣ م.) على النحو الآتي:

«... اسمعت من أحمد بن علي الحريري، وزينب بنت الكمال وغيرهما وسمعت علي أبيها أيضاً»(٣).

وبدراسة هذه النماذج الأربعة يدرك الآتي:

أولاً _ أن «ابن حجر» قد ذكر الشيوخ تارة بأسمائهم، وتارة بما اشتهروا به من أسهاء كنحو قوله: «إسماعيل بن مكتوم» و «أبو بكر بن أحمد بن عبد الدايم» و «عيسى بن عبد الرحمن المطعم» و «أحمد بن كشتغدي». . وقوله «البرزالي» و «المزي» و «البندنيجي» و «القزويني» و «السبكي» و «الجوزي» و «الميدومي» و «ابن نباتة» و «الشيخ خليل». مستنداً إلى معرفة أصحاب الفن

⁽١) المصدر السابق ج ٢ ص ٢٧٦ تر ١٩.

⁽٢) نفسه ج ٢ ص ٢٤٢ تر ٩.

⁽٣) نفسه ج ٢ ص ٢٤٣ تر ١١.

بهم، ومفترضاً في المطالع لتاريخه معرفتهم، ومن ثم إدراكهم.

ثانياً ـ أنه قد تبسط في ذكر الشيوخ في مواضع كها في المثال الأول واقتضب في مواضع أخرى، كنحو قوله في المثال الرابع: «أخذ عن الشيخ خليل». مع ملاحظة أنه يقتصر في إيراد الشيوخ على المشاهير منهم متبعاً ذلك بقوله: «. . . وجمع كبير يزيدون على الثلاثمائة»، و «خلق كثير يزيدون على المائتين» و «مشايخ العصر»، و «غيرهم»، «وآخرون»، و «الكثير من أصحاب. . . » و «نحوهما»، «وغيرهما»، «وغيره».

ثالثاً _ أنه قد عني _ في بعض مواضع _ بذكر المكان المأخوذ فيه علم المترجم له، كنحو قوله في المثال الأول: «وتفقه على البارزي بخماه وابن النقيب بدمشق، وابن القماح بالقاهرة».

رابعاً ـ أنه قد يذكر بعض محفوظاته أو مسموعاته، كنحو قوله في المثال الثالث «حفظ التنبيه».

خامساً ـ الأعتناء بذكر بعض صيغ التحمل والسماع ـ لما لها من أهمية لدى المحدثين ونحوهم، ومن ذلك قوله:

«أجاز له»، «أذنوا له»، «أذن له»، «سمع»، «سمعت»، «اسمعت»، «عوض»، «قرأ بنفسه على...»، «أخله، «لازم»، «كتب هؤلاء خطوطهم مها».

سادساً ـ التدليل على ما قد يكون فات المترجم له من سماع، وتبيين ما لسماعه من قيمة، كنحو قوله في المثال الثالث: «وتشاغل بالتخريج، ثم تنبه للطلب بعد أن فاته السماع من مثل يحيى بن المصري ـ آخر من روي حديث السلفي عالياً بالإجازة ـ ومن الكثير من أصحاب ابن عبد الدايم والنجيب وابن عارف. ولكنه أدرك أبا الفتح الميدومي فأكثر عنه، وهو من أعلى مشايخه إسناداً».

سابعاً _ ذكر أهم العلوم والفنون التي تتشكل منها ثقافته، كنحو قولـه في

المثال الأول: «طلب الحديث بنفسه. . . وعني بالقراءات . . . وتفقه » ، وإشارته في المثال الثالث إلى اشتغال «الزين العراقي» بالفقه والقراءات والحديث .

ثامناً _ الإبانة عن مقدار هذا العمل وتمكنه منه، كنحو قوله في المثال الأول «مهر في القراءات، وكتب هؤلاء له خطوطهم بها» .

ويلاحظ أن هذه التفصيلات ترد مجتمعة في عنصر الترجمة في موضع وترد متفرقة في مواضع أخرى.

أما الصنف الثاني، وهم السلاطين والأمراء، فإن المعلومات الواردة بخصوص طبيعة تكوينهم ونشأتهم قليلة _ قياساً بما ورد في ترجمته للعلماء والمحدثين، ومن أمثلة ذلك قوله بخصوص ترجمة «العجل بن نعير» (ت ٨١٦ هـ. / ١٤١٤ م.): «... نشأ في حجر أبيه، ثم لها بلغ العشرين فارقه ومال إلى جكم، ولما وقع بين جكم وبين ابن صاحب الباز حضر نعير في نصر ابن صاحب الباز، والباز وابنه مع جكم »(١) وقوله بخصوص ترجمة «المؤيد شيخ المحمودي» (ت ٨٢٤ هـ. /١٤٢١ م.): «... كان قدومه القاهرة على ما أخبرنا به في السنة التي قدم فيها أنص والد برقوق، فعرض على برقوق قبل أن يتسلطن فرام من صاحبه بيعه فاشتط في الثمن، وكان ابن اثنتي عشرة سنة، ولكن كان جيل الصورة، فاتفق موت الذي جلبه فاشتراه محمود تاجر المماليك بثمن يسير وقدمه لبرقوق فأعجبه واستمر ينسب لمحمود وتربى في المماليك الكتابية، ثم جعل خاصكياً ثم جعل من السقاة، ونشأ ذكياً، فتعلم الفروسية في اللعب بالرماح ورمي النشاب والضرب بالسيف والصراع، وغير ذلك. ومهر في جميع ذلك»(١).

١٢ ـ منزلة المترجم له ومكانته:

وتتحدد هذه المنزلة للمترجم له بعبارات ناعتة نقلها عن مصادره، كنحو

⁽١) المصدر السابق ج ٣ ص ٢٦ تر ٢٠.

⁽۲) نفسه ج ۲ ص ۲۵٦ تر ۲.

قوله: «قال شهاب الدين الزهري في حياة شرف الدين الشربيني وغيره: ليس في البلد من أخذ العلوم على وجهها غيره» - فيها نقله عنه في ترجمته للشهاب الملكاوي (٣) (ت ٨٠٣هـ / ١٤٠١م.) - أو في مواضع أخرى بعبارات وملحوظات له، خاصة في ترجمته لهؤلاء الذين أخذ عنهم أو اتصل بهم وشاهدهم، أو شاركهم في بعض المناصب العلمية والوظائف الدينية كنحو قوله: «سمع منه شيخه الحافظ الذهبي» (٤) بشأن الترجمة لشيخه «البرهان التنوخي» (ت ٨٠٠هـ / ١٣٩٨م.)، وقوله في ترجمته لشيخه «السراج البلقيني» (ت ٨٠٥هـ / ١٤٠٣مم.): «وانتهت إليه الرياسة في الفقه والمشاركة في غيره، حتى كان لا يجتمع به أحد من العلماء إلا ويعترف بفضله ووفور علمه وحدة ذهنه . . . وكان معظاً عند الأكابر، عظيم السمعة عند العوام، إذا ذكر البلقيني خضعت الرقاب حتى كان الشيخ جمال الدين الأسنوي يتوقى الإفتاء مهابة له لكثرة ما كان ينقب عليه في ذلك» (١) . وقوله في ترجمته «لابن الشاهد المنجم» (ت ٨٠١هـ / ١٣٩٩م.): « . . انتهت إليه الرياسة في حل الزيج وكتابة التقاويم» (٢) .

أما من حيث المكانة لدى العامة والخاصة في الدولة فقد وردت له بعض تعبيرات منها: «له عند العامة بدمشق قبول زائد» (٥) وهو في حق «ابن الأقرع» (ت ٠٠٨ هـ. / ١٣٩٨ م.)، وقوله في ترجمة «أبي عبد الله الكركي» (ت ٠٠٨ هـ. / ١٣٩٨ م.): «... وصحب السلطان في الكرك فارتبط عليه واعتقده، ثم قدم عليه فعظمه جداً، وكان يسكن في مخزن في إصطبل الأمير قلمطاي الدويدار، وإذا ركب إلى القلعة ركب على فرس بسرج ذهب وكنبوش قلمطاي الدويدار، وإذا ركب إلى القلعة ركب على فرس بسرج ذهب وكنبوش ذهب من مراكيب السلطان» (٢٠ . وقوله في ترجمة «المشبب» (ت ١٠٨ هـ.

⁽١) المصدر السابق ج ٢ ص ١٥٣ تر ٩٠.

⁽٢) نفسه ج ٢ ص ٢٣ تر ٢.

⁽٣) نفسه ج ٢ ص ٤٢٦ تر ٢١.

⁽٤) نفسه ج ۲ ص ۷۷ تر ٥٩ .

⁽٥) نفسه ج ۲ ص ۲۹ تر ۳۲.

⁽٦) نفسه ج ۲ ص ۲۹ تر ٣٤.

/ ١٣٦٩ م.): «... وللملك الظاهر وغيره فيه اعتقاد كبير» (١). وقوله في ترجمة «يوسف الهذب إني الكردي» (ت ٨٠٢ هـ. / ١٤٠٠ م.): «... وكان يكثر شتم الأكابر على سبيل المزاح ويحتملون ذلك له» (٢).

١٣ ... وظائفه:

كما كان «ابن حجر» معنياً في كثير من الترجمات بتتبع وظائف المترجم له وتنقله فيها، كنحو قوله في ترجمته لأحد الخلفاء: «... ولي الخلافة في أيام تنبك بعد قتل الأشرف عوضاً عن المتوكل، ثم خلع، ثم أعاده الظاهر بعد القبض على المتوكل في سنة ثمان وثمانين وسبعمائة، ثم صرف في جمادي الأولى سنة إحدى وتسعين فلزم داره إلى أن مات»(٣). وقوله بخصوص أحد السلاطين: «كان من مماليك النظاهر، ثم صار في خدمة ابنه الناصر إلى أن خرج إلى البلاد الحلبية بسبب جكم، فلما رجع الناصر إلى مصر استمر ططر مع جكم ثم لما قتل جكم استقر أميراً بحلب _ وتمريغاً المشطوب يومئذ النائب بحلب _ فاستمر فيها مدة طويلة وهو في أثناء ذلك ينتمي لنوروز إلى أن وقع بين شيخ وبين نوروز وانكسر نوروز واستمر مع المؤيد، فلما اقتسما البلاد بعد قتل الناصر قدم مصر مع المؤيد واستمر في خدمته إلى أن تسلطن وحاصره مع النوروزية وهو يظهر خدمة المؤيد ويداريه ويبالغ في ذلك إلى أن أمره طبلخاناه، ثم أمره تقدمة. ثم لما توجمه لقتال قانباي استنابه بالإسطبل، ثم لما مات المؤيد استقر نظام الملك . . . ثم تسلطن »(٤) . وقوله بخصوص أحد الأمراء: « . . . فلما قتل الأشرف أمر بحلب نائباً، ثم عمل بدمشق تقدمة ثم نيابة حماه، ثم عمل نيابة الشام سنة ثمانين، ثم ناب في صفّد، ثم طرابلس، وتنقلت به الأحوال، وعمل نيابة طرابلس مدة، ثم قبض عليه وسجن بها، ثم أفرج عنه يلبغا الناصري

⁽١) المصدر السابق ج ٢ ص ٧١ تر ٣٢.

⁽۲) نفسه ج ۲ ص ۱۳۲ تر ۷۶.

⁽٣) نفسه ج ۲ ص ۷۱ تر ٣٤، وهو «أبو يحيى المعتصم بالله العباسي» (ت ٨٠١ هـ. / ١٣٩٩ م).

⁽٤) نفسه ج ٣ ص ٢٥٧ تر٧، وهو «الظاهر بن عبد الله الظاهري» (ت ٨٢٤ هـ. / ١٤٢١ م).

وتوجه معه لمسر وولاه نيابة حلب. . . فلها استقر الظاهر في السلطنة الثانية أحضره إلى القاهرة وقدمه واستمر أتابك العساكر، ثم غضب عليه في أول سنة ثمانائة واعتقله بالأسكندرية إلى أن مات في رمضان»(۱) وقوله بخصوص بعض العلماء: «ولي قضاء غزة، ثم قضاء حلب، ثم قضاء العسكر بالقاهرة، ثم قضاء القدس، ثم مات بالقاهرة»(۲) وقوله: «ناب في الحكم وهو شاب، ودرس وأفتى وولي افتاء دار العدل وتدريس الشيخونية المنصورية . . . ثم ولي قضاء الشافعية استقلالاً «۲).

كما كان كثيراً ما يقيس الوظيفة بالمترجم له، كنحو قوله: «وكان بيده عمالة المودع الحكمي فشانته هذه الوظيفة» (٤) أو يقيسه بالوظيفة، كنحو قوله: «... وكان متساهلاً في أحكامه» (٥). وما إلى ذليك عما سوف يدرس تفصيلاً في الفصل المعقود للمصادر التأريخية من هذه الدراسة.

٤١ _ أعماله:

ويقتصر «ابن حجر» على إثبات أهم الأعمال، وهي تختلف ـ كذلك تبعاً للتباين في الوظائف، واختلاف النوعيات المترجم لها لديه، ومن ذلك ما اثبت في ترجمة «أمير علي» (ت ٨٠١هـ. / ١٣٩٩م.)، وكان طبيباً معالجاً من قوله: «ويقال عالج ثماني مائة وعشرة أرطال»(٦)، وفي ترجمة «علي بن أيبك» (ت ٨٠١هـ. / ١٣٩٩م.) وقد كان شاعراً من قوله: «... وقد يقع له المقطوع النادر كقوله مضمناً:

مليح قام يجذب بان فمال الغصن منعطفاً عليه

⁽١) المصدر السابق ج ٢ ص ٨١ تر ٧١، «وهو كمشبغا الحموي».

⁽٢) نفسه ج ٢ ص ٣٧٧ تر ٥٠، وهو «موفق الدين الرومي» (ت ٨٠٩ هـ. / ١٤٠٧ م.).

⁽٣) نفسه ج ٢ ص ١٨١ تر ٩٢، وهو «صدر الدين المناوي» (ت ٨٠٣ هـ. /١٤٠١ م.).

⁽٤) نفسه ج ٢ ص ٣٧٤ تر ٤١، وهو «تقيي الدين الدجوي» (ت ٧٠٩ هـ. /١٤٠٧ م.).

⁽٥) نفسه ج ٣ صن ٢٠٦ تر ٦، وهو «علم الدين ابن المنجا» (ت ٨٢٢ هـ. / ١٤١٩ م.).

⁽٦) نفسه ج ۲ ص ۷۵ تر ۵۱.

وميل الغصن نحو أخيه طبع وشبه الشيء منجذب إليه(١) (من الوافر)

وقسوله في تسرجمة «كمشبغا بن عبدالله الحمسوي» (ت ٨٠١هـ./ ١٣٩٩ م.) وهو أمير تنقــل في الوظــائف حتى استقر أتــابكاً للعسكــر: «....وهو الذي جدد سور حلب وأبوابها، وكانت خراباً من وقعة هولاكو» (٢) وقوله في تسرجمة «شيخ بن عبدالله المحمسودي» (ت ١٤٢١ هـ. / ١٤٢١م.) وكان سلطاناً: «وكان ممن سجن من مماليك الظاهر في فتنة منطاش بخزانة شمائل فنذر إن نجاه الله منها أن يجعلها مسجداً، ففعل ذلك في سلطنتـه (٣). وقولـه في «قرا يـوسف» (ت ٨٢٣ هـ. / ١٤٢٠ م.) وكـان متغلبــاً عـلى بلدان الشرق «... استولى بعد اللنك على عراق العرب والعجم، ثم ملك تبريز وبغداد وماردين وغيرها من البلاد واتسعت مملكته حتى كان يركب في أربعين ألف نفسس»(٤) وقوله في ترجمة «السراج البلقيني» (ت ٨٠٥ هـ. / ١٤٠٣ م.) وقد كان من فقهاء العلماء: «. . . ولم يكمل من مصنفاته إلا القليل، لأنه كان يشرع في الشيء فلسعة علمه يطول عليه الأمرحتي كتب من شرح البخاري على نحو من عشرين حديثاً مجلدين، وكتب على الـروضة عـدة مجلدات، وعلق بعض طلبته من خطه حواشي شيخه بالروضة خاصة مجلدين» (٥) وقوله في ترجمة «الزين العراقي» (ت ٨٠٦ هـ. / ١٤٠٤ م.) وكان المنظور إليه في علم الحديث: «٠٠٠ وصنف تخريج أحاديث الأحياء، وأكمل مسودته الكبرى قديمًا، ثم بيضه في نحو نصفه، ثم اختصره في مجلد واحد، وبيضه وكتب منه النسخ الكثيرة، وشرع في إكمال شرح الترمذي لابن سيد الناس ونظم الألفية في علم الحديث لابن

⁽١) المصدر السابق ج ٢ ص ٧٥ تر ٢٥.

⁽۲) نفسه ج ۲ ص ۸۱ تر ۷۱،

⁽٣) نفسه ج ٣ ص ٢٥٦ تر ٦ .

⁽٤) نفسه ج ٣ ص ٢٣٠ تر ٨.

⁽٥) نفسه ج ۲ ص ۲٤٦ تر ۲۱.

الصلاح وشرحها، وعمل عليها نكتاً وصنف أشياء أخرى كباراً وصغاراً» (١). وهكذا.

ويلاحظ أن «ابن حجر» لم يكتف بإثبات أبرز أعمال المترجم له، بل وتتبع مؤلفاته أو أجزاءها ودراستها في كثيرمن الأحيان، ومن ذلك قوله في ترجمة «تاج الدين الحميدي» (ت ٧٨٨ هـ. / ١٣٨٦ م.): «... ورأيت بخطه تذكرة في نحو الستين مجلدة، وعبارته عامية وخطه رديء جداً» (٢) وقوله «ورأيت بخطه نسخة في مجلدة واحدة من صحيح البخاري في غاية الحسن» (٣) ناعتاً لإحد أعمال «شمس الدين الموصلي» (ت ٤٧٧ هـ. / ١٣٧٣ م.) وقد شاكل ذلك مما سوف يفصل في موضعه من هذا البحث (٤).

١٥ ـ السجايا والصفات:

ويعني فيه بذكر ما يتصل بهيئة المترجم له من شكل ذميم أو صورة حسنة أو وجه مليح أو منظر بهي . . وملبس حسن أو هيئة رثة ، أو ما يتصل بأخلاقه من إتصاف بالشهامة والشجاعة ووفور العقل والسكون وحسن الخلق والجد الذي لا يعرف الهزل أو ما كان عكس ذلك ، أو ما يتصل بطبائعه من إتلاف للمال واسراف فيه أو حب له وضن به ، ومن الرجوع إلى الحق والعدل والجور وشدة الطيش . . وما إلى ذلك (٥) .

١٦ ـ علاقاته بالأهل والأقران:

كما أن «ابن حجر» كثير العناية بالتنبيه على أهله ومن تجمعهم به علاقة سواء ممن يكون قد ترجم لهم في الإنباء سابقاً أو لاحقاً أو من غيرهم كنحو قوله

⁽١) المصدر السابق ج ٢ ص ٢٧٦ تر ١٩.

⁽۲) نفسه ج ۱ ص ۳۲۱ تر ٤.

⁽٣) نفسه ج ١ ص ٥٠ تر ٣٩.

⁽٤) سوف يرد ذلك تفصيلاً في الفصل المعقود للمصادر من هذا البحث.

⁽٥) ورد ذلك تفصيلًا في الفصل المعقود للنقد التأريخي من هذا البحث.

في ترجمة «السراج البلقيني» (ت ٥٠٥ هـ. / ١٤٠٣ م.): «... لازم ابن عقيل وتزوج بنته سنة اثنتين وخمسين» (١). وقوله في ترجمة «الفخر الكركي» (ت ٢٠٠٨ هـ. / ١٤٠١ م.): «... ثم دخل مصر فأقام بها مدة وتزوج بنت العلامة جمال الدين ابن هشام» (٢) وقوله في ترجمة «أبي المعالي الشيباني» (ت ٨١٧ هـ. / ١٤١٥ م.): «وقد تقدم ذكر أخيه جار الله بن صالح» (٣) وكان قد ترجمه في حولية خمس عشرة وثمانمائة (٤). مع ملاحظة أنه في هذه الترجمة المشار إليها ـ ترجمة جار الله ابن صالح ـ قد أشار إلى متعلق بها في ترجمة سواه قائلاً: «وهو الذي قال فيه صدر الدين الأدمي البيتين المشهورين، وسنذكرهما في ترجمته» (٥) والبيتان هما:

يا متهمي بالصبر كن منجدي ولا تطل رفضي فإني عليل أنت خليل أنت خليلي فبحق الهوي كن لشجوني راحماً يا خليل (من السريع)

وقد وردا في ترجمته للصدر الأدمي ضمن وفيات حولية ست عشرة وثمانمائة (٦).

١٧ ـ علاقات ابن حجر بالمترجم لهم:

كما أن «ابن حجر» لا يغفل إثبات علاقاته بالمترجم لهم، مبيناً رأيه فيهم، جرحاً وتعديلًا، أو نقداً وتقويماً، ورأى هؤلاء فيه _ كذلك _ وهو ما درس تفصيلًا في موضوعي المشاهدة والمشاركة، والنقد التأريخي من هذا البحث. ومن أمثلته قوله: «... وقدم القاهرة مراراً آخرها في الرسلية عن الملك المؤيد _ قبل

⁽١) ابن حجر. إنباء الغمرج ٢ ص ٢٤٦ تر ٢١.

⁽۲) نفسه ج ۲ ص ۱۷۹ تر ۸۸.

⁽٣) نفسه ج ٣ ص ٤٣ تر٧.

⁽٤) نفسه ج ۲ ص ۲۷ ٥ تر ۱۰.

⁽٥) نفسه ج ۲ ص ۲۷ ٥ تر ۱۰ .

⁽٦) نفسه ج ٣ ص ٢٨ تر ٢٢.

سلطنته ـ سنة ثمان، وحصل نسخة من تعليق التعليق وشهد لي في عنوانها بالحفظ وكتب خطه في أصلي» (١). ـ وقد ورد في ترجمته «لابن حجي الحسباني» (ت ٨١٦هـ. / ١٤١٤ م.).

ولعل هذا العنصر من أهم عناصر الترجمات لدى الدارسين لابن حجر ومنهجه التأريخي، لما له من دور كبير في إبراز ذاتية كاتبه بالكشف عن علاقاته بالمترجم لهم ـ لديه ـ وارتباطه بهم بالقراءة أو الرواية أو الإسناد وكذا اتصاله بالأحداث واطلاعه على أحوال الدول وأسرارها، حيث لم تكن علاقاته منحصرة في دائرة الطلب والإشتغال، وإنما كانت له علاقات أكيدة بالسلاطين ومن دونهم من الأمراء والوجهاء، على نحو ما هو بين في ترجمته من هذا البحث.

التوازن الزماني

. ومع ذلك فإننا لا نجد توازناً زمانياً بين حوليات الكتاب ـ أحداثه وترجماته لأن «ابن حجر» لم يكن من بين هؤلاء اللذين يسأخذون بالشكليات على نحو ما هو مبين قبل ـ ولأن ديدنة في الإلتزام بمنهج يلح به على تقرير شمولي لأحوال عصره فضلاً عن أن هناك من الأسباب ما يجعل نشدان التوازن بين الحوليات متعذر الحدوث، كطبيعة الحوادث الواقعة ـ في كل حول ـ وجدارتها بالتسجيل أو الإهمال، والحروب والطواعين والأوبئة وما ينتج عنها من كثرة القتلى والمتوفين.

لكن للإفصاح عن منهجه في هذا الموضوع يمكن الإشارة إلى أنه قد أورد في حوادث حولية ثلاث وسبعين وسبعمائة قوله ـ بخصوص غلبة تمرلنك على إقليم خوارزم: «. . . واستولى اللنك على خوارزم فخربها كدأبه في غيرها من البلاد» (۲). ثم عمد بعد ذلك إلى توكيد هذه الخصيصة الملازمة «لتمرلنك» كلما سنحت له الحوادث بذلك، فقال في حوادث حولية ثمانائة: «. . . وفيها نازل

⁽١) المصدر السابق ج ٣ ص ١٩ تر ٦.

⁽٢) نفسه ج ١ ص ٢١ .

تمرلنك الهند فغلب على دلي ـ كرسي المملكة ـ وقتل وفتك على عادت وخرب (۱). ثم ألح على توكيد ذلك بقوله في حوادث حولية ثلاث وثماغائة: (... وهجم عسكر تمرلنك البلاد فأضرموا فيها النار وأسروا النساء والصبيان وبذلوا السيوف في الرجال والأطفال حتى صار المسجد الجامع كالمجزرة (۲)، (۱) (د... وجافت النواحي من كثرة القتلى منهم وكادت الأرجل لا تطأ إلا على جثة إنسان، وبني من رؤوس القتلى عدة مآذن منها ثلاثة في رابية ابن خجا (۱)، وقوله: (۱). ومات في هذا الشهر ـ أي الذي تغلب فيه تمرلنك على الشام ـ من المرب فمات جوعاً، ومنهم من توجه هارباً فمات أعياء، ومنهم من عجز عن فاستمر إلى أن مات (ك).

وهذا لا يتقرر إلا بإيراد شاهد له، والشواهد كثيرة، لكن أبلغها أثراً وتقريراً في نفس المطالع لتاريخه _ قائمة الوفيات الواردة تلو حوادث حولية ثلاث وثمانمائة وقد احتوت على هذا التصنيف للموتى (٥).

ترى لو عمد إلى الموازنة بين عدد الترجمات فيها قياساً بغيرها من حوليات الكتاب يصيب مرماه؟ . . إنها نظرة مبتكرة في التأريخ ، نظرة شمولية تبدو فيها لحوادث والتراجم وقد تعاونتا في تقرير منهجه والإلحاح عليه ، فالهدف إذاً ليس شكلياً تلزم فيه الحقيقة بارتداء لباس من التنسيق الفني .

⁽١) المصدر السابق ج ٢ ص ٧٩

⁽۲) نفسه ج ۲ ص ۱۳۵.

⁽٣) نفسه ج ۲ ص ۱۳۵ - ۱۳٦.

⁽٤) نفسه ج ٣ ص ١٣٩.

⁽٥) راجع: العلاقة بين التراجم والحوادث من هذا الباب.

العلاقة بين الترجمات والحوادث في «الإنباء»

توجد علاقات وثيقة بين مادة «الإنباء»: أحداثه وترجماته، لم تأت عفوية أو ارتجالية، وإنما كان وراءها أصبع «ابن حجر» التي وجدت في مناسبة الوفاة فرصة لاستخدامها في تحقيق هذه الغاية.

وهي مثبتة فيه على الأوجه التالية:

أولاً - العلاقة الزمانية بينهما:

توجد بين التراجم والحوادث في حيز الحولية الواحدة علاقة زمانية لاشتراكها من حيث الوقوع والحدث في حيز زماني واحد، وهو الحول الواقع فيه كلاهما. باعتبار أن الوفاة ذاتها حدث تاريخي. فالعلاقة بينها علاقة إثبات وتوزيع لحوادث ذوات نوعيات مختلفة من حيث التوصيف، الأولى: تحتوي على أخبار متنوعة بين سياسية وإدارية وثقافية. والثانية: ذات تنوع مماثل ـ تقريباً من حيث التوصيف، بيد أنها تتفوق عليها من حيث المنهج لحملها سمة مشتركة هي: الإخبار عن الوفاة ومفارقة الحياة المألوفة، مما جعلها تجتمع في حيز مكاني واحد، يلي ـ غالباً ـ الأحداث المذكورة في الحولية الواحدة، ويكون ذيلاً عليها. وإن تناثرت بعض ترجمات الوفيات وأخبارها في صدر الحوادث أو خلال سردها.

ثانياً - العلاقة من حيث الموضوع:

وهذه العلاقة السالفة اقتضت من «ابن حجر» توزيع معلوماته التاريخية

الواردة في مؤلفه على جزئي الكتاب: أحداثه وترجماته متبعاً خطوات، وسالكاً مسالك منها:

أ. الترجمة بالإحالة الكلية على الحوادث: وفيها يرد اسم المترجم له في الموفيات مجرداً وفي الغالب الأعم من أية معلومات، اكتفاء بالإحالة إلى المحوادث، التي غالباً ما تكون سابقة على ترجمته. ومن أمثلة ذلك ما ورد في ترجمة «ألجاي اليوسفي» ضمن وفيات حولية خمس وسبعين وسبعمائة، حيث ذيل على اسمه بالعبارة التالية: «. . . تقدمت ترجمته في الحوادث» (١)، وما ورد في حولية ثمان وسبعين وسبعمائة حيث ترجم للملك «الأشرف شعبان» بقوله: «. . . مات مقتولاً في ذي القعدة، وقد تقدم ذكره في الحوادث. عاش أربعاً وعشرين سنة» (٢).

ب ـ الإحالة إلى الحوادث في تضاعيف الترجمات: وفيها يحيل في تضاعيف ترجماته إلى الحوادث، مكتفياً فيها بهذه الإحالات، أو يلخص ما تعلق بشخصية المترجم له محيلاً إلى تفصيلاتها في الحوادث. ومن ذلك ما ورد في حولية اثنتين وثمانين وسبعمائة بخصوص ترجمة «ابن غرام» من إحالة إلى الحوادث قائلاً: «. . . تقدم ذكر قتله في الحوادث» (٣) . يريد بذلك خبراً أشار فيه إلى تسميره وإنزاله، وضرب مماليك «بركة» له بالسيوف، ثم تعليق رأسه بعد مقتله على باب زويلة ، نتيجة لاتهامه بقتل «بركة» بغير إذن له، وإن أظهر خط الأمراء بذلك ٤٠) .

جـ الإحالة في الحوادث إلى ترجمات الوفيات: ويتجلى ذلك من خلال تتبع بعض الإحالات الواردة في «الحوادث» رداً على «الترجمات»، ومنها ما ورد في حوادث حولية تسع وثمانين وسبعمائة في معرض الإخبار عن السبب في عزل

⁽١) ابن حجر العسقلاني. إنباء الغمر (ط. القاهرة) ج ١ ص ٦٤.

⁽۲) نفسه ج ۱ ص ۱٤٠.

⁽٣) نفسه ج ١ ص ٢٢٧.

⁽٤) نفسه ج ١ ص ٢١٥.

«أبي البقاء» من القضاء من قوله: «... وقرأت بخط القاضي تقي الدين الخربيري أن سبب عزل أبي البقاء ما تقدم من قضية أمين الحكم»(١)، والقضية المشار إليها وردت في ترجمة «أحمد بن محمد الزركشي» ما أمين الحكم بالقاهرة ما الواردة ضمن ترجمات وفيات حولية ثمان وثمانين وسبعمائة مسندة إلى المصدر عينه، حيث يقول: «... وضاع للأيتام عنده أموال عظيمة، قرأت بخط تقي الدين الزبيري أنها تزيد على ثلاثمائة ألف درهم تكون نحواً من خمسة عشر ألف دينار، فبيع موجوده فكان دون النصف.

قلت: والذي تحرر لي أن المقاصة وقعت على ربع وسدس عن كل درهم. وبلغ السلطان ذلك فأسرها في نفسه على القاضي حتى عزله في السنة التي بعدها»(٢).

د ـ الترجمة لبعض الوفيات في الحوادث: حيث ورد ذلك مع إدراك «ابن حجر» له ونصه عليه في أكثر من موضع بعبارات منها: «تقدمت ترجمته في الحوادث»، «تقدم ذكره في الحوادث»، «تقدم في الحوادث»، «مضى ذكره في الحوادث»، «مضى ذكره في الحوادث».

هـ التكامل بين الترجمات والحوادث: حيث تميز «الإنباء» بجمع حشد كبير من المعلومات التاريخية التي حاول مؤلفه إيداعها فيه مجتزئاً فأتت موزعة على الحوادث والترجمات، وكان بذلك يؤرخ بالحدث والترجمة معاً.

وسوف أقتصد في هذا الموضع في إيراد الأمثلة منعاً للتطويل مكتفياً بإيراد مثالين أحدهما يتعلق بخبر لا يمكن تقديره واكتماله إلا بمتعلق له في ترجمة إحدى الوفيات، وهو «ضمان المغاني»، والثاني يتعلق بعلم لا تُعد ترجمته مكتملة في بابها مدركاً قيمتها على الوجه المرجو والا بتتبع ما ورد بخصوصها في

⁽١) المصدر السابق ج ١ ص ٣٣١.

⁽٢) نفسه ج ١ ص ٣٢٢.

⁽٣) نفسه ج ٢ ص ٣٢٨ ـ ٣٣٠ ـ حيث ترجمته «لابن غراب» في الحوادث من حولية ثمان وثمانمائة للهجرة.

الحوادث، وهو «برهان الدين ابن جماعة»، حيث أن «ابن حجر» لم يكن يؤرخ للأحداث المتعلقة به البتة، وإنما كان يتتبع جوانب حياته بالترجمة والبسط مهيئاً نفس المطالع لتقبل المعلومات الواردة في ترجمته في سنة الوفاة.

وأما بخصوص «ضمان المغاني» فلقد وردت معلومات عنه في مواضع ثلاثة هي: حوادث حولية «خمس وسبعين وسبعمائة» حيث قال: «. . . وفيها في صفر أبطل الملك الأشرف ضمان المغاني ومكس القراريط التي كانت في بيع الدور، وقريء بذلك مرسوم على المنابر، وكان ذلك بتحريك الشيخ سراج الدين البلقيني، وإعانة أكمل الدين وبرهان الدين ابن جماعة، ويقال: إن السلطان توعك فأشاروا عليه بذلك فاتفق أنه عوفي فأمضى ذلك واستمر»(١). وفي حوادث حولية ثمان وسبعين وسبعمائة حيث ورد قوله: «٠٠٠ فيها تمرض السلطان ثم تعافى ثم انتكس. . . وفي أثناء ذلك كان ابن أقبعا أص تكلم في إعادة ضمان المغاني، فبلغ ذلك بـرهان الـدين ابن جماعـة فغضب وامتنـع من الحكم فتكلم الشيخ سراج الدين البلقيني وغيره مع السلطان في ذلك فأنكره وأمر بإبطال ذلك من مصر والشام وقبض بعد مدة يسيرة على ابن أقبغا آص ونفي إلى الشام وصودر. وكان ضمان المغاني من القبائح الشنيعة، ماكان أحد يقدر يعمل عرساً حتى يغرم قدر عشرين إلى ثلاثين مثقال ذهب، وكانوا بمصر والقاهرة لا تغيب مغنية عن بيتها _ ولـو إلى زيـارة أهلهـا _ إلَّا أن أخـذ منهـا الضامن لها رشوة. وأما ببلاد الريف فكان للمغاني حارة مفردة يعمل فيها من الفساد جهراً مايقبح ذكره ومن اجتاز بها غلطاً ألزم بأن يزني بخاطئة فإن لم يفعل فدى نفسه بشيء»(۲).

المفهوم _ إذن من هذين الموضعين _ أن ضمان المغاني كان من الأشياء مستقبحة الحدوث، وأن الهذي ساعد على إبطاله إعانة بعض العلماء للسلطان على إبطاله في ساعة ضعف وتمرض يعافي السلطان فيها وينتكس.

⁽١) المصدر السابق ج ١ ص ٥٨ - ٥٩.

⁽٢) نفسه ج ١ ص ١٢٧ .

لكن هذا المفهوم يعد ناقصاً ـ تماماً ـ بدون إضافة بعد جديد له لا يـوجد إلا في تراجم الوفيات، حيث ورد في ترجمة «دنيا بنت الأقباغي» المغنية الدمشقية ـ ضمن وفيات حولية تسع وسبعين وسبعمائة ـ ما نصه: «... وهي كانت من أعظم الأسباب في إسقاط مكس المغاني، سألت السلطان في ذلك فأجاب إليه، ثم أراد ابن آقبغا آص إعادته فتكلم الشيخ ضياء الدين والشيخ سراج الـدين البلقيني مع الأشـرف وهـو ضعيف فأنكر على ابن آقبغا آص ذلك واستمر إبطاله»(۱).

وهكذا لا يمكن اعتماد الحوادث وحدها في هذا الموضع وأمثلته بدون الرجوع إلى التراجم لاستكماله وتتبع خيوطه وأبعاده.

أما بخصوص العلم المشار إليه وهو «برهان الدين، ابن جماعة» فإننا نجدنا مع «ابن حجر» وقد ترجم لهذه الشخصية الفذة من خلال تدوينه للأحداث المتعلقة به _ عن عمد وقصد إلى ذلك _ وإلا لأتت تلك الحوادث مجردة كمثيلاتها في مواضع كثيرة من كتابه . . . حيث نطالع في أولي حوليات كتابه _ سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة _ وحتى سنة تسعين وسبعمائة حلقات من جوانب ترجمته تشبه إلى حد كبير حلقات مسلسلة في حبكة قصصية تبرزه أمامنا فارساً ذا شخصية تاريخية متفردة في عصره ؛ والسر في تفردها هو إتيانها بما لا يعد مألوفاً في عصره وإن كان مألوفاً أن يرد منها مثل ذلك.

أشار «ابن حجر» في حولية ثلاث وسبعين وسبعمائة إلى خبر هذا نصه:

«... وفيها استقر القاضي برهان الدين ابن جماعة في قضاء الشافعية عوضاً عن أبي البقاء السبكي. . . واستمر المنصب شاغراً إلى أن وصل الخطيب برهان الدين ابن جماعة في خامس جمادى الآخرة «٢٠).

يمكننا أن نعتبر هذا الخبر مفيداً في موضعه، تاماً لمقصده، فهو مماثل لمثل

⁽١) المصدر السابق ج ١ ص ١٦٤.

⁽٢) نفسه ج ١ ص ١٢ - ١٣.

ما ورد في غيره من حالات الاستقرارات الوظيفية، وكان فيه كفاية لو أن «ابن حجر» كان يبتغي من إيراده الأخبار مجردة عن ذوات القائمين بها، لكنه عمد إلى ما هو أبعد من ذلك. إلى الترجمة لابن جماعة بسرد أخباره، ولذا نجده يلايل على هذا الخبر بقوله: «. . . وكان برهان اللدين ـ حين عُزل أبو البقاء ـ بدمشق زائراً لأهله من ربيع الأول ورجع بعد خمسين يوماً بعد أن فوض له النائب نظر القدس والخليل فخالفه البريدي في الطريق، فأمره النائب بلحاقه إلى القدس فلحقه، فخطب في السادس عشر من جمادي الأولى خطبة بليغة تعرض فيها لتوديعهم فأبكاهم وتوجه على البريد، فلما اجتمع بالسلطان عرض عليه المنصب، فاشترط شروطاً كثيرة فالتزم له السلطان بها، ولبس الخلعة وركب في حشمة عظيمة وأبهة زائدة، فراح الناس إلى تهنئته حتى القاضي المعزول فرحاً منه به لعلمه برياسته وحسن سياسته» «١١).

ليس الهدف إذاً لدى «ابن حجر» محصوراً في إيراد خبر عن استقرار وظيفي من مثات الأخبار الواردة بخصوص ذلك في سائر جوانب الكتاب، ولكن مِنْ وراء ذلك بُعد آخر هو التعريف تباعاً بهذه الشخصية حتى تكتمل أعمالها فلا يكون بعدها إلاّ التعريف بأبرز مكوناتها، لقد ذيل على هذا الخبر الخاص بالإستقرار الوظيفي بأمور أبرزت الآتي:

١ _ موضع الآتي وأصله، حيث وجوده في دمشق «زائراً لأهله».

٢ ـ وظائفه فيها قبل توليه قضاء الشافعية «الخطابة» بالإضافة إلى «نظر القدس والخليل».

٣ ـ شعبيته في موضعه، وفي الموضع المنقول إليه: «فخطب. . . خطبة بليغة تعرض فيها لتوديعهم فأبكاهم»، «فراح الناس إلى تهنئته».

٤ ــ عزمه وقوة إرادته وغلبة شخصيته «فلما اجتمع بالسلطان عرض عليه المنصب فاشترط شروطاً كثيرة فالتزم له السلطان بها».

⁽۱) المصدر السابق ج ١ ص ١٣.

٥ ـ مكانته في نفوس الخاصة والعامة «ولبس الخلعة وركب في حشمة عظيمة وأبهــة زائدة» وفرح الناس به بالإضافة إلى خروج القاضي المعزول لتلقيه «فرحاً منه به».

٦ ـ بيان ما يتمتع به من سمعة علمية ، فخطبته «بليغة» ، كما أن له «رياسة وحسن سياسة» .

هكذا أفصح عن خبر وهو الإستقرار الوظيفي، ثم قرنه بمعلومات لا بأس بها عن هذه الشخصية في أول جوانب التعريف بها.

ونترك هذه الحولية وهذا الموضع لنجدنا مرة ثانية مع «ابن جماعة» في حولية ست وسبعين وسبعمائة، حيث يطالعنا «ابن حجر» عنه بخبر مفاده: «٠٠٠ وفي رابع عشري ذي الحجة عزل القاضي برهان الدين ابن جماعة نفسه من القضاء بسبب تثقيل بعض الأمراء عليه في أمر بعض الموقعين فراسله السلطان فامتنع فأرسل إلي بهادر _ أمير آخور _ فحلف عنده بالطلاق أن السلطان حلف بالطلاق أنه إن لم يجب إلى العود نزل إليه إلى بيته وألزمه به، فلم يزل به إلى أن ركب معه إلى القلعة فاجتمع بالسلطان فسأله أن يعود وألح عليه فكان آخر كلامه الإمهال إلى أن يستخير الله _ تعالى _ في ليلته، فلما أصبح طلع إلى القلعة في الخامس والعشرين من ذي الحجة واشترط شروطاً أجابه السلطان إليها ونزل في أبهة عظيمة إلى الغاية وازدادت مهابته وتصميمه في الأمور» (١).

في هذا الموضع _ كذلك _ لم يأت الخبر مجرداً، وإنما ربط «ابن حجر» بينه وبين شخصية «ابن جماعة» بعد أن تتبعه في يومين متتاليين أفصح في الإخبار عنها بالآتي:

تصميم «ابن جماعة» في الأمر، فهو لا يقبل «تثقيل بعض الأمراء عليه في أمر بعض الموقعين» فاندفع يعزل نفسه والسلطان يراسله فيمتنع ويرسل إليه مغلظاً الأيمان في العود فلا يكون طلوعه إليه إلا بعد جهد جهيد «فلم يـزل به إلى أن

⁽١) المصدر السابق ج ١ ص ٧٣.

ركب معه إلى القلعة» والسلطان يسأل ملحاً في العود و «ابن جماعة» لا يكون منه إلا الإرجاء و «الإمهال إلى أن يستخير الله ـ تعالى في ليلته». . كل هذا لا ينزل من مكانته لدى الناس، حتى لوكان منهم السلطان «فلها أصبح طلع إلى القلعة . . . واشترط شروطاً أجابه السلطان إليها» وإنما يكون معه الإجلال والتعظيم حيث «نزل في أبهة عظيمة إلى الغاية» وكذا زيادة مكانته في نفوس الناس، وزيادة اعتداده بعمله «وازدادت مهابته وتصميمه في الأمور».

وكان «ابن حجر» قبلها قد أورد له دوراً في إبطال «ضمان المغاني» و «مكس القراريط»، فأظهر له ولرجال الدين دوراً في رفع المعاناة عن الناس وصوناً لهم من القبائح.

ثم نجدنا مع «ابن جماعة» في موضيع آخر من الحوادث وقد ترسخت مكانته في الأذهان، حيث ورد بخصوصه في حوادث حولية تسع وسبعين وسبعمائة ما نصه: «. . . وفي شعبان عزل القاضي برهان الدين ابن جماعة نفسه عن القضاء لوقوع هذه الفتن، وكان قد انقطع عن حضور المواكب»(١).

وهنا يتضح مدى اعتداده بنفسه وبوظيفته، ونجدنا للمرة الأولى مع «ابن حجر» وقد أورد خبراً عن «ابن جماعة» مجرداً، ولعل السر في ذلك مرده إلى ترسيخه قبلها في الأذهان لطبيعة «ابن جماعة» وتصرفاته، مما جعله ليس في حاجة إلى تذييل أو تعليق في هذا الموضع.

ولا يتركنا نبحث عن مصيره ولكن يشير بعد برهة إليه بقوله: «... وتوجه ابن جماعة إلى القدس على الخطابة والتدريس كعادته» (٢). مع حط البلقيني عليه.

وفي حولية إحدى وثمانين وسبعمائة نجدنا مع «ابن جماعة» في خبر هو: «.. وفيها توجه فخر الدين إياس في طلب برهان الدين ابن جماعة لشكوى

⁽١) المصدر السابق ج ١ ص ١٥٦.

⁽٢) نفسه.

الناس من سيرة ابن أبي البقاء، فوصل في أواخر صفر، فخرج لملتقاه وطلع بصحبته إلى برقوق. . . ثم طلب صبيحة قدومه إلى القلعة وخلع عليه ونزل في موكب حافل في ثلاثة عشر من الأمراء الكبار فارتجّت له القاهرة بحيث كان أعظم من يوم المحمل، وباشر بحرمة ومهابة أعظم من المرة الأولى . . »(١).

وفي هذا الموضع - أيضاً - أفصح «ابن حجر» عن مكانة «ابن جماعة» لدى السلطة والناس في عصره، حيث أعادته السلطة إلى القضاء وقد عزل برغبته لا برغبتها، ثم تتجمل معه في تكريمه تجملاً زائداً، حيث يحفه الأمراء وقد خلع عليه، ويكون من الناس ما لا يعهد مع مثله حتى مع السلطان «بحيث كان أعظم من يوم المحمل» وكل هذا لا يثنيه عن مباشرة عمله «بحرمة ومهابة أعظم» وفي ذلك إبراز لجوانب مهمة من حياته وسماته وعلاقاته بأحداث وشخصيات عصره. مضافة إلى الإخبار عن علاقاته بأقرانه.

ثم نجدنا مع «ابن جماعة» في موضع آخر في صراعه مع القاضي الحنفي، وفي غيره عن ترتيبات «ابن جماعة» مع نوابه. . إلى أن نجد «ابن جماعة» وقد عزل نفسه من القضاء حرصاً على كرامته، وذلك في حولية أربع وثمانين وسبعمائة، حيث يشير إلى امتناع «ابن جماعة» من الحكم إثر خلاف مع برقوق الذي كان قد افتعل ذلك معه لأنه «كان يعرف قوة نفس برهان الدين ابن جماعة فخشي ألاّ يوافقه إذا رام أن يتسلطن، ويعارضه فلا ينتظم أمره فعمل على عزله وتولية من لايخالفه لكونه هو الذي أنشأ ولايته» (٢)، ثم يشير بعد ذلك إلى استقراره في قضاء الشام بعد موت «أبي البقاء»، ودخول «ابن جماعة» دمشق قاضياً . حتى يصل بنا إلى أحداث حولية تسعين وسبعمائة لنجدنا أمام خبر هو:

«. . . وفيها استقر سري الدين المسلاتي. . . في قضاء الشافعية عـوضاً عن

⁽١) المصدر السابق ج ١ ص ١٩٠.

⁽٢) نفسه ج ١ ص ٢٥٤ _ ٢٥٥.

برهان الدين ابن جماعة، وحمل إليه التقليد إلى دمشق في أواخر شعبان. »(١) هكذا-مجرداً.

لا يتركنا «ابن حجر» لكل هذه التساؤلات، وإنما يطالعنا في نفس الحولية وفي أولي ترجمات وفياتها بترجمة متممة لأخباره عنه مكملة لهذا الخبر(٢). لقد مات «ابن جماعة» فلا أقبل من التعريف بمكونات هذه الشخصية الفذة التي تعاطف معها وبهر بمواقفها مطالعيه. ولذا فإن ترجمته له تحتوي على العناصر التالية:

- ١ _ سلسلة نسه .
- ٢ ـ المولد والوفاة تأريخاً.
 - ٣ _ مناهل علمه .
- ٤ _ وظائفه ، ومكانته العلمية .
- ه ـ شغفه بجمع الكتب ومصائرها بعد وفاته. وإن وردت أخبارها ـ كذلك ـ في أخبار وترجمات غيره (٣).
 - ٦ قرضه للشعر.
 - ٧ _ امتداح أهل عصره له.

وبمضاهاة عناصر هذه الترجمة، وما ترجم «لابن جماعة» في أحداث حوليات «الإنباء» يمكننا أن نستخلص الآتي:

١ ـ إدراك «ابن حجر» للعلاقة بين الترجم والحوادث مما جعله يجتزيء معلوماته ويوزعها على أحداث وترجمات الوفيات في حولياته، حيث وجدناه في حقيقة الأمر يترجم لابن جماعة حيث يورد أخباره.

⁽١) المصدر السابق ج ١ ص ٣٥١.

⁽۲) نفسه ج ۱ ص ۳۵۵.

⁽٣) نفسه ج ٣ ص ٢٩٩، ج ٣ ص ٣٥٦.

Y - عمد بأسلوب وطريقة عرضه لمعلوماته إلى شحن القاريء عاطفياً ليتجاوب مع هذه الشخصية حتى تساير مراحل كتاباته عنها كي يصل إلى غرضه من الحبكة التأريخية، ولذا وجدنا أنفسنا مع «ابن حجر» وقد أورد «لابن جماعة» باديء ذي بدء استقراراً وظيفياً بحكم عزل غيره، ووجدنا أنفسنا في آخر الحوليات المتعلقة «بابن جماعة» معه في استقرار وظيفي لغيره في موضع عمله، مجهول السبب لتكون الترجمة «لابن جماعة» في ذيل الحولية عينها بمثابة الخبر المتمم لسائر الحوادث. ويكون بذلك قد جعل إيراد الوفاة مترجمة في هذا الموضع خبراً متماً ومكملاً لسائر الأخبار الدائرة حول هذه الشخصية، تماماً كها جعل مواضع الحوادث جوانب للصورة الكلية لشخصية المترجم له لا تكتمل إلا بترجمته ضمن الوفيات لإفصاحها عن دوافع هذه الشخصية، والسبب في توجيهها بترجمته وهو مع ذلك، وفي دقة متناهية لا يكرر نفسه، اللهم إلا في موضع توضيح وتقدير منه له: «. . . . ثم خطب إلى قضاء المديار المصرية فوليه مرتين بصرامة وشهامة وقوة نفس وكثرة بذل وعزل نفسه مراراً ثم يسأل ويُعاد حتى هم السلطان في بعض المرات أن ينزل إليه بنفسه ليترضاه» (١) .

و ـ علاقة السببية: حيث تظهر العلاقة بين التراجم والحوادث في هذا الجانب متمثلة في ذكر الأوبئة والطواعين، أو الفتن والحروب وما يعقبها من سرد لوفيات تكون مترتبة عليها، وتكون الحوادث متسببة فيها، وتكون الوفيات تبعاً لذلك توكيداً لمثل هذا النوع من الحوادث، وتقريراً لها.

ومن أمثلة ذلك ما ورد في حوادث حولية تسع عشرة وثمانمائة، حيث أشار إلى وباء الطاعون قائلاً: «... وابتدأ الطاعون بالقاهرة فبلغ في نصف صفر كل يوم مائة نفس، ثم زاد في آخره إلى مائتين وكثر ذلك حتى كان يموت في الدار الواحدة أكثر من فيها، وكثر الوباء بالصعيد والوجه البحري حتى قيل إن أكثر أهل هو هلكوا (وكثر) في طرابلس حتى قيل إنه مات بها في عشرة أيام عشرة آلاف نفس... وكذلك وقع في القدس وصفد وغيرها»(٢).

⁽١) المصدر السابق ج ١ ص ٣٥٥.

⁽٢) نفسه ج ٣ ص ٧٨.

ويتقرر مفهوم ذلك بما ورد في ذيل الحولية نفسها من إيراد سرد لترجمات الوفيات تتلاحق في خواتمها عالباً عبارات «مات مطعوناً»، «مات في الطاعون»، «مات بالطاعون». ومن هؤلاء الذين ماتوا بالطاعون: أصيل الدين الأشليمي، وابن الأديب الشافعي، وابن الجيتي، وابن يسوسف الكردي الدمشقي، وأمين الدين الطرابليي، وجلال الدين الخشبي المدني، وابن علوي الحسباني، والعز ابن جماعة، والشمس ابن القطان، والنجم الحنبلي، والكوم ريشي، وابن قلاف الدين الحلوائي، وقطب الدين الأبرقوهي، وابن ساري الهواري، ويوسف المارديني (۱).

ولا يخفى ما لهؤلاء من ذوات وشخصيات وملكات متنوعة، بالإضافة إلى تباين أصقاعهم ومنهم من «اشتد أسف الناس عليه، ولم يخلف بعده مثله»، كا أن منهم من كان «مشكور السيرة نبيها في فنه». . مما يوضح فداحة الخسارة والخطب الجلل.

أما ما يتعلق بالوفيات التي تكون الفتن والنكبات السياسية والحربية سبباً فيها، فمنها ما ورد بخصوص طروق «المغول» للشام وتغلبهم عليها، حيث ورد في حولية ثلاث وثمانمائة ما نصه: «... فلما بلغ ذلك لتمرلنك نازل حلب... وتمت الهزيمة على العسكر الإسلامي... وهجم عسكر تمرلنك والتقى الجمعان... وتمت الهزيمة على العسكر الإسلامي... وهجم عسكر تمرلنك البلد فأضرموا فيها النار وأسروا النساء والصبيان، وبذلوا السيوف في الرجال والأطفال حتى صار المسجد الجامع كالمجزرة... ثم تعدى أصحابه إلى نهب القرى المجاورة والمتقاربة والإفساد فيها... وجافت النواحي من كثرة القتلى منه، وكادت الأرجل ألا تطأ إلا على جثة إنسان، وبني من رؤوس القتلى عدة مآذن منها ثلاثة في رابية ابن خاجا، وهلك من الأطفال الذين أسرت أمهاتهم، ومن الجوع أكثر ممن قتل»(٢).

ثم نجدنا مع وفيات الحولية ذاتها وقد انعكست على ترجماتها هذه الأخبار،

⁽۱) المصدر السابق ج ٣ ص ١١٥ - ١٢٤.

⁽٢) نفسه ج ۲ ص ۱۳۶ - ۱۳۲.

حيث أشار في ترجمته لابن علي التادلي _ قاضي المالكية بدمشق _ إلى أن موته كان «بعد أن حضر الوقعة مع اللنكية وجرح جراحات فحمل فمات قبل سفر السلطان من دمشق»(١)، وفي ترجمة «إبراهيم بن مفلح» يشير إلى دوره في النكبة قَـائلًا: «. . . ولما طرق اللنـك الشام كـان ممن تأخـر بدمشق فخـرج إلى اللنـك وسعى في الصلح وتشبه بابن تيمية مع غازان، ثم رجع إلى دمشق، وقرر مع أهلها أمر الصلح فليم يتم له أمر، وكثر ترداده إلى اللنك ليدفع عن المسلمين فلم يجب سؤاله وضعف عند رجوعهم. . . ومات بعد الفتنة بأرض البقاع»(٢). وهذه العبارة تضفى بُعـداً تاريخيـاً على حـدث ورد بخصوص دوره في الحـوادث ـ وهو: «. . . فأغلق أهل دمشق أبوابها ، وركبوا أسوارها وتراموا مع اللنكية فقتل منهم جماعة، فأرسل تمرلنك يطلب من أهل البلد رجلًا عاقلًا يتكلم معه في أمر الصلح، فأرسلوا إليه القاضي (برهان الدين بن مفلح)، فرجع وأخبر أنه تلطف معه في القول، وسأله في الصلح فأجابه، فأطاعه كثير من الناس، وأبي كثير منهم فأصبحوا. . وقد غلب رأي من أراد الصلح . . . فكتب لهم أماناً قريء على المنبر يتضمن أنهم آمنون على أنفسهم وأهاليهم، وفتح الباب الصغير واستحفظ عليه بعض أمراء تمرلنك لئلا ينهب التتار البلد. . . فتزايد البلاء على أهل البلد، وندموا حيث لا ينفع الندم»(٣).

كما انعكست على مادة الوفيات _ في هذه الحولية _ جوانب متعددة من الأحداث اللنكية في الشام حيث أتت الوفيات مسببة عن غزو التتار وتعديبهم لذواتها، ثم أضافت بُعداً آخر لتلك الحوادث، فمن الناس من فر خوفاً من الوقعة، ومنهم من عوقب فمات تحت العقوبة أو إثرها وإن تعددت العقوبات، ومنهم من أعد للعقاب فنجاه الله ببعير ليعتقد ويخلي سبيله، ومنهم من أسر فقتل غرقاً أو صبراً أو قتلاً، ومنهم من فك أسره وأطلق، ومنهم من ابتلي في ماله

⁽۱) المصدر السابق ج ۲ ص ۱۵۰.

⁽٢) نفسه ج ٢ ص ١٥٠ ـ ١٥١.

⁽٣) نفسه ج ٢ ص ١٣٧ - ١٣٨ .

وأهله وولده، ومنهم من تعامل مع العدو فحصل له سعود أو نحوس، ومنهم من كانت النكبة سبباً في غناه وتكثير ثروته (١٠). .

وخلاصة القول أن «ابن حجر» قد جعل وشائج صلة بين «حوادث» و «ترجمات» كتابه، باعتبار أنه يتوخى التأريخ بالحدث والترجمة معاً، وساعده على ذلك أمور لعل أهمها:

الرؤية للأحداث كلها مكتملة تحت ناظريه، على العكس من هؤلاء الذين المرؤية للأحداث كلها مكتملة تحت ناظريه، على العكس من هؤلاء الذين يكتبون الحوادث في ذات السنة من وقوعها مما جعلها تأتي متراصة في شكل يوميات.

٢ _ مشاركته في هذه الأحداث واتصاله بها وبكثير من الشخصيات المشاركة فيها مما جعله يربط بينها وبين الحوادث.

٣ - حرصه على الشمول الموضعي لأحداث حولياته، حيث لم ترد أخباره في موضعها مجردة، وإنما أتت - في غالبيتها - مقرونة بعلاتها ومسبباتها مما اضطره أن يورد جوانب عديدة من تراجم الأفراد والشخصيات فيها، فوجد نفسه في الكثير من الترجمات ليس بمكنته الإتيان بجديد في إخباره عن وفياتهم، فلم يترجم لهم إلا إحالة إلى تلك الجوانب التي شابت أحداثهم في مواضع الأحداث، أو فصل بين جانبين من حياتهم، الجانب الأول متعلق بمشاركتهم في الحوادث محيلاً إلى تلك المواضع في ترجماتهم، والجانب الثاني متعلق بمكوناتهم الشخصية والمؤثرات الثقافية والبيئية وغيرها.

٤ _ فضلاً عن أن «ابن حجر» ليس بمكنته الفصل بين التراجم والحوادث باعتبار أن أصحابها هم الذين شاركوا في الحوادث تأثيراً وتأثراً. فالعلاقة إذن طبيعية فيا بينهم.

⁽١) راجع بشأن ذلك وفيات حولية ثلاث وثمانمائة .

مصادر مادة «الإنباء»

أولاً _ أنواع المصادر

١ _ المشاهدة والمشاركة:

كان لأخذ «ابن حجر» عن عدد ـ لا بأس به ـ من العلماء والمحدثين والمشتغلين. وغيرهم، وتوليه العديد من المناصب الهامة في ظل الإدارة المملوكية، ومجالسته للسلاطين والخلفاء والرؤساء ومن دونهم من رجالات الدولة والشخصيات المرموقة في عصره ـ خاصة فيها بعد سنة اثنتين وثمانمائة للهجرة (١) والشخصيات المرموقة في عصره ـ خاصة فيها بعد سنة اثنتين وثمانمائة للهجرة (١) محتوية على جملة لا يستهان بها من النصوص الجيدة التي وصلت إلينا ممزوجة بذاتية موردها، على اعتبار أن عنصر المشاهدة وابراز الذات من خلالها واضح فيها، بين للعيان، ولعل هذا كان مدركاً لدى كاتبها، مرتبط ـ لديه كذلك ـ بمنهج دقيق في إيراد الموارد، واضح القسمات بين الجوانب والأغراض، وإلا لما عمد إلى تصدير تلك النصوص بألفاظ دالة على المعاصرة ومداها (٢) ملحة على الربط

⁽١) أشار «ابن حجر» في ترجمته «للشمس الإخنائي السعدي» ج ٣ ص ٣٢ - ٣٣ تر ٣١ إلى أنه حتى سنة اثنتين وثمانائة لم يكن يدمن الإجتماع بأحد من الرؤساء.

⁽٢) إعتني «ابن حجر» في الغالب الأعم ببيان المعاصرة ومداها معتمداً في ذلك على عبارات منها:

[«]رافقني كثيراً، «لازمت شيخنا عشر سنين»، «لازمته من سنة ستين إلى أن مات، «زرته وأنا صغير»، «لازمته طويلاً»، «رأيته بزبيد في الرحلة الأولى»، «إجتمعت به مراراً»، «لقيته وسمعت =

بينها وبين ذاتية موردها(۱) كنحو قوله في الكثير من تراجم الوفيات: «رأيته»، «شاهدته» «لقيته»، «اجتمعت به»، «رافقني»، «لازمني»، «صحبته»، «على ما أخبرني به»(۲)، «حدثنا»(۳)، «سمعت منه»(٤)، «اجتمعت به وصليت خلفه مراراً»(۰)،«... وقد زرته وأنا صغير وسمعت كلامه و دعا لي»(۲)،«... وكنت أظن أنه لا يفهم الاتحاد حتى اجتمعت به فرأيته يفهمه ويقرره ويدعو إليه»(۷)، «... وحضرت جنازته والصلاة عليه في نحو سبعة أنفس لا غير»(۱)،«... وحضر معنا سمعت منه وكتب لي تقريظاً حسناً على بعض تخاريجي»(۱)، «... وحضر معنا المجلس المعقود للهروي»(۱)»(... رأيته يجعل الكتاب في كمه ويقرأ ما فيه من غير أن يكون شاهده»(۱۱)،«... ثم جهز معه المحمل في سنة ثما غائة فرافقته وسلمنا من العطش»(۱۲)،«... وقد طارحني غياث الدين بمقاطيع عديدة وألغاز وبيننا مطارحات وألغاز، وسمعت من لفظه أكثر منظومه ومنثوره»(۱۶)،«... ذكر

⁻⁻ منه قليلاً»، «إجتمعت به مرة».. مما يشير إلى كون علاقاته بهم كانت أكيدة أو عابرة كها أنه قد نص في بعضها على موضع اللقاء ومكانه «بزبيد» أو «بدمشق» أو «بالأسكندرية» أو «في بيت أحدهم» أو في «داره»..

⁽١) يلاحظ ذلك إبتداء بوفيات حولية ثمان وسبعمائة للهجرة.

⁽٢) المصدر السابق ج ٣ ص ١٥ تر ١٨.

⁽٣) نفسه ج ٣ ص ٤٥ تر ١٠.

⁽٤) نفسه ج ۲ ص ۵۰۰ تر ۲۶.

⁽٥) نفسه ج ۱ ص ٤٦٣ تر ٢٦، ٣٥٧/ تر ٣٠.

⁽٦) نفسه ج ۲ ص ۲۱۵ تر ۲۲.

⁽٩) نفسه ج ٣ ص ١١٦ تر ٣٢.

⁽۱۰) نفسه.

⁽۱۱) نفسه ج۲ ص ۱۶۰ تر ۳۱.

⁽۱۲) نفسه ج ۳ ص ۱۲۲ تر ۵۷.

⁽۱۳) نفسه ج ۳ ص ۱۸۶ تر ۲۶.

⁽۱٤) نفسه ج ۳ ص ۲۰۸ تر ۱۱،

لي قبل أن يتسلطن في ليلة المولد النبوي في ربيع الأول من هذه السنة (سنة ٨٢٤ هـ.) أنه كان في آخر الدولة المؤيدية في الليلة التي مات في صبحها المؤيد قد ضاقت يده...وأمرني أن أكتب هذه الواقعة في التاريخ فإنها أعجوبة» (١).

وأشباه ذلك مما هو كثير الذيوع في مؤلف «الإنباء».

٢ _ المشافهة:

وطبيعي أن ترد لدى «ابن حجر» منقولات عن طريق المشافهة منسوبة إلى بعض السلاطين والملوك، وأرباب الدولة في مصر والشام، وكبذلك عن شيوخه ورفقته وصحبه، على اعتبار أن بينه وبينهم تعاملًا، وأن المشتغل بالتأريخ لا يعفيه إطلاعه على المصادر المكتوبة وإن كثرت من تمحيص الخبر بالتقاط كل ما من شأنه توضيح مبهم، أو إكمال عنصر سكتت عنه هذه المصادر، أو حتى توكيد مادة كتاباته بمقابلتها بمصادر أصلية تحملها إليه المشافهة من صاحب الترجمة عينه أو شاهد عيان لواقعة تاريخية حضرها و «ابن حجر» عنها غائب، أو اتصال المشاهد بالخبر أو المترجم له، على اعتبار أنه معاصر له محتك به، مشارك في الحدث، أو لكونه من قرابة المتوفي المترجم له ضمن وفيات حولياته، فضلًا عن أن طبيعة «ابن حجر» الحافظ الذي لا يضارع في سعة الحفظ وشموليته وثباته قد اقتضت منه الإعتماد بصورة موسعة على المشافهة كمصدر لمادة كتابه _ أحداثه وترجماته _ لأن العالم بمفهوم عصره لا يكون عالماً كبيراً ما لم يكن حافظاً، ومادة الحفظ _ غالباً _ ما تكون المشافهة ولذا فإن «ابن حجر» لم يكتف بما توفر لـديه من مشاركة في الحوادث _ على نحو ما مر _ ومن مادة مكتوبة، وإنما عمد إلى الروايات الشفهية التي شاعت في كتابه، بـل لقد كـان منها مـا هو منسـوب إلى بعض أصحاب التواريخ المكتوبة كابن الفرات (٢) وابن خلدون (٣) والصلاح

⁽١) المصدر السابق ج ٣ ص ٢٥٨ تر ٧.

⁽۲) نفسه ج ۱ ص ۳۹۰.

⁽٣) نفسه ج ١ ص ٤٩٢، ٣١٩.

الأقفهسي(١) وابن خطيب الناصرية (٢) وتقي الدين المقريزي(٣) والبدر العيني(٤). . وغيرهم. ولو أنه استعفى نفسه من هذه القاعدة لكان له في كتاباتهم غنية عن المشافهة.

ولذا نجده يورد مادة موسعة عن شخص المترجم له على لسانه حتى ولو كان سلطاناً كالمؤيد شيخ المحمودي(°) والنظاهر ططر(۲) ومن دونه من أعيان عصره أو عن أرباب الدولة في عصره كأبي بكر بن نقيب الأشراف، وكان يباشر كتابة السر(۷) ونقيب الأشراف بطرابلس بدر الدين بن جمال الدين البلدي (۸) ومسعود الكبجاتي (۹) وكريم الدين بن عبدالعزيز ناظر الجيش (۱۱) وعلاء الدين بن أبي الشوارب الشاد بماردين (۱۱) وكاتب السر كمال الدين (۲۱) وموقع الحكم بحماه شرف الدين بن المغيزيل (۱۲) والصاحب بدر الدين بن نصر الله (۱۲) والقاضيين ناصر الدين البارزي (۵۰) وشمس الدين البساطي (۲۱) والمحتسب دولت خجا(۲۱)

⁽١) المصدر السابق ج ٢ ص ٨٨.

⁽۲) نفسه ج ۲ ص ۲۱۰، ۲۹۰، ۲/۲۹۰.

⁽٣) نفسه ج ٢، ص ٦٢.

⁽٤) نفسه ج ٣ ص ١٧٠.

⁽٥) المصدر السابق ج ٣ ص ٢٥٦.

⁽٦) نفسه ج ٣ ص ٢٥٧ _ ٢٥٨.

⁽V) نفسه ج ۳ ص ٤٣٩ .

⁽٨) نفسه ج ٢ ص ٩٤.

⁽٩) نفسه ج ٢ ص ٢٤٤.

⁽۱۰) نفسه ج ۱ ص ۶۸ .

⁽۱۱) نفسه ج ۳ ص ۲۹۸.

⁽۱۲) نفسه ج ۳ ص ۱۱۱.

⁽۱۳) نفسه ج ۱ ص ۵۵.

⁽١٤) نفسه ج ٢ ص ٧٧٤.

⁽١٥) نفسه ج ٣ ص ٢٥٤.

⁽١٦) نفسه ج ٣ ص ٤٧١.

⁽۱۷) نفسه ج ۹ ص ۱۰.

أو عن شيوخه فيها نقلوه عن سواهم، وما عرفوه عنهم كالزين العراقي (۱) وابين القطان (۲) والسراج البلقيي (۳) والعز ابين جماعة (٤) وقياسم بن علي الماليقي (۵) وأبي عبدالله محمد بين أبي بكر (۲) . . وغيرهم أو عن رفاقه وصحبه على اختلاف تخصصاتهم مثل: «البيدر البشتكي» (۷) و «ابين الفركاح» (۸) و «شمس الدين الفيومي الكتبي» (۹)، و «الجمال المصري» (۱۱)، و «تياج الدين ابن الظريف» (۱۱)، «وعيسي بن حجاج» (۱۲)، و «نور الدين الرشيدي» (۱۳)، و «برهان الدين ابن رفاعة» (۱۱)، و «ابن زقاعة» (۱۲)، و «جال الدين ابن العراقي» (۱۲)، و «ابن النبيه» (۱۸)، و «شرف الدين التباني» (۱۹)، و «ابن النبيه» (۱۸)، و «سرف الدين التباني» (۱۹)، و «ابن النبيه» (۱۸)، و «صلاح البين بن نصر الله» (۱۲)، و «عبيد البرحمن النفصييح» (۲۲)، و «صلاح البدين بن نصر الله» (۱۲)، و «عبيد البرحمن

⁽١) المصدر السابق ج ١ ص ٤٩.

⁽۲) نفسه ج ۱ ص ۳۸.

⁽٣) نفسه ج ١ ص ١٣٥.

⁽٤) نفسه ج ١ ص ٢٤٢.

⁽٥) نفسه ج ١ ص ٢٤٩.

⁽٦) نفسه ج ۹ ص ۲۳۹.

⁽۷) نفسه ج ۱ ص ۵۰.

⁽٨) نفسه ج ١ ص ٦٥.

⁽۹) نفسه ج ۱ ص ۳۵۵.

⁽۱۰) نفسه ج ۱ ص ۲۰۸.

⁽١١) نفسه ج ٢ ص ١١٧.

⁽۱۲) نفسه ج ۱ ص ٤٩٨.

⁽۱۳) نفسه ج ۲ ص ۲۷۷.

⁽۱٤) نفسه ج ۱ ص ۲۳۰.

⁽١٥) نفسه تج ٣ ص ٤٣.

⁽١٦) نفسه ج ٢ ص ٧٠٩.

⁽۱۷) نفسه ج ۳ ص ۱۰۲.

⁽۱۸) نفسه ج ۳ ص ۱٤٦.

⁽۱۹) نفسه ج ۳ ص ۳۰۰.

⁽۲۰) نفسه ج ۱ ص ۲۲۵.

⁽۲۱) نفسه ج ۳ ص ٤١٠ .

التبريزي» (۱) ، و «شمس الدين الأسيوطي» (۲) ، و «نور الدين الأنباري» (۳) ، و «نجم الدين البالسي» (٤) ، و «أحمد القصير» (٥) ، و «البقاعي» (١) ، و «عبد البرحمن البشتكي» (۲) ، و «البكري» (۸) ، و «ظهير البدين البطرابلسي» (۹) . . ومنهم الكاتب، والشاعر، والأديب، والمحدث، والحرفي . . ، كما أن منهم المصري، والشامي، والتبريزي، والعراقي مما يلقي الضوء على أهمية مثل هذا المصدر في كتابات «ابن حجر» التأريخية .

كما أنه عمد في ترجمة وفيات حولياته إلى قرابة المتوفي (١١) المترجم له لالتقاط ما يتعلق بعناصر ترجمته سواء كان الملتقط عنه ذلك ابنه (١١) أو أخاه (١١) أو ابن أخته (١٣) أو يباشر وظيفة عنده (١٤) أو من مصادر جلبه _ خاصة إذا كان مملوكاً _ كما فعل في ترجمته «للظاهر برقوق» (١٥).

⁽١) المصدر السابق ج ٢ ص ٤٠٩.

⁽٢)نفسه ج ١ ص ٢٠٣.

⁽٣) نفسه ج ٢ ص ٧٤٥.

⁽٤) نفسه ج ١ ص ٥٠.

⁽٥)نفسه ج ١ ص ٥٥ . .

⁽٦) نفسه ج ٣ ص ٥٠١.

⁽Y) نفسه ج ۸ ص ۲۹۳ ـ ۳۹۷.

⁽٨) نفسه ج ١ ص ٢٣٥٠.

⁽٩)نفسه ج ٩ ص ٧٧.

⁽۱۰) نفسه ج ۲ ص ۷۷.

⁽۱۱) نفسه ج ۱ ص ۲٤٠. ۹/۱۵.

⁽۱۲) نفسه ج ۳ ص ۶۸۲ . .

⁽۱۳) نفسه ج ۳ ص ۳۳۳.

⁽١٤) نفسه ج ١ ص ٢٦٥ نقلًا عن «ابن الفصيح» وكان نقيباً عند المترجم له في هـذا الموضع، وج٣ ص ٢٢٧ نقـلًا عن خادمه «فاتن الطواشي الحبشي» وكان المترجم له في هذا الموضع هو الجالب له، وج٣ ص ٤٨٩ نقلًا عن صحبه ومريديه.

⁽١٥) نفسه ج ٢ ص ٦٦ نقلاً عن «الخواجا عثمان» الذي أحضره من بلاد الجركس.

٣ ـ المساءلة والمكاتبة:

وتكون بسؤال «ابن حجر» عن مسألة ما بصورة شخصية استناداً إلى معرفة المسئول ـ فيها يظن ـ بموضوع المساءلة، ومن أمثلة ذلك: قوله: « . . . وسألت أخاه شمس الدين ـ أحد من ينوب بدمياط في الحكم عن النائب بها ـ عن مولده فذكر أنه ولد سنة ٤٣ ، وأنه أسن من القاضي زين الدين بعشرين سنة » (١) .

ويلاحظ أن «ابن حجر» كان دائب السؤال للكثيرين ممن ترجم لهم ضمن وفيات حولياته فيها يتعلق بمولدهم، ونسبهم، وثقافتهم (٢).

⁽١) المصدر السابق ج ٣ ص ٤٨٦.

⁽۲) نفسه ج ۱ ص ۱٤۱.

⁽٣) بشار عواد معروف. الذهبي ومنهجه في كتابه تاريخ الإسلام ص ٣٨٨، المنــذري وكتابــه التكملة لوفيات النقلة ص ٢٧٩ وما بعدها.

⁽٤) ابن قاضي شهبة. طبقات الشافعية، حيث يشير إلى مراسلة «ابن حجر» له بالوفيات ضمن ترجمة «العز ابن جماعة» ق ١٩٨ أ، و «ابن القطان» ق ١٩٥ أ، و «البرهان البيجسوري» ق ١٩٨ أ، و «ناصر الدين الجهني» ق ٢٠٨ أ.

⁽٥) ابن حجر. إنباء الغمر ج ١ ص ٤.

⁽٦) نفسه ج ١ ص ١٨٣.

حولية سبع وثلاثين وثمانمائة: «... وكتب إلي بوفاته الشيخ عبد الرحمن البشتكي من تونس قال: ... »(١).

٤ _ الإجازات والسماعات:

كان لحصول «ابن حجر» على عدد وفير من الإجازات العلمية أثره في حوليات كتابه، لاحتوائها على مادة كتبت بخط المجيز تتضمن ـ عادة ـ معلومات دقيقة عن اسمه ونسبه، ومولده، وشيوخه. . استفاد «ابن حجر» منها كثيراً في تراجم حولياته كها استفاد _ كذلك _ من الإجازات القديمة التي كتبت لغيره، ومن الأمثلة على ذلك قوله: «. . . ولد سنة ثمانين على ما كتب بخطه» (٢)، وقوله: «. . . كذا وجدته بخطه» (٣).

كما أنه في بحثه عن تقويم رجال عصره ـ المترجم لهم لديه ـ وفي عمله على جرحهم وتعديلهم قد بحث واطلع على سماعاتهم وأسانيدهم فانعكس ذلك ـ أيضاً على مادة كتابه، حيث اتخذ من تلك السماعات والأسانيد مصدراً له، ومن الأمثلة على ذلك قوله: «... رأيت بخط المجد (الفيروز أبادي) في طبقة سماع عليه...»(3).

٥ ـ الوثائق والخطوط:

كما أفاد ابن حجر توليه العديد من المناصب الهامة في عصره واتصاله بالشخصيات المرموقة _ آنذاك _ في اطلاعه على العديد من الوثائق _ التي ضاعت أصولها _ أو التي استكتبها من أصحابها أنفسهم مضمناً كل ذلك كتابه «الإنباء» نصاً أو تلخيصاً، ومن أمثلة ذلك قوله: « . . . ما طرق سمعي أحسن من قوله في الرسالة التي كتبها للبشتكي لما صاد السمكة وهي رسالة طويلة جاء

⁽١) المصدر السابق ج ٣ ص ٥٣١.

⁽٢) نفسه ج ١ ص ١٤٣ .

⁽٣) نفسه ج ١ ص ٢٢٨.

⁽٤) نفسه ج ٣ ص ٢٨٦ .

فيها...»(١)، وقوله في ترجمته للشيخ «برهان المدين الشامي» - ضمن وفيات حولية ثمانمائة: «... سمع منه شيخنا الحافظ الذهبي - وكان شيخنا أخبرني بذلك، فكنت أتعجب منه حتى رأيت الطبقة، ثم وجدته حدث عنه في ترجمة أي العباس المرداوي في سير النبلاء... ثم رأيت الجزري نقلها في معجمه عن شيخنا»(٢).

٦ - مجامع الشيوخ والطلبة:

عادة ما كان يجمع الشيوخ والصحاب ما يستفيدونه في مجالس الإملاء أو ما ينتخبونه من التصانيف التي يطلعون عليها (٣) ويدونون ما يلحظونه من حوادث مجتمعهم أو يفيدون عن وفيات عصرهم (٤) في كراسات لم يصلنا معظمها بعد، وإن وصلتنا نقول بعض المؤرخين عنها، ومنهم «ابن حجر» الذي اتخذ منها مصدراً لحولياته ومن الأمثلة الدالة على ذلك قوله: «... وذكرت بما قال ابن الصايغ ما قرأت بخط الفارقي التارج الزبيدي ... »(٥)، وقوله: «... قال الشيخ بدر الدين الكلستاني في حقه ومن خطه نقلت ... »(١)، وقوله: «قرأت في مجموع لطيف بخط بعض رفاقنا ... »(٧).

والملاحظ أنه لم يطلق عليها اسم كتاب، ولكنها وردت قرين اسم:

⁽١) المصدر السابق ج ١ ص ٤٤٤.

⁽۲) نفسه ج ۲ ص ۷۸ تر ۹۲.

⁽٣) من النماذج الباقية للدلالة على ذلك مجموع «ابن خطيب الناصري» مخط. الخالدين بالقدس ـ رقم ٣١ تراجم، ويحتوي على نقول وفوائد له انتزعت أو التقطت من كتب شتى منها: «المورد العذب»، و «شرح الأحكام للعراقي»، و «تاريخ ابن العديم»، و «تاريخ مصر لابن عبد النور الحلبي»، و «ذيل العراقي على الذهبي»، و «ذيل ولده عليه»، و «درة الأسلاك لابن حبيب»، و «الوافي بالوفيات للصفدي»، و «تاريخ ابن خلدون».

⁽٤) ابن حجر. إنباء الغمرج ١ ص ٩٩.

⁽٥) نفسه ج ١ ص ٩٦.

⁽٦) نفسه ج ١ ص ٣٨٣.

⁽V) نفسه ج ۲ ق ۲۵٦ ب.

«مجموع» أو «خط» مما يشير إلى أنها ليست مؤلفات مستقلة ذات عنوانات خاصة، وإن كان قد أطلق على بعض الكتاب المنقول عنها لديه لفظة «خط» للدلالة على أنها بخطوط مؤلفيها توثيقاً لها.

٧ ـ المؤلفات السابقة:

تعد المؤلفات السابقة البنية الأساسية لكتابه، والمورد الرئيس لمادته - خاصة في الفترة المبكرة منه الممتدة بين سنتي ثلاث وسبعين وسبعمائة، وحتى سنة اثنتين وثماغائة للهجرة (۱) بالإضافة إلى كونها من الموارد المهمة للحوليات، اللاحقة لاعتمادها في تدوين الكثير من أحداث حولياته وعناصر ترجماتها. فلقد كتب من بعضها «ما ليس عنده» آ(۲) وما وجده بخط من يثق به من مشايخه ورفقته (۳) مما لم يحضره (٤) أو للمقارنة بين أحداث عصره وما يقابلها من أحداث فائتة ولذا نجده قد استوعب الكثير منها أو شاع نقله عنها في مؤلفه.

على أن قائمة الموارد التي صدر بها كتابه (٥) لا تعطينا صورة حقيقية لموارد الكتاب المكتوبة، وإن مثلت أهم تلك الموارد كما وكيفاً. ولذا فإنه لا يمكن حصر هذه المصادر ـ ولو بصورة تقريبية ـ إلا من خلال جرد مادة الكتاب: أحداثه وترجماته ومقابلتها بالمصار المشابهة لتتمثل في:

ـ ابن خلكان (ت ٦٧١ هـ. / ١٢٨٢ م.)(٢) في كتابه «وفيات الأعيان».

_ المؤيد صاحب حماه (ت ٧٣٢ هـ. / ١٣٣٩ م.) (٧).

⁽۱) المصدر السابق ج ٣ ص ٣٣، حيث أشار إلى أنه احتى هذه السنة لم يكن يدمن الإجتماع بأحد من الرؤساء.

⁽٢) نفسة ج ١ ص ٥ .

⁽٣) نفسه ج ١ ص ٤ .

⁽٤) نفسه ج ١ ص ٥.

⁽٥) نفسه ج ١ ص ٤ ـ ٥ .

⁽٦) لم ينقل «ابن حجر» عنه إلا في موضع واحد من الإنباء ـ ج ١ ص ٢٣٧ ـ ويقابله لـ دى مصدره ط. بيروت ج ١ ص ٣٤.

⁽٧) نقل عنه ابن حجر في الإنباء في مـوضع واحـد ـ من كابـه المختصر في أحبار البشر (مط.) ـ ج ٣ ص ٤٥٧.

- العم البرزالي (ت ٧٣٩ هـ. / ١٣٣٩ م.)(١).
- شمس الدين الذهبي (ت ٧٤٨ هـ. / ١٣٤٨ م.)^(٢).
 - التقي ابن رافع (ت ٧٧٤ هـ. /١٣٧٢ م.) (٣).

(١) هو «القاسم بن محمد بن يوسف بن يوسف بن محمد بن أبي يداس البرزالي».

جمع شيوخه في معجم حافل بلغ بضعاً وعشرين مجلدة عن أكثر من ثلاثة آلاف شيخ، امتدحه الذهبي قائلًا:

وظههور أجزاء بدت وعواني طالع أو اسمع معجم البرزاني (من الكامل)

إن رمت تفستيش الخرائس كلها ونعسوت أشياء في السوجسود وما روا

كما امتدحه ابن حبيب بقوله:

يا طالبا نعت الشيوخ وما رووا ورأوا على التفصيل والإجمال دار الحديث انزل تجد ما تبتغي لك بارزاً في معجم البرزائي (من الكامل)

وهــذا المؤلف ينقل عنــه ابن حجر في ثــلاثة مــواضع من الإنبــاء هـي ج ١ ص ٤٣، ٤٤، ج ٣ ص ٣٩٨.

(٢) هو الحافظ «شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز التركماني الذهبي».

ترك في التاريخ عدة مؤلفات منها «المعجم المختص الذي ينقل عنه ابن حجر في الإنباء ج ١، صفحات: ٢١١، ١١٢، ١١٤، ١١٥، ١١٥، ١١٢، ٢٤٤، ٢٩٧، ٢٠٩، وأبان الذهبي في آخر كتابه تذكرة الحفاظ عن محتواه قائلًا، «... وقد ألفت معجماً لي يختص بمن طلب هذا الشأن _ أي علم الحديث النبوي _ من شيوخي ورفاقي فاستوعبت من له أدنى عمل، وبينت أحوالهم» _ ج ٤ ص ١٥٠٠، وذكره ابن حجر في الدرر الكامنة قائلًا: «... وخرج لنفسه المعجم الكبير والصغير والمختص بالمحدثين، فذكر فيه غالب الطلبة من أهل عصره وعاش الكثير منهم بعده إلى نحو أربعين سنة، وخرج لغيره من شيوخه ومن أقرائه ومن تلامذته» ج ٣ ص ١٣٧٧ _ كما نقل عن مؤلف آخر له هو «المعجم الكبير» وهو ما زال مخط. (خط. أحمد الثالث بتركيا رقم: ٢٦٤).

(٣) هو «محمد بن رافع بن أبي هجرس بن محمد بن شافع بن محمد بن نعمة بن قديان بن منير بن كعب السلامي، تقي الدين أبو المعالي بن رافع الصمدي الحوراني الأصل المصري المولىد والمنشأ، نزيل دمشق».

ترك مؤلفات عديدة في التاريخ منها معجمه في أربع مجلدات، أشار كل من الحسيني وابن قاضي ___

- ـ ابن كثير (ت ٧٧٤ هـ. / ١٣٧٣ م.) في البداية والنهاية.
- ابن الخطيب السلماني (ت ٧٧٦ هـ. / ١٣٧٤ م.)(١).
- ـ الحسن بن حبيب (ت ٧٧٩ هـ. / ١٣٧٧ م.) وولده ^(٢).
 - _ محب الدين الحنبلي (ت ٨١٥ هـ. / ١٤١٢ م.) (٣).
 - ـ ابن الفرات الحنفي (ت ٨٠٧ هـ. / ١٤٠٥ م.)(٤).
- = شهبة وابن حجر إلى أنه «في غاية الإتقان والضبط مشحون بالفوائد، ويشتمل على أزيد من ألف شيخ»، وذيلًا على تاريخ بغداد لابن الدبيشي في ثـلاث مجلدات أو أربع، كما جمع كتابـاً في الوفيات ذيل به على تاريخ البرزالي من سنة ٧٧٣ هـ. ـ أشار ابن حجر إلى أنه كثير الفائدة.

ويبدو أن مؤلفاته التاريخية قد ضاعت كلها باستثناء هذا الذيل حيث يشير ابن قاضي شهبة وابن العماد الحنبلي إلى ذلك قائلين: «... وصنف ذيلًا على تباريخ بغداد لابن النجار (في) أربع مجلدات، وقد عدم هو والمعجم في الفتن»، كما يشير د. بشار عواد إلى ذلك قائلًا: «... ولا يعرف لهذا الذيل وجود اليوم سوى عدد من التراجم انتخبها التقي الفاسي تمثل ٢٠١ ترجمة نشرها عباس العزاوي»، وأما ذيله على البزالى فموصوف في فهرست الكتبخانة.

وراجع: الوفيات. ت. صالح مهدي عباس. بيروت، الرسالة، ط١، ١٩٨٢.

ويبدو أن ابن حجر كان دائب النقل في الإنباء عن معجمه.

(١) هـو «محمد بن عبدالله بن سعيد بن عبدالله بن سعيد بن أحمـد بن عـلي السلمـاني اللوشي، أبـو عبدالله، لسان الدين، ابن الخطيب».

وينقل ابن حجر عنه في الإنباء من كتابه «الإحاطة في أخبار غرناطة» أثناء ترجمته لابن خلدون في الإنباء ـ راجع الإسناد إلى المصادر من هذا الفصل.

(٢) هو «الحسن بن عمر بن الحسن بن عمر بن حبيب بن عمر بن شريح بن عمر الدمشقي الأصل الحلبي، أبو محمد بدر الدين».

له مؤلفات متعددة في التاريخ، اعتمد ابن حجر منها في الإنباء _ «درة الأسلاك في دولة الأتراك» ـ مط. وذيل ولده طاهر عليه _ محط. أحمد الثالث بتركيا رقم ٣٠١١.

(٣) هو «محمد بن المحب عبدالله بن أحمد بن المحب عبدالله بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أحمد بن عبد الرحمن المقدسي، ثم الصالحي الحنبلي».

نقل عنه ابن حجر في مواضع متفرقة من الحوليات المتقدمة من الإنباء غير محدد للكتـاب المنقول عنه أو موضع النقل بالنسبة إليه، ومؤلفاته ما تزال مفقودة حتى الآن.

(٤) هو «محمد بن عبد الرحيم بن عبلي بن الحسن بن محمد بن عبد العزيـز بن محمد الحنفي، نـاصر
 الدين، المعروف بابن الفرات المصرى».

- ـ ابن خلدون (ت ۸۰۸ هـ. / ۱٤٠٦ م.)(۱).
 - _ ابن دقمان (ت ۸۰۹ هـ. / ۱٤٠٦ م.) (۲).
- _ التقي الزبيري (ت ٨١٣ هـ. / ١٤٠٦ م.) (٣).
- _ محب الدين ابن الشحنة (ت ٨١٥ هـ. / ١٤١٢ م.) (٤).
- اشار ابن حجر في غير موضع من مؤلفاته التاريخية إلى أن ابن الفرات كان لهجاً بالتاريخ فكتب تاريخاً كبيراً جداً بيض بعضه فأكمل منه المائة الشامنة ثم السابعة ثم السادسة. ثم شرع في الخامسة، وفرغ من تبييض المائة الرابعة فأدركته الوفاة. وإلى أنه _ أي ابن حجر _ «قد انتفع بما تضمنت المجلدات المبيضة في الإطلاع على كثير من الوقائع والتراجم، وإن كان في عبارته قصور».

كما أشار في مقدمة كتابه «الإنباء» إلى اعتماده عليه في حولياته.

وهو تاريخ موسع اعتمد ابن الفرات فيه على من سبقه من المؤرخين ـ خاصة ابن دقماق ـ وعني فيه بتسجيل الكثير من نصوص الوثائق التي اطلع عليها بالإضافة إلى المكاتبات وما التقطه من الروايات الشفهية أو شاهده من مجريات الدولة مما اكسبه تفوقاً كبيراً جعله معتمد المقريزي وابن قاضي شهبة والبدر العيني في مؤلفاتهم التاريخية المعاصرة. حيث شاع النقل عنه لديهم ولدى ابن حجر نصا أو تلخيصاً.

- (١) نقل ابن حجر عن كتابه «العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر» المعروف بتاريخ ابن خلدون في موضع واحد من الإنباء ج ١ ص ١٩٣ ـ أثناء الترجمة للسان الدين ابن الخطيب ، كما نقل عنه مشافهة في موضع آخر ـ ج ١ ص ٤٩٢ من الإنباء .
 - (٢) هُو «إبراهيم بن محمد بن أيدمر بن دقماق، صارم الدين القاهري الحنفي».

له مؤلفات كثيرة في التاريخ اعتمد ابن حجر في النقل والتأريخ منها للكثير من الحوليات المتقدمة من الإنباء كتابه «نزهة الأنام في تاريخ الإسلام»، وما تزال الأجزاء المعاصرة ـ المنقول عنها لـديه ـ مجهولة المكان.

- (٣) هـو «عبد الـرحمن بن محمد بن عبـد الناصر بن هبـة الله بن عبد الـرحمن التقي أبو محمـد القرشي الزبيري المحلي ثم القاهري الشافعي، المعروف بابن تاج الرياسة».
- أشار ابن حجر إلى أنه «عمل تاريخاً حسناً» وهو الـذي ينقل عنـه في كثير من حـوليات الإنبـاء، بيد أنه ما زال مفقوداً.
- (٤) هو «محمد بن محمود بن غازي بن أيوب التركي الحسباني الأصل الحلبي الحنفي، محب
 الدين أبو الوليد».

- ابن حجي الحسباني (ت ٦ ٨ هـ. / ١٤١٣ م.)(١). - الشريف الأقفهسي (ت ٨٢١ هـ. / ١٤١٨ م.)(٢).

ويلاحظ انتهاء المصراع الثاني بسنة ٨٠٦ هـ.

وتوجد لهذا الكتاب نسخة خطية محفوظة بمكتبة سراي أحمد الثالث بتركيا رقم: ٢٩٠٢ (١) كتبت سنة ٨٧٥ هـ. ، وعنها مصورة معهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ٢٧٠ تاريخ .

وهذا الكتاب نقل ابن حجر عنه في مواضع يسيرة من الإنباء راجع الإسناد إلى المضادر من هذا البحث.

(١) هنو «أحمد بن حجي ـ بكسر المهملة والجيم الثقيلة ـ بن موسى بن أحمد بن سعيد بن عشم ابن عزوان بن علي بن سرور بن مشرف بن تركي الحسباني شهاب الدين».

أشار ابن حجر وتلميذه السخاوي إلى أنه «جمع فوائد في علوم متعددة في كراسات كثيرة، وترك مؤلفات منها: أسياء مشايخه بجرداً في بعض مجاميعه على حروف المعجم، وكتاباً سماه الدارس من أخبار المدارس يذكر فيه ترجمة الواقف وما شرط، ومن درس بالمدرسة إلى آخر وقته، وأشار ابن قاضي شهبة إلى أنه «كتاب نفيس يدل على كثرة إطلاع»، كما كتب ذيلاً على تاريخ ابن كثير بدأ فيه من سنة إحدى وأربعين وسبعمائة، يذكر فيه حوادث الشهر ثم من توفي فيه، وهو مفيد جداً كتب منه ست سنين ثم بدأ من تسع وستين وسبعمائة فكتب إلى قبيل وفاته بكثير. وكان قد أوصاني _ أي ابن قاضي شهبة والحديث له _ بتكميل الحرم المذكور فأكملته وأحذت التاريخ المصريين وغيرهم بقدر ما ذكر الشيخ وتراجم أكثر من التي المذكور وزدت عليه حوادث وتواريخ المصريين وغيرهم بقدر ما ذكر الشيخ وتراجم أكثر من التي ذكرها بكثير. وبسطت الكلام في ذلك في سبع مجلدات كبار اختصرتها في نحو نصفه».

ويبدو أن التاريخ المذكور قد فقد مع بعض كتبه في غزو المغول لدمشق، ولم يبق ما يشير إليه إلا ما نقل عنه في تاريخ ابن قاضي شهبه، الذي غالباً ما ترد فيه عبارات ابن حجي مسندة إليه.

كما أنه لا يمكن مع هذا التحقق من أن ابن حجر قد اقتصر في النقل في الإنباء عن هذا التاريخ _ تاريخ ابن حجي _ وليس عن غيره كذلك.

(٢) هو «خليل بن محمد ن محمد بن عبد الرحيم بن عبد الرحمن الأقفهسي، غـرس الدين وصلاح
 الدين أبو الصفا».

- ـ الشريف الفاسي (ت ٨٣٢ هـ. / ١٤٢٨ م.) (١٠).
- البرهان الحلبي (ت ٨٤١ هـ. / ١٣٤٧ م.) (٢).

حتى الآن.

- ـ ابن خطیب الناصریة (ت ۸٤٣ هـ. / ۱٤٤٠ م.)^(۳).
- = أشرا ابن حجر إلى أنه كانت بينه وبين الأقفهسي ـ هـذا ـ صحبة في بعض أسفارهما للسماع على الآخر بمكة ودمشق، كما أشار السخاوي إلى أنه كانت بينها مطارحات وإلى أن كلا منهما سمع على الآخر أو قرأ عليه.

ولقد بلغ من اعتداد ابن حجر به حداً جعله يشير في ترجمته، إلى أنه «أمثل رفقتنا مطلقاً». كما يشير إلى أن الأقفهسي قد كتب ثبتاً انتفع ابن حجر بـه في تاريخـه وهو ممـا لا يعرف مـوضعه

(١) هو «محمــد بن أحمد بن علي بن أبي عبدالله محمـد بن عبد الـرحمن بن محمد بن أحمـد بن علي بن عبد الرحمن بن سعيد بن عبــد الملك، التقي، أبو عبدالله وأبو الطيب الفاسي المكي المالكي».

أشار ابن حجر إلى أنه «رافقه في السماع جداً بمصر والشام واليمن وغيرها وإلى أنه كان يوده ويعظمه ويقوم معه في المهمات، بل لقد وصلت الصداقة بينهما إلى الحد الذي جعل ابن حجر يذيل على ترجمته بقوله: «. . . ولقد ساءني موته وأسفت على فقد مثله، فالله الأمر».

اعتنى بأخبار بلاده وترجم أعيانها، وكتب في ذلك عدة تواريخ منها شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، والعقد الثمين في تاريخ البلد الأمين كها ذيل على سير أعلام النبلاء للذهبي، ويشيع النقل في الإنباء عن المؤلفين المذكورين قبل هذا الذيل دون تنصيص.

(٢) هو «إبراهيم بن محمد بن خليل، برهان الدين أبو إسحق، المعروف بسبط ابن العجمي».

أشار السخاوي إلى أنه كتب «ثبتاً كثير الفائدة. . . فيه المام بتراجم شيوخه، ونحو ذلك، بـل رأيته ترجم جماعة ممن قرأ عليه ورحل إليه».

ويبدو أن هذا المؤلف هو الذي ينقل ابن حجر عنه في الإنباء، وهو الـذي يشير ابن حجر إليه بقوله: «... قد أفرد له مشيخة ذكر فيها أحوال شيوخه ومروياتهم ليستفيدها الرحالة». وهــو مازال مفقوداً لعصرنا، غير مدرك مكانه.

(٣) هو «علي بن محمد بن سعد بن محمد بن علي بن علي بن عمر بن إسماعيل بن إبراهيم بن يوسف ابن يعقوب بن علي بن هبة الله بن ناجية الطائي الحلبي الشافعي ، علاء الدين أبو الحسن».

ومن مؤلفاته «الدر المنتخب في تكملة تاريخ حلب» أشار في مقدمته إلى أنه جعله «ذيلاً مختصراً» على «ابن العديم»، ورتبه على خسة فصول الأول في حلب وأسمائها ومن بناها وألقابها، والثاني في ذكر حدودها وأعمالها، والثالث في ذكر فضلها وخصائصها، والرابع في فتحها، والخامس في =

- ـ التقي المقريزي (ت ٨٤٥ هـ. / ١٤٤١ م.) (١). ـ ابن قاضي شهبة (ت ٨٥١ هـ. / ١٤٤٨ م.) (٢).
- ي نهرها وقنيها ومسجدها ومعابدها. . . تتلوها تراجم «من هو منها أو من بلادها أو اجتازها من الرواة والعلماء والفضلاء والرؤساء، ومن كان بها من الصالحين والعباد، ومن نزلها واجتازها أو بمعاملها من أهل الشعر والإنشاد، ومن دخلها أو ملكها من السلاطين أو وليها من الأمراء والنواب والقضاة، ومن وفد إليها أو إلى معالمها من فضلاء غيرها من البلاد ومن كان به مباشرة من الأعيان أو وقعة اشتهرت عنه . . ابتداء بمن كانت وفاته سنة ثمان وخمسين وستمائة إلى زمنه مرتباً لهم على حروف الهجاء في الاسم واسم الأب والجد. . . ليكون أسهل للكشف . ذاكراً للملاحم باسم من اشتهرت به، وكذلك النوازل والنوادر في ترجمة من توفي في السنة التي وقعت في مجلدتين.

ويلاحظ أن ابن حجر كان دائب النقل عنه.

وكيا أن «ابن حجر» كثير النقل عنه، فإن ابن خطيب الناصرية قد جعل ابن حجر مصدراً له ـ ص ٣٩ أ. . . وغيرها ـ كيا أنه ترجم لابن حجر في تاريخه، وأشار إلى أخذ كل منها عن الآخر سواء في قدوم «ابن حجر» لحلب في سفرة آمد مع السلطان الأشرف برسباس، أو في قدوم ابن خطيب الناصرية القاهرة ونزوله على ابن حجر (ق ٢٠٦ ب ـ ١٠٩ أ)، كيا أن ابن حجر يذكر في مقدمة الإنباء «أنه طالع تاريخ ابن خطيب الناصرية ـ في شهر رمضان سنة ست وثلاثين وثماغائة كله من المسودة»، وأنه ألحق فيه أشياء كثيرة، وسمع من صاحبه وسمع هو منه ـ إنباء الغمر ج ١ ص ٥ .

(١) ترك جملة من المؤلفات التاريخية كالخطط «المواعظ والإعتبار بـذكر الخـطط والآثار» وعقد الجواهـر والأسفاط في ملوك مصر والفسطاط، والمقفى، والسلوك لمعرفة دول الملوك، والعقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة.

وعن هذين المؤلفين الأخيرين ينقل ابن حجر في الإنباء حيث يشير ابن حجر إلى ذلك، وإلى وجود علاقة وطيدة بينها وصلت إلى حد المزاورة بل واستفسار المقريزي منه عن ما غمض عليه.

كها أن ابن حجر قرظه في بعض مؤلفاته _ حيث أشار في معجمه وذيل تاريخه المسمي (ذيل الدرر الكامنة) إلى أن له «تصانيف باهرة وخصوصاً في تاريخ القاهرة، فبإنه أحيا معالمها وأوضح عماهلها، وجدد مآشرها وترجم أعيانها»، وفي الإنباء قوله: «.. ونظر في عدة فنون وأولع بالتاريخ فجمع منه شيئاً حسناً».

(٢) هو «أبو بكر بن أحمد بن محمد بن محمد بن عبد الوهاب بن محمد بن ذؤيب الأسدي،
 الدمشقى، الشافعى».

ـ البدر العيني (ت ٨٥٥ هـ. / ١٤٥١ م.)(١). . . وغيرهم (٢).

ثانياً _ الإسناد إلى المصادر

١ - الإشارة إلى المصادر:

اعتنى «ابن حجر» بذكر مصادره سواء في صدر كتابه (٣) أو من خلال حولياته: أحداثها وترجماتها، مسنداً منقوله عنها في الغالب الأعم إليها على الرغم من غزارة مادتها وكثرة المنقول منها. لكنه كان في معظم الأحيان يسند المنقول إلى المؤلف مع اغفال ذكر كتابه، كنحو قوله: «قال القاضي تقي الدين الشهبي ...» (٥)، أو: «قال القاضي تقي الدين الأسدي ...» (٥)، أو «ذكره ابن

ترك كثيراً من المؤلفات التاريخية منها طبقات الشافعية، والتاريخ الكبير الذي ابتداً فيه من سنة مائتين إلى سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة، كها ذيل على تاريخ من سبقه ابتداء بسنة إحدى وأربعين وسبعمائة إلى سنة نيف وعشرين وثمانمائة في ثمان مجلدات، ثم اختصره في مجلدتين ثم اختصر المختصر في مجلدة، كها كتب حوادث زمانه إلى قبيل وفاته.

ويلاحظ أن ابن حجر قد أخذ عن التقي ابن قاضي شهبة في الإنباء نقلًا من التاريخ الكبير، وطبقات الشافعية.

(۱) هو «محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين بن يـوسف بن محمود أبـو الثناء، وأبـو محمود، العيني العينتابي».

تىرك في التاريخ مؤلفات منها «عقد الجمان»، وهو تـاريخ كبـير رتب على السنـين في عشرين مجلداً، ثم اختصره في ثلاث مجلدات، والتاريخ الصغير في ثمان مجلدات.

اعتمده ابن حجر في التأريخ لكثير من حوادث وترجمات حولياته، كما أنه كان دائب النقد له.

(٢) كسالسسريف الأسسيسوطي (ت ٨٥٩ هـ. /١٤٥٥ م.)، وعملي بسن إبسراهيسم الأمسدي (ت ٨٥٨ هـ. /١٤٥٣ م.) وجمال الدين بن السابق (٨٧٧ هـ. /١٤٧٣ م).

(٣) ابن حجر. إنباء الغمرج ١ ص ٤٠ ٥.

(٤) نفسه ج ٣ ص ١٩.

(٥) نفسه ج ٣ ص ٢٠٤.

قاضي شهبة»(١)، أو «...ترجمه الشيخ تقي الدين المقريزي»(٢)، . ولا يخفى ما لهؤلاء من مؤلفات متعددة في التاريخ الحولي، والطبقات، والتراجم، مما لا يتحدد معه المصدر المنقول عنه بسهولة، خاصة وإن «ابن حجر» لم يعمد إلى النقل الحرفي لمادة مصادره _ في غالبية الأحيان _ على نحو ما سوف يُـرى _ وإنما كـان دائب التصرف في منقوله الذي ربما نقله فكرة دون تقيد بالقالب التعبيري المصاحب لها، بل ربما نسب المنقول إلى مبهم لا يترجح رده إلى مصدره على وجه الدقة، ولكن تخميناً كقوله: « . . . قال القاضي . . . » (٣) وهو ما لا يفهم منه أي القضاة يعنى . . قاضى الحنابلة محب الدين أم قاضي حلب علاء الدين بن خطيب الناصرية، أم القاضى العثماني الصفدي المعروف بابن القوت، أم القاضي تقى الدين الـزبيري، أم القاضي تقي الدين الأسـدي المعروف بـابن قاضي شهبة، والكل قد نعتهم في كتابه بالقاضي. . لكن يـرجح نسبتـه إلى ابن خطيب الناصرية بمقابلته بمنقول آخر ورد في «الإنباء» أشار فيه إلى ما يؤيد ذلك، حيث قال: «... قال القاضي في الذيل...»(٤) يعني بذلك ذيل تاريخ حلب المسمى «الدر المنتخب في تكملة تاريخ حلب»، له، ونظير ذلك الإسناد إلى المبهم، والمحتاج إلى ترجيحه على وجه التخمين قلوله: «...أرخم مؤرخ الشام»(٥)، ولعل المقصود به «ابن قاضي شهبة»، كما لا يتحدد المقصود بقوله في موضع آخر: «... هكذا ترجمه قريبه »(٦) إلا بمقابلته بما ورد في الضوء الـلامـع «للسخاوي»(٧) ليكون «عبد الرحمن القلقشندي».

⁽١) المصدر السابق ج ٣ ص ٣١٧.

⁽۲) نفسه ج ۳ ص ۲۲۸، ۲۹۲.

⁽۲) نفسه ج ۳ ص ۳۳۲.

⁽٤) نفسه ج ٣ ص ٣٩٦.

⁽٥) نفسه ج ٣ ص ٤٦٣ .

⁽٦) نفسه ج ٣ ص ٣٩٥.

⁽٧) السخاوي. الضوء اللامع ج ٩ ص ٢٠٢.

هـذا عن نسبة المنقـول إلى المؤلف دون أن يحدد كتـابه، خـاصـة إذا كـان المؤلف قد صنف أكثر من كتاب ـ على نحو ما مر.

على أنه قد اتبع ذلك _ أيضاً _ مع صاحب المؤلف الواحد، وهو ما يجعل البغية في الإهتداء إلى المصنف بعيدة المنال خاصة إذا كان البحث عن ترجمة لمه مما يقابله الإخفاق، ومن أمثلة ذلك قوله: «...قال محب الدين البصروي...» (١) وقوله: «قرأت بخط عبد الرحمن الحلالي الشافعي القزويني...» (٢)، وقوله «قال الشيخ شهاب الدين الملكاوي...» (٣).

وربما نقل عن مؤلف دون نسبة الكتاب إليه بعنوانه الموضوع له مكتفياً بذكر كلمة «تاريخه» أو «ذيله»، كما فعل مع البدر العيني» أو «العينتابي» و «ابن خطيب الناصرية»، حيث المقصود بتاريخ العينتابي: «عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان»، وبذيل ابن الخطيب، أو ابن خطيب الناصرية، أو تاريخ حلب أو تاريخ ابن الخطيب «الدر المنتخب في تكملة تاريخ حلب».

ومع ذلك فإنه قد اهتم بنسبة بعض منقوله إلى مصادره على وجه قريب من الإتكتمال كنحو قوله: «قال لسان السدين ابن الخطيب في تاريخ غرناطة و من الإحاطة في تاريخ غرناطة»، وقوله: «... ذكره محمد بن عبد الرحمن العثماني قاضي صفد في طبقات الفقهاء» (٥).

ويبدو أن هذه الطريقة في إيراد المصادر كانت مألوفة على عصره، فضلًا عن أن ما يعمى علينا الإهتداء إلى تحديده لعله كان ذائع الصيت على عصره.

٢ ـ الإشارة إلى موضع النقل:

لا يعني ذلك إشارة «ابن حجر» إلى رقم الصفحة أو السطر المنقول عنه

⁽١) ابن حجر إنباء الغمرج ٣ ص ٢٨٢.

ر۲) نفسه ج ۳ ص ٥٠٦.

⁽٣) نفسه ج ٢ ص ٢٢٣ .

⁽٤) نفسه ج ٢ ص ٣٤٠.

⁽٥) نفسه ج ١ ص ٣٢.

لأن هذه الطريقة في الإسناد إلى المصادر ليست إلا من معطيات المنهج العلمي المعمول به حديثاً، فضلاً عن أن هذا العمل كان متعذر الحصور في عصر لم تعرف فيه الطباعة ولم تشع فيه الكتب بطبعاتها المختلفة، بل يكون شيئاً من العبث ومضيعة للوقت في عصر المخطوطات التي يتحكم في عدد صفحاتها واقتنائها، بل والإطلاع عليها إمكانيات متملكها وكاتبها ومادة الورق وأدوات الكتابة مما يجعل الوقوف على الصفحة _ المعتبرة حسب هذه الإمكانات _ صعب المنال إذا ما حددت. ناهيك عن مشقة الحصول على المصدر عينه، وإنما المعنى بذلك هو الموضوع المحدد المنقول عنه _ في أي حولية أو ترجمة من التراجم، بلك هو الموضوع المحدد المنقول عنه _ في أي حولية أو ترجمة من التراجم، بعيث يمكن تحديده بسهولة لكل من كان عارفاً بتنظيم المصدر في هذا الجانب، ولذا نجد «ابن حجر» ليس في حاجة إلى تحديد موضع النقل بالنسبة لتراجم الوفيات نجد «ابن حجر» ليس في حاجة إلى تحديد موضع النقل بالنسبة لتراجم الوفيات كان قد نص على ذلك الموضع في التراجم التي اختلف مع مصادرها في تحديد سنة الوفاة، ونبه على أوهامها فيها يختص بذلك، كنحو قوله: « . . . وذكره ابن حجي في تاريخه في حوادث سنة ثمان وثمانين قال . . . » (() ، وقوله: « . . . فقرأت بخط محمد بن يحيى بن سعيد في شيوخ حلب سنة ثمان وأربعين أن . . . » (١٠) . وقوله: « . . . فقرأت بخط محمد بن يحيى بن سعيد في شيوخ حلب سنة ثمان وأربعين أن . . . » (١٠) . وقوله: « . . . فقرأت بخط محمد بن يحيى بن سعيد في شيوخ حلب سنة ثمان وأربعين أن . . . » (٢٠) .

أما فيما يختص بالأحداث فإنه قد حدد موضع المنقول إذا ما كان هناك فارق زمني بين الخبر وما يصاحبه من زمن وبين الحولية التي تنتظمه، كنحو قوله: «... وقد ذكر الحافظ علم الدين البرزالي في تاريخه في حوادثه في سنة عشر وسبعمائة...» (٣)، وقوله: «... ولم يحفظ فيما مضى مثل ذلك إلا في سنة ست عشرة فإن الملك المؤيد صاحب حماه ذكر في تاريخه» (٤).

وقد يحدد موضع النقل في موضع التطابق الزمني للخبر مع الحولية المنتظمة له في كتابه ومصدره معاً، فهو نحو قوله في حوادث حولية ثمان وثمانمائة: «وقد

⁽١) المصدر السابق ج ٢ ص ٣١٢.

⁽٢) نفسه ج ١ ص ٤٣.

⁽٣) نفسه ج ٣ ص ٢٩٨.

⁽٤) نفسه ج ٣ ص ٤٥٧.

بسط العينتابي وأظهر التعصب فيها لجكم لأنه كان ينتمي إليه، فقال في حوادث ذي الحجة سنة ثمان . . . »(١).

٣ ـ بداية النقل وانتهاؤه:

أشار «ابن حجر» إلى بدايات ونهايات نقوله بعبارات واصطلاحات معبرة عن ذلك أتت لصيقة المنقول وسابقة له نحو قوله: «قال»، «ذكر»، «أرخه»، «هذا بخلاف قول»، «قرأت بخط»، «قرأت في كتاب»، «وكتب عنه»، «ذكر في تاريخه قال»، «قال. . . ومن خطه نقلت» . . الخ مما يشير إلى أن المتبوع نقلاً عن مصدر بعينه، كما أود نصوصاً متبوعة بما يشير إلى أخذها عن مصدر بعينه مما يتحدد معه دون أدنى لبس مصدرها ابتداء وانتهاء، نحو قوله: « . . . قاله ابن حجي» (۲) ، « . . . نقلت هذا من خط الشيخ تقي الدين المقريزي» (۳) ، « . . . نقلت ترجمته من نقلته من ذيل تاريخ حلب لابن خطيب الناصرية» (٤) ، « . . . نقلت ترجمته من ابن قاضى شهبة» (٥) .

كماً كان يورد منقولات محصورة بين تعبيرين اصطلاحيين يفيد أولها أن المتبوع من مصدر بعينه فيتحدد بذلك بداية، بينها يشير الثاني إلى إنتهاء النقل صراحة أو ضمناً، من ذلك قوله: «...ذكره الذهبي في المعجم المختص فقال... انتهى»(٢)، «قرأت بخط تقي الدين الزبيري وأجازنيه: ... انتهى»(٠).

أو يفصل بين منقول مسند إلى مصدره وبين ما سوف يتبعه من قوله هو، كنحو قوله: «قرأت بخط ابن القطان وأجازنيه قال: . . . قلت: . . . » (^) ، وقوله:

⁽١) المصدر السابق ج ٢ ص ٣٢٧، ويقابلها لدى العيني. عقد الجمان ج ١٩ ق ٨١ ب ـ ٨٢ أ.

⁽٢) نفسه ج ٢ ص ٧٤.

⁽٣) نفسه ج ٣ ص ٢٩٦.

⁽٤) نفسه ج ٣ ص ٢٦٣.

⁽٥) نفسه ج ٣ ص ٤١٣.

⁽٦) نفسه ج ١ ص ١١٧.

⁽٧) نفسه ج ١ ص ٢٧٧.

⁽۸) نفسه ج ۱ ص ۱۱۲ - ۱۱۳ .

«قرأت بخط الشيخ تقي الدين ابن قاضي شهبة قال: . . . قلت . . . $^{(1)}$ ، .

أو يفصل بين منقول وآخر بإيراد النصوص المتتابعة الإسناد في صدرها أو عجزها إلى المصادر، وهي غالباً ما تكون قصيرة، نحو قوله: «... نقلت ترجمته من ابن قاضي شهبة، ونقلت من خط غيره... »(٢)... وهكذا.

كما أنه كثيراً ما تقابلنا كلمة «قال» متخللة للمنقول مقطعة له مشيرة بدورها إلى أن مصدرالنقل ما زال ملازماً، كنحو قوله: «...قال القاضي تقي الدين الشهبي: كان يكاتب السلطان فيها يريده، فيرجع الجواب بما يختار، وانضبطت الأوقاف في أيامه، وجعل للفقهاء مالاً كانوا لا يصلون إليه قبله، وانتزع شيخة الشيوخ من ابن أبي الطيب كاتب السر. وقال _ أيضاً _ وقعت له أمور تغير خاطر برقوق عليه منها _ وكان طلب اقتراض مال للأيتام فامتنع _ فعزل في جمادي الأخرة سنة ست وتسعين بعدما باشر سنتين وشهراً، وعقدت له بعد عزله مجالس ولفقوا عليه قضايا، فلم نسمع عليه مع كثرة من تعصب عليه أنه ارتشي في حكم ولا أخذ من قضاة البر شيئاً، ثم أنه بعد ذلك ولي خطابة القدس مدة، ثم ولاه الناصر خطابة دمشق والمشيخة، ثم أضاف إليه القضاء في صفر سنة اثنتي عشرة، ثم صرفه شيخ بعد ثلاثة أشهر، قال: وكان خطيباً بليغاً له اليد الطولي في النظم والنثر والقيام التام في الحق، وكتب بخطه كثيراً وجمع أشياء» (٣).

وتكرير كلمة «قال» في سياق منقوله عن مصدره لا تشير إلى اختصار أو استخراج ما سوف يتبعها منه، أو الحفاظ على حرفية المنقول من لفظ مصدره، أو حتى تجميع هذا الجانب من ترجمة «أبي العباس الباعوني» من متفرقات أتت في مصدره دونما جمع - كها قد يتبادر للوهلة الأولى لذهن المطالع لها، حيث أن النص المنقول متتابع لدى مصدره ومنقول من موضع واحد، وها هوذا النص المقابل لمنقول «الإنباء» ليتضح ذلك:

⁽١) المصدر السابق ج ١ ص ٢٤٢.

⁽۲) نفسه ج ۳ ص ٤١٣ .

⁽٣) نفسه ج ٣ ص ٢٢. -

«...وكان يكاتب السلطان بما يريد، فيرجع الجواب بما يختاره، وانضبطت الأوقاف في أيامه، وحصل للفقراء معاليم كثيرة، ودرس التفسير والفقه في مدارس القضاة وغيرها، وولي مشيخة الشيوخ، انتزعها من كاتب السر ابن أبي الطيب _ في شهر ربيع الأول سنة أربع وتسعين _ ثم وقعت له أمور أوجبت تغير خاطر السلطان عليه، منها: أنه طلب منه أن يقرضه من أموال الأيتام شيئاً فامتنع فعزله بعدما بـاشر سنتين ونصفاً في جمادى الآخـرة سنة ست وتسعين، وكشف عليه، وعقدت له مجالس وحصل في حقه تعصب، واتفقت عليه قضايا باطلة أظهر الله تعالى براءته منها، ولم يسمع عنه مع أكثر أعدائه أنه ارتشى في حكم من الأحكام، ولا أخذ شيئاً من قضاة البر .. كما فعله من بعده من القضاة _ ثم ولي خطابة القدس مدة طويلة، ثم خطابة دمشق ومشيخة الشيوخ غير مرة، ثم ولاه الناصر القضاء في صفر سنة اثنتي عشرة وثمانمائة فلم يمكنه إجراء الأمور على ما كا ن عليه أولا، لتغير الأحوال واختلاف الدول، ثم صرفه الأمير شيخ عند استيلائه على دمشق في جمادي الآخرة من السنة، وفي فتنة الناصر ولي قضاء الديار المصرية من بعد الحصار، ثم انتقض. وكان خطيباً بليغاً له اليد الطولي في النظم والنثر مع السرعة في ذلك، وكان من أعظم أنصار الحق وأعوانه _ أعز الله تعالى به الدين، وكف به أكف المفسدين _ وكان ظاهر الديانة، كثير البكاء، وكتب الكثير بخطه وجمع أشياء »(١).

وهكذا فإن تخلل لفظة «قال» للنص ليس المراد منها إلا الإعلام بأن النص المنقول ما زال متتابعاً، وأن مصدره ما زال ملازماً.

وينسحب ذلك على كثير من النقول الشائعة في مؤلف، والتي اتبع فيها الطريقة نفسها(٢).

لكن مع هذا لا تزال بداية النقل وانتهاؤه تشكل منزلقاً للدارسين في تراثنا

⁽١) ابن قاضي شهبة . طبقات الشافعية ق ١٨٥ ب.

⁽۲) ابن حجسر. إنبساء الغمسر ج ۱ ص ٤٨، ٥١، ٨١، ٩٥، ١١٢ - ١١٣، ٢٦، ٢٦١، ٣٦٠ ج ٢ ص ١٩٧، ١٩٨، ٢٤٧، ٣٣٤، ٤٥٦.

العربي الإسلامي من هذا النوع المبحوث فيه، فلقد وردت نصوص وعبارات مطولات لدى «ابن حجر» في «الإنباء» دون نسبة إلى مصدر بعينه في موضع يترجح معه _ للوهلة الأولى _ أنها ليست إلا من بنات فكره، خاصة إذا ما قورنت بما عرف من دقة كاتبها _ على هذا النحو _ في الإنتساب إلى المصادر، ويبدو أن هذه طريقة كانت مألوفة ومتبعة في عصره، وأنها من غير المعيب لديهم. ومن الأمثلة الموضحة _ على طولها _ ما ورد في «الإنباء» بخصوص ترجمته «للتاج العجمي» _ ضمن وفيات حولية سبع وثمانمائة _ بقوله:

«تاج بن محمود (العجمي) الأصفهيدي، الشيخ تاج الدين العجمي نزيل حلب. قدم من بلاد العجم حاجاً، ثم رجع فسكن في حلب بالمدرسة الرواحية وأقرأ بها النحو، ثم انثالت عليه الطلبة فلم يكن يتفرغ لغير الاشتغال، بل يقريء من بعد صلاة الصبح إلى الظهر بالجامع (الأموي)، ومن الظهر إلى العصر بجامع منكلي بغا، ويجلس من العصر إلى المغرب بالرواحية للإفتاء.

وكان عفيفاً، ولم يكن له حظ، ولا يطلع على أمر من أمور الدنيا، وأسر مع اللنكية فاستنقده الشيخ إبراهيم صاحب شماخي وأحضره إلى بلده مكرماً فاستمر عنده إلى أن مات في ربيع الأول.

أخذ عنه غالب أهل حلب وانتفعوا به، وقد شرح المحرر في الفقه وأقـرأ الحاوي.

قرأت بخط القاضي علاء الدين في تماريخه: سألته عن مولده في سنة إحدى وثماني مائة فقال: لي الآن اثنتان وسبعون سنة «(١).

المطالع لهذه الترجمة يترجح لديه أن منقول «ابن حجر» عن «ابن خطيب الناصرية» ينحصر في ذيل الترجمة المسند إلى المصدر تبعاً لقول «ابن حجر»: «... قرأت بخط القاضي علاء الدين في تاريخه ... » لكن الدراسة المقارنة تثبت خلاف ذلك، حيث أن الترجمة بكاملها مأخوذة عن «ابن خطيب الناصرية» وأن

⁽١) المصدر السابق ج ٢ ص ٣٠١ تر٥.

تصرف «ابن حجر» في مصدره بإبدال بعض ألفاظ النص، وتعديل النسق الترتيبي له في موضع واحد، وهو المتعلق بذكر مؤلفات المترجم له.

وهذا هو نص «ابن خطيب الناصرية» ليتضح ذلك:

«تاج الدين بن محمود العجمي الأصفهندي الشافعي الملقب: تاج الدين شيخنا ـ ورد من بلاد العجم إلى حلب، ثم توجه إلى الحجاز، ثم عاد إلى حلب فسكن بها بالمدرسة الرواحية، وولي تدريس النحو بها، وكان إماماً عالماً ورعاً صنف وأفتى وشغل الطلبة بجامعي الأموي ومنكلي بغا، وكان يشغل في علوم كثيرة وله على المحرر شرح، وألف شرحاً على ألفية ابن مالك في النحو، لكنه ليس بطائل، وغير ذلك.

كانت أوقاته مستغرقة بالعبادة من بكرة النهار إلى وقت الظهر ـ في الغالب ـ يشغل بالجامع الأموي، من الظهر إلى العصر بجامع منكلي بغا، ومن العصر إلى المغرب يجلس للإفتاء بالمدرسة الرواحية . . .

وكان عزباً، ونفسه عفيفة، لم يكن له مطمع إلى الدنيا، واستمر على ذلك إلى حين مجيء التتار إلى حلب قاصداً سيراً إلى تمرلنك، ثم أن الشيخ إبراهيم - صاحب شماخي - طلبه من تمرلنك واستدعاه إلى بلاده مكرماً فتوجه معه إليها، واستمر هناك إلى أن توفي بشماخي في أثناء شهر ربيع الأول سنة سبع وثمان مائة، وكان رحمه الله تعالى أحد مشايخي الذين قرأت عليهم، وكنت كثير الإجتماع به.

سألته عن مولده _ في سنة إحدى وثمان مائة _ فلم يستحضره، وقال: لي الآن اثنتان وسبعون سنة _ رحمه الله تعالى (١٠).

.. وهكذا فإن طرقه في نسبة منقوله إلى مصادره وإن تحددت معها هذه اللمع والنقول المنسوبة لا تكفي في حصر كل منقوله عن مصادره، فضلًا عن تحديد بداية النقول ونهاياتها، وبالتالي لا يمكن الإعتماد على مثل تلك النقول في

⁽١) ابن خطيب الناصرية. الدر المنتخب ج ١ ق ١٩٢ أ.

بناء هيكل تركيبي لتلك المؤلفات الضائعة التي استوعبها أو نقل عنها في «الإنباء» على اعتبار أنه قد تصرف فيها سواء من حيث النسق الترتيبي أو التعبيري زيادة واختصاراً على نحو ما سوف يأتي.

٤ _ دلالات النقل عند عدم التصريح به:

على أنه في حالة عدم إسناد المنقول إلى مصدره بأي من الطرق السالفة يمكن أن نتلمس لدى كثير من النصوص الواردة في «الإنباء» بعض العبارات والألفاظ الإصطلاحية الدالة على المصدر المنقول عنه، وهي غالباً ما تعبر عن مصدر واحد وتنحصر في قوله: «أرخه...»، «ترجمه...»، «كتب عنه...»، «ذكره...»، «نوه به...»، «أثنى عليه...»، «أخذ عنه... وكان يطريه».

ومن أمثلة ذلك قوله: «... سمع منه شيخنا العراقي وهو الذي أرخه» (۱) « (... أرخه طاهر بن حبيب» (۲) « (وقوله: «... أخذ عنه القاضي بدر الدين العيني وهو الذي ترجمه» (۳) » «... عمل لها ولدها الشيخ تقي الدين (المقريزي) ترجمة جيدة وحدث عنها عن أبيها من شعره» (٤) « «... وكتب عنه الشيخ برهان الدين من فوائده» (٥) ، وقوله: «... ذكره القاضي علاء الدين في تاريخه» (٢) ، وقوله: «... وكان قد صحب التاج السبكي فنوه به» (٧) ، وقوله: «... وأثنى عليه القاضى علاء الدين في تاريخ حلب» (٨) .

وللدلالة على صدق ذلك يمكن مقابلة بعض النصوص والتراجم الواردة في «الإنباء» متبعاً فيها هذه الطرلايقة بالمصدر المشار إليه، والمرجوح الأخذ عنه ــ

⁽١) ابن حجر. إنباء الغمر ج ١ ص ٢٩.

⁽٢) نفسه ج ١ ص ١٦٤.

⁽٣) نفسه ج ١ ص ٥٢١ .

⁽٤) نفسه ج ٢ ص ٣٣.

⁽٥) نفسه ج ٢ ص ٣٣٢.

⁽٦) نفسه ج ۱ ص ۱۸۳ ، ج ۲ ص ۱۲۷ ، ج ۳ ص ۷۷ .

⁽V) نفسه ج ۲ ص ۲۶ .

⁽۸) نفسه ج ۱ ص ۲۵.

حسب هذه القاعدة ـ حيث نجد أن «ابن خطيب الناصرية» قد ترجم «أحمد المقريء الحلبي» على النحو التالي: «أحمد الحموي المقريء نزيل حلب، رجل صالح دين ورع، أقام بحلب عدة سنين يقريء الناس القرآن وهو مقبل على التلاوة والعبادة والورع، غير ملتفت إلى الدنيا بالكلية، وكان من عباد الله الصالحين الورعين، وهو شيخي في قراءة القرآن، سكن في المسجد الكائن بجوارنا ـ بالقرب من مدرسة شاذ بخت النوري ـ ثم انتقل إلى الخانقاة الشمسية فسكنها إلى أن رحل منها ـ قبل واقعة تمرلنك ـ إلى بيت المقدس فسكنه، ثم انتقل إلى طرابلس، ثم إلى دمشق، ولم يكن تزوج إلى ذلك الوقت ـ فيا علمت ـ ثم إنه رجع إلى طرابلس وتزوج بها، وتوفي وجاء الخبر بوفاته إلى حلب علمت ـ ثم إنه رجع إلى طرابلس وتزوج بها، وتوفي وجاء الخبر بوفاته إلى حلب في شوال سنة سبع عشرة وثمانمائة، وصلي عليه بجامع حلب صلاة الغائب ـ رحمه الله تعالى»(١).

فلما ترجمه «ابن حجر» في «الإنباء» ضمن وفيات حولية سبع عشرة وثمانمائة عمد إلى «ابن خطيب الناصرية» آخذاً في الترجمة عنه انتقاء، دون زيادة على مصدره قائلاً: «أحمد بن أحمد المقرىء الحلبي ، اعتنى بالقرآن، وكان يقرىء بسجد يجاور الشاذبختية بحلب مدة، ثم تحول من حلب إلى القدس قبل المواقعة العظمى، وانتقل إلى دمشق وأقام بها، ثم إلى طرابلس فأقام بها، واستمر إلى أن مات في شوال سنة ١٨٧ - أثنى القاضي علاء المدين في تاريخه على خيره ودينه» (٢).

ومن ذلك قوله في ترجمة «ابن خاص التركي» - ضمن وفيات حولية تسع وثمانائة: «أحمد بن قاضي الترك الحنفي، شهاب الدين، أحد الفضلاء المتميزين من الحنفية، مات في هذه السنة بالقاهرة، وأخذ عنه بدر الدين العيني المحتسب وكان يطريه» (٣). ويقابل ذلك لدى مصدره قوله: «الشيخ شهاب الدين أحمد

⁽١) ابن خطيب الناصرية الدر المنتخب ج ١ ق ١٤٩ ب.

⁽٢) ابن حجر. إنباء الغمرج ٣ ص ٤١ ـ ٤٢.

⁽٣) نفسه ج ٢ ص ٣٦١.

ابن خاص التركي الحنفي ، كان مشتغلًا بالفقه والحديث ليلًا ونهاراً ، وكتب كثيراً ، ودرس وجمع . ومات في هذه السنة بالقاهرة ((١) وهو ما يشير إلى أن ((ابن حجر) قد ترجمه عن ((العيني) على الرغم من افتقار مصدره _ في هذا الموضع _ إلى بسطة في القول ، وأنه لم يفد إلى جانب ترجمته لدى مصدره إلا كون ((العيني) من تلامذته .

٥ ـ الإهتمام بموارد المصادر التي ينقل عنها:

عمد «ابن حجر» إلى إثبات منقوله مسنداً إلى مصادره الأصلية في موارده توثيقاً لها ولمادة كتابه ـ كذلك ـ ولعل في ذلك إدراكاً منه باهمية هذا العمل في توضيح أو تعليل أفضلية المصدر الذي ينقل عنه على السواء وخصوصيته وإن تعاصرا، ومن أمثلة ذلك قوله في حوادث حولية ست وسبعين وسبعمائة نقلاً عن «ابن حجي» بخصوص طاعون دمشق: « . . . فذكر الشهاب ابن حجي أن يعقوب الدلال بسوق الخيل أخبره أنه رأى الجن عياناً على خيل كالجراد المنتشر وبأيديهم رماح في بعض أزقة الصالحية وطاعنهم وطاعنوه ، وصار يتحدث بذلك ويحلف والناس بين مصدق ومكذب فطعن هو ومات عن قرب ورثي في بدنه أثر طعنات . قال: أخبرني بذلك من ولي غسله» (٢٠).

وهو هنا يورد الخبر مصاحباً لمصادر توثيقه لدى المصدر المنقول عنه سواء بنسبته لدلال بسوق الخيل، أو لمن ولي غسله لا توثيقاً للخبر في حد ذاته فحسب، بل وتبرئة لساحة «ابن حجي» وتوثيقاً له. وقد كانت بينها صحبة ومزاورة.

وقوله في ترجمة الشيخ «زين الدين الحلالي» _ ضمن وفيات حولية ست وثلاثين وثمانمائة _ نقلًا عن «ابن خطيب الناصرية»: «. . . قاله القاضي علاء الدين . قال : واجتمعت به فرأيته عالماً بالفقه والمعاني والبيان والعربية ، وله صيت كبير في بلاده ، وكان عالماً ، قرأت بخط عبد الرحمن بن محمد الحلالي الشافعي

⁽١) العيني. عقد الجمان ق ٨٨ أ.

⁽٢) ابن حجر. إنباء الغمرج ١ ص ٧٦-٧٧.

القزويني أنه يروي البخاري عن قاضي المدينة عن الحجار ولم يسمعه، وأنا أظنه شيخنا زين الدي بن حسين «١٠).

وفي المحافظة على مصدر مصدره هنا اقتضاء لمعهود «ابن حجر» من الأمانة العلمية مضافة إلى المحافظة على اجتهاد مصدره في نقطة عميت عليه في المصدر الأصلي بشأن تقدير ما يحمله المترجم له وتقدير اشتغاله. إن أصاب في اجتهاده فلا بأس، وإن أخطأ فالعهدة عليه فيها أورده، وليس على «ابن حجر» ويؤيد ذلك عبارته في غير هذا الموضع قرين منقوله عن بعض مصادره: «. . . والعهدة فيه عليه»(٢).

ثالثاً _ طرق النقل

عالج «ابن حجر» منقوله عن مصادره المكتوبة بطرق شتى يمكن حصرها في الآتى:

١ ـ الإلتزام الحرفي بمادة مصادره قدر إمكانه:

وفيه يعمد «ابن حجر» إلى مصدره ينقل منه حرفياً، مع الحفاظ على النسق الترتيبي للمعلومة المنقولة في «الإنباء»، أو يعمد إلى منقول بينه وبين ما في «الإنباء» تشابه كبير من حيث اللفظ والنسق الترتيبي للفكرة.

من ذلك ما ورد في ترجمته لأبي نعيم العامري الغزي ـ ضمن وفيات حولية اثنتين وعشرين وثمانمائة من قوله:

«... قال القاضي تقي الدين الأسدي: جرت له محنة سنة خمس وتسعين وحج وجاور ثلاث مرات، وناب في الحكم بعد الفتنة اللنكية واستمر، وباشر

⁽١) المصدر السابق ج ٣ ص ٥٠٦ تر ١٠، ويراجع بشأن التثبت من أن اصطلاحات القول هي للمصدر الأصلي .. الضوء اللامع ج ٤ ص ١٥٥، وحاشية د. حسن حبشي رقم: ٦ ج ٣ ص ٥٠٦ من الإنباء.

⁽٢) ابن حجر. إنباء الغمرج ٢ ص ٤٧٣.

المرستان والجامع فانحط بسبب ذلك، وكان فصيحاً ذكياً جريئاً مقداماً وبديهته أحسن من رؤيته وطريقته جميلة، وباشر الحكم على أحسن وجه»(١).

ويقابل مقولته في المصدر الأصلى لها قول ابن قاضي شهبة:

«... ثم حصلت له محنة في شهر رمضان سنة خمس وتسعين، وحج وجاور بمكة ثلاث مرات، وناب بعد الفتنة في القضاء واستمر مدة طويلة، وناب في المارستان، وباشر في الجامع فانحط بسبب ذلك، وكان ذكياً فصيحاً جريئاً مقداماً، بديهته أحسن من رؤيته، وطريقته جميلة. وباشر القضاء على أحسن وجه»(٢).

ويلاحظ - هنا - الشبه الكبير بين النصين ، حيث المحافظة على النسق الترتيبي للنص مع الإبدال الطفيف لبعض الكلمات أو التخفف من بعض الألفاظ ، حيث أبدل حصلت بجرت ، والحكم بالقضاء ، مع إسقاط بعض الألفاظ التي لا يتغير المعنى بإسقاطها مثل قوله : شهر رمضان ، بمكة ، ناب في . كما أنه قد أدخل على النص كلمة هي «اللنكية» نسبة للفتنة ، وغير ترتيب الصفات فسيقت فصيحاً ذكياً .

ويماثل ذلك _ كذلك _ قوله بخصوص ترجمة «الشهاب الطنتدائي» الواردة ضمن وفيات حولية اثنتين وعشرين وثماغائة: «. . . ذكره ابن قاضي شهبة وقال: حفظ ما ينيف على خسة عشر ألف بيت رجز في عدة علوم منها تفسير الشيخ عبد العزيز الديريني، ونظم المطالع للموصلي» (٣).

ويقابله لدى مصدره قوله:

«... وحفظ ما ينيف على خسة عشر ألف بيت رجز في عدة علوم منها تفسير الشيخ عبد العزيز الديريني، ونظم المطالع للموصلي»(٤).

⁽١) المصدر السابق ج ٣ ص ٢٠٤.

⁽٢) ابن قاضي شهبة. طبقات الشافعية ق ٢٠٠ أ.

⁽٣) ابن حجر. إنباء الغمرج ٣ ص ٤٢٤.

⁽٤) ابن قاضى شهبة. طبقات الشافعية ق ٢٠٠ س.

وليس خفياً وجه التطابق بين النصين.

ومن الأمثلة الدالة على ذلك قوله في ترجمته لتخري بردى الكمشبغاوي (ت ٨١٥ هـ.): «...قال القاضي علاء الدين في تاريخه: كان عنده عقل وحياء وسكون، ثم قال أيضاً كان كثير الحياء والسكون، حلياً عاقلاً مشاراً إليه بالتعظيم في الدولة»(١).

ويقابل ذلك لدى مصدره قوله:

«... وكان عنده عقـل وحياء وسكون... وكان ـ رحمـه الله تعالى ـ كشير الحياء والسكون، حليهً عاقلًا، مشاراً إليه في الدولة ـ رحمه الله تعالى»(٢).

ويكاد النصان يتطابقان لولا إدخال «ابن حجر» كلمة «بالتعظيم» على النص واسقاطه عباري الترحيم.

٢ _ انتقاء المنقول مع الحفاظ على ألفاظ المصدر الأصلي:

وفيه يعمد «ابن حجر» إلى إحداث إسقاطنات في النص نشداناً للإختصار، مع الحفاظ على ألفاظ المصدر الأصلى والنسق الترتيبي للمنقول.

ومن أمثلة ذلك قوله في ترجمة «ابن خلدون» الواردة ضمن وفيات حولية ثمان وثماغائة:

«قال لسان الدين ابن الخطيب في تاريخ غرناطة: رجل فاضل، جم الفضائل، رفيع القدر، أصيل المجد، وقور المجلس، عالي الهمة، قوي الجاش، متقدم في فنون عقلية ونقلية، متعدد المزايا، سديد البحث، كثير الحفظ، صحيح التصور، بارع الخط، حسن العشرة، مفخرة من مفاخر المغرب، قال هذا كله في ترجمته والمذكور في حد الكهولة»(٣).

⁽١) ابن حجر. إنباء الغمرج ٢ ص ٥٢٧.

⁽٢) ابن خطيب الناصرية. الدر المنتخب ج ١ ٢٩٤ ب ـ ٢٩٥ أ.

⁽٣) ابن حجر. إنباء الغمر ج ٢ ص ٣٤٠ تر ١٨.

وبالرجوع إلى المصدر الأصلي يتضح أن «لسان الدين ابن الخطيب» قد ترجم «ابن خلدون» في «الإحاطة» فيما يقارب العشرين صفحة(١) مضمناً العناصر التالية:

نسب ابن خلدون وأوليته _ حاله وصفاته _ تكوينه العلمي وشيوخه _ انصرافه عن أفريقية منشئه ودخوله المغرب _ دخوله غرناطة ومراسلاته لابن الخطيب عنها _ مؤلفاتها _ مقطوعات شعرية له _ وصوله إلى بجاية ، ثم إنصرافه عنها وتحوله إلى بسكرة _ مولده .

ولم يقع إختيار «ابن حجر» إلا على العنصر المتعلق ببيان حالبه وصفاته وهو:

«...هذا الرجل الفاضل، حسن الخلق، جم الفضائل، باهر الخصل، رفيع القدر، ظاهر الحياء أصيل المجد، وقور المجلس، خاصي الزي، عالي الهمة عزوف عن الضيم، صعب المقادة، قوي الجأش، طامح لقنن الرياسة، خاطب للحظ، متقدم في فنون عقلية لا ونقلية، متعدد المزايا، سديد البحث، كثير الحفظ، صحيح التصور، بارع الخط، مغري بالتجلية، جواد الكف، حسن العشرة، مبذول المشاركة، مقيم لرسوم التعين، عاكف على رعي خلال الأصالة، مفخرة من مفاخر التخوم المغربية» (٢).

وبالدراسة المقارنة للنص لدى «ابن الخطيب» ومنقول «ابن حجر» عنه يتضح الآتي:

أولاً _ أنه قد حافظ على ألفاظ النص الأصلي إلا في موضعين لايضار النص بتعديلها وهما: «رجل فاضل» ويقابلها في النص الأصلي: «الرجل الفاضل» _ أي مع حذف أداة التعريف «الـ» في تحليها _ وقوله: «ومن مفاخر المغرب» ويقابلها في النص الأصلي المنقول عنه: «من مفاخر التخوم المغربية».

⁽١) ابن الخطيب. الإحاطة في أخبار غرناطة ج ٣ ص ٤٩٧ - ٥١٦.

⁽٢) نفسه ج ٣ ص ٤٩٧ - ٤٩٨ .

ثانياً ـ أنه أسقط جملًا تتخلل بين الجمل الواردة في عبارته عن المصدر الأصلي في ثمانية مواضع تحتوي على بعض الصفات التي لا يغني عن إيرادها سائر الجمل الأخرى الواردة في المثبت لديه وهي: «حسن الخلق، باهر الخصل ظاهر الحياء، خاص الزي، عزوف عن الضيم، صعب المقادة، طامح لقنن الرياسة، خاطب اللحظ، مغري بالتجلية، جواد الكف، مبذول المشاركة، مقيم لرسوم التعين، عاكف على رعي خلال الأصالة». أي ما يعادل منقوله من النص. ولعل دافعه إلى ذلك _ مضافاً إلى جريه على طريقته في الاختصار _ توهمه أن المقصد من عبارته المصدر الأصلي إسداء المديح للمترجم له، وفي المنقول ما يبين ذلك، فضلاً عن بيان حال الرجل وتقويم مصدره له.

ثالثاً على الرغم من اختصاره للنص على هذه الصورة، فإنه لم يشر إلى ذلك على عادة بعض المؤرخين التقليديين كالذهبي وغيره من قولهم في حالة انتقاء أو اختصار النص الأصلي المنقول عنه: «. . . لخصت ترجمته من . . . »أو «. . . هذا معنى ما ذكره . . . »وغيرها (١) .

وإنما أسنده إلى مصدره قائلًا: «... قال لسان الدين ابن الخطيب في تاريخ غرناطة:... »، معقباً عليه بقوله: «... قال هذا كله في ترجمته » وهو ما لا يفهم منه أنه قد عمد إلى الاسقاطات من النص الأصلي، وإن لم ينتف كون المنقول مسنداً إلى القائل على وجه الدقة باعتبار أنه قد حافظ على لفظ «ابن الخطيب» باستثناء تغيير طفيف في موضعين - وبمعنى آخر، على اعتبار أنه لم يضف على النص من عنده ما يجعله يقول ما لم يقله.

٣ _ التصرف في النص من حيث اللفظ _ تعديلًا وإبدالًا، زيادة واختصاراً مع الحفاظ على النسق الترتيبي للمورد الأساسي للمنقول:

وعلى العكس تماماً مما فعله بنص «ابن الخطيب» في ترجمته «لابن خلدون» نجدنا مع «ابن حجر» وقد عالج مصدراً آخر نقل عنه في ترجمته للمشار إليه

⁽١) بشار عواد معروف. الذهبي ومنهجه في كتابه تاريخ الإسلام ص ٤٣٥.

بطريقة أخرى وهو «عقد الجمان» للبدر العيني، حيث قال في ترجمته لابن خلدون ما نصه:

«...قال العينتابي في ترجمة ابن خلدون: مات فحأة بعد أن أعيد إلى القضاء بثلاثة أيام، وكان ديناً فاضلًا، صاحب أخبار ونوادر ومحاضرة حسنة، وله تاريخ مليح، وكان يتهم بأمور قبيحة ـ كذا قاله»(١).

وبمطالعة هذا المنقول المثبت لدى «ابن حجر» عن «البدر » يتضح الآتي:

أولاً _ أن الوارد هنا وهو قرابة الثلاثة أسطر من ترجمة البدر لابن خلدون فيها يقارب الـ ١٥ سطراً _ وهو جزء من مقولته في ابن خلدون حسب نص ابن حجر: «قال العينتابي في ترجمة ابن خلدون . . . »، وبمعنى آخر، وهو ما يشير إلى أنه سوف يعمد إلى اقتضاب النص على صورة من صور الاقتضاب.

ثانياً _ أن إرداف المقولة المسندة إلى البدر بقوله: «كذا قال» وقد أتت ذيلاً على مقولة لغيره في المترجم له _ ابن الخطيب _ يفهم منه أن «ابن حجر» قد أدرك التباين بين المقولتين: الأولى في موضع المدح المفرط والمسرف _ أحياناً _ والثانية الخالطة بين المديح والقدح في شخص المترجم له، ويفهم منه _ كذلك _ أنه لم يكن مؤيداً له أو على وجه الدقة معلقاً لرأيه فيه تاركاً للقاريء المقابلة واعتناق ما يريد على سبيل المحايدة وكتمان الرأي أو الامتناع عن إبدائه.

لكن بالدراسة المقارنة بين مادة القول المسندة لدى «ابن حجر» إلى «البدر» وبين ما ورد فعلًا في ترجمة «العيني» لابن حجر(٢) تتضح أمور أخرى تتعلق عنهج «ابن حجر» في النقل عن مصادره وهي:

أولاً _ أن «ابن حجر» لم يهتم بتحري الدقة في النقل عن مصدره في هذا الموضع، حيث عمد إلى تبديل بعض الألفاظ أو إضافة ألفاظ أخرى على النص

⁽١) ابن حجر. إنباء الغمرج ٢ ص ٣٤٠.

⁽٢) العيني. عقد الجمان ج ١٩ ق ١٨٢.

وإن قاربت الألفاظ الأصلية في التعبير عن بغية الكاتب الأصلي في المصدر المنقول عنه كنحو قوله: «مات فجأة بعد أن أعيد إلى القضاء بثلاثة أيام»، ويقابلها في النص الأصلي: «توفي... فجأة وكان قد تولى القضاء قبل مُوته بثلاثة أيام»، وقوله: «... وكان ديناً فاضلاً، صاحب أحبار ونوادر ومحاضرة حسنة، وله تاريخ مليح» ويقابلها في النص الأصلي المنقول عنه: «... وكان رجلاً فاضلاً صاحب أخبار ونوادر ومحاضرة مليحة، وله تاريخ في سبع مجلدات».

وهنا نلحظ أن «ابن حجر» قد أدخل على النص تعديلات حيث نسب إلى البدر قوله: «ديناً» نعتاً لابن خلدون، وقوله: «مليح» نعتاً لتاريخ ابن خلدون، وهما بما لم يقله، بينها استبدل وصف البدر لأخبار ونوادر ومحاضرات ابن خلدون «مليحة» بلفظة «حسنة» وهي مرادف لها يؤدي المعنى المطلوب لا شك.

ثانياً _ أن هذا القول المنسوب إلى العينتابي لم يرد في مصدره على هذه الصورة، ولكن «ابن حجر» قد لفق بين جمله لتأتي على هذه الصورة المثبتة لديه. . . ثالثاً _ أنه في نسبته لهذه المقولة إلى البدر بقوله; «قال العينتابي في ترجمة ابن خلدون» ما يشير إلى أن ما أورده ليس كل ما قاله البدر فيه وهذا صحيح.

رابعاً ـ أن هذا النص على وجازته يوهم أن كل منقوله عن البدر منحصر في هذا الموضع المشار إليه والمسند إلى البدر، لكن بمقارنة المادة المكتوبة في ترجمة ابن خلدون لدى «البدر» ومثيلتها لدى «ابن حجر» يتضح أن «ابن حجر» قد استوعب ترجمة «البدر» تماماً ـ على نحو ما مر.

وهكذ فإن «ابن حجر» قد تصرف في النص من حيث اللفظ ـ تعديلًا وإبدالًا زيادة واختصاراً مع الحفاظ على النسق الترتيبي لمادة مصدرية.

٤ ـ الالتزام بالحرفية للألفاظ ـ قدر إمكانه ـ مع تغيير النسق الترتيبي
 وتعديله:

وفيه يوجد تشابه كبير بين ألفاظ منقوله وبين مصدره، ولكن مع تعديل النسق الترتيبي للمصدر الأصلي.

ومن أمثلة ذلك ما ورد في تـرجمته لسبط العـلائي ـ ضمن وفيات حـوليـة عشرين وثماغائة ـ من قوله:

«. . . قال ابن قاضى شهبة في طبقاته: وكتب بخطه على فتوى تدل على كثرة إستحضاره وجودة تصرفه، ولما سكن الهروي هناك اتصل بينهما شرور كثيرة ومرافعات وقوى الهروي عليه. مات في آخر هذه السنة عن نحو خمسين سنة»(١). ويقابل ذلك في مصدره قوله:

«. . . ولما سكن الهروي هناك حصل بينهما شرور كثيرة ومرافعات وقوى الهروي عليه، وقد رأيت خطه على فتوي وهو يدل على كثرة استحضاره وجودة تصرفه . . . توفي في آخر سنة عشرين وثمانمائة عن نحو خمسين سنة»(٢) .

وهو ـ هنا ـ يورد نص مصدره وقد حافظ على لفظه مع تغيير طفيف اقتضاه المقام وإن عدل النسق الترتيبي المصاحب له.

ويمثل ذلك ـ كـذلك ـ قـوله في حـوادث حولية أربع عشرة وثمانحائة بخصوص موت السلطان الملك المنصور:

«. . . قال العينتابي: كان شديد البأس على جواريه لسوء خلقه من غلبة السوداء عليه، ولم يزل مشغولًا باللهو والسكر»(٣).

والذي في تاريخ العينتابي قوله:

«...ولم يزل مشغولًا بالسكر والملاهي إلى حين وفاته، وكان شديد البأس على حاشيته خصوصاً على جواريه (*) وكان يقتلهن قتلًا عظيماً لسوء خلقه وغلبة السوداء عليه»(٤).

⁽١) ابن حجر. إنباء الغمرج ٣ ص ١٥٠.

⁽٢) ابن قاضى شهبة. طبقات الشافعية ق ٢٠٣ ب.

⁽٣) ابن حجر. إنباء الغمر ج ٢ ص ٤٨٩.

^(*) في الأصل: جواره.

⁽٤) العيني. عقد الجمان ج ١٩ ق ١١٨.

وقوله في ترجمته لعبد الله بن طيمان _ الواردة ضمن وفيات حولية خمس عشرة وثمانمائة:

«... وقال القاضي تقي الدين الشهبي: شرع في جمع أشياء لم تكمل، واختصر شرح الغزي على المنهاج، وضم إليه أشياء من شرح الأذرعي، وقد درس الركنية والعذراوية والظاهرية والشامية»(١).

ويقابل ذلك لدى مصدره قوله:

«... ثم أنه في آخر أمره أقام بالشام يشغل ويفتي ويصنف، ودرس بالركنية والعذراوية والظاهرية والشامية الجوانيتين، وولي خدامة الخانقاه السيميساطية وشرع في جمع أشياء لم تكمل، واختصر شرح الشيخ شرف الدين الغزي على المنهاج ولم يشتهر لغلاقة لفظه واختصاره (٢).

التصرف في اللفظ والنسق الترتيبي معاً:

ويمثله قوله بخصوص «آقبغا القديدي»:

«... وقتل قنباي، وآقبغا القديدي ـ المعروف بدويدار يشبك ـ كان مقدماً عند يشبك، ثم استقر عند الناصر دويداراً صغيراً وأمره عشرة، وكانت له وجاهة ومعرفة ويقتدي برأيه في كثير من الأمور. قال العينتابي: كان يدعي الحكمة ووفور العقل مع خبث ومكر وحب لجمع المال، ولم يشتهر عنه خير، وحصل في أيام يشبك مالاً جماً، ثم لم يزل في ازدياد إلى أن مات في ليلة الخميس ثالث عشر شوال، وخلف شيئاً كثيراً جداً تمول بعده منه جماعة واستولى السلطان على غالبه» (٣).

والذي في «عقد الجمان» نصه:

«... الأمير آقبغا القديدي _ دويدار يشبك الشعباني _ كان توفي ليلة

⁽١) ابن حجر. إنباء الغمرج ٢ ص ٥٢٩ - ٥٣٠.

⁽٢) ابن قاضي شهبة. طبقات الشافعية ق ١٨٦ ب.

⁽٣) ابن حجر. إنباء الغمرج ٢ ص ٤٩٠.

الخميس الثالث عشر من شوال منها، ودفن صبيحة غده في تربته التي أنشأها بالصحراء قريباً من تربة الظاهر برقوق، وخلف موجوداً كبيراً، واستولى الناصر على أكثره، وكان رجلاً يدعي المعرفة والحذاقة راضياً بعقله ومستحسناً فعل نفسه صاحب حبث ودهاء، ولم يشتهر عنه معروف، وكان حريصاً على جمع الأموال، وجمع كثيراً لما كان دوادار يشبك ثم أعطى أمرة عشرة وتبولي الدوادارية الصغرى للناصر إلى أن توفي (۱).

وقوله في ترجمته لمحمود القيسراني (ت ٧٩٩ هـ.):

«...قرأت في تاريخ البدر أن جال الدين أول ما قدم نزل في الصرغتمشية قال: وكان بحالة املاق إلى الغاية، ثم وصل إلى ما وصل إليه حتى قال: إنه سمعه يقول: هذا الذي حصل لي غلطة من غلطات الدهر. قال: وكان عنده دهاء مع حشمة زائدة وسخاء، وكان فصيحاً بالعربية والتركية والفارسية، وكان كثير التأنق في ملسه ومأكله»(٢).

والظاهر من هذا النص أن «ابن حجر» يشير إلى أن المقولة الأولى مستخلصة من القراءة، بمعنى أن الصياغة ليست للمصدر الأصلي، على حين ما يليها من لفظ المؤلف الأصلي، خاصة وأنها مسبوقة بكلمة «قال». لكن يظهر اجتهاد «ابن حجر» في صياغة النص في سائر العبارة بالفاظ مقاربة، وقد انتقد البدر في صدر كتابه لعجمته. حيث أن منقوله عنه لا يتطابق مع لفظه وهو:

«... وكان رجلًا خلوقاً ذا أدب وحشمة، سخي الكف على الطعام وعلى العطاء لمن يعتني به، وكان عنده ذكاء، ولكن كان قليل المادة، فبقوة ذكائه كان يشارك الناس في البحث، وكان يتكلم بالتركي والعجمي والعربي، قدم الديار المصرية في الدولة الأشرفية، وأقام في مدرسة صرغتمش مدة من جملة الطلبة، وكان على فقر عظيم... فالذي اتفق لهذا ما اتفق لغيره من أبناء جنسه،

17.1

⁽١) العيني. عقد الجمان ج ١٩ ق ١١٧ أ.

⁽٢) ابن حجر. إنباء الغمرج ١ ص ٥٤٢.

ولذا سمعته يقول: هذا الذي حصل لي من غلطات الدهو... وكان يتكلف في المواكيل الطيبة والملابس الحسنة «١٠).

٦ _ النقل بالفكرة مع إغفال العبارة الأصلية لمصدره:

ومن أمثلة ذلك قوله بخصوص ترجمة «نوروز» (ت ١٧ ٨ هـ.):

«...قال العينتابي: كان جباراً ظالماً غشوماً بخيلًا ـ كذا قال»(٢).

وهي جملة استنتاجية من مقولة «البدر» فيه ونصها:

«...ولكن كان ماسك اليد لأهل العلم والفقراء، وكان عنده تجبر عظيم وشمم هائل، ولم يشتهر عنه معروف «(٣).

وقوله في ترجمته لأسنبغا الزردكاش (ت ٨١٨ هـ.):

«... قال العينتابي: كان ظالمًا غاشمًا لم يشتهر عنه إلا الشر»(٤).

والَّذي في مصدره قوله:

«. . . ولم يشتهر له معروف»(٥) ـ فقط.

وقوله بخصوص وباء البقر ـ الوارد ضمن حوادث حولية أربع وتسعين وسبعمائة نقلًا عن «ابن الفرات» الذي اتخذه مصدراً لحوادث الحولية كلها:

«وفي شعبان وقع الوباء في البقر حتى كاد أقليم مصر أن يفني منها»(٦).

والذي في مصدره قوله:

A commence of the second

1 1 1 m

4 (-), 4 (1 (-) 1,4 (-)

⁽١) العيني. عقد الجمان ج ١٩ ق ٥ ب، ٦ أ.

⁽٢) ابن حجر ، إنباء الغمرج ٣ ص ٥١ .

⁽٣) العيني. عقد الجمان ج ١٩ ق ٣٥ أ.

⁽٤) ابن حجر. إنباء الغمرج ٣ ص ٧٧.

⁽٥) العيني. عقد الجمانج ١٩ ق ١٤٢ إ٧

⁽٦) ابن حجر. إنباء الغمرج ١ ص ٤٣٧.

«... وفي شهر رمضان المذكور حصل للبقر التي بالزرايب بالقاهرة المحروسة وظواهرها مرض فصارت البقرة بمجرد ما يصيبها تضطرب وتقع ميتة، وبلغ الأمر في ذلك أن أبيع كل بقرة كانت تساوي قديماً خمسمائة درهم بعشرين درهم، ثم تناهي إلى أن أبيعت بقرة بخمسة دراهم، ولم يوجد من يشتريها، وسمعت بعض الناس يذكر أن بقرة أبيعت بدرهم، وخلي غالب الزرايب التي بظاهر القاهرة من البقر وجافت الحارات التي بالقرب من الزرايب لكثرة موت البقر ورميها على أبواب الزرايب. وكذلك في الأرياف، وبطل الطباخين بيع الطبيخ باللحم البقري، وصار الناس لا يشتروا لحم بقري ولا يأكلوه. فسبحان الفعال لما يريد» (١٠).

وقوله في حوادث حولية سبع وتسعين وسبعمائة ـ نقلًا عن ابن الفرات ـ وقد اتخذه مصدراً لغالبية حوادثها:

«... وفيه (شعبان) أحضر من دمياط قطعة من مخ سمكة يدخل في كل عين منها رجل ضخم» (٢٠).

والذي في مصدره قوله:

«... وفيه شاهدت من مخلوقات الله العجيبة ما أحضر من ثغر دمياط المحروس قطعة عظم من مخ سمكة تشتمل على ميقي العينين وبينها متصل بها قطعة من الخرشوم يدخل في كل ميق منها رجل ضخم إلى الغاية أو رجلين، والعظمة محمولة على جمل وما يطيق المشي بها إلا بتكلف »(٣).

والمستخلص من كل هذا أن «ابن حجر» قد عالج مادة مصادره: سواء فيها يختص بالحوادث _ على الرغم من تنوعها _ أو بالتراجم بطرق شتى وإن

⁽١) ابن الفرات التاريخ ج ٩ ص ٣٠٨.

⁽٢) ابن حجر. إنباء الغمرج ١ ص ٤٩٣.

⁽٣) ابن الفرات. التاريخ ج ٩ ص ٤١٠.

كشفت عن شخصيته المصاحبة لكل منقول مدون لديه فإنها لا تعبر ـ في الغالبية العظمى منها عن العبارة الأصلية المنقول عنها إلا بالفكرة الحاملة لها، حيث ظهر جلياً تصرفه في النسق التعبيري والترتيبي لمصادره.

رابعاً ـ نقد المصادر

على الرغم من أن «ابن حجر» قد اعتمد كثيراً من المصادر في بناء مادة كتابه بل ونقل الكثير من عباراتها الناقدة إلى حولياته محافظاً عليها، ناسباً منقوله عنها في الحدث أو الترجمة إليها(١) فإنه كانت له نظرة في تلك الأخبار المنقولة عنها، عامل بها الحوادث والتراجم على أنها جزئيات تخضع لتصديق العقل إياها أو لرده وتفنيده(٢) كما كانت له نظرة شمولية _ كذلك _ على المصدر ككل، سواء

⁽١) كنحو قولـه في ترجمـة «ابن لاجين الـرشيدي» (ت ٨٠٣ هـ. /١٤٠١ م.) «...قال القاضي تقي الدين الشهبي: وقفت على شرحه، وفيه أوهام عجيبة» إنباء الغمر ج ٢ ص ١٦٨.

وقوله في ترجمة «جمال الدين المالكي (ت ٨٠٧ هـ. / ٤٠٥ م.): «. . . قرأت بخط قـاضي البلاد الحلبية القاضي علاء الدين في تاريخها كان إماماً فاضلًا فقيهاً يستحضر كثيراً من التاريخ . . . وكان يجب العلم وأهله . . » ـ نفســه ج ٢ ص ٣٠٦.

⁽٢) كنحو قوله في ترجمة «محمود الكلستاني» (ت ٨٠١ هـ. / ١٣٩٩ م.): «... ووصفه العيني ـ كما تقدم ـ بالطيش والبخل والعجب، وبالغ في ذمه، وليس كها قال، فقد أثني عليه طاهر بن حبيب في ذيل تاريخ والده ووصفه بالبراعة في الفنون العلمية، وقد قرأت بخطه لغزاً في العلم في غاية الجودة خطا ونظماً..» نفسه ج ٢ ص ٩٠.

وقوله في ترجمة «ابن ملاعب الفلكي» (ت ٨٢٤ هـ. /١٤٢١ م.): «... وسمعت القاضي ناصر الدين البارزي يبالغ في إطرائه، ووصفه غيره بقلة الدين وترك الصلاة وانحلال العقيدة». نفسه ج ٣ ص ٢٥٤ ـ ٢٥٥ .

وقوله في ترجمة «شهاب الدين المبتولي المالكي» (ت ٨٣٠ هـ. /١٤٢٧ م.): «... قال القاضي علاء الدين. . . وساق له عن أبي حيان قصيدة . . . وهي في نحو العشرين بيتاً لا تشبه نظم أبي حيان، ولا نفسه ولا يتصور لمن ولد سنة سبع وأربعين أن يسمع من أبي حيان الذي مات قبل ذلك بمدة ، ولقد عجبت من خفاء ذلك على القاضي علاء الدين. . » _ نفسه ج ٣ ص ٣٨٦ م

فيها أورده في صدر كتابه(١) أو في الترجمة لمصدره(٢) إذا ما صادفت وفاته الفترة الزمانية لحوليات كتابه، أو في عبارات ناعتة للمصدر تأتي غالباً لصيقة المنقول عنه(٣).

خامساً _ الدقة في النقل

على الرغم من تحري «ابن حجر» الدقة في النقل عن مصادره، وشيوع مظاهر ذلك في جوانب كتابه، فإنه قد جانبه الصواب في مواضع كثيرة منه، حيث أغفل التأريخ التام لبعض الحوادث الواردة تامة التأريخ لدى مصادره(٤)

⁽١) كنحو قوله في صدر كتابه: «... وطالعت عليه تاريخ القاضي بدر الدين محمود العيني، وذكر أن الحافظ عماد الدين ابن كثير عمدته في تاريخه وهو كها قال، لكن منذ قطع ابن كثير صارت عمدته على تاريخ ابن دقماق حتى يكاد يكتب الورقة الكاملة المتوالية، وربحا قلده فيها يهم فيه حتى في اللحن الظاهر مثل: أخلع على فلان، وأعجب منه أن ابن دقماق يذكر في بعض الحادثات ما يدل على أنه شاهدها فيكتب البدر كلامه بعينه بما تضمنه، وتكن تلك الحادثة وفعت بمصر وهو بعيد في عينتاب . . » _ إنباء الغمر ج ١ ص ٤ _ ٥ .

⁽٢) كنحو قوله في ترجمة «ابن الفرات الحنفي» (ت ٢٠١٨ هـ. /٢١٤٠٥ م.): «... وكان لهجا بالتاريخ، فكتب تاريخاً كبيراً جداً بيض بعضه... وتاريخه في هذا كثير الفوائد إلا أنه بعبارة عامية جداً» _ نفسه ج ٢ ص ٣١٣.

⁽٣) وهي غالباً ما تكشف عن شخصية صاحب المصنف المنقول عنه، كنحو قوله: «قرأت بخط قاضي المبلاد الحلبية علاء الدين...»، وأرخه مؤرخ المسام...»، أو «أرخه مؤرخ الشام...» الخ.

⁽٤) كنحو قوله: «... وفي آخر رببع الأخر عزل ناصر الدين ابن البرجي عن الحسبة، وأعيد نجم الدبين الطنبدي» - نفسه ج ١ ص ٤٣٤ - على حين ورد الخبر لدى مصدره تام التاريخ - هكذا: «... وفي آخر يوم الأربعاء خامس عشري شهر ربيع الأخر - المذكور - أشيع أن السلطان الظاهر أخلع على القاضي نجم الدين الطنبدي وأعاده إلى حسبة القاهرة والوجه البحري عوضاً عن القياضي بهاء الدين ابن البرجي بعد عزله» - تاريخ ابن الفرات ج ٩ ص ٢٠١ - وقوله: «... وفي شوال أمطرت السهاء مطراً غزيراً حتى خاض الناس في المياه، وذلك في أول يوم من توت، والشمس في برج السنبلة» - إنباء الغمر ج ١ ص ٤٥٢ - ويقابل ذلك لدي مصدره قوله: «... وفي عشية الجمعة الموافق ليوم النوروز - أول توت من الأشهر القبطية - ليلة السبت حادي عشري شوال المذكور أمطرت السهاء بالقاهرة مطراً كثيراً كافواه القرب حتى خاض الناس في الماء =

وأخطأ التأريخ لبعض الحوادث في مواضع أخرى، وقد وردت على وجه الصواب في مواضعها من مصادره (١) بالإضافة إلى نقله مسهواً محوادث من حولية إلى أخرى غير التي وقعت فيها (٢) ناهيك عن التفاوت العددي بين المثبت لديه وبين مصدره ما بالنسبة للأفراد والمنقولات المكونة لعناصر الخبر، أو العزوف كلية عن تحديده (٣).

(٣) من ذلك ما ورد في حولية أربع وتسعين وسبعمائة من قوله: أ. . . وفيه (في صفر) هجم على بطا الناثب بدمشق خمسة أنفس . . . فقتلوه وأخرجوا من في الحبس . . . » ابناء الغمر ج ١ ص ٤٣٢ ـ ___

⁼ والوحل» - تاريخ ابن الفرات ج ٩ ص ٣٤٤ ـ كها أشار مصدره - نفسه ج ٩ ص ٣٨٥ ـ الله أن «المناوي» قد عزل عن الحكم في «رابع عشر ربيع الأخر (سنة ٧٩٦ هـ.)»، على حين كان تأريخ ابن حجر لذلك «في ربيع الآخر» - إنباء الغمر ج ١ ص ٤٦٩

⁽۱) من ذلك: تأريخه لواقعة وادي شقحب ـ بين العسكر المصري والظاهر برقوق بحادي عشر المحرم (سنة ۲۹۲هـ.) نفسسه ج۱ ص ۳۹۱ ـ على حين وردت لدى مصدره ـ نقلاً عن ابن دقماق ـ في «بوم الاحد رابع عشر المحرم» ـ تاريخ ابن الفرات ج ٩ ص ١٨٦. بالإضافة إلى جعله دخول الظاهر برفوق إلى غزه في آخر المحرم ـ إنباء الغمر ج۱ ص ٣٩٢ ـ على حين أن الوارد لدى مصدره ـ تاريخ ابن الفرات ج ٩ ص ١٨٨ ـ في مستهل صفر، كما أن «ابن حجر» قد أشار لدى مصدره على أنه وقع في «شعبان» سنة ٤٧٤ هـ. إنباء الغمر ج ١ ص ٤٣٧ ـ بينما أرخه ابن الفرات ـ التاريخ ج ٩ ص ٣٠٨ ـ بشهر رمضان من السنة .

⁽۲) من ذلك: إشارته إلى أن استيلاء الفرنج على جزيرة جبربة كان سنة ٢٠٥٠ هـ. (إنباء الغمرج ١ ص ٢٥٠) على حين أن هذا الخبر في الحولية التالية لها، وقوله بأن السلطان قد عرض أجناد الحلقة فتشفعوا لديه بالسراج البلقيني، وابن رفاغة سنة ٢٩٠هـ. (نفسه ج ١ ص ٣٤٧) وهذا الخبر وارد لدى مصدره في الحولية السالفة، وتأريخه لضرب أمين الدين السمسطائي _ أمين الحكم _ بين يدي السلطان واهانته بسئة ٢٩٠ هـ. وقد كان ذلك سنة ٢٨٠. (نفسه ج ١ ص ٣٧٨) وسارخه لزيادة المحتسب في الأذان بسنة ٢٩١ هـ. (نفسه ج ١ ص ٣٧٨) وصارخه لزيادة المحتسب في الأذان بسنة ٢٩١ هـ. (نفسه ج ١ ص ٣٧٨) وصوابه سنة ٢٩٠ هـ. ونقله خبراً عن مقاهرة القرشي لبرقوق واقتصاص الثناني منه من حولية ركوب الخولية التالية لها (نفسه ج ١ ص ٣٩٩)، وتأريخه لأمر صادر بمنع المعممين من ركوب الخيل إلا أن يكونوا من الوزراء أو كتاب السر أو ليظار الخاص _ بسنة ٢٩٢ هـ. (نفسه ج ١ ص ٢٩٣) وصوابه سنة ٢٩٢ هـ. والجميع نقلاً عن البناء بسنة ٢٩٧ هـ. (نفسه ع ١ ص ٢٨٤) وصوابه سنة ٢٩٧ هـ. والجميع نقلاً عن ابن الفرات مع الخطأ في تأريخ ابن حجر له ..

كما أنه كرر كثيراً من الأخبار المنقولة عن مصادره في ذات الحولية التي تنتظمها وبنفس العبارة، أو بعبارات متقاربة المعنى(١) تكشف ـ لا ريب ـ عن

= ويقابل ذلك لدى مصدره _ ابن الفرات. التاريخ ج ٩ ص ٢٩٧ ـ ١٠٠٠ وفي أواخر صفر _ المذكور ـ حضر بريدي من دمشق وأخبر بأن جماعة من المماليك نحو الخمسة عشر نفـراً حضروا مشــاة إلى باب قلعة دمشق، فلما وصلوا إلى الباب كانت سيوفهم نخبأة فأظهروها وهجموا باب القلعـة ... »، كما يشير ابن الفرات في ذيل الخبر إلى أن الذين أفلتـوا من العقاب من هؤلاء المتـآمرين «خمسـة أنفس ما عرف كيف هربوا»، على حين لم يهتم «ابن حجر» بذلك قائلًا: «... ومسكوا الثائرين، فلم يبقوا منهم إلا من هرب». كما يشير «ابن حجر» _ إنباء الغمرج ١ ص ٤٧٠ _ إلى أن المبلغ الذي بذله «البدر بن أبي البقاء» من مودع الأيتام _ للظاهر برقوق _ في سعيه على المناوي «كان ستماثة ألف،، على حين أن الوارد لدى مصدره _ تاريخ ابن الفرات ج ٩ ص ٣٧٧ _ هـو: ١٠٠٠ وفي يوم الأحد العشرين من شهر ربيع الآخر _ المذكور _ أرسل الوزيس ناصر المدين محمد بن كلفت من يقبض من المودع الحكمي ما اتفق عليه الحال بينـه وبين قـاضي القضاة بـدر الدين بن أبي البقاء الشافعي من قرض أموال الأيتام، فأشيع أنهم قبضوا من المودع خمسمائة ألف درهم وستين ألف درهم»، ومن مظاهر إهماله التحديد العددي ما ورد في حولية خمس وتسعين وسبعمائة بخصوص قتل نائب الكرك (إنباء الغمرج ١ ص ٤٥٥) من قوله: ١٠.٠ وفي ذي الحجة شكا بعض التجار لنائب الكرك يوسف القشتمري أن جماعة من العشير أخذوا له مالا من الغنم وغيرها، فركب وتحدث معهم وسألهم أن يعيدوا ما أخذوه فأخذوا البعض، فطلب البقية، فذكروا أنهم لم يأخذوا إلا ذلك، فجمع مشايخهم ليحلفهم، فاجتمعوا، فقبض عليهم فغضب الباقون فوقعوا فيه فقتلوه، وكان في ناس قلائل». ويقابـل ذلك لـدى مصدره (تـاريخ ابن الفـرات ج ٩ ص ٣٤٩) قوله: «وفيه جاء ناس تجار إلى الأمير شرف الدين يوسف القشتمري ـ نائب السلطنة بالكرك _ وذكروا أن قوماً من العشير أخذوا لهم ثلاثة آلاف رأس غنم، فركب ونزل اليهم وطلبهم وتحدث معهم فأحضروا له الف وسبعمائة رأس غنم، فقال لهم: بقي ألف وثلاثمائة رأس فحلفوا أنهم ما أخذوا إلا هذا القدر، فقال يحضروا مشايخكم يحلفوا، فلما حضروا من مشايخهم عشرة أنفس قبض عليهم ورماهم في زنجير، وكان قد ركب في عشرة أنفس لا غير، ولم يعلم أحـد من العسكر بركوبه فلما أرمي مشايخ العشير في الزنجير غضب أهل البلد ورماه أحدهم بسهم نشاب فجرحه، ثم رماه آخر فقتله.

وبمقابلة النصين ببعضها تتضح أمور هي:

(١) إغفال «ابن حجر» إثبات العدد في الخبر بأكمله واستبداله بعبارات مسقطة لـ كنحو قـوله: «مالاً من الغنم وغيره» عوضاً عن قول مصدره «ثلاثـة آلاف رأس غنم»، وقولـه: «فأخـذوا البعض» عـوضاً عن قـول = عـوضاً عن قـول مصدره «ألف وثلاثمائة رأس»، وقـوله: «فجمع مشايخهم» عـوضاً عن قـول =

مسلكه في اقتضاب الخبر ونقله، حيث أتت الحوادث فيها مهملة التأريخ مرة، ومثبتة التأريخ أخرى، مما يشير إلى أن التأريخ التام للحدث سلباً وإيجاباً لم يكن من الأشياء المعتنى بها لديه، على العكس من الأشياء المعتنى بها لديه، على العكس من الوفيات الواردة في حولياته.

⁼ مصدره: «حضر من مشايخهم عشرة أنفس»، وقوله: «وكان في ناس قلائل» عوضاً عن قول مصدره «وكان قد ركب في عشرة أنفس».

تحريفه لبعض الألفاظ وهي «يونس» ويقابلها لديه «يوسف»، «لهم»، ويقابلها قوله «له».

مما يشير إلى أنه لم يكن دقيقاً في النقل عن مصدره في هذا الموضع.

من ذلك (إنباء الغمر ج ١ ص ٤٥٤) قوله: «... وفيها كانت وقعة بين عرب الكرك ونائبها فقتل النائب يونس»، ثم تكرير قوله آنف الذكر. وقوله في حولية ٧٩٩هـ. (إنباء الغمر ج ١ ص ٧٢٥): «... وفي ثامن شعبان _ الموافق لحادي عشر بشنس _ أمطرت السياء برعد وبرق حتى صارت القاهرة خوضاً، فكان ذلك من العجائب، ودام ذلك في ليال متعددة، وقد وقع مثل ذلك بل أعظم منه في مثل زمانه سنة سبع عشرة وثمانمائة في سلطنة الملك المؤيد»، ثم كرره في الحولية عينها (ج ١ ص ٢٩٥) قائلًا: «... وفي هذه السنة أمطرت السياء في حادي عشر بشنس من الأشهر القبطية مطراً غزيراً برعد وبرق ودام ذلك في ليال متعددة».

النقد التأريخي في «الإنباء»

- 1 -

اعتنى «ابن حجر العسقلاني» عناية فائقة بالنقد التأريخي، ومارسه في سائر كتاباته التاريخية، سواء كان ذلك في «إنباء الغمر بأنباء العمر» أم في غيره من المؤلفات التاريخية الأخرى ـ المعروفة لنا ـ ملحاً عليه بشتى الطرق التي في مكنته التعبير بها، على اعتبار أنه جزء رئيس وهام من منهجه في الكتابة التاريخية، منطلقاً من مفهومه للتأريخ، وهو مفهوم ذو صلة بالجديث النبوي الذي صار حافظ عصره فيه بلا مدافع وما يتبعه من جرح وتعديل ظل متبعاً غير منقطع إلى ما بعد وقته. ومن كونه ذواقة للأدب ناقداً له مشاركاً فيه وفي غيره من علوم عصره على كثرتها.

بل كثيراً ما كان هذا المسلك الناقد في الكتابة التاريخية سبباً في تعرضه لكثير من العداوات والمشاحنات(١).

ولعله يكون مناسباً _ والحال كذلك _ أن نتعرف على منهجه في النقد التأريخي قبل الخوض في إيراد الجانب التطبيقي له في «إنباء الغمر».

⁽۱) راجع بشأن ذلك: السخاوي. ـ الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ص ٤٦٢ ـ ٤٧٠، والجواهر والحرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر ـ مخط. أحمد الثالث ق٢١٦٨ - ١٨٣ أ، والضوء اللامع ج ٧ ص ٢٢٠.

فلقد وصلتنا فتيا «لابن حجر» رداً على سؤال سائل تعلق بهذا النوع من الكتابة التاريخية الناقدة _ حفظت ضمن مجموع احتوى على ردود مماثلة لأربعة من أعملام الفتيا في عصره (١) _ رداً على سؤال السائل عينه، وفيها نقله عنها «الشمس السخاوي» في «الجواهر والدرر» نصاً (٢)، وفي «الإعلان بالتوبيخ» ضمناً (٣).

أما سؤال السائل ففحواه:

«ما يقال في مؤرخ يـذكر تـراجم الناس عـلى ما يعلم منها من خـير وشر قاصداً بذكر الشر التنفير بمن يكون ذلك صفته بما عساه ينقـل عنه في ذلك من أمر ديني، وبما زل فيه تبعاً لهواه، ولا سيها إذا كان هذا المؤرخ ناقلاً عن أحد بمن تقدمه، وذلك مع استحضاره وخوف مما ورد في اتباع الهوى وعـدم ميله إليه، فاعترض عليه معترض فقال له: هذا غيبة لا تحل؟

وأما فتواه فهي :

«الحمدالله. اللهم أهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك.

الذي يتصدى لكتابة التاريخ قسمان: قسم يقصد ضبط الوقائع، فهو غير مقيد بصنف منه، ولكن يلزمه التحري في النقل فلا يجزم إلا بما يتحققه، ولا يكتفي بالنقل الشائع، ولا سيها إن ترتب على ذلك مفسدة من الطعن في حق أحد من أهل العلم والصلاح، وإن كان في الواقعة أمر فادح في حق المستور، فينبغي أن لا يبالغ في إفشائه، ويكتفي بالإشارة لئلا يكون المذكور وقعت منه فلتة، فإذا ضبطت عليه لزمه عارهاً أبداً، فيحتاج المؤرخ أن يكون عارفاً بمقادير

⁽١) يوجد هذا المجموع في الكتبخانة الأصفية بحيدر آباد بالهند تحت رقم: ٤٤ مجاميع وقد نشره الأستاذ / فؤاد سيد في مجلة معهد المخطوطات العربية بالقاهرة (ج ٢ ص ١٦٢ ـ ١٧٧) تحت عنوان: «شروط المؤرخ في كتابة التاريخ، خمس فتاوي لم تنشر لخمسة من أعلام القرن التاسع الهجري».

⁽٢) السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٨٢.

⁽٣) نفسه. الإعلان بالتوبيخ ص ٤٦٥ _ ٤٦٦.

الناس وبأحوالهم وبمنازلهم، فلا يرفع الوضيع ولا يضع الرفيع.

والقسم الثاني: من يقتصر على تراجم الناس، فمنهم من يعمم، ومنهم من يتقيد، وعلى كل منها أن يسلك المسلك المذكور في حق من يترجمهم، فالمشهور بالخير والدين والعلم لا تتبع مساويه، فإنه غير معصوم، والمستور قد تقدم حكمه، والمجاهر بالفسق والفجور، إذا خشي من ستر حاله ترتب مفسدة كالإغترار بجاهه أو ماله أو بنسبه فيضم إلى من ليس على طريقته. فهذا يجوز له بهذا القصد أن يبين حاله بالنسبة لرفيقه أو أخيه أو قريبه، كأخوين مشلاً شتهرا بالعلم، وأحدهما كان مشهوراً بالفقه والديانة والآخر بعكسه. وربحا وجب عليه بيان هذا المجاهر إذا كان هناك من يغتر به.

وقد بسط شيخ الإسلام «النواوي» القول في ذلك آخر كتاب «الإذكار» وبين حال من يباح ذكره بما فيه، وأحال عليه في زياداته في «الروضة» فمن أراد الوقوف عليه فقد أرشدته إليه. ومن جملته: بيان حال المحدث.

ثم الذي يتقيد بصنف من الناس: تارة يكون محدثاً، وتارة يكون غير محدث، فالمحدث أصل وضع فنه بيان الجرح والتعديل، فمن عابه بذكره لعيب المجاهر بالفسق أو المتصف بشيء مما ذكر أو ملبس أو مشارك للماجهر في صفته فيخشى أن يسرى إليه الوصف.

ثم هذا المحدث يكون تارة بلغ درجة الاجتهاد في الجرح والتعديل، وتارة يكون ناقلًا عن غيره.

فالأول: هو الذي تقدم تفصيل حاله. والثاني: يلزمه تحري الصدق في النقل، ولا يعتمد على مجرد التشنيع في كل أحد. فإن للناس أغراضاً متفاوتة، بل ينظر في الناقل فإن كان ثقة ليس بمتهم في المنقول عنه فليعتمده، وإن سماه فهو لساحته، وإن شكر فيه فليتقصر على الإشارة ولا يجزم بما يتردد فيه، بل يأتي فيه بصيغة التمريض، وإن كان الناقل له ممن ينسب إلى المجازفة أو كان بينه وبين المنقول عنه حظ نفس فليجتنب النقل عنه، فإن اضطر إلى ذلك فليكشف أمره ويتبرأ من عهدته.

وأما كلام أئمة النقل في الجرح والتعديل فأشهر من أن نذكر له أمثلة .

وقد خاض في ذلك من لم يشك في ورعه كالإمام أحمد والبخاري، وهو القائل: «ما اغتبت أحداً منذ علمت أن الغيبة حرام»، ومن المتأخرين الحافظ تقي الدين صاحب الكمال في معرفة الرجال، الذي هذبه المزي، ولقد كان من الورع بمكان مشهور.

وأما اعتراض من اعترض في ذلك زاعماً أن ذلك غيبة، فإن كان جاهلاً فليعلم، فإن أصر فليؤدب بما يليق، ليرتدع عن الخوض فيما ليس له به علم. وإن كان منسوباً للعلم فاللوم عليه أشد، لأنه يصير معانداً، فليقابل بما يليق به من الزجر حتى يرجع عن الطعن في البريء، والذب عن المفتري، ويشاب ولي الأمر أيده الله _ تعالى _ على ذلك. وبالله التوفيق».

من هذه الفتوى _ على طولها _ يمكن أن نتبين منهجه في إيراد نقده ونحصره في:

ا ـ أن مهمته كمحدث تستوجب منه قبل كل شيء إثبات فنه وهو «الجرح والتعديل» بحيث لا يرفع الوضيع ولا يضع الرفيع، وإنما لكل منزل ينزله إياه .

٢ - أنه لا يتأتي له ذلك إلا بالمعرفة بمقادير الناس وأحوالهم ومنازلهم، مع التحري في النقل حيث لا جزم إلا بتحقيق، ولا مسلمات في كتابات الغير، ولكن هناك إعمال للفكر - فإن للناس أغراضاً متفاوتة.

٣ ـ أنه لا يشيع النقل عن مصدر إلا إذا كان صاحبه ثقة، فإن كان غير ذلك فإن فيه طرقاً:

أ_أن يذكر الخبر قرين مصدره جاعلًا العهدة فيه على المصدر، كنحوقوله في ترجمة «أبي يزيد الردماوي الـزبيدي» (ت ٨١٣ هـ.): «... نقلت ترجمته من خط الشيخ تقي الدين المقريزي والعهدة فيه عليه» (١)، وما ورد في حوادث

⁽١) ابن حجر. إنباء الغمر بانباء العمر ج ٢ ص ٤٧٣ (من ط. القاهرة).

حولية سبع وثلاثين وثمانمائة من ولادة مطلقة لولد صورته صورة الضفدع في قدر الطفل، وقد أورد الخبر ـ وكأنه تشكك فيه ـ بين تعبيرين إصطلاحيين يفيدان ذلك، هما: «ورأيت في كتاب بعض من يذكر الحوادث... قرأت ذلك بخط الشيخ تقي الدين المقريزي»(١)، وقوله بخصوص انقلاب وجه عابث بإمام جماعة ـ وهو يصلي ـ إلى خنزير، ضمن حوادث حولية اثنتين وسبعمائة: «... قرأت بخط ابن دقماق... وأنه ممن شاهد ذلك»(١).

وهنا تجدر الإشارة إلى أنه مع توثيقه هذين المصدرين في مقدمة «الإنباء» مشيراً إلى أن غالب ما ينقله عنها (٣) - قد عامل الأخبار فيها على أنها جزئيات مستقلة تخضع لتصديق العقل أو تكذيبه، فلما تشكك فيها أو لم يتحقق أهليتها بالتصديق مقارناً بغيرهما من النصوص التي كان يتوخى أن تكون تحت يده ذكرها قرين مصدرها عاهداً فيها على المصدر أو واضعاً لها بين العبارات الإصطلاحية المفيدة لذلك.

ب - الإتيان بصيغ التمريض في حالة ما يشكر المصدر مترجماً له لا يطمئن «ابن حجر» إلى مزيته (٤).

ج-إن كان المصدر المنقول عنه منحازاً أو مجازفاً لا ينقل عنه، فإن اضطر إلى النقل عنه كشف أمر مصدره حتى يلقي عليه العهدة، ومن أمثلة ذلك ما فعله مع «البدر العيني» في مواضع متعددة من «الإنباء» منها ما ورد في ترجمة «يشبك بن أزدمر» - ضمن وفيات حولية سبع عشرة وثمانمائة - من قوله: «... كان مشهوراً بالشجاعة والفروسية، وقال العينتابي: كان ظالماً لم يشتهر عنه خير، كذا قال، وقد باشر نظر الشيخونية ورأيت أهلها يبتهلون بالدعاء له والشكر

⁽١) المصدر السابق ج ٣ ص ص ١٢٥، ويقابله في مصدره: المقريزي . السلوك ج ٤ ص ٩٢١.

⁽٢) نفسه ج ١ ص ٢١٠.

⁽٣) نفسه ج ١ ص ٤ .

⁽٤) حيث ترد عناصر الترجمات والحوادث في مواضع متفرقة دون نسبة إلى مصدر، ، مكتفياً فيها بقوله: «قيل»، «قال البعض»، «ويقال». .

منه»(۱) وقوله في ترجمة «دمرداش المحمدي الظاهري» (ت سنة ۸۱۸ ه.):
«...وكان دمرداش مهيباً عاقلاً مشاركاً في عدة مسائل، كشير الإكرام لأهل العلم والعناية بهم، اجتمعت به فوجدته يستحضر كثيراً من كلام الغزالي وغيره، قال القاضي علاء الدين الحلبي في تاريخه: كان لا يواجه أحداً بما يكره، وقد بني جامعاً بحلب أوقف عليه أوقافاً كثيرة، وله زاوية بظاهر طرابلس له أوقاف كثيرة، وهذا بخلاف قول العيني: ليس له معروف»(۱).

والمتبادر إلى الذهن في هذين الموضعين أن مصدره قد جازف بإصدار حكم جائر على الشخصية المترجم لها في كل ، وأن «ابن حجر» قد كشف عن هذا في مصدره سواء بالمصدر المكتوب الذي أتى فيه الرأي نقيض ذلك، أم بالمشاهدة الشخصية ورؤية العينان.

٤ ـ أنه قد عامل التراجم تبعاً لحال أصحابها، فكان جرحه وتعديله لها على الوجه التالي:

أ ـ المشهورون بالصلاح لا تتبع سقطاتهم.

ب ـ المستورون لا يبالغ في كشفهم، ولكن يكتفي بالإشارة فيهم.

جـ المجاهرون بالفسق والفجور إما أن يظهرهم بضمهم إلى غيرهم ممن ليسوا على شاكلتهم، على سبيل المقارنة بالضد ليتضح أمرهم جرياً على منطق البلاغيين بالطباق، إذ بالضد تتضح الأشياء، وإما أن يعري فعلهم ويظهره سافراً، والحكمة في ذلك: «الحرص على عدم الإغترار بهم.

٥ ـ أنه قد طبق «الجرح والتعديل» على رجال ترجماته وعلى مصادره . كذلك، سواء بجرح وتعديل أصحابها ـ مما يجعل البحث في ترجمته لهم مهماً في هذا الموضع ـ أو على الحوادث والترجمات فرادي كجزئيات مستقلة .

٦ ـ أن اعتقاده في الإقدام على هذا العمل النقدي واجب مجزوم بثوابه وليس لأحد أن يعترضه، بل الواجب المقابل لهذا الواجب المحتم حدوثه أن

⁽١) ابن حجر. إنباء الغمرج ٣ ص ٥١، ويقابله في مصدره: عقد الجمان ج ١٩ ق ٣٥ أ.

⁽٢) نفسه ج ٣ ص ٨١، ق ١٤٢ أ - على التوالي.

يرشد المعترض ويعلم، وإلا وجب تأديبه بما يناسبه.

_ 7 _

هذا هو المنهج، وإليك الجانب التطبيقي له في كتابه «الإنباء»:

المطلع على مادة «الإنباء» يرى أن «ابن حجر» لم يخل تراجمه _ في الغالب الأعم _ من إصدار حكم على ذويها بياناً لحالاتهم جبرحاً وتعديلاً يإيراد آرء الثقات فيهم، وكذا ما يراه هو من أحوالهم وما يدركه فيهم بما رزق من قدرات علمية ونفسية جعلت له مقاييس خاصة يقاسون عليها لديه.

والملاحظ بادىء ذي بدء ـ أن مقاييس جرحه وتعديله لرجال ترجماته قد اختلفت تبعاً للاختلاف في تخصصاتهم وطبقاتهم، وأنها مع ذلك تتلاقى في هدف واحد وهو الكشف عن بعض الصفات الأصيلة في كل، وهي صفات ترد في أشخاص وضدها في آخرين. قد يجتمع الكثير منها في شخص واحد، وقد لا ترد إلا صفة منها فيه، وقد تجتمع فيه جملة من الفضائل، وأخرى من الرذائل، كأن يكون مع وصفه بالعلم ذميم الخلقة رث الهيئة. وما إلى ذلك . (١) أو أن يوصف بحسن الإسلام مع اتصافه بالإنهماك في الملذات (٢). وهذه وتلك صفات تكشف عن حال المترجم له من إحدى الجهات الآتية:

أ - الهيشة:

كأن يكون ذميم الشكل جداً (٣) أو حسن الصورة (٤) جميلها (٥) مليح الوجه (٢) لطيف الشكل (٧) حسنه (٨) بهي المنظر (٩) ، أو: أن يكون ضخاً حسن

^{. (}١) ابن حجر. إنباء الغمرج ٣ ص ١٢١ ـ ١٢٢. تو ٤٧.

⁽۲) نفسه ج ۳ ص ۱۱۱ تر ۲۲.

⁽٣) نفسه ج ٣ ص ١٢٢ تر ٤٧.

⁽٤) نفسه ج ٣ ص ٨٢ تر ١٢.

⁽٥) نفسه ج ۹ ص ١٤٦ (ط. الهند):

⁽٦) نفسه ج ٣ ص ٢١١ تر ٢٩.

⁽۷) نفسه ج ۲ ص ۳۱۲ تر ۲۰.

⁽۸) نفسه ج ۲ ص ۲۲۵ تر ۲۲.

⁽٩) نفسه ج ۲ ص ۳۱۱ تر ۱۹.

الملتقي كثير البشر (۱) بشوش الوجه (۲) قصير الشوارب أو طويلها (۳) أو رث الهيئة خاملًا (٤). مما يتصل بصفات الخلقة الوراثية وما يتبعها من علامات مميزة لشخصه ملازمة له، كنحو قوله: «ويتعمم ـ دائماً ـ على أذنيه». (٥) وما يصاحب ذلك من تأنق في مظهره أو إهمال له.

ب ـ الأخلاق والسجايا:

كأن يكون موصوفاً بالشهامة والشجاعة (١) أو المروءة والصيانة (٧) أو وفور العقل والسكون وحسن الخلق (٨) والخير والإنجماع عن الناس وعدم التدخل فيها لا يعنيه (٩) أو أن يكون جداً كله لا يعرف الهزل (١١) أو كثير المزاح (١١) أو أن يكون ملازماً للخلاعة (١٢) والتهتك (١٣) أو ممن يعتريهم الغرور وما يتبعه من دعوى عريضة في العلم وغيره (١٤) أو لا ينسب نفسه إلى العلم (١٥).

أو أن يكون متلافاً للمال، مسرفاً فيه إلى حد الإنكشاف والإملاق(١٦) أو

⁽١) المصدر السابق ج ٣ ص ١٥٢ تر ٢١.

⁽٢) نفسه.

⁽٣) نفسه ج ٣ ص ١١٦ تر ٣٢.

⁽٤) نفسه ج ٣ ص ٣١ تر ٢٨.

⁽٥) نفسه ج ۲ ص ۲۹۲ تر ۲۲.

⁽٦) نفسه ج ٣ ص ١٤٩ تر ١٢.

⁽V) نفسه ج ۳ ص ۵۵۹ تر ۲۰ .

⁽۸) نفسه ج ۳ ص ۲۹۲ تر ۲۳.

⁽٩) نفسه ج ۲ ص ۳۱۶ تر ۳۲.

⁽۱۰) نفسه ج ۳ ص ۱٤۹ تر ۱۲.

⁽۱۱) نفسه ج ۳ ص ۹۳۶ تر ۱۷.

⁽۱۲) نفسه ج ۳ ص ۱۸۲ تر ۱۶.

⁽۱۳) نفسه ج ۳ ص ۲۳۲ تر ۱۳.

⁽۱٤) نفسه ج ۳ ص ۱۱۸ تر ۱۳.

⁽۱۵) نفسه ج ۲ ص ۳۱۶ تر ۳۲.

⁽١٦) نفسه ج ٣ ص ١٠٤ تر ٤.

جواداً به (۱) أو على العكس من ذلك جماعاً له ضنيناً به، حريصاً على الشح حتى بالعارية (۲) أو أن يكون قليل الشر (۳) كثير الرجوع إلى الحق، محباً في العدل (٤) أو على الضد من ذلك (٥)..

ج _ الدين:

كأن يكون جيد الإسلام (٦) سليم الباطن (٧) عنده عبادة وخير (٨) وله ورود وقيام ليل (٩) في غاية الورع والتحري (١٠) والزهد (١١) أو على الضد من ذلك: مشهورا بقلة الدين، متهتكاً متهاً في إسلامه مدمناً على الخمر واللواط (٢١) أو مشهوراً بمعرفة الأحكام مع قلة الدين وكثرة التهتك (١٣) أو من الظلمة الفاتكين في صورة الناسكين» (١٤).

د ـ المذهب:

كأن يكون داعية إلى مذهب الزيدية (١٥) أو ينتسب إلى التشيع (١٦) أو إلى

⁽١) المصدر السابق ج ٣ ص ٢٦١ تر ١٤.

⁽۲) نفسه ج ۳ ص ۲۹ تر ۲۶.

⁽٣) نفسه ج ٣ ص ٧٧ تر ٤.

⁽٤) نفسه ج ٣ ص ٢٥٧ تر ٦ .

⁽٥) نفسه ج ٣ ص ١٧٩ تر ١٧.

⁽٦) نفسه ج ٣ ص ٧٦ تر ١ .

⁽۷) نفسه ج ۳ ص ۱۲۱ تر ٤٧.

⁽۸) نفسه ج ۲ ص ۲٤۳ تر ۱۳.

⁽٩) نفسه ج ٣ ص ٧٨ تر ٥.

⁽۱۰) نفسه ج ۲ ص ۲۳ ه تر ۱.

⁽۱۱) نفسه ج ۳ ص ۲۶ تر ۱۶.

⁽۱۲) نفسه ج ۳ ص ٤٣ تر ٦.

⁽۱۳) نفسه ج ۳ ص ۲۳۲ تر ۱۳.

⁽۱٤) نفسه ج ۳ ص ۱۸۹ تر ۲۲.

⁽١٥) نفسه ج ٣ ص ٢٤ تر ١٢.

⁽١٦) نفسه ج ٣ ص ١٤٧ تر ٣.

مذهب أهل الوحدة (١) أو يميل إلى تصوف الفلاسفة (٢) . . مع التنبيه على صحة أو فساد المذهب لدى كل، وتعصب صاحبه، أو إنصافه في البحث (٣) .

هـ ـ القدرات العقلية والمواهب الفنية:

كأن يكون من حمقي المغفلين⁽³⁾ أو من الأذكياء⁽⁹⁾ ومنهم من يدرك ما يكبت له في الهواء، أو في كفه بالإصبع ليلا⁽⁷⁾ كما أن منهم من يكون سريع الفهم جيد الحفظ^(۷) أو منسوباً إلى الخرف والتغير^(۸) أو تغير المزاج والإنحراف^(۹). أو أن يكون صحيح الخط^(۱) حسنه^(۱) دقيقه (۱۲) أو رديء الخط للغاية (۱۲) أو أن يكون جيد الضرب بالعود (۱۶).

و ـ المكانة العلمية والمقدرة الأدبية:

كأن يكون نبيها في الفقه(١٥) أو العربية(١١) أو عارفاً بالأصول(١٧)

⁽١) المصدر السابق رج ٣ ص ٢٥٥ تر ٣.

⁽۲) نفسه ج ۳ ص ۱۷۸ تر ۲.

⁽٣) نفسه ج ۲ ص ۳۰۸ تر ۱٦.

⁽٤) نفسه ج ٣ ص ١٨٥ تر ٢٢.

⁽۵) نفسه ج ۲ ص ۲۳۹ تر ۲.

⁽٦) نفسه ج ۳ ص ۳۰ تر ۲۱.

⁽٧) نفسه ج ٣ ص ٢٥٩ تر ٩ (ط. الهند).

⁽٨) نفسه ج ٣ ص ٢٣ تر ١٠ ـ ويلاحظ أنه قد اعتني بنفي ذلك عنه.

⁽٩)،نفسه ج ۳ ص ۷۷ تر ۲ .

⁽۱۰) نفسه.

⁽۱۱) نفسه ج ۲ ص ۲۶۰ تر ۶.

⁽۱۲) نفسه ج ۳ ص ٤٥ تر ۱۳.

⁽۱۳) نفسه ج ۳ ص ۳۱ تر ۲۸.

⁽۱٤) نفسه ج ۳ ص ۱۷۷ تر ۱.

⁽۱۵) نفسه ج ۳ ص ۱۸ تر ٤.

⁽١٦) نفسه ج ٣ ص ٢٦ تر ١٩.

⁽۱۷) نفسه ج ۲ ص ۵۳۰ تر ۲۰.

والأجزاء الحديثية وروايتها (١) مشاركاً في الأدب، له نظم فائق (٢) أو وسط (٣) أو سفساف (٤) أو أن يكون متفوقاً في معرفة الوثائـق (٥).

* * *

على أن نقده لرجال ترجماته لم يقف به عند جرحهم وتعديلهم، وإنما جاوزه إلى إصدار العديد من التقاويم والأحكام على الكثيرين من الملوك والسلاطين والأمراء وأرباب المناصب في ظل الإدارة المملوكية، وكذا العلماء والأدباء والفنانين. مراعياً في إصدار حكمه عليهم وتقويمه لهم مقاييس حاصة بطبقاتهم تتبعها صفات مبحوثة فيهم مثبتة عليهم سلباً أو إيجاباً.

فكان يراعي في الملوك والسلاطين: الشجاعة والحزم والخبرة بالأمور وعلو الهمة والرجوع إلى الحق والدين، وعدم الجور أو التكالب على جمع المال لما له من أضرار على المجتمع ككل، وكذا محبة العلم واحتضان أهله وتشجيعهم أو ما يقع على أيديهم من فتوحات للإسلام والمسلمين أو خذلان لكل، وهي مقاييس هامة تؤخذ بالاعتبار.

من ذلك قوله في الظاهر برقوق (ت ٨٠١ هـ.): «... كان شهماً شجاعاً ذكياً خبيراً بالأمور، إلا أنه كان طماعاً جداً بحيث لا يقدم على جمع المال شيئاً، ولقد أفسد أحوال المملكة بأخذ البدل على الولايات في وظيفة القضاء والأمور الدينية» (٦).

وهذا التقويم أو الحكم الوارد في ذيل مقوله فيه مترتب ـ لا شك ـ على صفة «الطمع» المثبتة في المترجم له، وعلى المدرك ـ لدى ناقده ـ مما يتبع ذلك من

⁽١) المصدر السابق ج ٣ ص ١٤٩ تر ١٢.

⁽۲) نفسه ج ۳ ص ۲۰۷ تر ۱۱.

⁽٣) نفسه ج ٣ ص ١١١ تر ٢٤.

⁽٤) نفسه ج ٣ ص ١٧ تر ٢ .

^(°) ننفسه ج ۳ ص ۱۰۶ تر ۵.

⁽٦) نفسه ج ۲ ص ٦٨.

الوهن الوظيفي وهو سمة عصره التي سوف يرسخها في ذهن المطالع لتاريخه بطريق نقدي آخر سوف نتحدث عنه تواً.

وقوله في ترجمة الناصر فرج (ت ٨١٥ هـ.): «... ولقد كان الناصر هذا أعظم الناس خذلاناً لدين الإسلام وأشأمهم طلعة على المسلمين، والعجب أنه لما ولد أقبل يليغاً الناصري ومنطاش فبشرا به أباه فسماه بلغاث _ يعني فتنة _ فلما خلص أبوه من الكرك سماه فرجاً _ فكان اسمه الأول هو الحقيقي »(١).

وحكمه فيه هنا ليس مرده إلى الأخذ بظاهر الأمور من استبدال لما صاحبه من التسميات، ولكنه مبني على أن اسمه الذي يحمله من قبيل الأضداد قياساً إلى ما سرده من الأعمال المصاحبة له في مصر والشام ضمن حوادث حولياته.

كما كان يراعي في نواب السلطنة ما يراعيه في الملوك والسلاطين، فكان يبحث فيهم هذه الصفات المصاحبة لحكمه عليهم وتقويمه لهم.. ومن ذلك قوله في «أرغون شاه الإبراهيمي المنجكي» (ت ٨٠١هـ.): «... كان شاباً عاقلاً، عادلاً، شجاعاً، كريماً، ومن عدله أن غلمانه توجهوا لتحويل الملح الذي في إقطاع النيابة فاستكروا جمالاً، فنهبهم العرب، فغرم لأصحابها الثمن، وأن شخصاً ادعى عنده في جمل عند صلاة الجمعة فاستمهله إلى بعد الصلاة فمات الجمل فغرم لصاحبه(٢).

فإثبات العدل والكرم له ـ قرين ما شهر من فعله، والعقل قرين ما بدر من تصرفه في العمل الثاني.

أما الأمراء فإنه نظر إليهم من زاوية حسن السيرة أو ذمها، وما يتبع ذلك من مصاحبة الطيش وشدة الوطأة على الناس أو كفكفة الشر عنهم. كما أن له تقاويم وأحكام صاحبتهم قياساً بالحوادث المضمومة إليهم أو المتولدة بعد وفاتهم. وهي أحكام مستخلصة من مشاهداته وغيره ممن نقل عنهم لتصرفاتهم

⁽١) المصدر السابق ج ٢ ص ٥١١ .

⁽٢) نفسه ج ٢ ص ٤٥، ٢٥.

أو إنعكاس لتصرفاتهم على الناس ـ الرأي العام بمفهوم عصرنا ـ كنحو قوله: «... رأيت الحلبيين يثنون عليه» (١)، وقوله: «... سر أكثر الناس بموته لثقل وطأته عليهم» (٢).

ويأتي في المقام الأول إثباته للعديد من التقاويم والأحكام الخاصة بما يضم اليهم من أعمال في حياتهم أو بعد مماتهم، ومنها قوله في ترجمة «العجل بن نعير» (ت ٨١٦هـ.): «... وبقتله انكسرت شوكة آل مهنا» (٣) وهذا الحكم بالقياس إلى ما تبع ذلك من أمرهم مما هو بين في حوادث حولياته.

كما أنه نظر إلى الوزراء من حيث وقع تصرفاتهم على العامة من حسن أو سوء وكذا معرفتهم بالمباشرة، ومحبتهم في العلم وأهله. ومن أمثلة ذلك قوله في ترجمة «ابن أبي شاكر القبطي» (ت ٨١٩ هـ.): «...كان يكثر فعل الخير والصدقة مع الإنهماك في اللذة، وحدث في وزارته الوباء فلم يشاحح أحداً في وراثة، وكثر الدعاء له، وكان عارفاً بالمباشرة ويحب أهل العلم، وكان شديد الوطأة على العامة إلا أنه باشر الوزارة برفق لم يعهد مثله، وكان موصوفاً بالدهاء وجودة الكتابة»(٤).

وراعي في المباشرين والقضاة ونواب الحكم وغيرهم أموراً أهمها: التورع والعفة والنزاهة وحسن السيرة، كنحو قوله في «الباعوني» (ت ٨١٦هـ.):«... ولاه الناصر قضاء دمشق. . . فباشر مباشرة حسنة بعفة ونزاهة ومداراة وحرمة»(٥)، وقوله في «الشهاب الرمشاوي» (ت ٨١٦هـ.):«... كان سيء السيرة، فتح أبواباً من الأحكام الباطلة فاستمرت بعده، وكان عنده دهاء»(٢)

⁽١) المصدر السابق ج ٣ ص ٧٧.

⁽٢) نفسه ج ٩ ص ١٩٣ (ط. الهند).

⁽٣) نفسه ج ٣ ص ٢٧.

 $^{(\}xi)$ نفسه ج π ص ۱۱۱.

^(°) نفسه ج ۳ ص ۲۱.

⁽٦) نفسه ج ٣ ص ٣٤.

والتكالب على المنصب أو الاعتدال في تقبله، كنحو قوله في «ابن خطيب نقرين» (ت ٨١٨هـ.): «... تـرامي على الـدخول في المناصب إلى أن ولي قضاء حلب (١) وقوله في «البرهان ابن جماعة» (ت ٧٩٠هـ): «... عزل نفسه مراراً، ثم يسأل ويعاد حتى هم السلطان في بعض المزات أن ينزل إليه بنفسه ليترضاه» (٢). والمعرفة بموضوع المباشرة أو الجهل به: كنحو قوله في «الشمس الحراني» (ت ٨٢٠هـ.): «... ولي القضاء بعد اللنك بغير أهلية» (٣) والحزم في الأحكام أو التساهل فيها: كنحو قوله في «أبي المنجا»: «... كان قصير العبادة، متساهلاً في أحكامه «كأ»، وقوله في «البرهان ابن جماعة»: «... لم يأت بعده له نظير ولا قريب من طريقته» (٥). وهي لا شك تقاويم وأحكام لها أهميتها باعتبار تلك الصفات المبحوثة فيهم وباعتبارها صادرة عن خبير بالتحري عنهم.

أما العلماء، فالملاحظ أنه راعي فيهم العديد من الصفات التي شاركهم في الكثير منها، ومنها: التولع بالعلم، والمعرفة بالاستحضار، والتمهر فيها يحملونه والتخصص في العلم أو الإختصاص به (٧) والقدرات العقلية والنفسية (٨)، والدعوة العريضة في العلم مع عكس فحواها (٩) والإنصاف في البحث من عدمه (١٠).

⁽١) المصدر السابق ج ٣ ص ٨٣.

⁽٢) نفسه ج ١ ص ٥٥٥.

⁽٣) نفسه ج ٣ ص ١٥٣.

⁽٤) نفسه ج ٢ ص ٢٠٦.

⁽٥) نفسه ج ١ ص ٣٥٥.

⁽٦) نفسه ج ٣ ص ٣١، ١١٣، ١٤٩.

⁽۷) نفسه ج ۳ ص ۲۵، ۲۲، ۱۱۲.

⁽۸) نفسه ج ۳ ص ۱۸، ۳۱، ۱۰۵.

⁽٩) نفسه ج ٣ ص ١١٨، ٣١٤، ٣١٨.

⁽۱۰) نفسه ج ۱ ص ۳۵۵، ج ۳ ص ۱۰۲، ۱۵۲.

على حين راعي في الأدباء الإجادة في الإنتاج الفي (١) بالإضافة إلى الأصالة والابتكار والبعد عن التقليد، كما ورد في الحوادث من نقده لكتاب «تمرلنك» إلى «الظاهر برقوق»، وللرسالة المرسلة إليه _ رداً على كتابه _ وهما من الإنشاء المقلد، حيث قال عن الأول: «... قلت: هذا الكتاب منتزع من كتاب هولاكو إلى الخليفة ببغداد، وإلى الناصر بن العزيز بدمشق، وهو من إنشاء النصير الطيبرسي»، أما الثانية فقد ورد قوله فيها: «... وكتب جواب اللنك كاتب السر ابن فضل الله، وهو كلام ركيك ملفق غالبه غير منتظم، لكن راج على أهل الدولة وقرىء بحضرة السلطان والأمراء فكان له عندهم وقع عظيم، وعظموه جداً وأعادوه» (٢) وتقديره _ كذلك _ لعمل أدبي من إنشاء «ابن حجة» وعظموه جداً وأعادوه» (٢) وتقديره _ كذلك _ لعمل أدبي من إنشاء «ابن حجة» أوراق من رائق النثر وفائق النظم، وهي أعجوبة في فنها «(٣)، وما ورد في أوراق من رائق النثر وفائق النظم، وهي أعجوبة في فنها «(٣)، وما ورد في حوادث حولية ثلاث وثمانين وسبعمائة من مناقضته لبيتي «البدر ابن الصاحب» حوادث حولية ثلاث وثمانين وسبعمائة من مناقضته لبيتي «البدر ابن الصاحب» في كائنة «ابن القماح» السارق بمقابلتها بالشعر الوارد لدى ابن خلكان (٤).

- - - -

أما الحوادث، فقد توزع نقد «ابن حجر» فيها بين نقد الروايات التاريخية، وبين إصدار الأحكام والتقاويم على الحوادث والرجال معاً، وبين نقد الحوادث في حد ذاتها ـ نقداً جزئياً، وإن اتجه في الوقت عينه إلى إبراز أهم خصائص مجتمعه ونقدها نقداً كلياً عن طريق استخدام الشواهد الشعرية الواردة في التراجم والحوادث والموجهة لتحقيق هذه الغاية. . فكان من نقده ما أثبت قرين مصدره، وكان منه ما تولد نتيجة لانفعاله بالحوادث وتعامله معها.

⁽١) المصدر السابق ج ٣ ص ٢٠٧ ـ ٢٠٨.

⁽٢) نفسه ج ١ ص ٤٧٤ .

⁽٣) نفسه ج ١ ص ٤٣٧ .

⁽٤) نفسه ج ١ ص ٢٣٦ - ٢٣٧ .

١ ـ نقد الروايات التاريخية:

لم يتقبل «ابن حجر» كل ما مدته به مصادره من الروايات التاريخية على أنها من قبيل المسلمات التي لا يمكن ردها أو مناقشتها، وإنما كان يستخدم عقله في مناقشتها، ويستخدم حسه التأريخي في ردها.

ومن أمثلة ذلك ما ورد في حوادث حولية ثلاث وسبعين وسبعمائية بخصوص الحرب المغولية التركمانية من قوله: «... ويقال أنه كان في عسكره (عسكر تمرلنك) عابد يقال له بركة، فلما رأى اللنك تمسك به فصاح على عسكر طقتمش خان فانهزموا. ويحتمل أن يكون هذا من وضع بعض من يتعصب للنك، ويحتمل الصحة ليقضي الأهر المقدم: إنما نملي لهم ليزدادوا إثماً»(1).

وقوله في حوادث حولية ست وتسعين وسبعمائة بخصوص تبليغ إحدى البشارات للسلطان «الظاهر برقوق»: «... وخرج إلى السلطان ـ وهو معسكر بظاهر القاهرة ـ شخص يقال (له) أحمد بن عباس الحريري فذكر أنه رأى النبي حصلى الله عليه وسلم ـ في المنام، وأنه قال له: روح إلى برقوق وقبل له إنك منصور بأمارة أنك تقرأ الفاتحة على أصابعك العشرة عشر مرات عند الركوب، ثم تقول: «إن ينصركم الله فلا غالب لكم». فصدق البشارة وبكى وأمر للرائي بمال فلم يقبل منه إلا نزراً يسيراً. والذي يظهر لي كذب هذا الرائي، وكأنه بلغ الأمارة من بعض خواص السلطان المطلعين على سره، وإلا فلو كان صدقاً لكان قد انتصر، والواقع أنه لم يقع له قتال مع أحد» (٢).

ويلحق بذلك نقده لتأريخ بعض الأخبار وتعديله. ومن أمثلة ذلك قوله في حوادث حولية ثمانين وسبعمائة: «... وفي أولها مات أينبك في الحبس بالأسكندرية ووهم من أرخه في الماضية، وكان الوصول بخبر موته في يوم عاشوراء»(٣).

⁽١) المصدر السابق ج ١ ص ١٩.

⁽٢) نفسه ج ١ ص ٤٧١.

⁽٣) نفسه ج ١ ص ١٧٠ .

٢ _ إصدار الأحكام والتقاويم:

كما أن «ابن حجر» لم يخل الخبر _ غالباً _ من حكم أو تقويم له أو عليه وعلى المشاركين فيه بحد سواء متبعاً في ذلك طرقاً منها:

أ-الجرح والتعديل لذوات القائمين بها، بمعنى نقده للرجال من خلال نقد الحوادث: ومن أمثلة ذلك قوله في حوادث حولية اثنتين وثمانين وسبعمائة بخصوص حكم «الهمام ابن قوام» - قاضي الحنفية بدمشق - على «الصدر ابن منصور» بالفسق وتقرير غيره في وظيفته: «... وكانت هذه الفعلة من عجائب تهور الهمام» (۱)، وقوله في حوادث حولية إحدى وتسعين وسبعمائة بخصوص عصيان «تمربغاً منطاش» على معتقه: «... وقد تقدم أن برقوق اشتراه من أولاد أستاذه وأعتقه، فكأن ذلك عند منطاش لم يصادف محلاً لأنه لا يعرف أصل نفسه» (۲) ونقده في هذا الموضع لا يعد تقويماً يكشف عن انتقاصه للعاصي ونعته بعدم الوفاء لمعتقه، ومقابلته الإسحسان بالإساءة، وإنما يكشف إلى جانب ذلك عن انطباعاته عن طبقته، وغمزهم - كذلك.

بـ الحكم على بعض الحوادث بالتفرد في بابها، أو بنسبتها إلى الأولية: كنحو قوله في حوادث حولية اثنتين وثمانين وسبعمائة بخصوص مطر دمشق: «... وفي جمادى الآخرة اتفق شيء غريب وهو وقوع المطر الغزير برعد وبرق في خامس عشر أيلول، وسقط برد كبار مثل البندق، وكثر جداً حتى صارت الأرض بيضاء، وكثر الوحل وجرى الماء في الشوارع. كل ذلك في سنة واحدة، ولم يعهد مثل ذلك قبلها» (٣) وقوله في حوادث حولية خمس وتسعين وسبعمائة بخصوص استقرار «العلاء السيرامي» في تدريس الفقه بالشيخونية والظاهرية: «... ولم يتفق ذلك لغيره» (٤) وقوله في حوادث حولية ست وسبعين وسبعمائة: «... وفيها يتفق ذلك لغيره» (٤)

⁽۱) المصدر السابق ج ۱ ص ۲۱۲.

⁽۲) نفسه ج ۱ ص ۲۷۳.

⁽٣) نفسه ج ١ ص ٢١٧ .

⁽٤) نفسه ج ١ ص ٢٥٦.

ولي سري الدين «الأندلسي» قضاء حلب، وهو أول مالكي قضى بها»(١) وقوله في حوادث حولية عشر وثمانمائة بشأن تبذل السلطان وتوجهه بملابس جلوسه إلى عيادة بعضهم أو زيارة غيره: «وكان عهد الناس بعد بعداً شديداً من سلطان يفعل مثل هذا التبذل، ولم يعرف أن ذلك وقع لملك من ملوك مصر قبله، وقد تبعه على ذلك من جاء بعده»(١).

ج-وصف بعض الحوادث بالشناعة والقبح أو بالحسن: كنحو قوله في حوادث حولية سبع وسبعين وسبعمائة بشأن إبطال السلطان «الأشرف شعبان» لضمان المغاني: «... وكان ضمان المغاني من القبائح الشنيعة» (٣) وقوله في حوادث حولية ست وثمانمائة بخصوص تكالب العلاء بن أبي البقاء على المنصب وبذله فيه للسلطان ووصول مرسوم السلطان إلى النائب بقبض المبلغ المبذول: «... وكانت هذه الكائنة من أقبح ما نقل» (ألى وهنا يلاحظ أن القبح ليس في المبذل في حد ذاته، وذلك لأن المبذول كان بنص «ابن حجر» عينه: «مائتي ألف درهم، وهي التي جرت عادة القضاة بدمشق ببذلها للسلطان» (٥) لكن القبح في أن يكون تحصيل السلطان لها بمرسوم يصدر إلى نائب دمشق لينعم بها على «أينال حطب» الذي كاتب بدوره ناظر الجيش بأن يقبضها ويشتري بها أمتعة، ثم أن القبح المنسوب إليها راجع - كذلك - إلى التنافس على هذا المنصب المبذول فيه من كل من «الحساء ابن أبي البقاء» و «ابن خطيب بعرين»، ناهيك عن سعي كل من «الحصناوي» و «ابن العديم» في المنصب، والحط من الثاني عليه. . وقوله في حوادث حولية ثلاث وثمانمائة بخصوص مدافعة «المالطي» عن عليه . . وقوله في حوادث حولية ثلاث وثمانمائة بخصوص مدافعة «المالطي» عن المؤولة : «. فكانت هذه من حسنات المالطي» (٢).

⁽١) المصدر السابق ج ١ ص ٧٧.

⁽۲) نفسه ج ۲ ص ۲۸۲.

⁽٣) نفسه ج ١ ص ١٢٧.

⁽٤) نفسه ج ٢ ص ٢٦٥ .

⁽٥) نفسه.

⁽٦) نفسه ج ٢ ص ١٣٤.

د ـ السخرية من التصرف في بعض الحوادث: كنحو قوله في حوادث حولية اثنتين وثمانمائة بشأن طروق المغول للشام: «...وفي آخر ذي القعدة وصل كتاب نائب الرحبة يخبر فيه أنه صادف ناساً عند خان لجين يقطعون الطريق فقبض منهم جماعة وسأل نجدة ليسلمهم إلى دمشق، فقام النائب في ذلك وقعد وانزعج الناس لذلك وظنوه أمراً عظياً وصاروا في هرج ومرج وأشاعوا أن تمرلنك قصد البلاد ... فكان ذلك فألاً جرى على الألسنة بذكر تمرلنك ، فإن الأيام لم تمض إلا قليلاً حتى طرق البلاد (۱) . وقوله في الحولية اللاحقة بشأن أخذ المغول لأموال الناس المحفوظة في قلعه حلب: «... وامتدت الأيدي لنهب أموال الناس التي حصلت بالقلعة ليظن أصحابها أنها تسلم، فكأنهم جمعوا ذلك للعدو حتى لا يتعب في تحصيلها» (۲) . وقوله في حوادث حولية تسع وثمانمائة بشأن التكالب على المنصب: «... ووقع في هذه السنة والتي بعدها والتي قبلها من تلاعب الجهلة بمنصب الحسبة ما يتعجب من سماعه حتى أنه في الشهر الواحد يليه ثلاثة أو أربعة » (۲).

هـ الكشف عن العامل الرئيس في توجيه الحوادث: ومن أمثلة ذلك قوله في حوادث حولية تسع وتسعين وسبعمائة بخصوص موت «قطلقتمر» سكران في الحبس: «... وكان هو رأس هذه الفتنة كلها لأنه أكبر الأسباب في القيام على الأشرف» (3). وقوله في حوادث حولية اثنتين وثمانين وسبعمائة بخصوص استظهار برقوق على بركة: «... ثم استعان برقوق بالزعر فرموا أصحاب بركة بالحجارة، ولولا إعانة العامة لبرقوق برمي الحجارة على أصحاب بركة لأخذوا القلعة، لكنهم استظهروا على بركة ومن معه بالزعر ففعلوا فيهم الأفاعيل من الرجم» (٥). وقوله في حوادث حولية أربع وتسعين وسبعمائة بشأن

⁽١) المصدر السابق ج ٢ ص ١٠٩ - ١١٠.

⁽٢) نفسه ج ٢ ص ١٣٥.

⁽٣) نفسه ج ٢ ص ٣٦٠.

⁽٤) نفسه ج ١ ص ١٥٤.

⁽٥) نفسه ج ۱ ص ۲۱۱.

تقدير السبب في فساد الأسعار ونقص الأموال: «. . . وفيها ضربت بالأسكندرية فلوس ناقصة الوزن عن العادة طمعاً في الربح فآل الأمر فيها إلى أن كانت أعظم الأسباب في فساد الأسعار ونقص الأموال»(١) وقوله في حوادث حولية ثمان وتسعين وسبعمائة بخصوص السبب في حركة المغول إلى الشام: «... وفي هذا الشهر «صفر» وصل أطلمش - قريب تمرلنك - فقبض عليه قرا يوسف التركماني _ صاحب تبرينز _ وأرسله إلى الملك الظاهر فأعتقله، فكانت هذه الفعلة أعظم الأسباب في حركة تمرلنك إلى البلاد الشامية»(٢). ويتأيد ذلك بما ورد في حوادث حولية ثلاث وثمانمائية من قوله: ٥٠٠٠ ثم نازل تمرلنك الشيام وراسل السلطان أن يطلق لـ أطلمش قريبه على أن يطلق جميع من عنده من الأساري ويرحل من البلاد، فامتنعوا من ذلك وظنوا أن ذلك لعجزة عنهم فكرر الطلب مراراً فأصروا، ثم وقعت الحرب بينهم»(٣) وقوله: «... وذكر بعض من يوثق به أنه قرأ في الحائط القبلي بالجامع النوري بحماه منقوشاً على رخامة بالفارسية ما نصه: إن الله يسر لنا فتح البلاد والممالك حتى انتهى استخلاصنا إلى بغداد فجاورنا سلطان مصر والشام، فراسلناه لتتم بيننا المودة فقتلوا رسلنا وظفرت طائفة من التركمان بجماعة من أهلنا فسجنوهم لاستخلاص متغلبينا من أيدي مخالفينا واتفق في ذلك نيزولنا بحماه في العشرين من شهر ربيع الآخر»(٤) وقوله في حوادث حولية ثلاث وثمانمائة بخصوص تدابير السالمي ضد المغول: «٠٠٠ ولقد عدته مهنئاً بسلامته فوجدته مصراً على تحسين أفعاله المستقبحة المقدم ذكرها ويوجه ذلك بأنه لولا أشيع عنه تحصيل الأموال وتجهيز العساكر بها ما رحل تمرلنك عن دمشق، وهذا من غلطاته الظاهرة، فإن رحيل تمرلنك إنما كان لضيق العيش على من معه فخشي أن يهلكوا جوعاً، وإلا فها الذي كان يمنعه من إتباعهم إلى مصر؟»(٥).

⁽١) المصدر السابق ج ١ ص ٤٣٩.

⁽٢) نفسه ج ١ ص ٥٠٩.

⁽٣) نفسه ج ٢ ص ١٣٧.

⁽٤) نفسه ج ۲ ص ۱۳۹ ـ ۱٤٠.

⁽٥) نفسه ج ٢ ص ١٤٤.

وهكذا فإن «ابن حجر» قد عامل الحوادث بمثل ما عامل به التراجم من نقد تنوع تبعاً لتنوع الحوادث وطبيعة كل منها، كما أنه كان معنياً في المقام الأول بتعليل الحدث وإبراز العوامل الفاعلة فيه وتقويمها.

- ٤ -

ويضاف إلى ذلك أن الشواهد الشعرية الواردة في معرض الحوادث وفي ثنايا تراجم الوفيات من حولياته لم تأت اعتباطاً، ولم تملها عليه _ فقط _ ثقافته الأدبية الواسعة، وهواه الفطري المقتضيان أن يكون: ذواقة لـلأدب مشاركـاً فيه راوية له. إذ يمكننا أن نضع أيدينا على اتجاه مغاير لذلك تماماً. وهو أن من وراء هذه الشواهد غاية مدفوعة بحس تأريخي ناقد، فابن حجر وقد خبر العلوم: تأريخاً وأدباً يؤكد بشتى الـوسائـل التعبيريـة التي في مكنته عـلى قضايـا أبرزهـا في أحداث حولياته ولم يستطع التعبير فيها عن رأيه بأكثر مما قيل فيها، أو لأنه أراد أن يوهم مطالع تاريخه أن الذي قاله لم يكن رأياً خالصاً له ساقه من عنده، وإنما كان لسان الحال لدى مجتمعه أو على أقبل تقدير لدى طبقة المثقفين في عصره عامداً إلى تجسيمها وإبرازها في صورة كلية محسوسة بكل جلاء ووضوح، ومن أمثلة ذلك: «الوهن الوظيفي على عهده»، و «معاناة المجتمع المصري في ظل حكامه» و «منازعات العلماء والوقيعة فيما بينهم» . . وسوف نكتف - هنا -بالتمثيل للقضية الأولى، حيث نجد أن دور الأدب في مؤلفه قد أي لترسيخها في الأذهان بدافع الحدث التاريخي لديه، وهو حدث نافذ إلى أغوار المشكلة وجوهر القضية أصاب من خلالها مرماه في الحط على خصم له هو «الشمس ابن عطاء الهروي»، وقد ورد في مواضع عديدة من كتابه حطه عليه والإقلال من مكانته العلمية (١) فيشير إلى ذلك في مناسبة الترجمة لإحدى وفيات (٢) حولية سبع وثمانمائة قائلا:

⁽۱) المصدر السابق ج ٣ ص ص: ٥٧ ـ ٦٢، ٦٢، ١٥٧، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٣ ـ ١٦٦، ١٧٠ ـ ١٧١.

⁽٢) هو: «حرمي بن سليمان الببائي ثم القاهري» ـ ناب في الحكم ودرس بالمدرسة الشريفية، وولي الإعادة بالمنصورية، نزل له عنها بعض العجم. والشعر فيه.

وكان أجهل منه النازل «العجمي» ما سرت من حرم إلا إلى حرمي(١) (البسيط)

قىالوا: تىولى «الببائي» مىع جھالتە فأنشد الجهل بيتاً لست أنكره

وهي قضية تتأكد كذلك _ بالإشارة إلى هذا الذي تقدم عند السلطان إلى أن صار نافذ الكلمة عند كل أحد، وحصل له من الوظائف ما لا مزيد عليه، وهو مع ذلك في غاية الجهل، حتى قيل فيه:

معيد لو كتبت له حروفاً وقلت أعد عليّ تلك الحروف لقصر في إعادته عليها فكيف يعيد في العلم الشريف؟ (٢) (الوافر)

وبعد أن أفصح عن هذه القضية العامة، التي أصابت الوظائف بالوهن من جراء ما شاع في عصره من البرطيل والرشوة وعلى أعلى المستويات، يذكر من تضاعيفها دعموى تهمه، وهي الحط على «الهروي» اللذي تـولى منصب قضاءً الشافعية _ وهو منصب يمت «ابن حجر» إليه بصلة المذهب. وقد تقلد مهامه في فترات متعددة _ كذلك _ فنراه يسير في ذلك خطوات متتالية تفضى إلى هـذه النتيجة إبتدأها بالإشارة إلى أنه قد وقع في مجلس السلطان رقعة كتب فيها:

> هـذا أقاربه عـقارب وابنه غطوا محاسنه بسوء صنيعهم وأخمو همراة بسيمرة الملنك اقتمدى لا درســه يــقــري ولا أحـكــامــه فافرج هموم المسلمين بشالث

يا أيها الملك المؤيد دعوة من مخلص في حبه لك ينصح أنظر لحال الشافعية نظرة فالقاضيان كلاهما لا يصلح وأخ وصهر فعلهم مستقبح ومتى دعاهم للهدى لا يفلح وله سهام في الجوارح تجرح تدري ولاحين الخطابة يفصح فعسى فساد منهمو يستصلح (الكامل)

⁽١) المصدر السابق ج ٢ ص ٣٠٤.

⁽٢) نفسه ج ١ ص ١١٣ ـ والمقصود به «صالح بن أحمد بن عبدالله، علم الدين الأسنوي».

وذيل على ذلك بقوله: «... وكانت هذه الأبيات إبتداء سقوط الهروي من عين السلطان، وكانت أعجبت السلطان حتى صار يحفظ أكثرها ويكرر قوله: أقاربه عقارب». (١)

ومعلوم أن «ابن حجر» مطعون عليه بنسبة هذه الأبيات إليه. (٢) ومن المطعون عليهم في البيت الثالث ما ورد «لابن حجر» فيهما شعراً في واقعة قال فيها:

مات جلال الدين قالوا: ابنه يخلفه أو فالأخ الراجح فقلت: «تاج الدين» لا لائق لمنصب الحكم ولا «صالح»(٣)

معلقاً على ذلك بقوله: «... فكان كما قلت: فإنه تولى وظهر منه التهور والإقدام على ما لا يليق، وتناول المال من أي جهة كانت حلالاً أم حراماً، ما لا كان يظن به، ولا ألف الناس نظيره من أحد نمن ولى قضاء الشافعية بالقاهرة في الدولة التركية «⁽³⁾.

ثم نجده يتحين الفرصة _ بعد ذلك _ للحط على «الهروي» عندما يترجم الإحدى وفيات (٥) حولية ثمان وعشرين وثمانمائة قائلاً:

«. . . من نظمه لما عزل البلقيني بالهروي واتفقت الزينة للمحمل فعلق

⁽١) المصدر السابق ج ٣ ص ١٦٤.

⁽٢) رجع «البدر العيني» نسبة هذه الأبيات لابن حجر قائلاً: «... وبعضهم نسبها إلى الشيخ شهاب الدين ابن حجر، والظاهر أنه هو» _ عقد الجمان ج ١٩ ق ١٦١ ب _ كها ينسبها لابن حجر كل من: السخاوي في الجواهر والدرر ق ٢٣١ ب، والسيوطي في حسن المحاضرة ج ٢ ص ١٧٢، وبغية الوعاة ج ٢ ص ١٦٤، ود. حسن حبثي في الحاشية رقم ١ ج ٣ ص ١٦٤ من الإنباء.

⁽٤) ابن حجر. إنباء الغمرج ٣ ص ٢٨٠.

⁽٥) هو «شعبان بن محمد بن داود المصري».

شخص يسمى الترجمان على باب بيته حماراً بسرياقات على رؤوس الناس بأحسن هيئة للفرجة عليه، فقال:

أقام الترجمان لسان حال عن الدنيا يقول لنا جهارا زمان فيه قد وضعوا جلالاً عن العليا وقد رفعوا حمارا(۱) (الوافر)

ثم نجدنا لا نعجب بعد كل هذا أن مثل لنا فرحة الناس بعزل الهروي بجلال الدين البلقيني، وعودة البلقيني إلى القضاء، وهو ما يشير إليه في وفيات حولية سبع وثلاثين وثمانمائة (٢) قائلاً عن إحدى وفياتها (٣):

«... ومن نظمه في القاضي جلال الدين لما أعيد إلى القضاء بعد الهروي في سنة إثنتين وعشرين (وثمانمائة):

عود الإمام لدى الأنام كعيدهم بل عود لا عيد أعيد مشاله أجلى جلال الدين عنا غمة زالت بعون الله جلّ جلاله (الكامل)

0

. وهكذا فإن «ابن حجر» كان من المؤرخين المنصفين في النقد، يظهر ذلك من حرصه على نقل آراء الموافقين والمخالفين في المترجم له نشداناً لاكتمال صورته لدى مطالع تاريخه، وهو طابع عام يشيع في كتاباته التاريخية، خاصة «الإنباء» موضع الدراسة.

وفي حرصه على مناقشة مصادره فيها أوردته من تقاويم وأحكام مناقشة منهجية نشدانا للحق والصواب كنحو قوله في ترجمة «التقي ابن رافع» (ت ٧٧٤ هـ.): «... وذكر لي شيخنا العراقي أن السبكي كإن يقدمه (على ابن

⁽١) المصدر السابق ج ٣ ص ٢٥٤.

⁽٢) نفسه ج ٣ ص ٥٣٠.

⁽٣) هو «قاضي مكة _ جمال الدين القرشي».

كثير) لمعرفته بالأجزاء وعنايته بالـرحلة والطلب. قلت: والإنصاف أن ابن رافع أقرب إلى وصف الحفظ على طريقة أهل الحديث من ابن كثير لعنايته بالعوالي والأجزاء والوفيات والمسموعات، وابن كثير أقرب إلى الوصف بالحفظ على طريقة الفقهاء لمعرفته بالمتون الفقهية والتفسيرية دون ابن رافع، فيجتمع منها حافظ كامل، وقل من جمعهما بعد أهل العصر الأول كابن خريمة والطحاوي وابن حبان والبيهقي ، ومن المتأخرين شيخنا العراقي» (١) أو تفنيده للكثير من عبارات مصدره الناقدة، معللًا، نشداناً لإنصاف المترجم لهم، كنحو قوله في تسرجمة «يشبك بن أزدمر» (ت ٨١٧ ه..): «...وكان مشهوراً بالشجاعة والفروسية. . . وقال العينتاب: كان ظالمًا لم يشتهر عنه خير، كـذا قال. وقـد باشر الشيخونية ورأيت أهلها يبتهلون بالدعاء له والشكر منه»(٢) وحرصه على الدقة في إثبات الإسم الصحيح للمترجم له مع تتبع سلسلة نسبه ومناقشتها حتى مع أخذه لمادتها عن المترجم له، على نحو ما ورد في تسرجمته للفيسروزبادي (ت ٨١٧ هـ.): «. . . كان يرفع نسبه إلى الشيخ أبي إسحق الشيرازي صاحب التنبيه ويذكر أن بعد «عمر» أبا بكر بن أحمد. . . ولم أزل أسمع مشايخنا يطعنون في ذلك مستندين إلى أن «أبا إسحق» لم يعقب، ثم ارتقى الشيخ مجد الدين درجة فادعى _ بعد أن ولى القضاء باليمن مدة طويلة _ أنه من ذرية أبي بكر الصديق، وزاد إلى أن قرأت بخطه لبعض نوابه في بعض كتبه: «محمد الصديقي» ولم يكن مدفوعاً عن معرفة إلا أن النفس تأبي قبول ذلك». (٣) أو تعديله لمادة عنصره وقد أثبتها في صورتها الأولى نتيجة لما حصله من مادة مصوبة له، كنحو قوله في ترجمة «الشمس الصالحي» (ت ٨٤٣ هـ.): «... الصالحي، صالحية مصر بالشرقية. هكذا كنت أظن، ثم ذكر لي أخوه شهاب الدين أحمد أنهم ينسبون إلى قرية يقال لها: منية أم صالح بناحية مبلج من الغربية، وإلى حارة الصالحية بالبرقية داخل القاهرة»(٤). وإيراد حكمه أو تقويمه لشخصيات

⁽١) المصدر السابق ج ١ ص ٤٩ تر ٣٠.

⁽۲) نفسه ج ۳ ص ۵۱ تر ۱۸.

⁽٣ُ) نفسه ج ٣ ص ٤٧ تر ١٦ .

⁽٤) نفسه ج ٩ ص ١١٧ (ط. الهند).

عصره معللًا لقوله فيهم وليس مجرداً كنحو قوله فيها مر بك آنفاً من فساد أحوال المملكة في عهد النظاهر برقوق معللًا ذلك بحرصه على البرطيل والبدل على الوظائف، وعدم وثوقه في صدق بشارة من بشر «الظاهر برقوق» برؤيا النبي لله عليه وسلم له وإخباره بنصره. . وقوله بشأن تدابير السالمي بخصوص المغول.

والحق أن «ابن حجر» كان شخصية مطبوعة على الإنصاف في البحث معجبة به نتيجة لما طبعه الله عليه من صفاء الذهن ورهافة الحس، والتبضر بالأمور التي عالجها في الكتابات التاريخية، وما توفر له من سعة الإطلاع وتعدد جوانب الثقافة.

_ 7 _

ومع ذلك فقد يقع له الخطأ في بعض مواضع من تراجم وفيات حولياته نتيجة لسهو يعتريه، على النحو الذي تتبعه منبها إليه تلميذه «السخاوي» في «الضوء اللامع» (۱) أو نتيجة لأنه: «لم يكن ممن يتوجه إلى هذا النوع (من الكتابة التاريخية) بالكلية، ويقلد في كثير منه، بعض من يغلب على ظنه يثبته وقد لا يكون ذلك شاهده، بل يلقاه غير ضابط» على نحو ما أشار إليه السخاوي في ترجمته لشيخه في «الجواهر والدرر» (۲).

⁽۱) من ذلك نص «السخاوي» في الضوء اللامع - ج ٧ ص ٩٦ - ٧٧ تر ١٩٣ - في تسرجمة «الكازروني» (ت ٨٣٤ هـ.) على أن «ابن حجر» سمي والده عبدالله سهواً، ويقابله لدى ابن حجر. إنباء الغمر ج ٩ ص ١١٧ (ط. الهند) وتأريخه لوفاة ناصر الدين القرشي بسنة ثلاث وعشرين وثمانمائة، على حين أن الصواب تأريخ وفاته بيوم الخميس عاشر رجب من التي قبلها (الضوء اللامع ج ٧ ص ١٤٧ تر٧- الإنباء ج ٣ ص ٢٣١ تر٩)، وترجمته لمحمد بن أيوب بن عبد القادر مبيضاً في الإنباء (ج ٢ ص ٢٥١ تر ٢٩) على حين أنه لا يدخل في الحيز الزماني للإنباء (٣٧٧ - ١٥٠ هـ.) لوقوع وفاته في سنة خمس وسبعمائة للهجرة، كما أن جده عبد القاهر لا عبد القادر ـ السخاوي. الضوء اللامع ج ٧ ص ١٤٨ ـ ١٤٩ تر ٣٦٨. إلى غير ذلك مما هو مثبت في الضوء اللامع.

⁽٢) السخاوي. الجواهر والدررق ١٨٢ ب ـ ١٨٣ أ.

ويمكن أن يضاف إلى ذلك أن ولعه بالنقد الأدبي في كتابه وتوظيف للأدب في التأريخ ونقده قد جعله يجانب الصواب في بعض مواضع نذكر منها ما ورد في حوادث حولية ثلاث وثمانين وسبعمائة بخصوص كائنة «ابن القماح» من قوله:

«...وفيها كائنة ابن القماح البزار بقيسارية جركس، وكان قد تعامل هـو والبواب فصار يفتح له القيسارية بالليل ويغلق عليه، فيفتح حوانيت التجار ويأخذ منها ما يـريد إلى أن كـثر ذلك وافتضح، فعثروا عليـه فأمسـك وضرب بالمقارع وولده وسجنا بخزانة شمائل، وكانت سلامته من القطع من العجائب. وفي ذلك يقول بدر الدين ابن الصاحب مضمناً، وكان بلغه أنه عثر فسقط فانكسرت يده:

فأعلنت أختها بالويل والغسير فجاءها الكسر يستقصي عن الخبسر (البسيط)

قالوا بأن يد القماح قد كسرت تأخر القطع عنها وهي سارقة

وقد اهتدم ذلك برمته من البيتين السائرين في تاريخ ابن خلكان:

فجاءها الكسر يستقصي عن الخبر»(١) (البسيط)

إن العماد بن جبريل أخاعلم له يد أصبحت مذمومة الأثر تسأخمر القسطع عنهما وهي سسارقنة

وتجدر الإشارة هنا إلى أمور هي:

١ ـ أن هذا الخبر قد اشتمل على نقد مركب، تعاونت في إيراده مكونات صاحبه: النفسية، والدينية، والأدبية _ على إعتبار أنه كان إماماً للمسلمين له نهج إصلاحي واضح، وقومات في الحق، وعلى إعتبار شمولية ثقافته للنواحي الدينية والأدبية، وعلى إعتبار ما لديه من ملكة أدبية ناقدة، وولع بتتبع الشعراء لمعرفة مصادر تضمين ما يقرضونه، فضلًا عن كونه شاعراً مجيداً ـ فكان الشق

⁽١) ابن حجر. إنباء الغمرج ١ ص ٢٣٦ - ٢٣٧.

الأول من نقده: «... وكانت سلامته من القطع من العجائب» معبراً عن هذا الشعور الديني لديه، حيث ظاهر الحكم الشرعي بين: «السارق والسارقة فاقطعوا أيديها...» (٣٨: المائدة) وقد ثبتت عليه جريمته بما يوجب فيه القطع، ويعزز وجهة الإستغراب هذه في ذلك وجعل هذا من العجائب حدوثه في بلد الخلافة الإسلامية، وفيها خليفة المسلمين، وعلماء الشرع.. مما يبين ـ كللك عيرته على الشرع منعاً لشيوع المفاسد. وبالتالي يبين حالته النفسية كرجل دين. وأما الشق الثاني: «... وقد إهتدم ذلك برمته من البيتين السائرين في تاريخ ابن خلكان» (١) فيشير إلى إتساع ثقافته، والتي تعدت التأريخ إلى الأدب ـ كذلك.

٢ - أن «ابن حجر» قد وظف الأدب في التأريخ ونقده، حيث لم يقتصر على نقد الإنفعال الأدبي المقلد المصاحب للوقعة التاريخية المثبتة لديه ـ والمذي تفرد بإيراده دون مصادره المعروفة لدى ـ وإنما الأهم من ذلك أنه إعتمد الشعر الملتبس بهذه الوقعة في التأريخ لها وتقييمها إهمالاً لمصدره التأريخي، والذي ربما ناقضه فكان «إستغراب القطع وعده من العجائب» و «كان الكسر جزاء لتأحر القطع» إستناداً إلى الشاهد الشعري المثبت لديه، حيث ورد الخبر نقيض ذلك تماماً لدى المقريزي (٢) متضمناً أموراً منها:

أ ـ أن السرقة لم تكن متكررة، وإنماحدثت في ليلة الجمعة خامس ذي الحجة سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة، فأصبح الناس بالقيسارية وهي مفتحة الحوانيت. ويؤيد ذلك قول ابن دقماق(٣): «...فمسك صبيحة تلك الليلة التي أخذ فيها».

ب ـ أن كسر يده كان قبل حكم الشرع فيه: «. . . ورفع التجار شكواهم إلى الأمير الكبير، فاشتد ضيقه علي والي القاهرة وألزمه بإخراج السارق، فبينها هو في الفحص عن «ابن القماح» إذ دله شخص على موضعه فركب إليه في يـوم

⁽١) ابن خلكان. وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٤.

⁽٢) المقريزي. السلوك ج ٣ ص ٤٥٨ ــ ٤٦٠.

⁽٣) ابن دقماق. الجوهر الثمين ـ محط . حكيم أوغلي ق ١٧٠.

الاثنين ثامنه وأحاط بالبيت الذي هو به، فألقى نفسه من علو البيت يريد النجاة فانكسرت يده وقبض عليه وعلى ولده أحمد وعلى الأقفالي الذي فتح له الحوانيت».

جــأن الشرع لم يوجب فيه القطع: «... وضرب ابن القماح وولده مراراً وسنجن في خزانة شمائل، فإنه لم يجب عليه القطع شرعاً لأنه كان يقول عن الأقفالي: هذا ناولني من الحوانيت».

وهذا يشير بلا ريب إلى أن «ابن حجر» قد أغفل الرواية التاريخية لدى مصدر صرح في غير موضع بالإطلاع عليه وعلى مصدره والأخذ عنها ـ كذلك ـ إستناداً إلى تفضيل مصدر آخر، وهو ما صاحب الواقعة التاريخية من إنفعال أدبي مقلد، فبنى حكمه وتقديره على أساسه، بل ربما يكون قد انتهج هذا النهج خصيصاً لإثبات نقده للشاهد الأدبي بما إهتدم به من شعر إطلع عليه لدى ابن خلكان.

الفصل السادس العلاقة بين «إنباء الغمر» والمؤلفات التاريخية الأخرى «لابن حجر»

أولاً ـ الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ثانياً ـ ذيل الدرر الكامنة ثانياً ـ زفع الإصر عن قضاة مصر ثالثاً ـ المجمع المؤسس للمعجم المفهرس

الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة(١)

ويسمى ما أيضاً ما الوفيات الكامنة لأعيان المائة الثامنة (٢) فرغ «ابن حجس» من تأليفه في مجلدة سنة ثلاثين وثمانمائة للهجرة، ثم رجع إليه مضيفاً وملحقاً إلى سنة سبع وثلاثين وثمانمائة، ومع ذلك فإنه لم يكمل الغرض من الإلحاق لبقايا من الترجمات في الزوايا التي لم يستوعبها (٣).

ويبدو أنه كان ينتوي تخريجه في أربعة مجلدات، لكن لم يتيسر له ذلك، حيث بيض في مجلدتين فقط^(٤).

⁽۱) لم أتمكن من الحصول على نسخة بخط المؤلف، أو نسخة عنه تكون مكتملة إذ الموجود من هذا الكتاب مخط. حيدر آباد بالهند رقم ۲۸۳ رجال ويمشل النصف الأول من الكتاب، ابتداء بأوله وانتهاء بترجمة «عطية بن المكين إسماعيل بن عبد الوهاب، وهو بخط «الشمس السخاوي» ويقع في ٢٥٠ ورقة مسطرتها حوالي ٢٥ سطراً، ومقاسها ١٣ × ١٩ سم، وعنه مصورة معهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ١٩٤٤ تاريخ، ومخط. مكتبة المطاهر بس عاشور سرحمه الله بتونس، ويمثل النصف الثاني من نسخة خطية أخرى كتبت في القرن التاسع الهجري تنقص من آخرها وتبتديء بترجمة علي بن إبراهيم بن أسد المصري، وتنتهي في أثناء ترجمة يوسف بن محمد العنسي، وتقع في ٢٦٢ ورقة مسطرتها حوالي ٢٩ سطراً، ومقاسها ١٨ × ٢٦ سم، وعنها مصورة معهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ١٤٤٤ تاريخ، كما قدر لهذا الكتاب أن يختصر على يد «الجلال السيوطي» و «ابن المبرد»، وأن تنشره دائرة المعارف الإسلامية بحيدر آباد الدكن، بالهند في أربع مجلدات فيها بين عامي ١٣٤٨ و ١٣٥٠ هـ. وأن يطبع بعد ذلك في القاهرة.

⁽٢) السخاوي. الجواهر والدررق ١٨١ أ.

⁽٣) ابن حجر. الدرر الكامنة ج ٤ ص ٤٩٠، حاجي خليفة. كشف الظنون ج ١ ص ٧٤٨.

⁽٤) السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٨١ أ.

ا _ إشتراك كل منهما في إيراد الترجمات حسب حروف الهجاء داخل الحرف الواحد في الدرر الكامنة، والحوليات في الإنباء، مع الإتيان بترجمات الحرف الواحد في الدرر الكامنة، وكذا الترجمات المرتبة على الكنى والألقاب.

٢ - إنعدام التوازن بين ترجمة وأخرى من حيث الحيز المكاني الذي تشغله، فقد تأتي ترجمة شاغلة لبضع ورقات (١) بينها تأتي أخرى شاغلة لبضعة أسطر (٢) أو مترجمة في أقل من السطر (٣). وبالتالي فإنه لم يعن بالموازنة بين المساحة التي تشغلها الأسهاء المرتبة على الحروف في الكتاب، وهي بمثابة أبواب أو فصول فيه.

٣- تنوع مصادره بين مؤلفات سابقة (١) وطباق (٥) وإستدعاءات وإجازات (٦) وخطوط ووثائق (٧) ورواية شفهية (٨) ومؤلفات المترجم له (٩). مع العناية بالموازنة بين هذه المصادر وتقدير أهميتها (١٠).

⁽١) من أمثلة ذلك ج ١ ص ١٤٤ ـ ١٦٠ تر ٤٠٩ .

⁽٢) من أمثلة ذلك ج ١ ص ٣٤٠ تر ٨٤٧.

⁽٣) من أمثلة ذلك ج ١ ص ٣٨٦ تر ٩٨٠ .

⁽٤) نفسه في مواضع كثيرة، حيث صرح ببعض مصادره في مقدمة «الدرر الكامنة» ثم عمد بعد ذلك إلى إسناد غالبية النقول إلى مصادرها بعبارات واصطلاحات منها قوله _ ج ٢ ص ٤ تر ١٤٧٦: «. . . قرأت ذلك بخط الشيخ تقي الدين السبكي. . . كذا قال تاج الدين السبكي»، وقوله _ ج ٢ ص ٦٥: «قسال النهبي في المعجم ص ٢٦: «وبخط الزركشي في . . . »، وقوله _ ج ٢ ص ٦٥: «قسال النهبي في المعجم المختص: . . . »، و«ذكره الذهبي وقال: . . . » - نفسه ج ٢ ، ص ٦٥ « . . . نقلته من ذيل سيرالنبلاء » نفسه ج ٢ ص ٢٥، وقوله: « . . . وقوله : « . . . ذكرها ابن الكويك في مشيخته » ـ نفسه ج ٢ ص ١٢٨، ولعل مما يشير إلى الأمانة في النقل والإنتساب إلى المصادر قوله: « . . . وقد رأيت بخطي ولا أدري من أين نقلته : وكانت وفاته سنة ٥٥٥، فالله أعلم » _ نفسه ج ٢ ص ٣٣ تر ٢٥٥١.

⁽٥) نفسه ج ٢ ص ١٢.

⁽۲) نفسه ج ۲ ص ۳۰۱.

⁽۷) نفسه ج ۲ ص ۳۸، ۱۸۷، ۲۹۷.

⁽۸) نفسه ج ۲ ص ۱۳۱، ۱۲۷، ۲٤۲ ـ ۲٤۳.

⁽٩) نفسه ج ٢ ص ٨٦.

⁽١٠) من ذلك قوله في ترجمة ابن فهد الحلبي: «... مات يوم عرفة أو قبله في ليلة سابعة، وأرحمه

٤ ـ الإعتناء بالنقد التأريخي والأدبي وممارسته في سائر جوانب الكتاب.

٥ ـ حرص «ابن حجر» على إثبات علاقاته بالمترجم لهم فيه، كنحو قوله في الترجمة «لابن الكيال: «... خرجت له مشيخة عن نحو ثمانين شيخاً» (١).

7 - دخول كثير من الترجمات الواردة في الدرر الكامنة في الحيز الزماني للإنباء المصاحب للإنباء. في حين تشكل الترجمات الخارجة عن الحيز الزماني للإنباء بعداً تاريخياً له باعتبار ما بين شخصياتها ومن تلاهم وفاة من علاقات، خاصة من كان من الشخصيات الدينية والتي أجمل «ابن حجر» في المقدمة التنويه بها قائلاً: «. . . إذ الكثر منهم شيوخ شيوخي»، كما يشكل الإنباء بدوره بعداً تاريخياً لترجمات الدرر الكامنة الداخلة في حيزه الزماني لاحتوائه على الحوادث بما فيها من مادة مكملة لعناصر تلك الترجمات، ومن الأدلة على ذلك الإحالة في «الدرر الكامنة» إلى «الإنباء» في بعض مواضع، منها قوله في ترجمة «يلبغا الناصري»: «. . . وقد ذكرنا في التاريخ المسمى إنباء الغمر بأنباء العمر في الحوادث أتم من القصري من إنباء الغمر» (الكامنة» على نقل ترجمة «أحمد بن علي بن عسكر القصري من إنباء الغمر» (الكامنة)

٧ ـ التطابق بين كثير من ترجمات «الإنباء» و «الدرر الكامنة»، كنحو قوله في «الدرر الكامنة»: «إبراهيم بن أحمد بن إسماعيل الجعفري الدمشقي الحنفي، برع في الفقه وناب في الحكم ودرس. مات في المحرم سنة ٧٧٤»(٤). مقابلاً

⁼ شيخنا في شوال سنة ٢٦٠ والأول أقوى لأنه قول الصفدي وهو أخبر به» -نفسه ج ١ ص ٧٧، تر ١٩٠ وقوله في تسرجمة البهاء ابن العجمي : (. . . ومات بحماه في سنة ٧٧٠ وهـ و ابن ستين، وأرخه شهاب الدين ابن حجي سنة ٧٧١ وهـ و الصواب، والأول من غلط النسخة» - نفسه ج ١ تر ٨٤٢ ص ٣٣٨.

⁽۱) نفسه ج ٤ ص ٤٤٢ تر ١٢١٩.

⁽٢) نفسه ج ٤ ص ٤٤٤ تر ١٢١٩.

⁽۳) نفسه ج ۲ ص ۲۱۷ ـ ۲۱۸ تر ۵۵۵.

 ⁽٤) نفسه ج ۲۱ ص ۸ تر ۳.

بقوله في الإنباء: «إبراهيم بن أحمد بن إسماعيل الجعفري الدمشقي الحنفي، برع في الفقه وناب في الحكم ودرس. مات في المحرم» (١).

٨ ـ علي حين نجده في مواضع أخرى مسهباً في «الإنباء» مقتضباً في «الدرر» أو العكس، ومن أمثلة الأول قوله في الإنباء: «أحمد بن إبراهيم الكتبي الصالحي من فضلاء الحنفية، وكان يشارك في فنون ويفتي ويناظر، وكان لازم أبا البقاء السبكي مدة وقرأ عليه في الكشاف، وهو المشار إليه في كتابة السجلات. مات في رجب» (٢٠). مقابلًا بقوله في الدرر الكامنة مقتضباً: «أحمد بن إبراهيم الكتبي الصالحي، كان من فضلاء الحنفية. مات في رجب سنة ٧٩٥» (٣). ومن أمثلة الثاني قوله في الدرر الكامنة بشأن ابن العديم مسهباً: «إبراهيم بن محمد بن عمر بن عبد العزيز بن محمد بن أحمد بن هبة الله بن أحمد بن يحيى بن زهير العقيلي الحلبي، جمال الدين بن العديم بن ناصر الدين بن كمال الدين، من بيت كبيرمشهور بحلب. ولـد في سادس ذي الحجـة سنة ٧١١ تقـريباً، وسمـع صحيح البخاري على الحجار بحماه، وعلى العز إبراهيم بن صالح بن العجمى عشرة الحداد، وسمع من الكمال بن النحاس، وحفظ المختار، وولى قضاء حلب بعد أبيه في سنة ٧٥٧ إلى أن مات، إلا أنه تخلل في ولايته أنه صرف مرة بابن الشحنة. قال علاء الدين في تاريخه: كان عاقلًا عادلًا في الحكم خبيراً بالأحكام عفيفاً كثير الوقار والسكون إلا أنه لم يكن ناقداً في الفقه ولا في غيره من العلوم مع أنه درس بالمدرسة المتعلقة بالقاضى الحنفي كالحلاوية والشاذبختية، وكان بحفظ المختار ويطالع في شرحه. وقرأت بخط البرهان المحدث أن ابن العديم هذا ادعى عنده مدع على آخر بمبلغ فأنكر فأخرج المدعى وثيقة فيها أقر فلان بن فلان. فأنكر المدعي عليه أن الإسم المذكور في الوثيقة إسم أبيه. قال له: فما إسمك أنت؟ قال: فلان. واسم أبيك؟ قال: فلان. فسكت عنه القاضى وتشاغل بالحديث مع من كان عنده حتى طال ذلك.

⁽١) ابن حجر. إنباء الغمرج ٢ ص ٣٧ تر ١ .

⁽٢) نفسه ج ١ ص ٤٥٧ تر ٢ .

⁽٣) نفســـه الدرو الكامنة ج ١ ص ٩٧ تر ٢٦٣.

وكان القاريء يقرأ عليه في صحيح البخاري. فلما فرغ المجلس صاح القاضي: يا بن فلان. فأجابه المدعي عليه مبادراً، فقال له: إدفع لغريمك حقه. فاستحسن من حضر هذه الحيلةالتي إستغفل المدعي عليه حتى التجأ إلى الإعتراف. وكانت وفاته في سادس عشري المحرم سنة ٧٨٧. وقرأت بخط البرهان الحلبي: كان من بقايا السلف وفيه مواظبة على الصلوات في الجامع الكبير، نظيف اللسان وافر الفضل طويل الصمت والمهابة في غاية العفة مع المعرفة بالمكاتيب والشروط، كبير القدر عند الملوك والأمراء، له مكارم ومآثر، وكان كثير النظر في مصالح أصحابه (۱). ويقابله في الإنباء قوله مقتضباً: «إبراهيم بن محمد بن عمر بن عبد العزيز بن محمد بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي الحلبي المعروف بابن العديم. كمال الدين بن ناصر الدين بن كمال الدين، سمع من الحجار وحدث عنه، وكان هيئاً ليناً ناظراً إلى مصالح أصحابه، ناب عن والده مدة بحلب، ثم استقل بعد وفاته. ومات عن نيف وسبعين سنة (۱).

وطبيعي أن ينتج عن ذلك التكامل بين المعلومات الواردة في كليها بشأن الترجمة للشخص الواحد ليتضح فكر «ابن حجر» وموقفه منه مضافاً إليه إستكمال العناصر المشكلة لمادة ترجمته. بل نجد تحقق مثل هذا لدى «ابن حجر» في التراجم المتناظرة من حيث الحيز المكاني الذي تشغله، كنحو قوله في «الإنباء» مترجماً لابن بلبان مقارناً بنظيره في «الدرر»، حيث الوارد في الإنباء قوله: «أحمد بن بلبان بن عبدالله، شهاب الدين الدمشقي المالكي الفقيه المفتي كاتب الحكم، مات في صفر وخلف مالاً كثيراً» (عيق المه في الدرر الكامنة قوله: «أحمد بن بلبان كاتب الحكم المالكي. كان يفتي وله مروءة. مات في صفر سنة «أحمد بن بلبان كاتب الحكم المالكي. كان يفتي وله مروءة. مات في صفر سنة

⁽١) المصدر السابق ج ١ ص ٦٤ ـ ٢٥ تر ١٧٢.

⁽٢) نفســه. إنباء الغمرج ١ ص ٣٠٤ تر ١.

⁽٣) نفسه ج ١ ص ٢١ تر٢.

⁽٤) نفسه . الدرر الكامنة ج ١ ص ١١٦ تر ٢٣١ .

وهنا نجد أن الدرر الكامنة قد أضاف «وله مروءة» ناعتاً بها المترجم له بينما إنفرد الإنباء بتتمة إسم مترجمه، والتصريح بلقبه، والكشف عن حاله حال الوفاة: «وخلف مالًا كثيراً».

9 - كما يتعاون الدرر الكامنة مع الإنباء في الكشف عن مصادر المادة في كل منهما ومن أمثلة ذلك كشف الإنباء عن المصدر المسكوت عنه في الدرر الكامنة بشأن الترجمة للمراقي، حيث الوارد في الدرر قوله فيه دون إنتساب إلى المصادر: «إبراهيم بن الحسن بن عمر بن حمود البعلي، ثم المراقي. سمع من ابن الشحنة وغيره. مات في صفر سنة ٢٧٧»(١). بينما صرح بالمصدر في ترجمته له في الإنباء قائلاً: «إبراهيم بن حسن بن عمر بن حمود البعلي ثم المراقي، سمع من الحجار، وسمع منه ابن حجي وأرخه في صفر»(١). وما مر من التصريح بالمصادر في الترجمة لابن العديم من الدرر الكامنة مع السكوت عنها في ترجمته من الإنباء.

١٠ - ويتعاون «الدرر الكامنة» مع «الإنباء» - كذلك - في الكشف عن المنهج المتبع لدى «ابن حجر» في ترك البياضات والفراغات لمعلومات وتتمات تأتي بعد لم يقدر له ملؤها، حيث أن العنصر المسكوت عنه في أحدهما - غالباً ما يوجد لدى المصدر الآخر وقد بيض له مما يشير إلى عدم معرفة «ابن حجر» به، وتركه مكاناً له لعله يدركه، ومن أمثلة ذلك قوله من الدرر الكامنة في ترجمة «البرهان الأخنائي» مبيضاً لتاريخ مولده: «... ولد بالقاهرة سنة... وتفقه» (٣). بينها أسقط هذا العنصر كلية من ترجمته في الإنباء (٤).

۱۱ ـ ويضاف إلى ذلك وجود بعض تناقضات بين جوانب من الترجمات الواردة في الدرر الكامنة مع ما يقابلها من نظيراتها من الإنباء، ومنها التأريخ

⁽١) المصدر السابق ج ١ ص ٢٣ تر ٥٢.

⁽٢) نفسه. إنباء الغمرج ١ ص ٧٨ تر ٢ .

⁽٣) نفسه. الدرر الكامنة ج ١ ص ٥٨ ـ ٥٩ تر ١٥٦.

⁽٤) نفسه. إنباء الغمرج ١ ص ١٠٨ تر٣.

لوفاة «محمد بن عمر بن رسلان» في الدرر الكامنة بشعبان سنة تسع وثمانين وسبعمائة (١٠). في حين أن الوارد في «الإنباء» أنه مات في سابع عشري شعبان سنة إحدى وتسعين وسبعمائة» (٢). وتأريخه لوفاة «الوادي آشي» في الدرر الكامنة في حدود التسعين وسبعمائة (٣). على حين أن الوارد في «الإنباء» أنه مات سنة ثمان وثمانين وسبعمائة (٤). وتأريخه قتل البدر الزواوي «في أواخر سنة أربع أو أوائل سنة ٥٥٥» (٥) بينها يقابل ذلك في الإنباء التصريح بموته في أوائل سنة أربع وسبعين وسبعمائة (١٠). مما يكشف عن عدم الدقة في تحري التأريخ في مثل تلك المواضع المختلف فيها، فضلاً عن تأرجحه في تأريخ الوفاة في مواضع كثيرة من المواضع المختلف الكامنة (٧).

⁽١) المصدر السابق. الدرر الكامنة ج ٤ ص ١٠٥ تر ٢٨٨.

⁽٢) نفسه. إنباء الغمرج ١ ص ٣٨٩ تر ٣٧.

⁽٣) نفســـه. الدرر الكامنة ج ٤ ص ٢٠٠ تر ٥٤٦ .

⁽٤) نفسه. إنباء الغمرج ١ ص ٣٢٨ تر ٣٥.

⁽٥) نفســه . الدرر الكامنة ج ٤ ص ٥٨ تر ١٦٣.

⁽٦) نفسه. إنباء الغمرج ١ ص ١٥ تر ٣٦.

⁽٧) كنحو تأرجحه في التأريخ لوفاة «البدر الـزواوي» ـ الآنف الذكـر ـ و«محمدبن شقري» ـ الدرر الكامنة ج ٤ ص ١٦٠ تر ٤٢٦ .

⁽٨) من ذلك ج ٣ ص ١٦ تر ٢٧ .

«ذيل الدرر الكامنة»

جاء في مقدمته قوله:

« . . . أما بعد ، فإني كنت علقت تاريخاً خاصاً بأعيان المائة الثامنة _ التي ولدت في أثنائها _ فلما شارف أن يكمل رأيت المائة التي تليها قد دخل منها أكثر من الثلث ، فأردت أن أضع على ذلك الأول ذيلاً يشتمل على الأعيان المختصة بالثاني فالتمس مني بعض الأحبة الأعزة أن أجعل هذا الثاني على السنين ليتحقق عليه إستيعاب المائة التاسعة ، فأجبت سؤاله وأوردتهم بهذا التعليق سيما من اطلعت على خبره .

ولم أتبسط لتراجم الشاميين إكتفاء بما كتبه لي مؤرخها حفظه الله تعالى آمين»(١).

⁽۱) اعتمدت هذه الدراسة على مخطوطة بخط «ابن حجر» محفوظة في دار الكتب والوثائق المصرية تحت رقم: ٦٤٩ تاريخ ـ تيمورية، وتقع في ٢٢٧ صفحة ـ رقمت ترقيباً حديثاً ـ مقاسها ١٠ × ١٥ سم، ومسطرتها تتراوح بين ١٦ و ٢١ سطراً، وتأتي الصفحتان ١٢٠، ١٢١ ـ في أثناء ترجمة «ابن السطريني» (ت ٨١٣ هـ/١٤١ م) ـ خلواً من الكتابة سهواً كيا أشار إلى ذلك «ابن حجر» فيهما، وكما يتضح من صلة وتتابع ما قبلها بما بعدهما. ويأتي النص فيها ابتداء بصفحة «٢» وقد سبق بورقتين أشير فيها ـ بخط نسخي مغاير ـ إلى أن «هذا الكتاب بخط مؤلفه شيخ الإسلام حافظ العصر قاضي القضاة شهاب الدين ابن حجررهم الله تعالى، وهو تاريخ المائة التاسعة، وهو الذيل على الدرر الكامنة تاريخ المائة الثامنة»، وإلى أنه «وصل فيه إلى سنة ٨٣٢ هـ» كها خط عليهها تمليك «لمصطفى أحمد بن عب الدين»، ووقفية «لأحمد بن إسماعيل بن تيمور». . وبعض عليهها تمليك «لمصطفى أحمد بن عب الدين»، ووقفية «لأحمد بن إسماعيل بن تيمور». . وبعض عليهها تمليك «لمصطفى أحمد بن عب الدين»، ووقفية «لأحمد بن إسماعيل بن تيمور». . وبعض

وهو بهذا يشير إلىٰ الآتي:

أولاً: أن الحيز الزماني للكتاب سوف ينحصر في الثلث الأول من القرن التاسع الهجري، وأن حولياته قد كتبت بعد أن «دخل من القرن أكثر من الثلث»، ولذا فإن الكتاب قد احتوىٰ علىٰ مقدمة متبوعة باثنتين وثلاثين حولية، إبتداء بحولية إحدىٰ وثمانمائة، وانتهاء بحولية اثنتين وثلاثين وثمانمائة.

ثانياً: أنه قد أورد فيه الوفيات منظمة على حسب السنوات المتعاقبة التي وقعت فيها ليتحقق على مطالعه إستيعابها، وإن لم يستوعب «ابن حجر» فيها الوفيات، كما أنه لم يتبسط في تراجم الشاميين إكتفاء بما إستقاه من مصدره فيها، وهو فيها يغلب على الظن «ابن قاضي شبهة».

وهنا يمكن ملاحظة الآتي:

١ ـ أن تنظيم الوفيات في الحولية الواحدة ـ سواء في الترجمات أم في الأسماء المجردة كان مأمولاً فيه أن يكون حسب التسلسل الهجائي لإسم المترجم ـ فحسب _ وليس إسم الشهرة سواء كانت الشهرة في اللقب أم الكنية ـ مع

تعليقات وملحوظات نثرية وشعرية منها: «. . . وما أحسن قول الشاعر:

ما زلت تدأب في التاريخ تكتبه حتى رأيتك في التاريخ مكتوباً»

بالإضافة إلى بعض الملحوظات والتقييدات والاستبدراكات والعنوانات التي تبرد في هوامش المخطوطة (كنحو ما ورد في صفحات: ٧، ٨، ٩، ١، ٢٢، ٢٨، ٣٦، ٣٦، ٣٨، ٤٢، ٤٤، ٤٥، ٢٠، ٢٢، ٢٨، ٢٠).

ويبدو أن هذه النسخة كانت مسودة للكتاب، حيث الخط الرديء وكثرة الضرب والتعديلات والإحالة إلى تتماث للنص في الهموامش، واختلال الترتيب التنظيمي للوفيات، وإن تميزت الوفيات في السنوات المتقدمة بخط أحمر يأتي في صدر أسمائها.

كما تظهر إصابتها بسائل أتلف بعض مواضع فيها، عالجتها يد مُحدثة بإعادة الكتابة على الحروف الأولى بمداد أسود داكن مما أفقد تلك المواضع القيمة التي لغيرها ـ حيث لا يمكن التثبت من أن هذه الحروف المبدلة مطابقة لـ الأصل ـ ولـذا اعتمدت في إيـراد النصوص والنقـول المثبتة في هـذه الدراسة للمقارنة على ما ورد فعـلاً بخط ابن حجر وقد تميـز بسهولة.

تقديم من اسمه «أحمد» على سائر الوفيات، تيمناً بهذا الإسم، كما أفصح عن ذلك في مؤلف آخر ـ المجمع المؤسس للمعجم المفهرس ـ وهو ما تحقق جانب منه في الحوليات المتقدمة من الكتاب.

٢ ــ لكن لم يلتزم «ابن حجر» ذلك في باقي الحوليات، حيث نجده قد أخل بهذا الترتيب التنظيمي (١) بل وأورد الوفيات متتابعة دون فصل لتأتي في موضع واحد وقد امتزجت معلوماتها (٢) كما أنه قد ترك التنظيم على الإسم، معتبراً اسم الشهرة (٣) أو اللقب العلمي (٤) مشيراً إلى ضرورة الترتيب الداخلي حيناً (٥) ومغفلاً ذلك أحياناً..

٣ - أنه وإن كان المقصود بإيراد الوفيات على الحوليات المتعاقبة «تحقيق الاستيعاب»، فإن «ابن حجر» لم يكن دقيقاً في تأريخ الوفيات حيث نقل عشر ترجمات من حولياتها لتنتظمها حوليات غير التي وقعت فيها وإن وردت في «إنباء الغمر» على وجه صائب.

٤ ـ أنه لا يتحقق للكتاب شمول زماني، حيث أن الترجمات الواردة فيه ـ

⁽١) من نماذج ذلك ما ورد في حولية ثلاثين وثمانمائة حيث الإبتداء بترجمة أحمد فمحمد فأحمد، وحولية إحدى وثلاثين وثمانمائة حيث الإبتداء بترجمة جاني فأزدمر فكمشبغاً فمحمد فسعيد فحسن فجاني فإبراهيم فمحمد فشرف الدين فبكتمر..

⁽٢) يظهر ذلك من خلال دراسة العلاقة بين إنباء الغمر، وذيل الدرر الكامنة من هذا المقال.

⁽٣) من ذلك ما ورد في حولية ثلاثين وثمانمائة من قوله: «... وفيها مات الرجل الصالح ابن غراب، وهو أحمد ابن إبراهيم... ومحيي الدين الغزالي... والبدر البشتكي، والشيخ بدر الدين أبو أحمد محمد بن إبراهيم... وتقى الدين الأخنائي». _ ذيل الدرر الكامنة ق ٢٠٧ _ ٢١٠.

⁽٤) من ذلك قوله في حولية سبع وعشرين وثمانمائة: «٠٠٠ الشيخ شرف المدين يعقوب» ـ ق ١٩٩ ـ و «القاضي وقوله في حولية تسع وعشرين وثمانمائة: «الشيخ سراج المدين عمر...» ـ ق ٢٠٣ ـ و «القاضي شمس الدين الهروي...» ـ ق ٢٠٣ ـ مستفتحاً بهذه الألقاب ترجمانهم.

⁽٥) حيث جاء في حولية خس عشرة وثمانمائة لصيق ترجمة «إبراهيم الموصلي» قوله: «يقدم في الترتيب» _ ذيل الدرر الكامنة ق ١٣١ .

قياساً بما جاء في «إنباء الغمر» _ قليلة، كما أنه لا يتحقق فيه _ كذلك _ التوازن الزماني بين حولياته، فالتفاوت كبير بين حولية وأخرى من حيث عدد الوفيات الحاوية لها، كما يبين ذلك الجدول الآتي:

عدد وفياتها	الحولية	عدد وفياتها	الحولية	عدد وفياتها	الحولية
١٣	۲۲۸ هـ	10	۸۱۲هـ	49	۸۰۱هـ
11	۸۲٤	37	۸۱۳	٤٤	۸۰۲
١٦	۸۲٥	71	۸۱٤	٥٣	۸۰۳
۱۷	۲۲۸	11	۸۱٥	44	۸۰٤
٠٤	۸۲۷	10	۸۱٦	40	۸۰٥
• •	۸۲۸	١.	۸۱۷	44	۸۰٦
17	۸۲۹	* 0	۸۱۸	77	۸۰۷
٠٨	۸۳۰	۲۸	۸۱۹	۲۱	۸۰۸
11	۸۳۱	١٤	۸۲۰	79	٨٠٩
• 🗸	۸۳۲	10	۸۲۱	• 7	۸۱۰
		١٨	۸۲۲	77	۸۱۱
۲۰۶ ترجمات	الجملة				

ويلازم ذلك تفاوت في المساحة الشاغلة لها هذه الحوليات كما يوضحه الجدول الآتي:

الصفحات			الصفحات		
إلى	من	الحولية	إلى	من	الحولية
ق٧٤٧	ق١٤١	۸۱۸ هـ	ق٦٦	ق۳	۸۰۱هـ
ق ۱ ٤٩	ق۸٤۸	۸۱۸	ق۳۰	ق۷۷	۸۰۲
ق١٦١	ق٠٥١	۸۱۹	ق٦٤	ق ۳۰	۸۰۳
ق٥٦١	ق١٦١	۸۲۰	👡 ق٥٥	ق∨٤	٨٠٤
ق۲۷۳	ق٥٢١	۸۲۱	ق٥٢	ق٥٦٥	۸۰٥
ق۷۷۷	ق۲۷۳	۸۲۲	ِ ق۸۷	ق۲۲	۸۰٦
ق۱۸۲	ق۷۷۷	۸۲۳	ً ق٩٨	ق ۷۹	۸۰۷
ق۷۸۷	ق۱۸۳	۸۲٤	. ق٠٠٠	ق۸۹	۸۰۸
ق۱۹۲	ق۸۸۸	۸۲٥	ق ۱۰۷	ق ۱۹۰	٨٠٩
ق۸۹۸	ق۱۹۳	۸۲٦	ق۹۰۹	۵۷۷ ق	۸۱۰
ق۲۰۰ ق	ق۱۹۹	۸۲۷	ت ق١١٥	ق ۱۱۰	۸۱۱
ق۲۰۲	ق ۲۰۱	۸۲۸	ت ق ۱۱۹	ق۲۱٦	۸۱۲
ق۲۰٦	ق۲۰۳	۸۲۹	۰ ق۱۲۷ ^(×)	ق۱۱۹ق	۸۱۳
ق۲۱۱	ق۲۰۷	۸۳۰	. ق۱۳۰	ق۲۲۷	۸۱٤
ق۲۱۷	ق۲۱۱	۸۳۱	أ ق١٣٤	ق١٣١	۸۱٥
ق۲۲۲	ق۲۱۸	۸۳۲	ت ق ۱۶۱	ق ۱۳۰	۸۱٦

^(×) مع إسقاط صفحتي: ١٢٠ - ١٢١ حيث بيض لهما سهواً.

بل وتتفاوت المساحة المخصصة لإثبات الوفيات بين وفاة وأخرى داخل الحولية الواحدة حسب طبيعة ونوعية العلم المترجم له، وتوفر «ابن حجر» على مصادر ترجمته وتوفرها له لترد إسماً مجرداً يشغل أقل من السطر(١) أو مترجمة في سطر(٢) أو مترجمة في أكثر من السطر(٣) أو في صفحة (٤) أو أكثر(٥).

بين ذيل الدرر الكامنة وإنباء الغمر:

لكن ما علاقة هذا المؤلف بالإنباء؟

أولاً: يدخل ذيل الدرر الكامنة في الفترة الزمانية المصاحبة لإنباء الغمر وبالتالي يشترك معه في إيراد كثير من المعلومات المنتظمة في نطاق هذا الحيز الزماني. ولذا نجده قد احتوىٰ علىٰ (٢٠٤) ترجمات يقابلها في «الإنباء» (٩٤) ترجمة بفارق عشر ترجمات إنفرد بإيرادها «ذيل الدرر»، وإن انفرد «إنباء الغمر»

⁽۱) من ذلك ما ورد في حولية إحدى عشرة وثمانمائية من قوله: «. . . فيها قتىل بحبس الأسكندرية بيبرس ابن أخت السلطان، وبيغوث، وسودون المارديني، وذلك في أواخر السنة « ـ ذيل الـدرر ق ١١٠ تر ٢٩٢ ـ ٢٩٦ .

⁽٢) كنحو قوله في حولية ثلاث وثمانمائة: «أحمد بن النزين الحلبي، والي الشرطة بالقاهرة. مات في هذه السنة وكان عسوفاً غشوماً» ـ ذيل الدرر ق ٨٩ تر ٣١ ـ وقوله في حولية اثنتي عشرة وثمانمائة: «...وقجاقق الدويدار ـ كان قليل الشر مات في آخر السنة» ـ ذيل الدرر ق ١١٩ تر ٣٣٠.

⁽٣) كنحو قول ه في ترجمة «ابن لاجين الرشيدي»: (ت ٨٠٧ هـ /١٤٠٥ م) «عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن لاجين الرشيدي، جمال الدين، ولد سنة بضع وثلاثين، واسمع على الميدومي ومحمد بن إسماعيل الأموي وغيرهما، وكان يلازم قراءة البخاري بجامع أم حسين للطاهر القاهرة للقاهرة وكان جيد القراءة طيب النخمة. قرأت عليه أجزاء من المعجم الكبير للطبراني، ومات في شهر رجب» للدررق ٨١٠.

⁽٤) من أمثلة ذلك تسرجمة «قسرأ يسوسف» (ت ٨٢٣ هـ/١٤٢٠ م) .. ذيبل الدرر الكامنة ق ١٨٦ ـ تسر ١١٥ و وترجمة «عبد الرحمن بن رسلان البلقيني» (ت ٨٢٤ هـ/١٤٢١ م) .. ذيل المدرر الكامنة ق ١٨٧ تر ٢٢٥ .

⁽٥) من أمثلة ذلك ترجمة «البدر البشتكي» (ت ٨٣٠ هـ/١٤٢٧ م) .. ذيل الدرر الكامنة ق ٢٠٨ - ٢٠٥ من أمثلة ذلك ترجمة «حسن بن أحمد بن محمد المرديني» (ت ٨٣١ هـ/١٤٢٨ م) .. ذيل الدرر الكامنة ق ص ٢١٤ ـ ٢١٥ تر ٢١٥ .

بإيراد ترجمات لم ترد في «الذيل» أساساً على الرغم من انتظامها في الحيز الزماني الموضوع له.

ثانياً: الإشتراك معاً في إيراد الوفيات حسب السنوات المتعاقبة، والتنظيم داخلياً حسب حروف الهجاء، وإن كان «الذيل» أكثر اختلالًا من حيث الترتيب والتنظيم ـ كما هو موضح قبل.

ثالثاً: أن الوفيات التي أتت في «الإنباء» أسهاء مجردة أو مندمجة المعلومات مع غيرها لتجتمع في موضع واحد، هي المواضع عينها الواردة في «الذيل» على هذه الصورة والكيفية (١).

رابعاً: أن الفراغات أو المعلومات المبيض لها في تراجم وفيات الإنباء لها نظير ـ كذلك ـ في «ذيل الدرر»، وفي المواضع عينها، بإستثناء موضع واحد ورد في حوادث «الإنباء» فراغاً، أثبتت معلومته في ذيل الدرر٧).

(۱) من أمثلة ذلك ما ورد في الإنباء - ۲ ص ۱۹۸ - من قوله: «. . . وقرأت بخط البرهان المحدث بحلب: مات من الفقهاء الشافعية في الكائنة وبعدها علاء الدين الصرخدي، وشرف الدين الدادبخي، وشهاب الدين بن الضعيف، وشمس الدين البابي، وبهاء الدين داود الكردي، وشمس الدين ابن الزكي الجعبري»، ويقابله في الذيل - ق ٤٦ - قوله: « . . . وممن مات فيها: شمس الدين ابن الزكي الجعبري، قرأت بخط الشهاب الحلبي أنه مات في الكائنة. قال: ومات فيها من الفضلاء شهاب الدين ابن الضعيف، وبهاء الدين داود الكردي، وشمس الدين البابي، وذكر طائفة ممن تقدم ذكره، والله أعلم».

وما ورد في حولية إحدى عشرة وثمانمائة في «الإنباء» ـ ج ٢ ص ٤٠٥ ـ من قوله: «. . . مات فيها من الأمراء . . . وكذا: أرنبغا، وبيبرس بن أخت الظاهر، وسودون المارديني، وبيغوث»، ويقابل ذلك قوله في الذيل ـ ق ١١٠ ـ: «فيها قتل بحبس الإسكندرية بيبرس بن أخت السلطان، وبيغوث، وسودون المارديني، وذلك في أواخر السنة».

ويلاحظ أن هذه الوفيات قد اجتمعت في مكان واحد تصدر الحولية الواقعة فيها على الرغم من وقوعها في «أواخر السنة»، كما يلاحظ أنها قد أخلت بالترتيب والتنظيم الداخلي المعتبر للوفيات.

(٢) حيث ورد في الإنباء ــ ج ٢ ص ٢٣٤ ــ قوله: «. . . وفيه (أي في ذي القعدة سنة ٨١٢ هـ) صرف . . . وكان ظالمًا فاجراً ، ولي شد الدواوين فأباد أصحاب الأموال، وبالغ في أذاهم، وكانت عاقبة أمـرهــــ

خامساً: أن «ابن حجر» قد أخطأ التأريخ في «الإنباء» وفي «ذيل الدرر» ـ كذلك ـ وإن كان الخطأ في «الذيل» يصوبه ما ورد في «الإنباء».

سادساً: أن المواضع التي أوردها في ترجمات وفيات «الإنباء» مغفلًا فيها التأريخ على وجه الدقة ـ دون إثبات اليوم والشهر ـ أو مكتفياً فيها بإدراج الوفاة في الحولية الواقعة فيها، هي هي نفس المواضع الواردة في ذيل الدرر(١). مما يشير إلى ضن مصادره عليه بذلك.

سابعاً: أنه توجد علاقة بين «الإنباء» و«الذيل» من حيث الاقتضاب أو التطويل أو التوسط في ترجمات الوفيات، فالترجمات المطولات في «الإنباء» مثيلاتها في «الذيل» مطولات، والمقتضبة في «الإنباء» مثيلاتها مقتضبة في «الذيل»... وهكذا.

ثامناً: أن الأسلوب الإنشائي فيهما مطابقي إلى حد كبير، كما أن طريقة السرد فيهما واحدة باعتبار أن الكاتب واحد، وأن الفترة المدون فيها الوفيات ...

⁼ أن ضربت عنقه صبراً بالقاهرة». وهكذا فإنه قد بيض للاسم ليفصح عنه في «ذيل الدرر» ـ ق ١١٩ ـ قائلاً: «. . . وفيها ضربت عنق آدم البريدي صبراً بين القصرين بأمر الناصر، وكان ظالماً فاجراً غشوماً.

⁽۱) من ذلك ما ورد في ترجمة «خلف بن عبدالله المصري» (ت ۸۰۱ هـ/۱۳۹۹ م) حيث أرخ الوفاة بربيع الأول مهملًا إثبات اليوم في كليها (الإنباء ج ۲ ص ۷۰ تر ۳۱ والذيل ق ۹ تر ۱۳)، وقوله في ترجمة الحرفوش (ت ۸۰۱ هـ/۱۳۹۹ م): «مات في أوائل هـذه السنة» _ إنباء الغمر ج ۲ ص ۷۳ ترجمة الحجندي (ت ۲۰۸ هـ/۱٤۰۰ م): مس ۷۳ ترجمة الحجندي (ت ۲۰۸ هـ/۱٤۰۰ م): «مات راجعاً بين مرو وعسقلان» _ إنباء الغمر ج ۲ ص ۱۲۰ تر ۲۰ _ ويقابله الذيل _ ق ۱۹ تر ۵ _ قوله: «... مات الحجندي في هذه السنة وقد جاوز الثمانين».

وإن ورد التأريخ للوفيات مكتملًا في بعض مواضع من تراجم وفيات الإنباء وناقصاً في الذيبل، كما ورد في تسرجمة «خلف الطوخي» (ت ٨٠١هـ/١٣٩٩ م) ج ٢ ص ٧٠ تسر ٣٠ من الإنباء ـ قائلًا: «...مات في تاسع عشر ربيع الآخر، بينها المثبت في الذيل ـ تر ١٣ ق ٩ ـ قوله: «...مات في شهر ربيع الآخر».

فيها - واحدة. وإن كان «ابن حجر» قد تخفف في «الذيل» من إيراد الإحالات(١).

تاسعاً: أنه يوجد تطابق بينها في المعلومات والعبارات ـ المؤرخة والناقدة الواردة في ترجمات الوفيات في مواضع كثيرة، كما توجد تفصيلات ومعلومات زائدة في مواضع أخرى قد ينفرد بها «الذيل»(٢) أو «الإنباء».

(۱) ويلاحظ أنه لا توجد إحالات في «الذيل» على «الإنباء» أو في «الإنباء» على «الذيل»، وإن وردت إحالة واحدة في «الذيل» على «المجمع المؤسس للمعجم المفهرس» في أثناء ترجمة «الشمس ابن عطاء الهروي»، حيث قال: «... وشهرته تغني عن الإطناب في وصفه، وقد بسطت ترجمته في المعجم المفهرس» - الذيل ق ٢٠٤ تر ٥٧٠، ويقابل ذلك ق ٢٢٨ أ، ق ٢٢٩ أ من المجمع المؤسس.

(٢) من نماذج التطابق في العبارات أو في المعلومات الواردة في كل منها قوله مترجماً لصرغتمش المحمدي (ت ٨٠١هـ/١٣٩٩م): «... ولي نيابة الأسكندرية سنة تسع وتسعين وسبعمائة ، ومات في جمادى الأولى - الإنباء ج ٢ ص ٢٧ تر ٣٩ - ويقابله في الليل - ق ١٠ تر ١٩ - قوله : «صرغتمش المحمدي تنقل إلى أن ولاه الظاهر نيابة الأسكندرية في سنة تسع وتسعين وسبعمائة فمات بها في جمادى الأولى من هذه السنة »، وقوله في ترجمة أحمد بن خلف المصري ، فمات بها في جمادى الأولى من هذه السنة »، وقوله في ترجمة أحمد بن خلف المصري عند ابن فضل الله . مات في جمادى الأخرة » - الإنباء ج ٢ ص ١١٣ تر ٩ - ويقابله قوله في الذيل ق ١١ تر ٢٦ : «أحمد بن خلف المصري ، شهاب الدين ناظر الموارث ، كان أبوه مهتاراً عند ابن فضل فضل الله . مات في جمادى الأخرة » - الإنباء ج ٢ ص ١١٣ تر ٩ - ويقابله قوله في الذيل - ق ١٧ تر ٢٢ - «أحمد بن خلف المصري ، شهاب الدين ناظر الموارث ، كان أبوه مهتاراً عند ابن فضل تر ٢٢ - «أحمد بن خلف المصري ، شهاب الدين ناظر الموارث ، كان أبوه مهتاراً عند ابن فضل الله فنشأ هو فتعانى المباشرات ومات في جمادى الأخرة »، وقوله في ترجمة «ابن عبدالله التركماني » احد من كان يعتقد بمصر . مات في ربيع الأول » - الإنباء ج ٢ ص ١٢ تر ٢٦ ويقابله في الذيل - ق ١٨ تر ٢٦ قوله : «أحمد بن عبدالله التركماني أحد من كان يعتقد بمصر . مات في شهر ربيع الأول» - الإنباء ج ٢ ص ١٢ تر ٢٦ ويقابله في الذيل - ق ١٨ تر ٢٦ قوله : «أحمد بن عبدالله التركماني أحد من كان يعتقد بمصر . مات في شهر ربيع الأول» .

ومن نماذج الإضافة في «الذيل» على «الإنباء» قوله في ترجمة «المشبب» (ت ٨٠١هـ/١٣٩٩م) «خليل بن عثمان بن عبد الرحن عبد الجليل المصري المقريء المعروف بالمشبب، سمع من البدر ابن جماعة على ما قيل، وأقرأ الناس بالقرافة دهراً طويلاً، وكان منقطعاً بسفح الجبل وللملك الظاهر فيه اعتقاد كبير. مات في ربيع الأول واجتمعت به مراراً وسمعت قراءته وصليت خلفه وما سمعت أشجىٰ من صوته في المحراب» - ج ٢ ص ٧١ تر ٣٣ من الإنباء - لكن توجد بعض =

عاشراً: أن «ذيل الدرر» وإن كان ضنيناً بمصادره شحيحاً بذكرها أو الإفصاح عنها ـ قياساً بالإنباء ـ فإنه قد أفصح عن اعتماد «ابن حجر» للمصادر أو تغليب مصدر على آخر(١) كما ظهر «ابن حجر» فيه حريصاً على إثبات علاقته

= إضافات وتتمات لعناصر هذه الترجمة في ذيل الدرر - ق ٨ تر ١٢ - حيث يقابل قوله في الإنباء:

«سمع من البدر ابن جماعة على ما قيل» قوله في الذيل: «قرأ على جماعة بمن تأخر وعني بذلك
واشتهر به، وكان (قد سمع) من البدر ابن جماعة». ويقابل قوله في الإنباء: - «وكان منقطعاً بسفح
الجبل»، قوله في الذيل: «وانقطع بزاوية بسفح الجبل المقطسم» وقوله في الإنباء: «وللملك الظاهر
وغيره فيه اعتقاد كبير» تفصيل في الذيل حيث ورد قوله: «وكان النظاهر يجله ويحترمه ويقبل
شفاعته ويمكنه من الدخول إليه راكباً حماره، وكان منور الشيبة طيب النغمة بالقرآن..».

كها يضيف إلى ما ورد في الإنباء _ بشأن تسرجمة «ابن عبىدالله الطوخي» (ت ٨٠١ هـ/١٣٩٩) - من قوله: «وشفاعته مقبولة عنىد السلطان وغيره» ج ٢ ص ٧٠ تسر ٣٠ _ قوله في الذيال ـ ق ٩ ـ تر ١٣٣٪. . . وشفاعته عند الأكابر مقبولة، وزاره السلطان فعظم قدره في أعين الناس».

وإضافته قوله في الذيل - ق 9 تر ١٨ - «وكان ياتمنه ويعتمد عليه (السلطان) في تفريق الصدقة، وانتفع به جماعات ممن كان يعرفه قبل ذلك» إلى قوله في «الإنباء» - ج ٢ ص ٧٢ تر ٤١ - بشأن الترجمة لصندل بن عبد الله الكنجكي (ت ٨٠١ هـ/١٣٩٩ م): «وكان الظاهر يعتقد فيه الجودة والأمانة، وكانت أكثر الصدقة تجري على يده مع كثرتها».

وقوله في الإنباء - ج ٢ ص ٧٧ تر ٥٩ - مترجماً لابن الشاهد المنجم (ت ٨٠١ هـ/١٣٩٩ م): «علي بن محمد الميقاتي. نور الدين ابن الشاهد المنجم، إنتهت إليه السرياسة في حل النويج وكتابة التقاويم وقد راج بآخرة على الملك الظاهر وقربه وصار شيخ الطريقة، وكانت له معرفة بالرمل وغيره. مات في المحرم» يتممه قوله في الذيل - ق ١٠ تر ٢٤ - «علي بن محمد الميقاتي، نور الدين المعروف بابن الشاهد المنجم، كان عارفاً بحل الزيج متقناً لفنه، عمدة في كتابة التقاويم، وكان يعرف الضرب بالرمل وغير ذلك من الأمور الغيبية مع سلامة فيه. رأيته ملازماً لباب داره يكتب التقاويم جل نهاره، وقد راج بآخرة على النظاهر برقوق فولاه مشيخة الخروبية وانصلح حاله، ومات في شهر المحرم».

(١) كَنحو قُوله في ّذيل اللَّدر بشأن الترجمة «لابن الفرات الحنفي» (ت ٨٠٧ هـ/١٤٠٥ م):

«... وكان لهجاً بالتاريخ فكتب تاريخاً كبيراً جداً بيض بعضه... وقد انتفعت بما تضمنت هذه المجلدات المبيضة في الإطلاع على كثير من الوقائع والترجم وإن كان في عبارته قصور» - ذيل الدرر ق ٨٧ تر ٢٣٢ ـ وهو ما يؤكد ما ورد في مقدمة «الإنباء» من الإعتماد على هذا المصدر، ويفصح ـ كذلك ـ عن جعله عمدة له في التاريخ على نحو ما هو بين في مؤلفنا «التاريخ والمنهج التاريخي لابن حجر العسقلاني» الفصل المعقود للمصادر.

بالمترجم لهم سواء كانوا من رجال الحديث أو من غيرهم (١).

وهكذا فإن «ذيل الدرر الكامنة» يتعاون مع «إنباء الغمر» في الكشف عن المنهج التأريخي لابن حجر، بالإضافة إلى إكمال كل منها لما ورد لدى الآخر من معلومات تأريخية لاغنية لدارس هذه الحقبة التاريخية عنها.

* * *

وكذا الإفصاح عن مصدره في التأريخ للشاميين في مقدمة «الذيل» وقد مر، وإتخاذه رواية شفهية تلقاها من المؤيد شيخ المحمودي مصدراً للتأريخ لولادته قائلاً: «... ذكر لي ما يقتضي أن مولده سنة سبعين، فإنه قال لنا: إن الذي جلبه دخل به القاهرة مع أنص والد برقوق، وكان أي المؤيد _ حينئذ مراهقاً» _ ق ١٨٣ تـر ٥١٣ وإن وردت هذه الرواية في «الإنباء» دون إستنتاج أو تأريخ لمولده من خلالها _ إنباء الغمرج ٣ ص ٢٥٦ تر ٢.

⁽۱) كنحو قوله في ترجمة «الغماري» (تر ۸۰۲هـ/۱٤۰۰م): «وقد حدث بالقصيدة المعروفة بالبردة عن أبي حيان عن ناظمها. سمعتها منه، وسمعت منه غير ذلك وأجاز لي..»، وقوله في ترجمته «للسرائي» (ت ۸۰۲هـ/۱٤۰۰م): «ذكر لي أنه زار قبر الرافعي، وأملى علي تاريخ مولده ووفاته _ أي مولد الإمام الرافعي» _ الذيل ق ۲۳ _ مع ملاحظة أن هذه المعلومة غير مثبتة في ترجمته من الإنباء _ ج ۲ ص ۱۱۱ تر ۳.

رفع الإصر عن قضاة مصر(١)

جاء في مقدمته:

«...أما بعد، فقد وقفت على رجز في ذكر من ولي القضاء بالديار المصرية من نظم الأديب المشهور شمس الدين محمد بن دنيال الكحال نظمه لقاضي القضاة بدر الدين أبي عبدالله محمد بن إبراهيم بن سعدالله بن جماعة. سُئلت أن

(١) عرف لهذا المؤلف عدة نسخ خطية لم توجد بينها المخطوطة الأصلية للمؤلف ولقد اطلعت على أربع منها هي:

أ ـ مخط. مكتبة فيض الله ـ بتركيا ـ ذات الرقم ١٤٥٥ تاريخ، وقد كتب في نهايتها مـا يشير إلى أنها نسخت في القرن التاسع الهجري، وتقـع في ١٤٠ ورقة مقـاسها ١٨ × ٢٧ سم، وتنقص من أولها ورقة، وعنها مصورة معهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ٢٦٠/ تاريخ.

ب ـ غط. دار الكتب المصرية رقم ١٠٥ تــاريخ، وقــد كتبها أحمــد بن أبي الشيخ عــلي السبكي سنة ١١٥٠ هــ. بخط نسخي واضح، وتقــع في ٢٨٦ ورقة مسـطرتها ١٩ ســطرأ، وعنها مصــورة معهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ٣/٢٦٠ تاريخ، ورقم ١٦٧٤ تاريخ.

جـ غط. مكتبة خدابخش بتنة ـ بالهند ـ رقم ٢٤٨٣، وقد كتبت سنة ١٣١٠ هـ. نقلاً عن نسخة بخط «محمد بن نصر الله بن حسن بن محمد الحنفي، كتبت سنة ٨٥٦ هـ. من نسخة «الشمس السخاوي». وتقع في ١٦٢ ورقة مقاسها ١٨ × ٢٩ سم، ومسطرتها ٢٩ سطراً، وعنها مصورة معهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ١٧٠٤/١ تاريخ.

د. غط. المكتبة الأصفية بحيدرآباد. بالهند. رقم ٩٠ تراجم والمكتوبة عن النسخة السابقة لها سنة ١٣١٠ هـ. وتقع في ٤٤٧ صفحة مقاسها ١٠ × ١٨ سم، ومسطرتها ٢٣ سطراً، وعنها مصورة معهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ٢/١٠٧٤ تاريخ.

أترجم لمن تضمنه الرجز فأجبت إلى ذلك، وجعلتهم طبقات على السنين منذ فتحت مصر إلى آخر المائة الثامنة، وذكرت في ترجمة كل واحد منهم ما وقفت عليه من اسمه ولقبه ومنتهى غاية نسبه إن احتيج إلى ذلك، وذكر مولده ومذهبه وحليته والوقت الذي ولي فيه والذي صرف فيه والوقت الذي مات فيه بحسب ما اتصل إلى علمى من ذلك»(١).

وهو بهذا يشير إلى الآتي:

۱ ـ سبب تأليفه للكتاب: سؤال غيره له أن يترجم لمن تضمنه نظم «ابن دنيال».

= كيا قدر لهذا الكتاب أن يطبع في طبعتين غير مكتملتين، أولاهما نشرة لجنة جب التذكارية سنة ١٩٠٨ م. ذيلًا على كتاب الولاة وكتاب القضاة للكندي مع بعض الإستمداد لها من نسخة «سبط ابن حجر» ـ التي سوف يشار إليها تواً.

وتحتوي هذه الطبعة على تراجم القضاة الذين ولوا بمصر بين سنتي ٣٢٧ و٢١٩ هـ. مشتملة على أربع وأربعين ترجمة إبتداء بترجمة «الحارث بن مسكين»، وإنتهاء بترجمة «عبد الحكم بن سعيد الفارقي» وتشغل الصفحات من ٢٠٥ إلى ٢١٤.

ونشر رفع الإصر مستقلاً بتحقيق د. حامد عبد المجيد مع غيره في القسم الأول، واستقلالاً في الثاني ـ نشر الأول منها سنة ١٩٥٧ والثاني سنة ١٩٦١ م. ـ ويبتدىء بأول الكتاب وينتهي بنهاية ترجمة «علي بن يوسف بن مكي» ويقع في ١٤٤ صفحة من القطع المتوسط، ويتخذ من نسخة فيض الله أصلاً له مع معاونة أربع نسخ خطية هي: نسختا المكتبة الأهلية بباريس رقمي: فيض الله أصلاً له مع معاونة أربع المصرية رقم ١٠٥ تاريخ ومخط. الأزهرية رقم ١٠٥ تاريخ ومخط. الأزهرية رقم ١٠٥ تاريخ.

كها قدر لهذا المؤلف أن يختصر عدة اختصارات بقي منها مختصر سبط ابن حجر المعروف باسم «النجوم الزاهرة بتلخيص أجبار مصر والقاهرة» ويقع في مجلدة تم الفراغ منها تبييضاً سنة ٨٧٧ هـ. وقد أشير في مقدمتها إلى أنه علق «رفع الإصر» لجده فوجد فيه أموراً في بعض مواضع منها إسهابه في بعض التراجم وإجحافه في بعضها الآخر، وإخلاله بتحرير من تكررت ولايته وإهماله بعض التراجم معللاً لذلك بموت «ابن حجر» قبل تبييضه وتحريره. حاجي خليفة. كشف الظنون ج ٢ ص ١٩٣٧ - كها ذيل عليه «الشمس السخاوي» كتابه «بغية الرواة في الذيل على كتاب شيخي في القضاة» - وهو مطبوع.

(١) ابن حجر. رفع الإصرج ١ ص ١.

٢ ـ متحواه: تراجم قضاة مصر إبتداء بالفتح الإسلامي لها وانتهاء بنهاية القرن الثامن الهجرى.

٣ ـ منهجه في الترتيب والتبويب: على الطبقات حسب السنين.

٤ - أهم العناصر أو النقاط المبحوثة في المترجم لهم لديه في : الاسم - اللقب - النسبة - المولد - الوفاة - المذهب - نوبات القضاء مؤرخه .

لكن يبدو أن «ابن حجر» قد مات عن الكتاب في المسودة، على الرغم من ابتداء تصنيفه له سنة ٧٩٦هـ. / ابتداء تصنيفه له سنة ٧٩٦هـ. مما جعل «العز الحنبلي» (ت ٨٨٦هـ. / ١٤٨٢ م.) يستعيرها معيداً كتابته إياه مرتباً على الحروف مع تلخيص وتنبيه على كثير مما فيه (١). وإن احتيج مع ذلك إلى تحرير ـ على حد قول «السخاوي» في الذيل عليه (٢).

كما يلاحظ أن مادة الكتاب قد امتدت إلى أواسط القرن التاسع الهجري، بل وإلى ما بعد وفاة «ابن حجر» نفسه، وهو ما لا يتمشى مع ما ورد في المقدمة فضلًا عن نسبة هذه المواضع إلى مؤلف الأصل(٣).

ولذا فإنه انصافاً للكتاب ومؤلفه لا يمكن جرد مادته ومقابلتها بمقابلها في الإنباء للوقوف على الفوارق في كل، ما دام هذا العمل لم يكن خالصاً له، فضلا عن تقديم دراسة منهجية للكتاب من حيث التبويب والتنظيم باعتبار أن هذا الجانب ـ كذلك قد عدل وبقي مرعياً في النسخ الخطية الموجودة تحت أيدينا مع نسيان وضياع نسخة الأصل.

⁽١) السخاوي. الجواهر والدرر ق ١٨١.

⁽٢) نفسه.

⁽٣) من نماذج ذلك ما ورد في ترجمة «ابن الصواف الحنفي» من قوله: «... ولي قضاء حماه، ثم ولي قضاء الحنفية بالديار المصرية بعد صرف القاضي عجب المدين ابن الشحنة، وذلك في رجب سنة ٨٦٧ هـ » - ابن حجر. رفع الإصر ج ١ ص ٢٠٦ - وقوله في ترجمة «العز الحنبلي»: «... وخلع عليه في يوم السبت تاسع جمادي الأخرة سنة ٨٥٧ هـ. وركب معه بقية القضاة ... وقد ذكره صاحب هذا الكتاب في مكانين منه وأثنى عليه بعد أن روى عنه تدييله على منظومة ابن دنيال - رحمه الله» - نفسه ج ١ ص ٥٣ - ٥٤ .

ولكن مع ذلك فإنه يمكن إعطاء سمات عامة لهذا الكتاب تبين العلاقة بينه وبين الإنباء نذكر منها:

ا ـ أن «رفع الإصر» يشكل بعداً تاريخياً «للإنباء» وذلك لامتداد تراجمه. إلى أزمنة بعيدة عن السنة التي استفتح بها «الإنباء» ـ سنة ٧٧٣ هـ. ـ بالإضافة إلى وجود الكثير من التفصيلات والخلفيات والدقائق المتعلقة ببعض جوانب وردت لدى «الإنباء» مقتضبة، وإن كان «الإنباء» ـ مع ذلك ـ يشكل بعداً تاريخياً لكثير من التراجم المعاصرة الواردة في «رفع الإصر» لاحتوائه على الحوادث المتعلقة بالكثير من تلك التراجم، خاصة فيها تعلق بالولايات الدينية والاستقرارات الوظيفية، أو المجالس والكائنات.

٢ ـ أن «رفع الأصر» لم يستوعب سائر قضاة مصر، وذلك لالتزام صاحبه بالترجمة لمن أورده «ابن دنيال» في رجزه، وقد سقط منه الكثير، مما جعل غيره يستدرك عليه ما فاته، على نحو ما مر آنفاً، كما أن «ابن حجر» ـ كذلك ـ لم يستوعب في «الإنباء» كل القضاة المتوفين في حيزة الزماني.

 7 - أن «ابن حجر» لم يستوعب في كشير من تراجم «رفع الإصر» تعدد نوبات القضاء والاستقرار فيه، بل حتى في ترجمته لنفسه، والتي وقف بها عند سنة 7 هـ. وفي هذا اجتحاف بالمترجم لهم فيه على هذا النحو. فضلاً عن أن بعض التراجم قد ترد فيه طويلة، كنحو ترجمته «للبرهان ابن جماعة» $^{(1)}$ و «العلم البلقيني» $^{(2)}$ و «الجلال البلقيني» $^{(3)}$ و «المجد البلبيسي» $^{(3)}$ على حين ترد فيه كثير من التراجم المقتضبة كترجمته «للبرهان السعدي الأخنائي» $^{(0)}$ ، و «إبراهيم بن نصرالله العسقلاني» $^{(7)}$ ، وغيرهما.

⁽١) ابن حجر. رفع الإصر ج ١ ص ٢٩ ـ ٣٦.

⁽٢) نفسه ج ٢ ص ٢٥٦ ـ ٢٥٩.

⁽٣) نفسه ج ٢ ص ٣٣٢ ـ ٣٣٦.

⁽٤) نفسه ج ١ ص ١١٦ - ١١٩.

⁽٥) نفسه ج ١ ص ٤٠ ـ ٤١.

⁽٦) نفسه ج ١ ص ٤٢.

٤ - أن «ابن حجر» لم يخل تراجم رفع الإصر من نقد تاريخي (١) أو أدبي (٢)
 ربما لم يفصح عنه في الإنباء (٣).

٥ - أن الأسلوب في جوانب كثيرة منها متشابهة، إلى حد بعيد، كما أنه كثيراً ما ترك بياضات وفراغات لتتمات تأتي بعد، فظلت كذلك إلى ما بعد وفاته(٤).

(٢) كنحو قوله في المجد البلبيسي ـ ج ١ ص ١١٩ ـ : «... وكان كثير النظم جيد الوزن فيه، إلا أنه لم يكن بالماهر في عمله. وله أشياء كثيرة من قسم المقبول كقوله:

لا تحسبن الشعر فضلاً بارعاً ما السعر إلا عنة وخيال . في الهجو قلف والرثاء نياحة والمعتب ضعن والمديح سؤال في الهجو قلف والرثاء نياحة (من الكامل)

وقولسه في تسرجمة «ابن خسلدون» ـ نفسسه ج ٢ ص ٣٤٧ ـ: «. . . وقرأت بخط الشيخ تقي الدين المقريزي في وصف تاريخ ابن خلدون: مقدمته لم يعمل مثالها، وأنه لعزيز أن ينال مجتهد منالها، إذ هي زبدة المعارف والعلوم، وبهجة العقول السليمة والفهوم، توقف على كنه الأشياء، وتعرف حقيقة الحوادث والأنباء، وتعبر عن حال الوجود، وتنبىء عن أصل كل موجود بلفظ أبهى من الدر النظم، وألطف من الماء مر به النسيم ـ انتهى كلامه. وما وصفها به فيها يتعلق بالبلاغة والتلاعب بالكلام على الطريقة الجاحظية مسلم له فيه، وأما ما أطراه به زيادة على ذلك فليس الأمر كما قال، إلا في بعض دون بعض، إلا أن البلاغة تزين بزخرفها حتى ترى حسناً ما ليس بالحسر،».

- (٣) كنحو قوله في ترجمة «البرهان ابن جماعة» _ نفسه ج ١ ص ٣٠ ـ ٣١: « . . . وقد قرأت بخطه أجزاء تدل على أنه لم يمهر في فن الحديث، ورأيت له جزءاً خرجه لبعض الرحالة يدل على قصور كثير، مع ما كان عنده من الموارد».
- (٤) كنحو قوله في ترجمة «سعد بن ربيعـة الصدفي» ـ نفسـه ج ٢ ص ٢٤٧ ـ : «. . . . وذكر ابن يـونس ــــــ

⁽۱) كنحو قوله في ترجمة «السعد الإخنائي»: «... وكان مهيباً صارماً نزهاً عفيفاً، نافذ الكلمة، عظيم الحرمة، مفضالاً، مصماً على إنفاذ الحكم لا يقبل رسالة ولا شفاعة، بل يصدع بالحق، ولا يغضي على باطل أصلاً ولا يولي إلا مستحقاً، وكان مع ذلك كثير الحلم والستر على من لا يجاهر» يغضي على باطل أصلاً ولا يولي إلا مستحقاً، وكان مع ذلك كثير الحلم والستر على من لا يجاهر» - نفسه ج ١ ص ١٦ - وقوله في ترجمة الحافظ أبي زرعة ابن العراقي: «... إمام الحفاظ وأستاذ المحدثين» - نفسه ج ١ ص ٨١.

ولذا يمكن القول بأن ترجمات «الإنباء» و «رفع الإصر» تكمل كل منها الأخرى، بالإضافة إلى تعاونها في الكشف عن المنهج التأريخي لدى «ابن حجر».

وللدلالة على ذلك يمكن المقارنة بين ترجمة «البرهان ابن جماعة» في كل من «الإنباء» و «رفع الإصر»، إذ نجد «ابن حجر» قد ترجمه في «الإنباء» من خلال الحوادث، وأعاد الحديث عنه في ترجمته مقتضبة ـ قياساً بما جماء بشأنه في «رفع الإصر» ـ في سنة وفاته (۱). مغفلاً للكثير مما ورد في رفع الإصر ومنه الإفصاح عن سائر مصادر ترجمته، حيث أن الوارد في «الإنباء» من تلك المصادر في ترجمته: شمس الدين الفيومي الكتبي ـ مشافهة (۲) بالإضافة إلى قراءة ابن حجر لخط من يئق به (۳) على حين أن الوارد في «رفع الإصر» من مصادر ترجمته: الذهبي في المعجم المختص، وجمال الدين عبدالله بن أحمد البشبيشي صاحب كتاب القضاة، والتقي المقريزي، والقاضيان: الجلال البلقيني والولي العراقي، والركراكي، وصهره ـ صهر ابن حجر ـ كريم الدين بن عبد العزيز ناظر والميش ـ مشافهة (٤).

وطبيعي أن ترد في ترجمته لدى «رفع الإصر» تفصيلات لا ترد أصلاً في «الإنباء»: حوادثه وترجماته، ومنها قوله: «... فاتفق أن بعض الفقهاء ازدراه لأنه لم يكن مشهوراً بالمهارة في الفقه فوصفه بقلة المعرفة، فاتفق أنه دخل عليه فرأى

أن...»، وقوله في ترجمة «المرادي العطيفي» ـ نفسه ج ٢ ص ٢٦١ ـ: «... قدم مصر سنة... وجالس عقبة بن عامر» وقوله في ترجمة «عبدالله بن حجيرة» ـ نفسه ج ٢ ص ٢٨٣ ـ: «... وذكره ابن حبان في الطبقة... من الثقات»، وقوله في ترجمة «ابن عقيل» ـ نفسه ج ٢ ص ٢٨٥ : «... قال الأسنوي في ترجمته...»، وقوله في ترجمة أبي ثوبان ـ نفسه ج ٢ ص ٣٩٨ : «... فدامت على أن أتت على نفسه فمات، وذلك في سنة...».

⁽١) راجع العلاقة بين التراجم والحوادث من هذا الباب.

⁽٢) ابن حجر. إنباء الغمرج ١ ص ٣٥٥.

⁽٣) نفسه ,

⁽٤) نفسه. رفع الإصريج ١ ص ٢٩ - ٣٦.

كتبه مصفوفة، فقال: يا مولانا قاضي القضاة ما أحسن تصنيف هذه الكتب ورمز إلى أنه قليل الإشتغال فيها، لأن كثرة الإشتغال تنافي حسن التصنيف غالباً. ففهمها وأسرها في نفسه، وكان ذلك الرجل يلي عقود الأنكحة فالتمس منه الإذن بذلك، فأذن له، فاتفق أنه وقع له عقد عقده المذكور فيه خلل، فأحضره واستكشف أمره، فوجده فاسداً فأمر بتعذيره، وكشف رأسه، وأرسل إلى الحبس حاسراً، ثم اتفق أن بعض نواب القضاة بالشرقية دخل عليه فسأله عن شيء فأجابه وكشر كالضاحك، فتوهم القاضي أنه يستهزىء به، وليس كذلك، بل كان ذلك محلقة في ذلك الرجل، فأمر به فعزز نظير ما عنز الأول فارتدع أهل البلد وهابوه»(١).

(١) المصدر السابق ص ٣١.

المجمع المؤسس للمعجم المفهرس

عنوان الكتاب:

جاء في النسخ الخطية ومنها نسختان بخط «ابن حجر» أن اسم هذا الكتاب هو: «المجمع المؤسس للمعجم المفهرس»، بينها تفردت نسخة دار الكتب المصرية بتسميته باسم «المجمع المؤسس بالعجم المفهرس»، وهي تسمية وردت لدى كل من: «البقاعي» و «السخاوي» و «السيوطي» في ترجمتهم لابن حجر(۱). لكن التسمية الأولى أولى، لأنها التي أوردها مؤلف الكتاب، فضلاً عن أنها مثبتة عليه بخطه، سواء في خطبة الكتاب أم في آخره.

تاريخ تأليفه والفراغ منه:

أشار «ابن حجر» فيه إلى أن ابتداء تأليفه له كان «بعدن» سنة ست وثماغائة للهجرة، وإلى أن الفراغ منه كان بالقاهرة يوم الخميس سادس عشر جمادي الآخرة سنة تسع وعشرين وثماغائة (٢). على حين جاء في نسخة سابقة لهذه النسخة الحاملة لتلك المعلومات ـ أنه فرغ من ترتيبه سنة سبع عشرة وثماغائة (٣). كما نبهت إحدى النسخ المأخوذة عن معجمه إلى أنه «كمل في شعبان سنة اثنتين وثلاثين وثماغائة (٤).

⁽١) البقاعي. عنوان الـزمان ج ١، ق ٥١، السخاوي. الجواهـر والدرر ق ١٧٨ أ السيـوطي. نظم العقيان ص ٤٧.

⁽٢) كما في آخر ورقة من مخط. المكتبة الأزهرية بالقاهرة.

⁽٣) كما جاء في آخر نسخة من مخط. مكتبة مواد ملا بتركية.

⁽٤) كما جاء في مخط. إبراهيم باشا بالأسكندرية.

ويبدو أن «ابن حجر» بعد أن فرغ من تأليفه عاد إليه منقحاً ومعدلاً سواء بالحذف أو بالإضافة، كما يظهر من كثرة الشطب والإضافات في نسختيه، ومن قوله في إحداهما: «... يقول أحمد بن علي بن حجر: ظفرت بالفرجة ـ أي الصفحة ـ الملحقة مقابلها، وهي بخط صاحبنا صلاح الدين خليل بن محمد بن عبدالله الاقفهسي بعد بضع عشرة سنة من تكميل هذا المعجم فألحقت ما تضمنه من ترجمة زائدة عمن لم يقدم ذكره، ونبهت في كل ترجمة منها على ذلك». بالإضافة إلى إثباته تواريخ وفيات تمتد بالكتاب حتى سنة خمس وأربعين وثمانمائة للهجرة (١).

موضوع الكتاب:

أشار «ابن حجر» في مقدمة معجمة إلى محتواه والغاية من تأليفه، فضلًا عن نهجه في تنظيمه وتبويبه قائلًا:

«...أما بعد فإن كثيراً من سلف المحدثين اعتنوا بجمع أسامي شيوخهم وتدوين أخبارهم فتغايرت مقاصدهم في الترتيب، فرأيت أن أحذو حذوهم وأسير تلوهم لأتذكر عهدهم وأجدد لهم الرحمة بعدهم، فجمعت أسامي شيوخي على المعجم مرتباً وقسمتهم على قسمين مهذباً.

فالأول من حملت عنه على طريق الرواية، والثاني من أخذت عنه شيئًا في

⁽۱) حيث أرخ وفاة سليمان بن عبدالله بن يوسف البيري الحلبي بسنة ٨٣٣ هـ. - ق ٢٢٦ - ووفاة الكلوتاتي بسنة ٨٣٥ هـ. - ق ٢١٢ - ووفاة أحمد بن محمد بن أبي بكر بن محمد الواسطي بسنة ٨٣٦ هـ. - ق ٤٠٠ أ- وكذا وفاة محمد بن عبد الرحيم المنهاجي - ق ٢٦٧ أ- ووفاة كل من: سبط ابن العجمي - ق ١٩٩ أ - والشهاب القرداح - ق ٢٠٠ أ - وعلي بن موسى بن إبراهيم الروحي - ق ٨٢١ - ومرتضى بن عبد الله الصوفي - ق ٤٤٤ - بسنة ٨٤١ هـ. ووفاة محمد بن أحمد بن عثمان البساطي - ق ٧٥٧ - وابن ناظر الدين - ق ٢٦٠ ب، ١٦١ أ - بسنة ٢٤٨ هـ. وابن خطيب الناصرية بسنة ٨٤٢ هـ. وإن كان الصواب تأريخها بالتي قبلها.

المذاكرة من الأقران ونحوهم، وقد قسمتهم من حيث العرالي إلى خمس مراتب (١).

مشيراً إلى أنه ذكر في ترجمة كل منهم جميع مسموعه عليه، وإن لم يستوعبه في بعضهم (٢).

وهو بهذا يشير إلى أن معجمه قد جمع فيه تراجم من أخذ عنه سواء كانوا من مشايخه أو رفاقه ونحوهم مسنداً مسموعه عنهم إليهم، وإن زاد عليهم فصلاً في «معرفة الشيوخ الذين أجازوا عموماً وفي إجازتهم بعض خصوص كقيد البلد ونحوها: «لتستفاد ترجماتهم»، مشيراً إلى أنه ليس من أصل الكتاب، وإنما هوزائد عليه لعدم اعتداده بالرواية والإجازة العامة (٣).

ويضاف إلى ذلك أن «ابن حجر» قد سلك في ترتيب معجمه على حروف الهجاء نهجاً هو:

قسمته إلى معجمين يحتوي كل منها على قسم من القسمين السابق الإشارة إليها. ولذا جاء القسم الثاني مستفتحاً بقوله: «بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي، الحمدلله الكبير المتعال والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد صاحب الكمال والجمال والرتب العوال وعلى آله وصحبه أشرف صحب وأطهر آل وسلم تسلياً كثيراً إلى يوم الحشر والزلزال، وبعد فأقول: لما انتهيت من أصله المنقبس أردفت ذكر المعجم الثاني من شيوخ كاتبه المفهرس، فأقول وهي الطبقة الصغرى ومن ألحق بهم من الأقران وغيرهم الثاني، وكان قبل ذلك قد ختم القسم الأول بقوله: «آخر المعجم الأول، يتلوه المعجم الثاني» (٥٠).

ومع ترتيب كل منها على حروف الهجاء فإنه قد اعتنى بسرد ترجمات

⁽١) ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٢ ب.

⁽٢) نفسه ق ١٤٢ أ.

⁽٣) نفسسه ق ۱۸٦ أ.

⁽٤) نفسه ق ۱۹۸ .

⁽٥) نفسه ق ١٨٥ أ.

النساء في كل حرف تلو آخر الرجال فيه مصدراً ذلك بقوله: «... من النساء في هذا الحرف ... »(١) اللهم إلا إذا كان هذا الحرف لا يحتوي إلا على ترجمة واحدة من ترجما الرجال أو لا يحتوي أصلًا على أي من ترجماتهم فإن هذه العبارة تسقط.

كما أنه قد قدم في حرف الميم من اسمه واسم أبيه فجده (محمد) تبركاً (٢) ثم أتبعهم بمن اسم أبيه أحمد أو غيره، بالإضافة إلى أنه أورد من اسمه «أبو بكر» بين حرفي الألف والباء معللًا لذلك بقوله: «لأنا إن اعتبرنا الجملة فأولها ألف وإن اعتبرنا الركن فأوله الباء» (٣).

وبالدراسة النقدية المقارنة بين مادة «الإنباء» والمجمع المؤسس يمكن ملاحظة الآق:

١ - أن كثيراً من ترجمات المجمع المؤسس تدخل في الحيز الزماني المصاحب للإنباء باعتبار أن سائر المترجم لهم فيه ممن عاصر «ابن حجر» وتحمل عنهم بالقراءة والسماع أو بالإجازة. . وبالتالي أورد لهم ترجمات في «إنباء الغمر» وإن انفرد المجمع المؤسس بالكثير من التراجم التي لم ترد في «الإنباء» لأنها كانت من مجهولات الوفاة بالنسبة لابن حجر، أو لأن أصحابها كانوا وقتها أحياء، وظلوا كذلك إلى ما بعد وفاة «ابن حجر» أو انتهائه من كتابة آخر حوليات الإنباء.

٢ _ أن «الإنباء» يشكل بعداً تاريخياً للمجمع المؤسس لاحتوائه على الحوادث بما فيها من مادة مكملة لعناصر الترجمات.

⁽١) انظر على سبيل المثال المصدر السابق ق ١٣٢ ب، ١٢٧ أ، ١٢٦ أ.

⁽٢) نفسه ق ١٤٣ أ، حيث قوله: «... ذكر من اسمه محمد، وكذا أبوه وجده تبركاً بالاسم الشريف».

⁽٣) نفسه ق ٤٥ ب.

" - أنه قد اتبع في المجمع المؤسس المسلك نفسه المتبع في الإنباء من تبييض للمعلومات في مواضع كثيرة من الترجمات (١) أو الإتيان بأسماء مجردة غير مترجم لها فيه (٢) أو الإحالة في أثناء الترجمات إلى تتمات ومعلومات تأتي في ترجمات أخرى (٣) أو عدم الدقة في تأريخ الوفاة (٤)أو التثبت من المعلومات أحياناً (٥).

٤ ـ عدم الموازنة بين ترجمة وأخرى من حيث الحيز المكاني، فقد تأتي ترجمة

- (٢) من ذلك قوله: «أحمد بن عبدالله بن أحمد السمريائي الحنبلي العرباني» ـ هكذا ـ ق ١٨٧ أ ـ وقوله: «عبد الله بن عبدالله بن خليل» ـ هكذا مجرداً ـ ق ١٩٠ ب.
- (٣) كنحو قوله في ترجمة الفخر القياتي: «... وسيأتي سنده في ترجمة محمد بن علي البالسي إن شاء الله»

 ـ نفسه ق ١٥٨ ب ـ وقوله في ترجمة خديجة بنت تقي الدين محمد»: «... وسيأتي ذكر شيء من
 مروياتها في ترجمة أخيها إن شاء الله تعالى» ـ نفسه ق ٢٦ بوقوله في ترجمة الجمال المصري: «...
 وقد أجاز له من تقدم ذكره في ترجمة أحمد بن علي الفاسي» ـ نفسه ق ٢٦٣ أ.
- (٤) حيث أتى كثير من الوفيات خلواً من تأريخ له كما فعل بترجمة أحمد بن أقبسوس ـ نفسسه ق ١٩ أ ـ وأحمد بن عبد القادر البعلي ـ نفسه ق ٣٣ ب ـ أو بلفظة التبعيض، كنحو قوله في ترجمة الفتح ابن الخراط «مات سنة بضع وثمانمائة» ـ نفسه ق ١٧٩ ب ـ أو بما قبل السنة المثبتة كنحو قوله في ترجمة عثمان بن عمد الشفري: «. . . مات قبل سنة ٢٠٨ هـ . » ـ نفسه ق ٢٣٨ ب ، أوالتأرجح في سنة الوفاة، كما فعل في ترجمة وجيه الدين العلوي الزبيدي، حيث قال: « . . . مات سنة ٩٠٨ أو ١٠٤ » ـ نفسه ق ٢٣٦ ب .
- (٥) كنحو قوله في ترجمة ابن حازم الأزرعي الحنفي: ١٠٠ وأظن أني قرأت عليه . . . ولم أتحقق ذلك حال كتابتي لهذه الأسطر» ـ نفسه ق ١٦٥ أ ـ وقوله في ترجمة فاطمة بنت المنجا التنوخية: ١٤٠ هذا آخر ما وجدته عندي وما أظنني استوعبت، والله أعلم» ـ نفسه ق١٤٢ أ.

⁽۱) من أمثلة ذلك التبييض لسنة الوفاة في ترجمة «ابن القرع» قائلًا: «. . . ومات في . . . » - المصدر السابق ق ۱۷٦ ب على الرغم من وفاته سنة إحدى عشرة وثماغائة - السخاوي . الضوء اللامع ج ٨ ص ٢٥٣ تر ١٩٦ - ولذا لم ترد له ترجمة في الإنباء . وتبييضه لما أجازه أبو القاسم بن أحمد بن محمد المقرىء البزالي قائلًا: «. . . قدم حاجاً سنة ثماغائة وأجاز . . . » - ابن حجر . المجمع المؤسس ق ١٤٢ ل - وتبيضه لمعلومات تتعلق بما تحمله عن إحدى ترجماته قائلًا: « . . . قرأت عليها مشيختها تخريج . . . » - نفسه ق ١٦٧ أ - وتبيضه للإسم قائلًا في ترجمة أحمد بن أيوب بن إبراهيم : « . . . ابن المنفر» - نفسه ق ١٨٦ أ . .

شاغلة لبضع ورقات (١) بينها تأتي أخرى شاغلة لبضعة أسطر (٢) أو مترجمة في أقل من السطر (٣). وبالتالي فإنه لم يعن بالموازنة بين قسمي المعجم من حيث عد الترجمات فيهها، فضلًا عن المساحة المخصصة لكل قسم وينسحب ذلك تماماً على المساحة التي يشغلها الحرف الواحد.

وطبيعي أن يكون لكل هذا تأثيره في مادة الترجمات من حيث الزيادة أو النقص في عناصر الترجمات، والإسهاب أو الإقتضاب في العنصر الواحد.

ه _ أنه لم يخل تراجم معجمه من النقد التأريخي (٤) أو الأدبي (٥) ، كما أنه كان شديد الإعتناء بذكر علاقاته بالمترجم لهم فيه ، مع وجود صفة غالبة على كل من انتظم فيه وهي المعاصرة ، حيث الإتصال بهم والتحمل عنهم (٢) .

(١) من نماذج ذلك ترجمة كل من: البرهان الشامي الضرير ـ نفسه ق ٢ أ: ١٢ ب، وابن المجاور الرسام ـ ق ١٤ أ: ١٧ أ، وشهاب الدين المحمدث ـ ق ٢٣ أ ـ والزين العراقي ـ ق ٩٩ أ: ١٠٩ ب.

⁽٢) من نماذج ذلك قوله: «محمد بن حسن بن علي البيجوري، الفقيه شمس الدين الشافعي، سمع من عبد الرحمن القارىء في صحيح البخاري، وعلي عنز الدين ابن جماعة جزءاً من تخريج الدمياطي لنفسه عنه. سمعت عليه وتفقه وبرع ومات سنة سبع وعشرين وثمانمائة» ـ نفسه ق

⁽٣) كنحو قوله: «عبد الرحمن بن سلطان بن الزغبوب الدمشقي. مات سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة» _ نفسه ق ١٩١أ.

⁽٤) كنحو قولمه بشأن البرهان التنوخي: «... ونزل أهل مصر بموتمه في الرواية درجة» ـ نفسه ق ١٢ ب، وقوله بشأن فاطمة بنت المنجا التنوخية: «... تفردت بالرواية عنهم في الدنيا» ـ نفسه ق ١٣٣ أ ـ وقوله في حق ابن مكي المقدسي: «... وكان مرزجي البضاعة في العلم» ـ نفسه ق ٥٨ ب.

⁽٥) كنحو قوله في ترجمة ابن ناصر الدين: «... ونظر في الأدب حتى نظم الشعر الوسط» ـ نفسه ق

⁽٦) كقوله في ترجمة التقي المقريزي: «...وبيننا من المودة ما لا يسعه السورق» الفسسه ق ٢١٤ ب.

٦ - أن مادة المجمع المؤسس تتعاون مع مادة الإنباء في الكشف عن منهج «ابن حجر» في الكتابة التاريخية، بالإضافة إلى إعطاء صورة متكاملة بالنسبة لفكره تجاه من ترجم لهم فيها، ويمكن أن نعطي لذلك الأمثلة في محورين هما:

أ-تعاون المجمع المؤسس مع الإنباء في الكشف عن منهجه في استخدام المصادر، خاصة الوارد فيه من نقول مسندة إلى مصدرها ويكون لها في الإنباء مقابل. حيث ورد في المجمع المؤسس قبوله في المنصفي الحنبلي(١) مقابل. حيث ورد في المجمع المؤسس قبوله في المنصفي الحنبلي: «٠٠٠ قبال ابن حجي الحسباني: «٠٠٠ قبال ابن حجي: كأن فقيها محدثاً حافظاً قبراً الكثير وحرر واتقن وألف وجمع وكان قد تخرج بابن المحب وابن رجب، وأفتى مع الإنجماع والتقشف»، بينها يقابل ذلك في ترجمته من الإنباء قوله(٢): «٠٠٠ قال ابن حجي: كان فقيها محدثاً حافظاً، قرأ الكثير وضبط وحرر واتقن وألف وجمع مع المعرفة التامة. تخرج بابن المحب وابن رجب، وكان يفتي ويتقشف مع الإنجماع. ولم يكن الحنابلة ينصفونه».

وبالمقارنة بين المنقولين يتضح أن «ابن حجر» قد أسقط من ترجمته في المجمع المؤسس كلمة «ضبط»، وأتبع كلمة «جمع» في الإنباء قوله: «مع المعرفة التامة» مع إسقاط «كان قد»، وإبدال «أفتي» بقوله: «وكان يفتي» وقوله: «مع الإنجماع والتقشف» بقوله «ويتقشف مع الإنجماع»، على حين زاد في الإنباء قوله: «ولم يكن الحنابلة ينصفونه» مما يشير إلى تصرفه في عبارة مصدره.

ب ـ التكامل بين ترجمات الإنباء والمجمع المؤسس من حيث المعلومات الواردة فيها، ومن أمثلته قوله في المجمع المؤسس (٣) مترجماً لابن المنهاجي (ت ٨٣٦ هـ. / ١٤٣٣ م.): «محمد بن عبد الرحيم بن أحمد المنهاجي، شمس المدين، كان أبره أعجوبة في حسن الأدب مشهور بذلك، وهو سبط الشيخ شمس الدين ابن اللبان، واشتغل شمس الدين كثيراً ونظم الشعر وفاق الأقران

⁽١) المصدر السابق ق ٢٦٣ ب.

⁽٢) ابن حجر. إنباء الغمرج ٢ ص ١٨٦ تر ١٠٥.

⁽٣) نفسه المجمع المؤسس ق ٢٦٧ أ.

ولازم شيخنا ابن جماعة فمهر في الفنون. ومولده سنة اثنتين وسبعين تقريباً. سمعت من شعره وطارحني ومدحني بقصيدة. مات سنة ست وثلاثين وثمانمائة».

ويقابل ذلك في الإنباء(۱) قوله: «محمد بن عبد الرحيم بن أحمد المنهاجي المعروف بسبط ابن اللبان، الشيخ شمس الدين الشافعي. ولد بعد السبعين، واشتغل قديماً، وأخذ عن مشايخ العصر كالعز ابن جماعة وشمس الدين ابن القطان وقرأ علي ابن القطان صحيح البخاري بحضوري، وقرأ علي ترجمة البخاري يوم الختم، وتعاني نظم الشعر فمهر فيه، وله عدة قصائد ومقاطيع، ومهر في الفقه والأصول، وعمل المواعيد وشغل الناس ولزم بآخرة جمامع عمرو بن العاص يقرأ فيه الحديث والمواعيد ويشغل الناس. وكان حسن الإدراك واسع المعرفة بالفنون، حج في هذه السنة من البحر فسلم ودخل مكة في شهر رجب مجاوراً إلى زمن إقامة الحج فحج وقضى نسكه ورمى جمرة العقبة ثم رجع فمات بمنى قبل طواف الإفاضة. سمعت من نظمه وطارحني مراراً وكتب عني خيراً».

ومع تطويله لترجمته في الإنباء نجد أن المجمع المؤسس قد انفرد بتحديد سنة مولده على وجه التقريب «ومولده سنة اثنتين وسبعين تقريباً» على حين انفرد الإنباء بإيراد بعض الشيوخ المأخوذ عنهم مما لم يرد في المجمع المؤسس وكذا قراءته على ابن حجر، والعلوم التي مهر المترجم له فيها وحاله قبل الوفاة مع ذكر كيفيتها وتحديد موضعها.

وعلى العكس من ذلك تماماً، فإن ترجمته لابن البيطار (ت ٨٢٥ هـ. / ١٤٢٢ م.) في معجمه (٢) يمكن الاستغناء بها عن ترجمته في الإنباء، حيث الوارد في الإنباء (٣) قوله: «محمد بن علي بن خالد الشافعي، شمس الدين المعروف

⁽١) ابن حجر. إنباء الغمرج ٣ ص ٥٠٨ تر ١٨.

⁽٢) نفسسه ، المجمع المؤسس ق ٢٦٧ أ.

⁽٣) نفسمه انباء الغمرج ٣ ص ٢٩٢ تر ٢٣.

بابن البيطار، سمع من عبد الرحمن بن الشيخ علي بن هارون القارىء مشيخته تخريج شيخنا العراقي، وسمع من غيره، ولازمنا في الإسماع على المشايخ كثيراً. وكان وقوراً ساكناً حسن الخلق كثير التلاوة، ومات في ربيع الآخر».

ويقابله قوله في المجمع المؤسس قوله: «محمد بن علي بن خالد بن محمد بن أحمد، شمس الدين ابن البيطار. ولد سنة اثنتين وخمسين، وسمع علي عبد الرحمن ابن القارىء، وسمع علي شرف الدين عبد الرحمن بن عساكر شيئاً من النسائي... وهذا القدر هو فوت ابن الصواف، وسمع مجموع ابن الصواف على أصحابه وسمع الكثير معنا، وأسمع أولاده، وأجاز في استدعاء ابني محمد، وكان حسن السمت كثير التلاوة. مات في ربيع الآخر سنة خمس وعشرين وثما غائة». وهنا نجد أن ترجمته في «الإنباء» لا تزيد عما ورد في المجمع المؤسس شيئاً، بل نجد أن المجمع المؤسس قد انفرد بتأريخ مولده، والإسهاب في ذكر من تجمل عنهم من الأساتيذ، وطرق مسموعه عليهم، وعلاقة ابن حجر به.

بل وحتى في موضع تطابق المعلومات الواردة بشأن المترجم لهم لديه في «الإنباء» والمعجم لانعدم الوقوف على إفادة أو إضافة، ومن نماذج ذلك قوله في المجمع المؤسس^(۱) بشأن ابن مقبل التركي (ت ٨٠٦هـ. / ١٤١٤م.): «محمد بن مقبل بن عبدالله التركي، تفقه في صباه وسمع من كلام بعض الظاهرية ففتن به وأكب على الإشتغال بكلام ابن حزم وغيره، وكتب الكثير بخطه، واشتهر بذلك ولم يكن بالماهر، وكان يرفع يديه في كل خفض ودفع ويحف شاربه. رأيته مراراً وسمعت كلامه. مات في سنة ست وتسعين وسبعمائة».

ويقابله قوله في الإنباء (٢): «محمد بن مقبل التركي. تفقه في صباه وأحب مذهب الظاهرية فتظاهر به، وكان يحف شاربه ويرفع يديه في كل خفض ورفع، وكتب بخطه كثيراً جداً».

وهكذا فإن المجمع المؤسس _ في هذا الموضع _ أفاد عنصراً لم يرد في «الإنباء» وهو المشاهدة والسماع عليه.

⁽١) ابن حجر. المجمع المؤسس ق ٢٧١ أ.

⁽٢) نفسه ا إنباء الغمرج ١ ص ٤٨٤ تر ٢٥ .



على الرغم من أهمية ما خلفه «ابن حجر» من الكتابات التاريخية أسقطه من جانب المؤرخين بعض الدارسين المحدثين، وتضاءلت قيمة مؤلفاته لدى البعض الآخر وربما كان مرد ذلك إلى أمور منها:

١ _ غلبة جانب المحدث على «ابن حجر»، واشتهاره به.

٢ ـ إغفال هذا النوع من النقاد دراسة مؤلفاته التاريخية أوالوقوف على أهميتها.

٣ ـ ما شاع من أن العصر المملوكي كان عصر تقليد إنعدمت فيه الجدة وخلا من الابتكار، ومن أن الكتابات في هذا العصر لا تعدو أن تكون مختصرات أو شروحاً لما سبق أن كتب فيه، أو موسوعات تحتوي على جمع تأليفي لشتات حضارة بغداد بعد سقوط الخلافة فيها.

ولذا فإن هذا البحث قد عني بالترجمة «لابن حجر» في باب مستقل بهدف الكشف عن شخصيته حيث توصلت إلى نقاط جانبية من أهمها:

تعدد مصادر ترجمته واعتناء القدامى بتتبع حياته بالدراسة والتدوين ـ الاختلاف في إثبات سلسلة نسبة لدى مترجميه، بل ولديه كذلك، وكذا الاختلاف في تحديد يوم مولده ووفاته على وجه صائب ـ تنوع علومه وتعددها وكثرة شيوخه وأساتذته ـ اعتناء «ابن حجر» بالرحلة والطلب مما انعكس على

كتاباته التاريخية كذلك وصبغها بالصبغة الشمولية ـ توليه الكثير من الوظائف العلمية والولايات الدينية حيث وفر له كل هذا الاتصال بالحوادث والمشاركة فيها ومصاحبة رجالات الدولة من سلاطين وخلفاء وأمراء وولاة وغيرهم . . وهو ما مكن له من الإطلاع على شئون الدولة والتعرف على وثائقها والتثبت من صحة أخبارها ، حتى لقد تفرد بذكر الكثير من الحوادث وجوانب الشخصيات المترجمة لديه في «الإنباء» ، بل ربما عد مصدراً وحيداً لبعض التراجم ، كما مر في الترجمة للزين العراقي .

أما الباب الثاني فقد خصص للدراسة المنهجية «للإنباء» حيث أمكنني الإشارة إلى أهميته الكامنة في كونه المؤلف الوحيد «لابن حجر» المشتمل على الحوادث والتراجم، والذي كان معاصراً لحيزه الزماني مدركاً لما فيه مشاركاً في حوادثه مخالطاً للكثيرين عمن ترجموا لديه فيه.

وإن لم يعرف على وجه اليقين ابتداء «ابن حجر» بالشروع في تدوينه فإنه من المجزوم به أنه لم يكن يكتب حوادثه حال وقوعها، وإنما بعد انقضاء أمد بعيد من ذلك، كما أنه كان دائب الرجوع إليه منقحاً ومهذباً بالإضافة أو بالحذف، ولذا ظل الكتاب إلى وفاته في المسودة إلى أن قدر له الذيوع والإنتشار بعد موته، دون مراعاة من النساخ والناشرين قدامي ومحدثين لرغبة مؤلفه في تجزئته وهو منهج مرعى ومدرك لديه - حيث تخطوا تقسيمه إلى تقسيمات أخرى مغايرة روعي فيها الشكلية البحتة التي لم تكن يعيرها بالاً.

ولقد اتضح أن النسق الفني للإنباء يتمشل في تنظيمه على مقدمة متبوعة بمعلومات نظمت على الحوليات المتتابعة الإفراد ابتداء بحولية ثلاث وسبعين وسبعمائة للهجرة وانتهاء بحولية خسين وثمانمائة مع مراعاة أن تذكر الحوادث والتراجم فيها منفصلة عن الأخرى من حيث النسق الترتيبي، وقد نظمت تراجم الوفيات حسب حروف الهجاء مع اعتبار اسم المترجم له فحسب، أما الحوادث فقد روعي فيها أن تأي متتابعة التسلسل في صدر حولياتها، ولم يسر فيها على وتيرة واحدة.

كما لوحظ ـ كذلك ـ عدم اعتناء «ابن حجر» بالتنسيق بين عدد الصفحات أو كمية المعلومات الواردة في الحوليات فرادى، فضلاً عن إغفال التنسيق الفني في البناء الداخلي للحولية المفردة حيث لا يوجد مثل هذا التناسق بين التراجم والحوادث من حيث المساحة الشاغلة لها أو العد فيها، ولعل علة ذلك راجعة إلى طبيعة كاتبها وتوفره على المصادر وتوفر المصادر له، فضلاً عن نوع المعلومات المدونة لديه.

أما النسق التعبيري للإنباء فيشير إلى مميزات خاصة بأسلوب «ابن حجر» تتمثل في فصاحة اللفظ ومعجميته، وتخير أساليبه البلاغية، وتضمينه للعبارات البليغة شائعة الاستعمال لدى كتاب العصر، مع توارد الاصطلاحات والتعبيرات المعروفة لعصره، وكذا التأثر بالقرآن الكريم والاقتباس منه، والاعناء بتضمين الحوادث والتراجم للكثير من الشواهد الشعرية، والابتعاد عن السجع والتكلف، واستعمال المختصرات، والمزاوجة في تدوين التواريخ بين الأرقام والحروف، وضبط الأسهاء في الأعلام والأنساب والأمكنة بالحسروف، تحرياً في المدقة والبعد عن التصحيف، والإفصاح عن رأيه وانفعالاته بعبارات وألفاظ سافرة، واستعماله اصطلاحات ومختصرات المحدثين.

كما ذيلت على ذلك بإبراز اتجاه «ابن حجر» إلى الشمول الموضعي والموضوعي لحوادثه قصداً إلى إكتمال الحدث بتتابعه وتسلسل عناصره في موضع واحد أو الإحالة في الحوادث والتراجم إلى معلومات فائتة أو لاحقة تحقيقاً لذلك، فضلاً عن توجيه الحوادث وجهة نقدية بهدف الإفصاح عن حال من تعلق به الحدث، أو توظيف الحدث للإبانة عن تعاطفه مع بعض الشخصيات والتأثير في نفس المطالع له، أو بتتبع الرواية المصاحبة له.

أما طبيعة الحوادث وأسس انتقاء مادتها ، فقد اتضح أن «الإنباء» اشتمل على الحوادث الواقعة بين سنة مولده وسنة خمسين وثمانمائة وقد راعى فيها الشمولين النوعي والمكاني وإن استأثرت حوادث الدولة المملوكية من بينها بالحيز الكبير باعتبارها دولة الخلافة التي نشأ «ابن حجر» في أرضها وتكون وعاش في

ظلها، ولذا لم تقتصر أحداث حولياته على المجال السياسي فقط، وإنما كان مع ذلك التطرق بإسهاب إلى نواح متعددة من إدارية متمثلة في إيراد الكثير من الاستقرارت الوظيفية وماقديطرأ عليها من تغيرات وما يعتريها من الإختلال أو الإستقرار والانتظام معللًا وناقداً، وما يتعلق بها من الـرسوم وإن لم تكن مطردة بحيث يمكن أن تستخرج منها قسوائم متسلسلة ومكتملة ـ وسياسيـة مختصـة بالعلاقات الداخلية والخارجية للدولة المملوكية مع الإعتناء ببيان أثر سياسة الدولة المملوكية على الرأي العام في وقته ووقعه على الأنفس، كما أبرز أعمال السلاطين والأمراء فيها تعلق بالعمارة والبناء، وكذا حياتهم الخاصة، مع إثبات. المراسم الصادرة من الإدارة المملوكية، وكذا حال النيل وما يتبعه من حالات إقتصادية وما قد يصيب مجتمعة من النكبات والأمراض، كما اهتم بـأمر الحـاج، وما يظهر من البدع والكائنات، أو يقع من المنافسة بين العلماء، أو إفشاء العوام والمماليك للفتن والفوضى والثورات، وما تعلق بأهل الذمة من الأحوال. . مع عدم إغفال الترجمة الذاتية له كلم سنحت الحال، وكذا تسجيل الكثير من الظواهر الطبيعية والعجائب ومستغربات، الحدوث شأنه في ذلك شأن كتاب الحوليات المتقدمين والمعاصرين واللاحقين. وهي غالباً ما تعبر عن شعور ديني خاص كان سائداً في عصره.

كما اتضح أنه لم يفرد مكان الصدارة في حولياته لنوع معين من تلك الحوادث اللهم إلا أن يكون لتلك الحوادث المفردة بالصدارة غلبة على عصره أو فكره لما لها من تأثير على الرأي العام في وقته.

أما التراجم فإنها قد تفاوت من حيث العدد بين حولية وأخرى، وتغايرت الأسهاء بين مؤرخ وآخر، ولكن مع هذا فإنه يمكن أن نميز «لابن حجر» في هذه الناحية منهجاً اعتمد في انتقاء التراجم على أسس رئيسة تمثلت في الشهرة - أياً كانت في المنصب أو الوظيفة أو الحرفة، في العلم أو الجهل به، في الحفظ وجودة القريحة، في الرياسة والوجاهة، في اللعب والتمهر فيه، في الإلتزام بالدين أو التهتك فيه. . والشمول النوعي، حيث لم يقصر ترجمات الوفيات على نوع واحد

من الأعلام المشاهير سواء في الجنس أو في الأصل أو في الديانة أو في المذهب أو في المنصب أو في الموظيفة أو في الحرفة أو في العلم والمعرفة، والشمول المكاني حيث ظهر حرصه على إيراد تراجم متعلقة بكل من شهر في عالمه ما دام قد أطلع على مادة ترجمته وضبط تاريخ وفاته.

ومع أن المادة التاريخية الموجودة في ترجمة ما تختلف عن الأخرى حسب طبيعة المترجم، فإنه قد أمكن بعد درسها أن غيز له عناصر رئيسة تناولت: الأسم واللقب، والكنية، وأسم الشهرة، والنسبة، والموطن، والألقاب العلمية، والصفات الأصلية، والمولد، وتقدير عمر المترجم له، والتأريخ لوفاته، مع تحديد كيفية الوفاة والعلة فيها، وحال المترجم له عند ذلك، والنشأة والتكوين، ومنزلة المترجم له ومكانته ووظائفه وأعماله وسجاياه وصفاته، وعلاقاته بالأهل والأقران، وعلاقة «ابن حجر» به، مع تفصيل القول في كل عنصر منها مشيراً إلى أن مثل تلك العناصر لا تجتمع بالضرورة في ترجمة واحدة، كما أن الطول والقصر في مادة العنصر الواحد راجع إلى أمور منها: طبيعة المترجم له وتخصصه، وطبيعة المادة المنتقي منها هذا العنصر، أو هذه الترجمة، ونوعية المصدر سواء كان مكتوباً أو معاصراً.

وذيلت على ذلك بدراسة موضوع التوازن الزماني بين حوليات الكتاب مشيراً إلى انعدام ذلك معللاً له بأن «ابن حجر» لم يكن من بين هؤلاء الذين يأخذون بالشكليات، حيث ديدنه في الالتزام بمنهج يلح به على تقرير شمولي لأحوال عصره تتعاون فيه الحوادث والتراجم في التأريخ لها بالإضافة إلى جدارة الحدث أو الترجمة بالتسجيل على سبيل الإسهاب أو الاقتضاب أو الإسقاط والإهمال.

وعلى الرغم مما شاع لدي المؤرخين والباحثين المحدثين من إنتفاء العلاقة بين التراجم والحوادث لدي كتاب الحوليات التقليديين، وإعتبار التنظيم داخل الحولية الواحدة على الحوادث والوفيات فصلاً تاماً فيها بينها بحيث يمكن جمع كل قسم منها في مؤلف مستقل قائم بذاته دون تأثير في طبيعة المؤلف الأصلي _ فإنه

قد أثبت من خلال دراسة «الإنباء» عكس ذلك تماماً فالعلاقة وثيقة بين مادة الكتاب أحداثه وترجماته، وهي لم تأت عفوية أو إرتجالية، وإنما كانت وراءها أصبع «ابن حجر» التي وجدت في مناسبة الوفاة فرصة لا ستخدامها في تحقيق هـذه الغاية، ومن علامات ذلك ودلائله: العلاقة الزمانية فيما بينها، والتي إقتضته إثبات وتوزيع معلوماته على جزءي الكتاب، بإعتبار أن الحوادث محتوية على أخبار متنوعة بين إدارية وسياسية وإقتصادية وإجتماعية . على حين أن التراجم في حد ذاتها إخبار عن الوفاة ومفارقة الحياة المالوفة، وكل حدث في الحيز الزماني للحولية الواحدة، والعلاقة فيها بينهما من حيث الموضوع والمتمثلة في الترجمة بالإحالة الكلية على الحوادث، وقد ورد أسم المترجم له في الوفيات مجرداً عن أية معلومات إكتفاء بما جاء في الحوادث، والإحالة إلى الحوادث في تضاعيف الترجمات، والإحالة في الحوادث إلى الترجمات، والترجمة لبعض الوفيات في الحوداث _ مع إدراك «ابن حجر» للذلك ونصه عليه في أكثر من موضع _ والتكامل بين الحوادث والتراجم، حيث إتيان الكثير من الترجمات بأبعاد تاريخية للحوادث فضلًا عن مادة الكتاب مجتمعة لإمتداد جذورها إلى ما قبل حولية ثلاث وسبعين وسبعمائة المتصدرة للكتاب، وبإعتبار أن «ابن حجر» كان ديدنه التأريخ بالحدث والترجمة معاً، ولذا جزأ معلوماته على الحوادث والترجمات مما لا يتأتى معه إعتماد الحوادث وحدها في كثير من المواضع دون رجوع إلى الترجمات لاستكمالها وتتبع خيوطها وأبعادها. وعلاقة السببية التي ظهرت الوفيات فيها مرتبة على الحوادث، وظهرت الحوادث ـ كذلك ـ مسببة لها، وصارت الوفيات تبعاً لذلك توكيداً لها وتقريراً، وتشكيل الحوادث لمادة التراجم سواء بالإختصار أو التركيز أو الإعادة أو الإضافة، وتوظيف التراجم في النقد التأريخي للحوادث، والعلاقة بين مادة الكتاب ومصادره بإعتبار أنه قد ترجم لأصحاب هذه المصادر في موضعهم من الوفيات.

ولقد تنوعت مصادر مادة «الإنباء»، حيث لم يقتصر «ابن حجر» فيه على المصادر المكتوبة ـ على الرغم من إفادته منها كثيراً ـ وإنما نجده قد أخذ مادته فضلًا عن ذلك عن طريق: المشاهدة والمشاركة ـ وقد أدرك قيمتها فاندفع يلح في

الإشارة إليها بألفاظ متعددة دالة على المعاصرة ومداها تتصدر غالباً منقوله وقد ربطت بينه وبين ذاتية موردها والمشافهة، سواء منها ما ورد على لسان المترجم له أو قرابته أو المتصلين به، أو شاهد عيان لواقعة تاريخية حضرها و «ابن حجر» عنها غائب، بل لقد كان منها ما نسب إلى بعض أصحاب التواريخ المكتوبة والمساءلة والمكاتبة إستناداً إلى معرفة المسؤول - فيها يظن - بموضوع المساءلة سواء كانت هذه المساءلة شفهية أو كتابية، ناهيك عن الإستفادة من الإجازات والسماعات، والوثائق والخطوط، ومؤلفات المترجم له ونتاجه، ومجاميع الشيوخ والصحاب.

وكها تنوعت مصادره، فإن طرقه في الإنتساب إلى هذه المصادر قد تنوعت كذلك لتتمثل في: الإشارة إلى المصادر، سواء في صدر مؤلفه أو من خلال المنقول عنها في حولياته، والإشارة إلى موضع النقل، والإشارة إلى بداية النقل وإنتهائه وإن أغفل مع ذلك التصريح بمصادره في مواضع كثيرة استنتج من مقابلتها بمصادرها بعض عبارات وألفاظ إصطلاحية له ـ غالباً ـ ما تعبر عن مصدر واحد، وهي دلالات النقل لديه عند عدم التصريح به.

ووضح إهتمام «ابن حجر» بمصادر مصادره إدراكاً منه لأهمية ذلك في تعليل أفضلية المصدر المنقول عنه، فضلاً عن توثيقه، وبالتالي توثيق مادة الإنباء مما نقل عنه.

واتضح أن «ابن حجر» قد عالج مصادره بطرق شتي، تكشف لا ريب عن شخصيته المصاحبة لكل منقول مثبت لديه، وإن لم تعبر في الغالبية العظمي منها عن العبارة الأصلية للمنقول عنه، أمكن حصرها في: الإلتزام الحرفي بمادة مصادره قدر إمكانه ـ إنتقاء المنقول مع الحفاظ على ألفاظ المصدر الأصلي - التصرف في النص من حيث اللفظ تعديلًا وإبدالًا، زيادة واحتصاراً مع الحفاظ على النسق الترتيبي للمصدر الأصلي - الأساسي للمنقول ـ الإلتزام بالحرفية للألفاظ قدر إمكانه مع تغيير النسق الترتيبي

وتعديله _ التصرف في اللفظ والنسق الترتيبي معاً _ النقل بالفكرة مع إغفال العبارة الأصلية لمصدره. .

كما بدت له نظرة عالج بها المصادر سواء بمعاملته للنقول على أنها جزئيات تخضع لتصديق العقل إياها أو ردها أو بالنقد الشمولي للمصدر ككل.

ومع هذا وذاك، ومع ولعه بتحري الدقة في النقل عن مصادره، فإنه قد جانب الصواب في مواضع متعددة أمكن أعطاء نماذج لها.

كما ظهر «ابن حجر» معنياً بالنقد التأريخي ممارساً له في سائر جوانب كتابه ملحاً عليه بشتي الطرق التي في مكنته التعبير بها، إنطلاقاً من مفهومه للتأريخ وهو مفهوم ذو صلة بالحديث النبوي وما يتبعه من جرح وتعديل، ومن تذوقه للأدب ومشاركته فيه، بالإضافة إلى ما رزقه من حس تأريخي ناقد.

وإن أدي هذا المسلك الناقد في الكتابة التأريخية إلى تعرضه لكثير من المشاحنات والعداوات إلى الحد الذي جعل بعضهم ينزهه عن الكتابة التأريخية جملة.

وأمكن الكشف عن منهجه في النقد التأريخي من خلال دراسة إحدى قتاويه رداً على سؤال سائل بشأن هذا، مقارناً ذلك بما ورد في «الإنباء» من جوانب تطبيقية، حيث ميزت له أنواعاً من النقد تمثلت في:

١ - نقد الرجال من خلال الكشف عن بعض الصفات الأصلية فيهم المعبرة عن حال المترجم لهم لديه، وما يتبع ذلك من جرحهم وتعديلهم.

٢ ـ إصدار الأحكام والتقاويم على الملوك والسلاطين ونواب السلطنة والأمراء والمباشرين والقضاة والفنانين من خلال مقاييس خاصة بكل طبقة على حدة متبوعة بصفات مبحوثة فيهم ومثبتة عليهم سلباً أو إيجاباً.

٣ ـ نقد الحوادث، وقد توزع بين نقد الروايات التاريخية، وبين إصدار الأحكام والتقاويم على الحوادث والرجال معاً، وبين نقد الحوادث في حد ذاتها نقداً جزئياً، مع الاعتناء بالنقد الكلى من خلال الشواهد الشعرية المنبشة في

الحوادث والتراجم والموجهة وجهة نقدية هادفة إلى إبراز وتجسيم أهم خصائص وقضايا مجتمعه، بالإضافة إلى إبراز وتعليل العوامل الفاعلة في الحوادث وتقويمها.

واتضح علاوة عن ذلك أن «ابن حجر» من المؤرخين المنصفين في النقد حيث ظهر حرصه على نقل آراء الموافقين والمخالفين في المترجم له بهدف أعطاء صورة عنه تكون مكتملة، ومناقشة مصادره فيها أوردته من تقاويم وأحكام مناقشة منهجية اقتضته تفنيد الكثير من عباراتها معللاً ، نشداناً للإنصاف والصواب، وحرصه على الدقة بالتحري عن معلوماته قبل إثباتها، حتى ولو صدرت عن المترجم له عينه، وتعديله لمادة عناصره وقد أثبتها في صورتها الأولى نتيجة لما حصله من مادة مصوبة لها وإيراده الحكم أو التقويم معللاً وليس مجرداً.

لكن مع ذلك وقع له الخطأ في بعض مواضع من حولياته نتيجة لسهو اعتراه أو إخلال بالدقة في النقل عن بعض مصادره في مواضع معدودة، أو لأنه لم يكن ممن يتوجه إلى الكتابة التاريخية بالكلية. بالإضافة إلى ولعله بالنقد الأدبي وتوظيفه للأدب في التأريخ ونقده إلى الحد الذي جعله يغفل الرواية التاريخية لدى مصدره إستناداً إلى تفضيل ما صاحب تلك المواضع من انفعال أدبي مقلد، فأتى حكمه خاطئاً لأنه أسس على ذلك.

كما أمكن الإشارة من خلال دراسة مؤلفات «ابن حجر» التأريخية المعاصرة للحيز الزماني «للإنباء» إلى أن هذا المنهج في الكتابة التاريخية مطابقي وبالتالي متأصل وراسخ في نفس مورده، كما أن مادة هذه المؤلفات الداخلة في الحيز الزماني للإنباء تكمل الموضوع والفكر فيه باعتبار أن فكر المؤرخ الواحد لا يمكن تجزئته، وأنها تمثل مصادر أصيلة وأساسية في سبيل التأريخ لعصره.

أولاً - المصادر^(١)

(أ) المصادر الخطية:

- البقاعي، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر (ت ٨٨٥ هـ. / ١٤٨١ م.):
- (۱) عنوان الزمان في تراجم الشيوخ والأقران. مصورة دار الكتب المصرية رقم ١٠٠١ تاريخ (عن مخط. كوبريلي زادة بالآستانة)، وعنها مصورة معهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ٣٤٢ تاريخ.
 - (٢) عنوان العنوان. مخط. دار الكتب المصرية رقم ١٤٧٤ تاريخ _ تيمورية.
- ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت ٨٧٤ هـ. / ١٤٧٠م.):
- (١) الدليل الشافي على المنهل الصافي. مخط. قرة جلبي بتركيا رقم ٢٦٦، وعنه مصورة معهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ٢٤٤ تاريخ.
 - (٢) المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي:
- مغط. أحمد الثالث بتركيا رقم ٣٠١٨ تباريخ، وعنه مصورة معهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ٨٤١ تاريخ.
 - _ مخط. دار الكتب المصرية رقم ١١١٣ تاريخ.

⁽١) رتب هذا الثبت ترتيباً هجائياً مع إسقاط «ابن» و «أبو».

عارف حكمت بالمدينة المنورة رقم ٦٣٠ تاريخ، وعنه مصورة معهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ١٢٧١ تاريخ.

(٣) مورد اللطافة فيمن ولي السلطنة والخلافة:

- _ نخط. أحمد الثالث بتركيا رقم ٣٠٣٨، وعنه مصورة معهد إحياء المخطوطات العربية رقم ٥٣٥ تأريخ.
- مغط. النظاهرية بدمشق رقم ٣٠ تاريخ، وعنه مصورة معهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ٣٥ /٣ تاريخ.
- مخط. فيض الله بتركيا رقم ١٤٠٦، وعنه مصورة معهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ١/٥٣٥ تاريخ.
- ابن حبيب، بـدر الـدين أبـو محمـد الحسن بـن عمـر (ت ٧٧٩ هـ. / ١٣٧٧م.): درة الأسلاك في دولة الأتـراك. مخط. أحمد الثالث بتركيا رقم ٢٠١١، وعنه مصورة معهـد إحياء المخـطوطـات العـربيـة بـالقـاهـرة رقم ١/٢٣٥ تاريخ.
- ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي (ت ٨٥٢هـ. / ١٤٤٩م.):

(١) إنباء الغمر بأبناء العمر:

- مخط. الطاهرية بدمشق رقم ٢٤١ تاريخ، وعنه مصورة معهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ٦٥/٥.
- مخط. أحمد الثالث باستانبول رقم ٢/٢٩٤١ تاريخ، وعنه مصورة معهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ١/٦٥، ٣ تاريخ.
- عظ. أحمد الثالث باستانبول رقم ٢٩٤٢ تاريخ، وعنه مصورة معهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ٢/٦٥ تاريخ.
- مخط. الأزهرية بالقاهرة رقم ٧١٠ تاريخ، وعنه مصورة معهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ٥٨٧ تاريخ.

- مخط. الأوقاف العامة ببغداد رقم ٥٨٨٣، وعنه مصورة معهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ٢٤٠٤ تاريخ.
- مخط. الرباط رقم ٣٢٤ ك، وعنه مصورة معهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ١٤٠٥ تاريخ.
- مخط. السعيدية بالهند رقم ٩٤ تاريخ، وعنه مصورة معهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ١/٩١٠ تاريخ.
- مخط. مدينة بالهند رقم ٢٢٥، وعنه مصورة معهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ٢/٩١٠ تاريخ.
 - مخط. دار الكتب المصرية رقم ٢٤٧٦ تاريخ، ٨٨٤٤ ح.
 - (٢) انتقاض الإعتراض. مخط. المكتبة العمومية بدمشق رقم ٩٩.
- (٣) ذيل الدرر الكامنة. مخط. دار الكتب المصرية رقم ٦٤٩ ـ تيمورية وعنه مصورة معهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ٢٥٠ تاريخ.

(٤) رفع الإصر عن قضاة مصر:

- مخط. الأصفية بالهند رقم ٩٠ تراجم، وعنه مصورة معهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ٢/١٠٧٤ تاريخ.
- مخط. خدابخش بتنة بالهند رقم ٢٤٨٣، وعنمه مصورة معهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ١/١٠٧٤ تاريخ.
- مخط. دار الكتب المصرية رقم ١٠٥ تــاريــخ، وعنــه مصــورة معهــد إحياءالمخطوطات العربية بالقاهرة رقم ١٦٧٤ تاريخ.
- مخط. فيض الله بتركيا رقم ١٤٥٥ تاريخ، وعنه مصورة معهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ٢٦٠/١، ٢ تاريخ.

(٥) المجمع المؤسس للمعجم المفهرس:

- مخط. جامع إبراهيم باشا بالإسكندرية رقم ١٦، وعنه مصورة معهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ٢/٤٤٠ تاريخ.

- مخط. الأحمدية بحلب رقم ٣٤٥، وعنه مصورة معهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ٣٤٤٠ تاريخ.
- مخط. الأزهرية بالقاهرة رقم ١٣٦٠ (٨٧٨) مصطلح، وعنه مصورة معهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ١/٤٤٠ تاريخ.
- مخط. دار الكتب المصرية رقم ٧٥ مصطلح، وعنه مصورة معهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ٧٨٠ تاريخ.
- مخط. مراد ملا بتركية رقم ٦٠٣، وعنه مصورة معهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ٤٤/٤ تاريخ.
 - (٦) المعجم المفهرس (تجريد أسانيد الكتب المشهورة والأجزاء المنثورة).
- مخط. دار الكتب المصرية رقم ٨٢ مصطلح، وعنه مصورة معهد إحياء المخطوطات العربية رقم ٨١٥ تاريخ.
- ابن خطيب الناصرية، علاء الدين أبو الحسن علي بن محمد بن سعد المطائي (ت ٨٤٣ هـ. / ١٤٤٠ م.):
- (١) الدر المنتخب في تكملة تاريخ حلب. مخط. الأحمدية بحلب رقم ٢٠٣٦ وعنه مصورة معهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ٢٥٠ تاريخ.
- (٢) مجموع ابن خطيب الناصرية. مخط. الخالدية بالقدس رقم ٣١ تـراجم وعنه مصورة معهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ١١٩٨ تاريخ.
- ابن دقماق، صارم الدين إبراهيم بن محمد بن أيدمر (ت ٨٠٩ هـ./ ١٤٠٧ م): الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين:
- مخط أحمد الثالث بتسركيا رقم ٢/٢٩٨٤، وعنسه مصورة معهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ٣/٢٠٨ تاريخ.
- مخط. التيمورية بالقاهرة رقم ١٤٩٢ تاريخ، وعنه مصورة معهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ٢٠٨ تاريخ.
- مخط. حكيم أوغيلي علي بتركيا رقم ٧٣٧، وعنه مصورة معهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ٢٠٨/١ تاريخ.

- مخط. دار الكتب المصرية رقم ١٥٨٧ تماريخ (المصور عن مخط. أيا صوفيا بتركيا رقم ٤١٧٢)، وعنه مصورة معهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ٤/٢٠٨ تاريخ.
- سبط ابن حجر، جمال الدين يوسف بن شاهين (ت ١٩٩ هـ. / ١٤٩٤ م.): رونق الألفاظ بمعجم الحفاظ:
- مخط. الخالدية بالقدس رقم ١١ تراجم، وعنه مصورة معهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ١٠٨٧ تاريخ.
- مخط. مدينة بالهند رقم ٤٩٣، وعنه مصورة معهد إحياء المخطوطات العربية رقم ٢٨٢ تاريخ، ٦٨٩ تاريخ.
 - ـ السخاوي، أبو الخير محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٠٢ هـ. / ١٤٩٧ م.): الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر:
- مخط. أحمد الثالث بتركيا رقم ٢٩٩١، وعنه مصورة معهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ٢٠٢/١ تاريخ.
- مخط. دار الكتب المصرية رقم ٤٧٦٨ تاريخ (المصور عن مخط. الأهلية بساريس رقم ٢١٠٥)، وعنه مصورة معهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ٢/٢٠٤ تاريخ.
- مخط. الخزانة الملكية بالرباط رقم ١٥٠٠، وعنه مصورة معهد إحياء المخطوطات العربية، بدون فهرسة.
- _ السيوطي، جلال الدين عبد السرحن بن أبي بكر (ت ٩١١ هـ./ ١٥٠٦م.):
- المنجم في المعجم. مخط. دار الكتب المصرية رقم ٢٦٥ تاريخ، وعنه مصورة معهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ٢٨٥ تاريخ.
- ابن الشحنة، محب الدين أبو الوليد محمد بن كمال الدين محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمود (ت ٨١٥ هـ. / ١٤١٢ م.):

روض المناظر في علم الأوائل والأواخر. مخط. أحمد الثالث بتركيا رقم ٢٧٠ المناظر في علم الأوائل والأواخر. مخط. أحمد الثالث بتركيا رقم ٢٧٠ تاريخ.

- عبدالله بن زين الدين بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن زكريا بن خليل: جمان الدرر من ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر. مخط. دار الكتب المصرية رقم ٧٢٦ تاريخ، وعنه مصورة معهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ١٩٨ تاريخ.
- _ العيني، بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن يـوسف (ت ٨٥٥ هـ. / ١٤٥١ م.):
- عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان مج ١٩، مخط. أحمد الثالث بسركيا رقم ٢٣٤ ، وعنه مصورة معهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ٣٣٤ تاريخ.
- _ ابن الغــزي، محمد بن أحمـد بن عبـدالله العــامــري (ت ٨٦٤هـ. / ١٤٦٠م.):
 - بهجة الناظرين إلى تراجم المتأخرين من الشافعية البارعين:
- مخط. دار الكتب المصرية رقم ٣٤٠٣ تاريخ، وعنه مصورة معهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ٨٥ تاريخ.
- _ مخط. الظاهرية بدمشق رقم ٥٥ تاريخ، وعنه مصورة معهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ٥٩٤ تاريخ.
- الفاسي، تقبي الدين محمد بن أحمد بن علي (ت ٨٣٢ هـ. / ١٤٢٩ م.): ذيل التقييد بمعرفة رواة السنن والأسانيد. مخط. دار الكتب المصرية رقم ١٩٨ مصطلح، وعنه مصورة معهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ١٧١ تاريخ.
- ابن قاضي شهبة، تقي الدين أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر (ت ١٥١ هـ. / ١٤٤٨ م.):

(۱) الإعلام بتاريخ أهل الزمان. مخط. مصور بدار الكتب المصرية رقم ٣٩٢ تاريخ (عن مخط. الأهلية بباريس)، وعنه مصورة معهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ٩٩ تاريخ.

(٢) طبقات الشافعية:

- خط. أحمد الثالث بتركيا رقم ٢٨٣٦، وعنه مصورة معهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ٢/٣١٢ تاريخ.
- مخط. خدابخش بتنة بالهند رقم ٢٤٥٥، وعنه مصورة معهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ٢/١١٢٥ تاريخ.
- مخط. دار الكتب المصرية رقم ١٥٦٨ تاريخ، وعنه مصورة معهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ٧٢٤ تاريخ.
- مخط. كوبريلي بتركيا رقم ١٠٢٨، وعنه مصورة معهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ٣١٢ تاريخ.
- عظ. الناصرية بلكنو بالهند رقم ١٠١، ١٠١ رجال حديث وعنهما مصوري معهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقمي: ١/١٢٥، ٣.
- المناوي، عبد الرؤوف (ت ١٠٣٥ هـ. / ١٦٢٦ م.): اليواقيت والدرر في شرح نخبة ابن حجر. مخط. دار الكتب المصرية رقم ٩١ تيمورية ـ مصطلح حديث.
- ابن ناصر الدين الحنبلي، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن عبدالله (ت ٨٤٢هـ. / ١٤٣٩م.):
 - توضيح المشتبه للذهبي . مخط. الظاهرية بدمشق رقم ١٥١ تفسير.

ب ـ المصادر المطبوعة:

ب ابن أبي الدم الحموي، أبو إسحاق إبراهيم بن عبدالله (ت ٦٤٢ هـ/ ١٢٤٩ م.):

أدب القاضي المسمى «الدر المنظومات في الأقضية والحكومات» ت. محمد مصطفى النزحيلي. دمشق، مجمع اللغة العربية، ١٩٧٥.

- ـ ابن الأثير، عز الدين بن محمد الجزري (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٣ م): الكامل في التاريخ. بيروت، الكاتب العربي، ط ٢، ١٩٦٢.
- . ابن الأزرق، أبو عبدالله محمد (ت ٨٩٦ هـ. / ١٤٩١ م.): بدائع السلك في طبائع الملك. ت. د. علي سامي النشار. بغداد، الأعلام، ٧٧ ـ ١٩٧٨.
- الأسنوي، جمال الدين عبد الرحيم بن الحسن (ت ٧٧٢ هـ. / ١٣٧١ م.): طبقات الشافعية. ت. عبدالله الجبوري. بغداد، الأوقاف، ط ١، ١٩٧١.
 - ـ ابن إياس الحنفي، أبو بكر محمد بن أحمد (ت ٩٣٠ هـ. / ١٥٢٤ م.):
- ـ بدائع الزهور في وقائع الدهور. ت. محمد مصطفى. فيسبادن، ١٩٦١ ١٩٧٥.
 - ... المختار من بدائع الزهور في وقائع الدهور. القاهرة، الشعب، ١٩٦٠.
- ـ البغدادي، عبد القاهر (ت ٤٢٩ هـ. / ١٠٣٧ م.): الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم. بيروت، الآفاق الجديدة، ١٩٧٣.
- _ البغدادي، صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق (ت ٧٣٩هـ/ ١٣٣٩ م.):
- مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع. ت. علي محمد البيجاوي. القاهرة، عيسى الحلبي، ط١، ١٩٥٥.
- _ البكري، أبو عبد الله عبدالله بن عبد العزيز (ت ٤٨٧ هـ. / ١٠٩٤ م.): معجم ما استعجم من أسهاء البلدان والمواضع. ت. مصطفى السقا. القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٤٧.
- ـ ابن تغري بردي، أبو المحاسن جمال الدين بن يوسف (ت ٨٧٤ هـ. / ١٤٧٠ م):

- حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور (مختارات) ت. وليسم بوبسر. كاليفورنيا، ١٩٣١.
- المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي (ج١). ت. أحمد يوسف نجاتي. القاهرة، دار الكتب، ١٩٥٦.
 - مورد اللطافة. ت. د. كارليل. أوربا، ط ١، ١٧٩٢.
 - النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. القاهرة، مختلفة.
- الجاحظ، أبو عثمان عمر بن بحر بن محبوب (ت ٢٥٥ هـ. / ٨٦٩ م.): مقالة الزيدية والرافضة ـ ضمن كتاب رسائل الجاحظ. ت. عبد السلام هارون. القاهرة، الخانجي، ط ١، ١٩٧٩.
- الجرجاني، أبو الحسن علي بن محمد بن علي (ت ٨١٦ هـ. / ١٤٢٣ م.): التعريفات. تونس، الدار التونسية، ١٩٧١.
- الجـزري، شمس الـدين أبـو الخـير محمـد بن محمـد (ت ٨٣٣ه. / ١٤٣٠ م.): غاية النهاية في طبقات القراء ت. ج. برجستراسر. القاهرة، الخانجي، ١٩٣٣.
- _ ابن جماعة، بدر الدين أبو إسحاق إبراهيم بن سعد السدين (ت ٧٣٣ هـ / ١٣٣٣ م):
- تـذكـرة السـامـع والمتكلم في أدب العـالم والمتعلم. بيـروت، دار الكتب العلمية، بدون تاريخ.
 - . حاجي خليفة، مصطفى بن عبدالله (ت ١٠٦٧ هـ. / ١٦٥٧ م.): كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون. بغداد، المثنى، بدون تاريخ.
- ـ الحاكم النيسابوري، أبو عبدالله محمد بن عبدالله (ت ٤٠٥ هـ. / ١٠١٤ م.):
 - معرفة علوم الحديث. بيروت، المكتب التجاري، بدون تاريخ.
- ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي (ت ٨٥٢ هـ / ١٤٤٩ م).

- إنباء الغمر بأنباء العمر. ت. حسن حبشي. القاهرة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٩٦٩ ـ ١٩٧٢. (٣ جـ).
- ---. ت. السيد عبدالله بن أحمد بن محمد المديج الهند، دائرة المعارف العثمانية، ٢٧ ـ ١٩٧٦. (٩ جـ .).
- ـ حمد أحمد دهمان. دمشق، المكتب الإسلامي، ١٩٧٩. (جـ١).
- الإصابة في تمييز الصحابة. ت. علي محمد البيجاري. القاهرة، نهضة مصر، ١٩٧٢.
- بلوغ المرام من أدلة الأحكام. ت. رضوان محمد رضوان. بيروت، المكتب المحربي، بدون تأريخ.
- تبصير المنتبه بتحرير المشتبه. ت. علي محمد البيجاوي. القاهرة، الدار المصرية، ٦٥ ـ ١٩٦٧.
 - الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة. بيروت، دار الجيل، بدون تاريخ.
- رفع الإصر عن قضاة مصر. ت. د. حامد عبد المجيد وغيره. القاهرة، الأميرية، ٥٧ ١٩٦١. (٢ ج-).
 - ـ لسان الميزان. بيروت، الأعلمي، ط ٢، ١٩٧١.
- ابن حزم الأندلسي الظاهري، أبو محمد علي بن أحمد (ت ٤٥٦ هـ / ١٠٦٤ هـ):
 - الفصل في الملل والأهواء والنحل. بيروت، المعرفة، ط ٢، ١٩٧٥.
- الخصاف، أبو بكر أحمد بن عمرو بن مهير الشيباني (ت ٢٦١ هـ/ ٨٤٧ م): أدب القاضي. ت. فرحات زيادة. القاهرة، الجامعة الأمريكية، ١٩٧٩.
- الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (ت ٤٦٣ هـ. / ١٠٧١ م):

- تاريخ بغداد أو مدينة السلام. بيروت، الكاتب العربي، بدون تاريخ.
 - الكفاية في علم الرواية. بيروت، الدار العلمية، بدون تاريخ.
- ابن الخطيب، لسان الدين محمد بن عبدالله (ت ٧٧٦ هـ. / ١٣٧٥ م.): الإحاطة في أخبار غرناطة. ت. محمد عبدالله عنان. القاهرة، الخانجي، ٧٣ ١٩٧٧.
 - ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت ۸۰۸ هـ. / ۱٤٠٦ م.): تاريخ ابن خلدون. بيروت، دار البيان، بدون تاريخ.
- ابن خلكان، شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد (ت ١٨١ هـ. / ١٢٨٢ م.):
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. ت. د. إحسان عباس. بيروت، صادر ١٩٧٧.
- الداوودي، شمس الدين محمد بن علي بن أحمد (ت ٩٤٥ هـ. / ١٥٣٩ م.):
 - طبقات المفسرين. ت. على محمد عمر. القاهرة، وهبة، ط ١، ١٩٧٢.
 - الداوودي، أبو بكر عبد الله بن أيبك (ت ٧٣٢ هـ. / ١٣٣٢ م.): كنز الدرر وجامع الغرر:
 - جـ٧ ت. د. سعيد عبد الفتاح عاشور. القاهرة، ١٩٧٢.
 - جـ ٨ ت. أولرخ هارمان. القاهرة، ١٩٧١.
- ابن دقماق، إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي (ت ٨٠٩ هـ. / ١٤٠٧ م.):
 - الأنتصار لواسطة عقد الأمصار. بيروت، المكتب التجاري، بدون تاريخ.
 - الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد (ت ٧٤٨ هـ. / ١٣٤٨ م.):
 - تذكرة الحفاظ، الهند، دائرة المعارف العثمانية، ١٩٥٥ _ ١٩٥٨.
 - دول الإسلام. ت. فهيم محمد شلتوت، ومحمد مصطفى إبراهيم. القاهرة الهيئة المصربة، ١٩٧٤.

- العبر في خير من غبر. ت. د. صلاح الدين المنجد. الكويت، ٢٠ ١٩٦٦.
 - الرازي، فخر الدين محمد بن عمر (ت ٢٠٦ هـ. / ١٢٠٩ م.): اعتقادات فرق المسلمين والمشركين. القاهرة، الأزهرية، ١٩٧٨.
 - _ ابن رجب ، عبد الرحمن بن أحمد (ت ٧٩٥ هـ. / ١٣٩٣ م.): الذيل على طبقات الحنابلة. القاهرة، ١٣٧٣ هـ.
- الـزنخشري، جـار الله أبو القـاسم محمود بن عمـر (ت ٥٣٨ هـ. / ١١٤٤ م.):
- القسطاس المستقيم في علم العروض. ت. بهيجة باقر الحسني. بغداد،
- ـ ابن سبعين، أبو محمد عبد الحق (ت ٦٦٩ هـ. / ١٢٧١ م.):
 رسائل ابن سبعين. ت. د. عبد الرحمن بدوي. القاهرة، الدار المصرية،
 ١٩٦٥.
 - ـ السبكي، تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب (ت ٧٧١ هـ. / ١٣٧٠ م.): طبقات الشافعية الكبرى. بيروت، المعرفة، ط ٢، بدون تاريخ.
- _ السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٠٢ هـ. / ١٤٩٧ م.):
- الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ. ت. فرانز روزنشال ضمن كتاب علم التاريخ عند المسلمين. بغداد، المثنى. ١٩٦٣.
 - _____ القاهرة، القدسي، ١٣٤٩ هـ.
 - ـ التبر المسبوك في ذيل السلوك. القاهرة، الأزهرية، بدون تاريخ.
- الذيل على رفع الإصر أبو بغية العلماء والرواة. ت. د. جوده هلال، ومحمد محمود صبيح. القاهرة، الدار المصرية، ١٩٦٦.
 - . الضوء اللامع لأهل القرن التاسع. بيروت، الحياة، بدون تاريخ.
- ـ السمناني، أبو القاسم على بن محمد بن أحمد (ت ٤٩٩ هـ. / ١١٠٦م.):

- روضة القضاة وطريق النحاة ت. د. صلاح الدين الناهي. بغداد، ١٩٧٤.
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١ هـ. / ١٥٠٦ م.):
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة. ت. محمد أبي الفضل إبراهيم. القاهرة، عيسى الحلبي، ط ١، ١٩٦٥.
 - ـ. تاريخ الخلفاء. بيروت، الثقافة، بدون تاريخ.
 - _ التحدث بنعمة الله ت. اليزابيت ماري مارتين. القاهرة، ١٩٧٢.
- تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي. ت. عبد الوهاب عبد اللطيف بيروت، دار إحياء السنة، ط ١٩٧٩.
 - حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة. ت. محمد أبي الفضل إبراهيم. القاهرة ، عيسى الحلبي ، ط ١، ١٩٦٧.
 - ديل طبقات الحفاظ. الهند، دائرة المعارف العثمانية، بدون تاريخ.
 - _ طبقات الحفاظ. ت. علي محمد عمر. القاهرة، وهبة، ط١، ١٩٧٣.
 - _ نظم العقيان في أعيان الأعيان. ت. د. فيليب حتى. نيويورك، ١٩٢٧ م.
- . أبو شامة المقدسي، شهاب الدين أبو محمد عبد الرحمن بن إسماعيل (ت ٦٦٥ هـ. / ١٢٦٨ م.):
- الروضتين في أخبار الدولتين، والذيل عليها. بيروت. دار الجيل، ط ٢، ٧٠
- ـ ابن شـداد، عـز الـدين أبـوعبـدالله محمـد بن عـلي (ت ٦٨٤ هـ./ ١٢٨٥م.):
- الأعلاق الخظيرة في ذكر أمراء الشام والجنريرة. ت. دومنيك، وسامي الدهان. دمشق، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، ٥٣ ١٩٦٢.
- _ ابن شداد، بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن تميم (ت ٦٣٢ هـ / ١٢٣٤ م):

النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية أو سيرة صلاح الدين. ت. د. جمال الدين الشيال. القاهرة، الدار المصرية، ط ١، ١٩٦٤.

الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم (ت ٥٤٨ هـ. / ١١٥٣ م.): الملل والنحل ـ على هامش كتاب الفصل لابن حزم الأندلسي.

- ـ الشوكاني، علي بن محمد (ت ١٢٥٠ هـ. / ١٨٣٥ م.): البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع. القاهرة، ط ١، ١٣٤٨ هـ.
- ابن صصري، محمد بن محمد:
 الدرة المضية في الدولة الظاهرية. ت. د. وليم. م. برينر. كالفورنيا،
 ١٩٦٣.
 - الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت ٧٦٣ هـ. / ١٢٦٣ م.): الوافي بالوفيات:
 - جـ ١١ ت. جاكلين سوبله، وعلى عمارة. فيسبادن، ١٩٨٠.
 - جـ ١٢ ت. د. رمضان عبد التواب. فيسبادن، ١٩٧٩.
- ابن الصلاح، عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان (ت ٦٤٣ هـ. / ١٢٤٥ م.):
- مقدمة ابن الصلاح . ت. د. عائشة عبد الرحمن. القاهرة، الهيئة المصرية، ١٩٧٦.
 - _ ابن الصيرفي، علي بن داود الجوهري (ت ٩٠٠ هـ. / ١٤٩٤ م.):
- إنباء الهصر بأنباء العصر. ت. د. حسن حبشي. القاهرة، الفكر العربي، 19۷٠.
- ـ نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان. ت. د. حسن حبشي. القناهرة، دار الكتب، ٧٠ ـ ١٩٧٤. (٣ جـ.)
 - ـ الصيمري، أبو عبد الله حسين بن علي (ت ٤٣٦ هـ. / ١٠٤٥ م.): أخبار أبي حنيفة وأصحابه. بيروت، الكتاب العربي، ط ٢، ١٩٧٦.
 - ـ طاش كبري زادة، أحمد بن مصطفى (ت ٩٦٨ هـ. / ١٥٦١ م.):

- مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم. ت. كامل كامل بكري، وعبد الوهاب أبي النور. القاهرة، الكتب الحديثة، ١٩٦٨.
- · ابن طولون الصالحي، شمس الدين محمد (ت ٩٥٣ هـ. / ١٥٤٧ م.): القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية. ت. محمد أحمد دهمان. دمشق، مجمع اللغة العربية، ٨٠ ـ ١٩٨١.
 - ابن عباس، الصاحب (ت ٣٨٥ هـ. / ٩٩٥ م): نصرة مذهب الزيدية. ت. ناجي حسن. بغداد، ١٩٧٧.
 - ابن العربي، محيي الدين محمد بن علي (ت ٦٣٨ هـ. / ١٢٤٠ م.): إنشاء الدوائر الإحاطية. ليدن، ؟ ١٣٣٩ م.
- علي باشا مبارك. الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة الشهيرة. بولاق، ١٣٠٥ هـ.
- العماد الأصفهاني، أبو عبد الله محمد بن محمد بن حامد (ت ٥٩٧ هـ. / ١٢٠١ م.): الفيح القسي بالفتح القدسي. ت. محمد محمود صبيح. القاهرة، القومية، ١٩٦٥.
- ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي (ت ١٠٨٩ هـ. / ١٦٧٩ م.): شدرات الذهب في أخبار من ذهب. بيروت، المكتب التجاري، بدون تاريخ.
- . القاضي عياض بن موسى اليحصبي (ت ٥٤٤ هـ. / ١١٤٩ م.): الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع. ت. السيد أحمد صقر. القاهرة، دارالتراث، ١٩٧٨.
- _ الغزي، تقي الدين بن عبد القادر التميمي الداري (ت + ١٠٠٥ هـ. / + ١٠٩٧ م.):

- الطبقات السنية في تراجم الحنفية. ت. عبد الفتاح أحمد الحلو. القاهرة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٩٧٠.
 - _ أبو الفدا، عماد الدين إسماعيل بن على (ت ٧٣٢ هـ. / ١٣٣١ م.):
- تقويم البلذان. ت. رينود، وماك كولين ديسلان. بغداد، المثنى، بدون تاريخ.
 - _ المختصر في أخبار البشر. القاهرة، الحسينية، ط ١، ١٣٢٥ هـ.
- ابن الفرات، ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم (ت ۸۰۷ هـ. / ۱٤۰٥ م.):
- تاريخ ابن الفرات (مج ٩) ت. د. قسطنطين زريق. بيروت، الجامعة الأمريكية، ٣٦ ـ ١٩٣٨.
- ـ ابن فهـد المكي، تقي الـدين أبـو الفضـل محمـد بن محمـد (ت ٨٧١ هـ. / ١٤٦٧ م.):
- لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ. الهند، دائرة المعارف العثمانية، بدون تاريخ.
- ابن القاضي، أبو العباس أحمد بن محمد المكناسي (ت ١٠٢٥ هـ./ ١٦١٦ م.):
- ذيل وفيات الأعيان المسمى «درة الحجال في أسهاء الرجال». ت. محمد الأحمدي أبي النور. القاهرة، التراث، ١٩٧٠.
- ابن قاضي شهبة، تقي الدين أبو بكربن محمد (ت ٨٥١هـ./ ١٤٤٨م.):
- تاريخ ابن قاضي شهبة (مج ۱). ت عدنان درويش. دمشق، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، ۱۹۷۷.
- ابن قتیبة الدینوري، أبو محمد عبدالله بن مسلم (ت ۲۷٦ هـ./ ۸۸۹ م.):
 - المعارف، د. ثروت عكاشة. القاهرة، المعارف، ط٧، ١٩٦٩.

- _ القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت ١٨٦٦ هـ. / ١٢٨٣ م.): آثار البلاد وأخبار العباد. بيروت، صادر، ١٩٦٩.
 - القلقشندي، أبو العباس أحمد (ت ٨٢١ هـ/ ١٤١٨ م.): صبح الأعشى في صناعة الإنشا. القاهرة، تراثنا، بدون تاريخ.
 - _ ابن كثير، أبو الفدا اسماعيل (ت ٧٧٤ هـ. / ١٣٧٣ م.):
- الباعث الحثيث في إختصار علوم الحديث. بيروت، الفكر العربي، بدون تاريخ.
 - _ البداية والنهاية. بيروت، المعارف، ط١، ١٩٦٦.
- _ مجير الدين الحنبلي، عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن (ت + ٩٢٧ هـ. / + ١٥٢١م.):
 - الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل. عمان، المحتسب، ١٩٧٣.
- _ المقري، أبو العباس أحمد بن محمد التلمساني (ت ١٠٤١هـ./ ١٦٣٢م.):
- _ أزهار الرياض في أخبار عياض. ت. مصطفى السقا وغيره. القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٣٩. (جـ١).
- ـ نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب. ت. د. إحسان عباس. بيروت، صادر، ١٩٦٨.
 - _ المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت ١٤٤٧ هـ. / ١٤٤٢ م.):
- البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب. ت. عبد المجيد عابدين. القاهرة، عالم الكتب، ط ١، ١٩٦١.
- _ الخطط المقريزية «المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار». بولاق، ١٢٧٠ هـ.
- _ السلوك لمعرفة دول الملوك. ت. د. محمد مصطفى زيادة، ود. سعيد عبد الفتاح عاشور. القاهرة، مختلفة.

- الملطي، أبو الحسين محمد بن أحمد بن عبد الرحمن (ت ٣٧٧ هـ./ ٩٨٧ م.):
 - التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع. بغداد، المثني، ١٩٦٨.
 - ابن منظور، جميل الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١ هـ. / ١٣١١ م.): لسان العرب. القاهرة، المعارف، بدون تاريخ.
 - ـ مؤرخ شامي مجهول: حسن حبشي. القاهرة، الأنجلو، ١٩٦٨.
- النعيمي، عبد القادر بن محمد (ت ٩٢٧ هـ. / ١٥٢١ م.): الدارس في تاريخ المدارس. ت. جعفر الحسيني. دمشق، المجمع العلمي، ٨٤ ـ ١٩٥١.
- ـ ابن هداية الله الحسيني، أبو بكر (ت ١٠١٣ هـ. / ١٦٠٦ م.): طبقـات الشافعيـة. ت. عادل نـويهض. بيروت، الأفـاق الجــديــدة، ط ١ ١٩٧١.
- . اليافعي، عفيف الدين أبو محمد عبد الله بن أسعد (ت ٧٦٨ هـ. / ١٣٦٧ م.): مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان. بيروت
 - _ ياقوت الحموي ، شهاب الدين أبو عبد الله (ت ٦٢٦ هـ. / ١٢٢٨ م):
 - . معجم البلدان. بيروت، صادر، ١٩٧٧.

الأعلمي، ط٢، ١٩٧٠.

المشترك وضعاً والمفترق صقعاً. بغداد، المثنى، بدون تاريخ.

المراجع

أ ـ المراجع العربية:

- أحمد أحمد بدوي. الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام. القاهرة، نهضة مصر، ١٩٧٢ م.
- أحمد السعيد سليمان ـ الدكتور. تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة. القاهرة، المعارف، ١٩٧٢ م.
- أحمد صادق الجمال. الأدب العامي في مصر في العصر المملوكي. القاهرة، القومية، ١٩٦٦ م.
- أحمد مختار العبادي ـ الدكتور. قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام. بيروت، النهضة العربية، ١٩٦٩ م.
- بشار عواد معروف ـ دكتور. الـذهبي ومنهجه في كتـابه تـاريخ الإســلام.
 القاهرة الحلبي، ط ١، ١٩٧٦ م.
- جاستون فييت. القاهرة مدينة الفن والتجارة. تر. د. مصطفى العبادي. بيروت، مكتبة لبنان، ١٩٦٨ م.
- حسن الباشا ـ دكتور. الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار. القاهرة، النهضة العربية، ١٩٧٨ م.
- ____. الفنون الإسلامية والوظائف على الأثبار العربية. القاهرة، النهضة العربية، ١٩٦٥ م.

- حكينم أمين عبد السيد الدكتور. قيام دولة المماليك الثانية. القاهرة، القومية، ١٩٦٦ م.
- _ ستانلي لينبول. طبقات سلاطين الإسلام. تر. مكي طاهر الكعبي. بغداد، البصري، ١٩٦٨م.
- _ سعيد عبد الفتاح عاشور _ دكتور. العصر المماليكي في مصر والشام. القاهرة النهضة العربية، ط ١، ١٩٦٥ م.
- ____. المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك القاهرة، النهضة العربية، ط ١٩٦٢م.
- _____. مصر في عصر دولة المماليك البحرية. القاهرة، النهضة العربية، بدون تاريخ.
- شاكر محمود عبد المنعم الدكتور. ابن حجر العسقلاني ودراسة مصنفاته ومنهجه وموارده في كتابه الإصابة جـ ١ . بغداد، الأوقاف، ١٩٧٨ م .
- _ عبد العزيز الدوري _ الـدكتور. بحث في نشأة علم التاريخ عند العـرب. بيروت، الكاثوليكية، ١٩٦٠ م.
- على إبراهيم حسن ـ الدكتور. إستخدام المصادر وطرق البحث في التاريخ الإسلامي العام وفي التاريخ المصري الوسيط. القاهرة، النهضة المصرية، ط٣، ١٩٨٠م.
- موانتز روزنثال أ الدكتور. علم التاريخ عند المسلمين. تر. د. صالح أحمد العلى. بغداد، المثنى، ١٩٦٣م.
- ____. مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي. تـر. د. أنيس فـريحـة. بيروت، الثقافة، ط٣، ١٩٨٠م.
- فؤاد عبد المعطي الصياد الدكتور . مؤرخ المغول الكبير رشيد الدين فضل الله الهمذاني . القاهرة ، الكاتب العربي ، ط ١ ، ١٩٦٧ م .
- مارغوليوس مالخوليوس المستشرق. دراسات عن المؤرخين العرب. تر. د. حسين نصار. بيروت، الثقافة، بدون.

- محمد عبد الله عنان. ابن خلدون حياته وتراثه الفكري. القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط ٣، ١٩٦٥ م.
- عمد مصطفى زيادة _ الدكتور. المؤرخون في مصر في القرن الخامس عشر الميلادي القرن التاسع الهجري. القاهرة، ط ٢، ١٩٥٤ م.

المقالات والدوريات

- فؤاد سيد. شروط المؤرخ في كتابة التاريخ والتراجم، خمس فتاوي لم تنشر لخمسة من أعلام القرن التاسع الهجري. القاهرة، مجلة معهد المخطوطات العربية بالقاهرة، مج ٢.
- كوركيس عواد. استدراك على مقال محمد راغب الطباخ (الآتي). دمشق، مجلة المجمع العلمي العربي، مج ١٧ ١٩٣٧.
- محمد راغب الطباخ. مخطوطات ومطبوعات إنباء الغمر بأنباء العمر.
 - دمشق، مجلة المجمع العلمي العربي، مج ١٦ ١٩٣٧.
- محمد مصطفى زيادة. بعض ملاحظات جديدة في تاريخ دولة المماليك. القاهرة، مجلة كلية الأداب، جامعة القاهرة (فؤاد الأول)، مج ٤ جـ ٢، ط٢، ١٩٥٣.
- يوسف أبكار روفيج أوربلي. جداول التحويل لسنوات الهجرة إلى السنوات الميلادية تر. د. حسين قاسم العزيز. بغداد، مجلة المورد، مج ٣ جـ ٤ ـ الميلادية . ١٩٧٤.

فهرست المحتوى

٥		•			•								•		•		. ,											•	. ,				•		•		اء	هد	لإه	1
٧														•							•				. ,			•					ئ	حد	ب	11	تحة	فا		
																ل	وا	Į,	1	ب	بار	لب	1																	
١١					•						•										•	•		اة	حي	-	ىة	إس	در	_	ڀ	(ز	قا	ىسى	ال	نو	ىج	- (بن	۱
۱۳			•		•					•	٠.	•											•	•	ينا	کو	ڒ	و	أته	شأ	. ز		ل	\$ و	1	ىل	ئم	ال		
TV	٠						•													•			ته	نذ	ساة	أس	g	عه	وخ	ئىي	; <u> </u>	-	ني	شاز)	ىل	مُص	ال		
٣١						•								•	•		, ,					•					نه	ر د	حا	Ç	_	Ų	٠	غاذ	11	ىل	نص	ال		
07																																					نص			
۸.		•				•	•									• 1	, ,		•		ä	عي	اء	نم	ج	¥	١	ته	حيا	-	-	ں	م	لخا	-1	ىل	نص	ال		
۸٩				•	•	٠		•			•	•				ره	عبد	25	٠ ر	ت	ىيا	–	خا		بنا	نه	قاة	と	عا	-	٠,	ىر	اد،	سا	31	ىل	ىص	ال		
99	•	•	•					•				•			•						d	بتا		ده	٠.	*	ت	بار	وم	مق	_	. (اب	w	31	ﯩﻠ	بص	ال		
7 • 1				•	•	•					•	•		•	•	•	•							4	فات	و	و	به	ۻ	مر	_	•	ٺ	ثاه	1	ىل	ىص	الف		
																Ç	اف	لثا	1	٠	باد	ل	Í															,		
111									•		•	•	•			•		((s	لبا	`\	/1)		به	تتا	۶,	في	((ي	Ki	ىق	الربد	ال	ر	<u>ب</u>	>	ن	((اب	ج	<u> </u>	ب
۱۱۳		•				•		•		•											£	با	زز	للإ	ä	ام	لع	1	طة	لخا	.1	_	ل	؛ و	11	ﯩﻠ	م	الف		
1 2 •		•		•				•				•		ت.	باد	٥.	اء	تق	اد	ں	,	أس	وأ		اب	کت	IJ	١.	بعة	لبي	,	_	ڀ	ثاز	ال	لل	<u>م</u>	الف		
۱۸۳		•					•	•	,	دل	ٔ نب	لإ	1	في	ئ	ر ا	إد	ليو	LĮ	,	ئىم	<u>-</u>	را	لتر	ا ا	یر	ب	قة	X	لع	١.	- (ث	فال	ال	ل	ص	الف		
197			•			•	•		•	•	•	•	•		•	• •	•		•		,	εl	نب	Ķ	ة ا	ادا	ما	ر	باد	عب	A	•••	ح	راي	ال	ل	<u>.a</u>	الف		

727	الفصل الخامس ـ النقد التأريخي في الإنباء
	الفصل السادس ـ العلاقة بين الإنباء والمؤلفات التاريخية
771	الأخرى لابن حجر
277	(١) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة
711	(٢) ذيل الدرر الكامنة
797	(٣) رفع الإصر عن قضاة مصر ٢٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠
799	(٤) المجمع المؤسس للمعجم المفهرس
4.4	الخاتمة
419	مصادر البحث ومراجعه